

# شؤون فلسطينية

رئيس التحرير : محمود درويش

سكرتير التحرير : الياس خوري

تموز / آب ( يوليو / اغسطس ) ١٩٧٩

٩٣ / ٩٢

شهرية فكرية لعالمة أحداث القضية الفلسطينية وشؤونها المختلفة  
تصدر عن مركز الأبحاث في منظمة التحرير الفلسطينية

جميع الآراء الواردة تعبر عن وجهات نظر كاتبها ولا تعكس بالضرورة آراء منظمة التحرير  
الفلسطينية ولا المحررين ولا المستشارين ولا الناشرين .

العنوان : بناية الدكتور راجي نصر ، شارع كولومباني

( متفرع من السادات ) ، رأس بيروت - لبنان ، ص . ب ١٦٩١

تلفون : التحرير والتوزيع ٣٥١٢٦٠

برقيا : مرابحات ، بيروت .

مدير التوزيع : غازي دانيال

الاشتراك السنوي ( بريد جوي ) : ٦٠ ل . ل . في لبنان وسوريا ، ٧٥ ل . ل . في سائر الاقطار  
العربية ، ١٠٠ ل . ل . في اوروبا ، ١٢٥ ل . ل . في بقية بلدان العالم .

الاشتراك السنوي ( بريد عادي ) : ٦٥ ل . ل . في جميع الدول غير العربية .

الغلاف للفنان  
إميل منعم

## السياسة الاميركية في الشرق الاوسط

بالاشتراك مع جمعية خريجي الجامعات  
الاميركية العرب ، وبالتعاون مع السدائرة  
السياسية والاعلام الموحد في منظمة التحرير  
الفلسطينية ، عقدت ما بين ٢٢ - ٢٤ حزيران  
[ يونيو ] الماضي ، ندوة « شؤون فلسطينية »  
لدراسة السياسة الاميركية في الشرق الاوسط  
تحت رعاية رئيس اللجنة التنفيذية لمنظمة  
التحرير الفلسطينية القائد العام للثورة  
الفلسطينية الاخ ياسر عرفات ، وبمشاركة رئيس  
الدائرة السياسية الاخ فاروق القدومي الذي  
افتتح الندوة . وقد اختتمت الندوة بحديث  
شامل ومهم للاخ ياسر عرفات تناول فيه الوضع  
العربي الراهن ، ووضع المقاومة الفلسطينية

## المحتويات

	الصفحة
اميركا هناك ... اميركا هنا .	٤ محمود درويش
السياسة الاميركية والشرق الاوسط .	٦ فاروق القدومي
التأثيرات الداخلية على السياسة الخارجية الاميركية نحو العالم العربي .	١٢ فؤاد مغربي
أزمة الرأسمالية الاميركية وسياسة الولايات المتحدة الخارجية تجاه الشرق الاوسط .	٣١ سميح فرسون
من المستنقع رجوعاً الى الامبراطورية ، استراتيجية المقايضة الاميركية اثناء « عصر المفاوضات » ١٩٦٩ - ١٩٧٩ .	٥٨ ماري إيلين لاندستين
الطاقة والسياسة الخارجية الاميركية .	٨٩ عباس نصراري
الاقتصاد السياسي لسياسة الطاقة للولايات المتحدة .	١٠١ عاطف عبد الله قبرصي
الانفراج والشرق الاوسط .	١١٢ نصير عاروري
اميركا واسرائيل	١٢٧ الياس شوفاني
التعامل مع اميركا الأخرى .	١٣٨ عابدين جباره
الرأي العام الاميركي والمسألة الفلسطينية .	١٤٩ مايكل سليمان

الصامدة امام الهجمات الصهيونية والمؤامرات  
الاميركية ومعاهدة الاستسلام .

وقد ناقش المجتمعون جوانب السياسة  
الاميركية التي قدمتها دراسات كل من : د. فؤاد  
مغربي ، د. سميح فرسون ، د. مايكل سليمان ،  
د. نصير عروري ، د. حسني حداد ، د. ماري  
ايلين لاندستين ، د. عاطف قبرصي ، د. عباس  
الخصراوي ، د. الياس شوفاني ، د. محمد  
شديد ، د. حاتم الحسيني ، ود. عابدين  
جبارة .

هذا العدد من « شؤون فلسطينية » مكرس  
للدراسات التي قدمت للندوة ، ونرجو ان يلبي  
المفكرون والكتاب دعوتنا لمناقشة هذه الدراسات  
على صفحات « شؤون فلسطينية » .

#### الصفحة

الصهيونية المسيحية في اميركا ، العامل الديني في سياسة اميركا الشرق اوسطية .	حسني حداد	١٦٨
العنف الثوري الفلسطيني كعامل في السياسة الشرق اوسطية للولايات المتحدة .	محمد شديد	١٩١
الاستراتيجية الاميركية الراهنة والقضية الفلسطينية .	حاتم الحسيني	٢١٧
« المقصلة » التي اسموها « الحكم الذاتي » .	شفيق الحوت	٢٢٨
مقدمة في معاني الاستشراق .	انوار سعيد	٢٣٦
[ وليم كوانت ] عقد من القرارات : السياسة الاميركية تجاه النزاع العربي - الاسرائيلي ، من ١٩٦٧ الى ١٩٧٦ ، أسعد رزوق .	مراجعات	٢٦٠
خالد العراقي .	سليم بركات	٢٦٩
عرب النقب ، الضحية الاولى لمعاهدة السلم المصرية - الاسرائيلية ، توفيق فياض .	تقارير	٢٧٠
١ - اسراييليات ، عبد الحفيظ محارب ، ٢ - قضايا دولية ، سمير كرم ، ٣ - قضايا عسكرية ، محمود عزمي .	شهريات	٢٧٨

## اميركا هناك اميركا هنا ...

لا تلمح هذه الندوة الى ما يفوق امكانياتها ، فهذه الاولى من نوعها تريد ان تقول ، ببساطة ، ان الذين كانوا دائما موضوع الدراسة الاميركية ، نحن ، يريدون ان يدرسوا الذين يدرسونهم في مختبر الابداء .

بعد قليل ستمر طائراتهم فوق رؤوسنا ستمارس نشاطها الروتيني في تشريد المشردين ، وستعطي للسلام الاميركي جانبه التطبيقي في الجسد الفلسطيني - اللبناني ، وستعطي للمعاهدة صفة الديناميكية الوحيدة في منطقة تعج بالرفض الذي لا يتزحزح الى الامام ! وينفذ تدعو صيانتته الى استقرار الدعائم التي يقوم عليها امن المعاهدة .

ومنذ سنين طويلة ، لم تملك اميركا القدرة على تقديم وجه اخر للعرب . وفي الصراع المباشر مع اندلاع المد الصهيوني ، يدرك الجميع ان هذا العدو هو احد الوجود القبيحة للسياسة الاميركية .. احد الوجوه . ومع ذلك ، فان التردد لا يصيب الا المثقفين ، ولا يصيب الا الحكام .

ولا تلمح هذه الندوة الى اكثر من الغاء النسيان الذي اصاب اصحاب ورشة القرار العربي ، نسيان طبيعة النظام الاميركي الذي لا يستطيع ، ولا يريد ، ان يكون غير ما هو في علاقاته التدميرية بحركة التحرر العربي ، بما فيها ، وبشكل خاص ، حركة المقاومة الفلسطينية التي تطرح مشروع النجاة من الابداء بمشروع الثورة .

لقد انقلبت لغة الصراع على ذاتها . واتخذ هذا الانقلاب تجليه الساطع في المعاهدة - الحلف ، التي هي احدى النتائج المنطقية لمسيرة الانتقال التدريجي في عملية فهم السياسة الاميركية من سياسة معادية الى سياسة محايدة ، فسياسة قادرة على انجاز مهام حركة التحرر العربي في تحرير الاراضي المحتلة وفي استقلال فلسطين !

ان التعامل مع السياسة الاميركية خارج علاقات الصراع ، بمستوياته المختلفة ، هو الذي اسس القاعدة الشرعية للعمر الصهيوني الجديد ، وادخل مرحلة من مراحل النضال العربي في تهديد الشيخوخة . وهو ذاته الذي يهدد الاعتراض العربي الكبير ، عددا ، على المعاهدة ونتائجها ، باخطار لا يكون اقلها توفير المناخ لنمو المعاهدة ، وجعلها القوة ذات الحركة الاولى في هذه الفترة . ولا يكون اقلها استئصال وعي الصراع التدريجي من امة مهددة بمزيد من القمع والاستلاب ثمنا للتعامل ، غير المتوازن ، مع اميركا ، بما يقتضيه ذلك من تنظيف المجتمعات العربية من لغة الصراع ، ومن مفاهيم الصراع ، ومن بناء المقومات القادرة على خوض الصراع .

لذلك ، نرى ان حاجة موضوع الدراسة . الابداء الاميركية التقليدية ، اي حاجتنا الى التمرد على صياغة الاسئلة - وهو المستوى الذي يستطيع مثقفون ان يفعلوه في ندوة - هي حاجة ملحة ، لا لانعاش الذاكرة العربية فقط ، بل لاطلاع العربي على كيفية فهم اميركا لشروط المصالحة مع الذين تحولت املاكهم الى مصالح اميركية ، وقبلوا المصطلح حتى صاروا هم انفسهم مصلحة اميركية ، او بضاعة اميركية ، تحتاج المحافظة عليها الى تطهير المنطقة منا ومن لغتنا ، ولكي يطلع المواطن العربي ايضا على كيفية فهم اميركا لشروط المصالحة معه ، واولها امتصاصه او تحويله الى عبد .

يبدو لي أننا مقبلون في هذه الندوة على الاشتباك مع بديهية صارت مرشحة للانقلاب ، وهي : استحالة دراسة السياسة الاميركية في الشرق الاوسط خارج معادلة الصراع . سنرى ان برميل النقط ، وعود الثقب الذي يهدده ، والآلة العسكرية الاسرائيلية التي تحميه ، وزجاجة الكوكا كولا التي ترطب العاملين حوله ، هو المفهوم الاميركي لهذا الشرق .

وسنواجه وهما اخر يتعلق بطبيعة العلاقات الاميركية - الاسرائيلية - اليهودية ، التي يفهما عرب اميركا بطريقة تلمح الى ابتزاز تعاطفنا مع العجز الاميركي . اذ ما زال الكثيرون من المسؤولين العرب يصوغون سياستهم تحت ضغط المفهوم القائل ان اميركا هي ضحية الصهيونية وان على العرب ان ينقذوا اميركا البريئة من الشيطان اليهودي بتقديم كافة التسهيلات لها والتراجعات امامها ، لكي يسلبوا اسرائيل دورها في ضمان امن المصالح الاميركية التي يبدو انها لم تعد مصالح عربية ! اي ان نتحول عن عملية صياغة استقلالنا الوطني ، وان ننزع عن الثروة العربية حافزها السياسي ، ونتحول الى منافسين اذلاء للطريقة التي كسبت فيها اسرائيل حب اميركا ؟

اريد ان اؤكد مرة اخرى اننا لا ندرس السياسة الاميركية ومقومات القرار الاميركي من اجل الترف ، او من اجل البرهنة على ان المدروس يستطيع ان يدرس دارسه ، فان معرفة المحكوم بالاعدام لحبل المشنقة ولطريقة عملها لا تدمر الجلال . نحن ندرس من اجل متطلبات الصراع ، من اجل ان تتسلح جماهيرنا بالمعرفة الدقيقة لطبيعة المعركة والمقوى التي تخوضها في داخل مجتمعاتها ، وعلى حدود اوطانها .

واستطيع ان اؤكد ان هذه الجماهير لا ترى اميركا فقط في القاذفات التي تزورها يوميا ، بل تراها ايضا في محاولات عملية استبدال اعدائها الحقيقيين باعداء وهميين .

وتراها في علاقة الرعاة السياسيين بالرعية ، في علاقات البطش التي تحاول طرد الناس كلياً من ذاتها ومن مجتمعها ومن فلسطينها ،

وتراها في المشانق المنصوية تحت كل حنجرة تتأهب للاحتجاج على سجن بلا محاكمة ، وفي مواجهة كل حلم بسيط برغيف مصنوع من الدقيق العادي ، لا من المهانة ،

وتراها في تغييب وعي الامن القومي ، واستبداله بالامن القطري ، او العشائري ، وفي ترجمة هذا الامن الى معنى واحد هو امن الحاكم والحاشية ،

وتراها في شبق الاستهلاك الملخص بزجاجة الكولا وبنطلون الجينز اللذين حولتهما سيادة قيم الاستهلاك المعقيدة . .

وتراها هنا ، لا تهدد بالاحتلال المحتمل ، بل ترى الاحتلال وقد خيم ،

وتراها هنا . فان اميركا ليست خطرا قداما ، وانما هي وجود قائم ...

محمود درويش

## السياسة الأمريكية والشرق الأوسط

أيتها الاخوات والاخوة :

يسعدني ان أتحدث اليكم في هذا الملتقى الفكري والسياسي ، ويطيب لي ان اشكر للاخوة في مركز الابحاث الفلسطيني ، وفي جمعية الخريجين العرب في الولايات المتحدة الاميركية ، مباررتهم الهادفة لاقامة هذه الندوة ، بالتعاون مع الاخوة في الاعلام الموحد والدائرة السياسية لمنظمة التحرير الفلسطينية . ويسرني ، في الوقت نفسه ، ان ارحب بالاخوة اعضاء جمعية الخريجين العرب ، القادمين من الولايات المتحدة الاميركية ، والذين يسهمون بطاقتهم الفكرية والسياسية البناءة والموضوعية، في هذه الندوة الجادة حول « السياسة الاميركية والشرق الاوسط » .

ولعل غني عن البيان ان اشير الى اهمية المرحلة التي تنعقد فيها ندوتنا هذه ، مما يجعلها تكتسي صفة مميزة ، خاصة وان الدور الذي تلعبه السياسة الاميركية في منطقة الشرق الاوسط ، هومن ابرز سمات هذه المرحلة الدقيقة والخطيرة في ان معا ، عقب ما آلت اليه من نتائج ، وافرزته من تطورات ، تجسدت في اتفاقيتي كامب ديفيد ومعاهدة الصلح المصرية - الاسرائيلية ، المعقودة تحت المظلة الاميركية .

لقد كانت خيوط السياسة الاميركية واضحة المعالم في مساندة الكيان الصهيوني منذ نشأته ، وامتدت انسجة هذه الخيوط منذ عهد الرئيس الاميركي ترومان ، متخذة نفس الابعاد والمعالم عبر مختلف الرئاسات الاميركية التي تتالت حتى يومنا هذا ، وان كانت تكتسي في بعض العهود الوانا اكثر وضوحا ، وفي بعضها الآخر الوانا رمادية . ولعل اكثر هذه الالوان وضوحا في خيوط السياسة الاميركية كان في عهد الرئيس الاميركي نيكسون ، حين بدأ وزير خارجيته هنري كيسنجر يرسى دعائم سياسة « الخطوة خطوة » في وضع حلول اميركية لازمة للشرق الاوسط ، تضمن ، في نهاية الامر ، التوصل الى سلام اميركي ، يكفل للكيان الصهيوني الديمومة والبقاء ، والسيطرة المطلقة على مجمل القوى المحيطة بها . وقد بدأ واضحا ان هنري

كيسنجر، مهندس سياسة «الخطوة خطوة»، قد عكف على وضع معالم سياسته هذه موضع التنفيذ بعد ان انكب على دراسة الثغرات التي خلقتها سياسة سلفه روجرز ، عبر مبادرته الشهيرة عام ١٩٧٠ ، والتي قبلها الرئيس الراحل جمال عبد الناصر ببراعة تكتيكية ، مكنته من بناء قواعد صواريخ سام الدفاعية التي اربكت الطيران الاسرائيلي في فترة زمنية حرجة ووجيزة ، والتي مكنت القوات المصرية من ان تواصل بناء قدراتها ، وتتمكن من ان تجرز انتصار حرب تشرين ١٩٧٣ .

من خلال هذه المعطيات ، وضع هنري كيسنجر الخطوط العريضة لسياسته ، ويأشر التحرك لبلورتها بعد حرب اكتوبر مباشرة ، حتى لا يسبقه الزمن فيترسخ انتصار تشرين الى المدى الذي يصعب معه امتصاصه او محو آثاره .

ومن هنا كانت اتفاقية سيناء الأولى في اول سبتمبر عام ١٩٧٥ ، وهي الاتفاقية التي توج فيها كيسنجر اول تحركاته على هدى سياسة « الخطوة خطوة » .

ومن خلال قراءة سريعة لبعض بنود تلك الاتفاقية ، والملحقات السرية التابعة لها ، يستطيع المرء ان يستقرىء معظم التحركات الاميركية اللاحقة حتى يومنا هذا ، لان كل الوقائع والتطورات ، جاءت لتترجم الخطوات الاجرائية التي نصت عليها اتفاقية سيناء الاولى ، وملاحقها السرية . وكمثل على ذلك ، فقد نص البند ٦ من مذكرة الاتفاقية الاولى المعقودة بين حكومة الولايات المتحدة واسرائيل ، والملاحقة باتفاق سيناء الاول في مطلع سبتمبر عام ١٩٧٥ على ما يلي : « تتفق حكومة الولايات المتحدة الاميركية مع اسرائيل على ان الاتفاق التالي مع مصر ، يجب ان يكون اتفاق سلام نهائيا » .

اما البند الثالث من الوثيقة الثانية السرية ، الملاحقة باتفاق سيناء ، تحت عنوان مذكرة اتفاق بين حكومتي الولايات المتحدة واسرائيل ، فينص على التالي : « ستبذل الولايات المتحدة كل الجهود لتضمن كل المفاوضات الاساسية في المؤتمر على اساس ثنائي » .

ولم يقتصر دور السياسة الاميركية هذه على التحركات بين الاطراف الثنائية فحسب ، بل تعداها الى كل المحافل والمواع ، اذ طالما نص البند الثامن والتاسع من الوثيقة الاولى في الاتفاق المعقود بين الولايات المتحدة واسرائيل والملحق باتفاق سيناء على ان : « حكومة الولايات المتحدة ستقترع ضد اي قرار لمجلس الامن تعتبر انه يخلق تأثيرا مضرًا بالاتفاق او معدلا له » .

« وستسعى حكومة الولايات المتحدة الاميركية الى منع جهود الآخرين لدرس اقتراحات تتفق هي واسرائيل على انها ضارة بمصالح اسرائيل » .

وكذلك البند ٤ من الوثيقة الثانية ، في مذكرة الاتفاق اياه ، والذي يقول : « ستعارض الولايات المتحدة الاميركية وتقترع ، عند الحاجة ، ضد كل مبادرات مجلس الامن لاجراء تعديل على القرارين ٢٤٢ و ٣٣٨ في اشكال لا تتفق مع هدفها الاصلي » .

وقد تبلور الموقف الامركي بشأن هذه التعهدات الاميركية لاسرائيل ، في جلسة مجلس الامن المنعقدة في يناير عام ١٩٧٦ ، حين استخدم المندوب الاميركي مونيهان حق النقذ

« الفيتو » ، ضد مشروع القرار المقدم من مجموعة دول عدم الانحياز . والذي نال ٩ اصوات من اعضاء مجلس الامن ، لانه يشير الى حقوقنا .

وقد واصلت السياسة الاميركية لعب هذا الدور لصالح اسرائيل مستهدفة خلق واقع جديد مبني على التصدي للعقبات التي تعترض طريقها والمتمثلة في :

- ١ - قوى التصدي التي تقف حركة المقاومة الفلسطينية كطليعة لها .
- ٢ - قوى التضامن العربي التي تجسدت في حرب تشرين ، وما بعدها ، والتي استحوطت الى قرارات اتخذها مؤتمر القمة العربي في الرباط عام ١٩٧٤ .

وقد افصح كيسنجر عن تصوره في القضاء على هاتين العقبتين الشائكتين اللتين تقفان في وجه السياسة الاميركية ، لاكثر من زعيم عربي ، وغير عربي ، قابله في مطلع العام ١٩٧٥ ، وما بعده .

فبشأن العقبة الاولى ، دفعت السياسة الاميركية باعوانها في المنطقة لافراز مشكلات ونزاعات فيها ، تجعل صعبا على حركة المقاومة الفلسطينية تجنب مواجهتها ، فاختارت لبنان ساحة لها لتفجير الصراع فيها ضد حركة المقاومة الفلسطينية والقوى الوطنية المساندة .

وفيما يتعلق بالعقبة الثانية ، عمدت السياسة الاميركية ، الى خلق جذور الصراعات والنزاعات المختلفة بين الدول العربية احيانا ، ومحورة أطراف عربية لجرها ضد الاجماع العربي ، وسوقها الى طريق مغاير ، وكان ان نجحت في ذلك بجر النظام المصري الى الموقع المعادي لمصالح الامة العربية ، والمساند لاعدائها ، توطئة لخلق واقع جديد في المنطقة ، يمكنها من جرها الى تحالفات عسكرية جديدة تضمن لها المحافظة على مصالحها وتقوية نفوذها فيها .

ومن هنا كان الاهتمام الكبير الذي اولاه الرئيس الاميركي كارتر لقمة كامب ديفيد ، في السابع عشر من سبتمبر عام ١٩٧٨ م ، وهي القمة التي علق عليها الرئيس كارتر اهمية كبيرة ، تؤثر على رصيده السياسي كرئيس للولايات المتحدة الاميركية . وعلى مصيره في الانتخابات الرئاسية المقبلة .

وقد قامر الرئيس كارتر بالكثير من رصيده اثناء قمة كامب ديفيد ، ومارس شتى أساليب الضغط والترهيب والترغيب على الجانب المصري ، الذي رضخ لكل أساليب الابتزاز تلك ، حتى تم التوقيع على اتفاقتي كامب ديفيد المذكورتين ، وما اعقبهما من خطوات ، كانت ابرزها زيارات فانس المكوكية لكل من مصر واسرائيل التي توجتها زيارة كارتر للمنطقة ، معرجا لبضع دقائق على اسوان لينقل للرئيس المصري بعض مطامحه في اتفاق ثنائي مع اسرائيل .

ولم تكن زيارة الرئيس المصري انور السادات للقدس ، التي سبقت كل ذلك ، مجرد حلم شاعر ، او طيف خيال ، او نزوة عابر سبيل ، اذ لن يطول الوقت حتى يتكشف السر الاميركي الذي يقبع خلف وتحت وفوق تلك الزيارة ، التي شهدتها القدس بمرارة يوم التاسع عشر من نوفمبر العام ١٩٧٧ .

وعوداً على بدء ، فلم تكن خيوط السياسة الاميركية اكثر وضوحا في حقبة من حقبة

الزئاسات الاميركية مما هي عليه الآن ، استمراراً لمنهج مهندس سياسة « الخطوة خطوة » ، والتي كانت معاهدة السلام المصرية - الاسرائيلية ، الموقعة في ٢٦ مارس من هذا العام ١٩٧٩ ، آخر ابرز ثمارها .

لقديبات واضحا ان الولايات المتحدة الاميركية قد مارست ، وتمارس ، حتى اليوم ، شتى الضغوط على الدول العربية المختلفة ، والتي يصنفونها حسب العرف الاميركي بـ « المعتقلة » ، من اجل جرهما للقبول بالمعاهدة المصرية - الاسرائيلية ، او على الاقل ، الصمت ازاءها ، وعدم رفضها او مهاجمتها . وفي الوقت نفسه ، اوعزت لادواتها في المنطقة ، وعلى رأسها اسرائيل ، لخلق المشكلات ، وممارسة العدوان ضد القوى الراقضة والمتصدية للمعاهدة ، والتي تقف الثورة الفلسطينية في طليعتها .

ومن هنا كانت الهجمات البربرية الاسرائيلية بمختلف الاسلحة الجوية والبرية والبحرية ضد شعبينا اللبناني والفلسطيني في جنوب لبنان ، وفي مخيمات اللاجئين ، منذ صبيحة يوم توقيع المعاهدة حتى هذه اللحظة التي تنعقد فيها ندوتنا .

ولم يمض يوم واحد ، منذ ذلك التاريخ ، الا وشهدت قرى الجنوب اللبناني ، ومخيمات شعبنا الفلسطيني ، اعتداءات وحشية اسرائيلية او انعزالية استهدفت النساء والشيوخ والاطفال في محاولات محمومة لالهاء شعبنا عن مواجهة المعاهدة - المؤامرة ، والتصدي لها .

ولم تكن هذه الوقائع شغل السياسة الاميركية الشاغل في المنطقة وحسب ، بل زابتها حدة وحيوية وانفعالا احداث اخرى ، كانت الثورة الايرانية احدى ابرز صورها ، وهي التي لم تكن واردة في حساب السياسة الاميركية ، حتى سقطت في ايران اقوى وامنع القلاع الاميركية النافذة في المنطقة بسقوط شاه ايران ، وقد واكب ذلك ، سقوط حلف السنتو بانسحاب ايران وتركيا والباكستان منه ، وما تركه ذلك من آثار على الدول المجاورة ، بالاضافة الى الفشل الذي منيت به السياسة الاميركية في اثيوبيا ، وافغانستان ، والتغيرات التي نجمت عن ذلك . وهنا سارعت السياسة الاميركية الى التحرك الحثيث لوضع صورة بديلة تعوض بها عن خسارتها ازاء هذه التطورات .

وكان ان اوفد الرئيس الاميركي وزير دفاعه المستر براون في زيارة لمنطقة الشرق الاوسط ، زار خلالها كلا من السعودية ، والاردن ، ومصر ، واسرائيل ، طارحا بشكل مباشر فكرة ايجاد ما سماه بـ « صيغة تحالفية امنية » على دول المنطقة الاربعة ، تكون الولايات المتحدة مظلتها الواقية ، ولسنا هنا في معرض تفسير ما لقيه المستر براون من ردود على طروحاته هذه من الدول الاربعة التي زارها ، ولكننا نستطيع القول، انه لقي اذانا صاغية من قطبي المعاهدة المصرية الاسرائيلية فقط .

ومن زاوية اخرى ، فاننا اذا اجرينا استعراضا شاملا للتصريحات الاميركية التي وردت ، سواء على لسان الرئيس الاميركي جيمي كارتر او على السنة مسؤولين اميركيين آخرين ، او بمجمل السياسة الاميركية بشأن منطقة الشرق الاوسط ، تصل على ضوء التناقضات الواردة فيها الى إحدى نتيجتين : اولاهما : إما أن الولايات المتحدة الاميركية لا تملك حرية القرار

بشأن منطقة الشرق الاوسط بعيدا عن تأثير وضغوطات اللوبي الصهيوني المتحكم في القرار الاميركي ، والمسيطر على مختلف نواحي الحياة الاميركية ، او انها تتبع خطوات تكتيكية تستهدف كسب ود اصدقائها من العرب المعتدلين ، والابقاء على الخيط الرفيع الذي يربطها بهم ، من أجل الحفاظ على مصالحها ، من خلالهم ، في المنطقة العربية ، بحيث لا تؤثر هذه التكتيكات على جوهر سياستها في المنطقة ، والتي تتلخص في ضمان ديمومة البقاء والامن للكيان الصهيوني ، والمحافظة على تفوقه الاستراتيجي ازاء مختلف القوى المحيطة به .

ولعله من المفيد ان نذكر هنا بعضا من التراجعات التي اقدم عليها الرئيس الاميركي كارتر في تصريحاته ، وتصريحاته المضادة ، والتي تقع كلاهما في محصلة احدى النتيجتين المشار اليهما آنفا .

فبعد ان تنكر الرئيس كارتر لسياسة الانفراج الدولي ، وعمد الى المناداة بحقوق الانسان التي حصرها في مشكلات المنشقين من الدول الاشتراكية ، وفي السماح بهجرة اليهود من الاتحاد السوفياتي الى فلسطين المحتلة ، مقدما ذلك على الاولويات الاخرى التي تشكل قاعدة الوفاق بين القوتين الاعظم ، لجأ عقب ذلك الى اصدار عدد من التصريحات التي تستهدف استرضاء الجانب العربي ، فتناول في أحدها ما أسماه بالـ «HOME LAND» ، اي : وطن للفلسطينيين ، الامر الذي يرد للمرة الاولى على لسان رئيس اميركي ، ثم تبع ذلك في خطاب آخر له ، بقوله : « ان منظمة التحرير الفلسطينية تمثل جزءا جوهريا من الشعب الفلسطيني » ، وهو ايضا الامر الذي يرد للمرة الاولى على لسان رئيس اميركي ، ثم اعقب هذا وذاك البيان السوفياتي الاميركي المشترك ، الذي صدر عقب زيارة وزير الخارجية السوفياتي غروميكو للولايات المتحدة الاميركية ، في الاول من تشرين اول عام ١٩٧٧ ، والذي اقرت فيه الولايات المتحدة الاميركية بالحقوق المشروعة للشعب الفلسطيني .

غير انه بعد مضي اقل من ٣٦ ساعة على صدور هذا البيان الذي اعقبته زيارة موشي دايان ، وزير خارجية اسرائيل ، للولايات المتحدة الاميركية ، صدر رد واضح وصريح له في البيان الاسرائيلي الاميركي الذي صدر على اثر تلك الزيارة ، والذي برأ الطرف الاسرائيلي من الالتزامات المشار اليها في البيان السوفياتي الاميركي المشترك ، وتنكر لها تماما ، ثم اعقبه مباشرة خطاب الرئيس الاميركي جيمي كارتر في الامم المتحدة الذي اشاد فيه بما أسماه : « نضال الشعب الاسرائيلي طيلة الثلاثين سنة الماضية » ، وتنكر فيه للشعب الفلسطيني ، وتجاهل مأساته المزمنة .

ولم تقف التراجعات الاميركية عند هذا الحد ، بل تجاوزتها الى حد اقدامها على التراجع عن أوراق العمل التي اعدتها الولايات المتحدة الاميركية لتكون اساسا في المفاوضات المصرية - الاسرائيلية ، واعتمدت ورقة العمل الاسرائيلية بديلا لها ، بناء على طلب اسرائيل ، ثم تجاوز الامر هذا الحد ايضا الى المزيد من ممارسة الضغوط على الجانب المصري ، الامر الذي دفع بالرئيس المصري انور السادات لزيارة القدس في ١٩ نوفمبر عام ١٩٧٧ ، وما استتبع تلك الزيارة من خطوات قادت بالتالي إلى المعاهدة المصرية - الاسرائيلية ، الموقعة تحت المظلة الاميركية الواقية ، وحيث اميركا هي الشريك الكامل فيها ، يوم ٢٦ مارس من العام الحالي ١٩٧٩ .

وقد كانت السياسة الاميركية تحرص دائما على ضرورة عزل مصر عن الصف العربي ، وتلجأ الى ان توثق ذلك رسميا في كل تحركاتها ، وتنسق مع اسرائيل بنفس القدر من الجهد في هذا الشأن ، وقد حمل البند الثاني عشر من الوثيقة السرية الملحقة باتفاق سيناء ، الموقع في سبتمبر عام ١٩٧٥ ، هذا المعنى حين نص على الآتي : « يقوم موقف حكومة الولايات المتحدة الاميركية على ان الالتزامات المصرية بموجب الاتفاق المصري الاسرائيلي وتطبيقه ، وسريان مفعوله ومدته ليست مشروطة بأي عمل او تطورات بين دول عربية أخرى واسرائيل ، وان حكومة الولايات المتحدة الاميركية تعتبر ان الاتفاق قائم بذاته » .

كما وثقت السياسة الاميركية استراتيجيتها الرامية الى المحافظة على التفوق العسكري الاسرائيلي في اكثر من اتفاق ومذكرة ، ومن بين النصوص المتعلقة بهذا الشأن ، ما ورد في الوثيقة السرية الثالثة الملحقة باتفاق سيناء ، التي ينص بندها الاول تحت عنوان « تأكيدات من الحكومة الاميركية لاسرائيل » على التالي : « ان الولايات المتحدة الاميركية مصممة على الاستمرار في المحافظة على قوة اسرائيل بواسطة امدادها بانواع متطورة من الاعتدة مثل طائرات ف - ١٦ ، وتوافق حكومة الولايات المتحدة على اجتماع مبكر لاجراء دراسة مشتركة حول مواد عالية التقنية ، ومتطورة ، تشمل صواريخ « بير شنج » ذات الرؤوس الحربية التقليدية في سبيل اعطاء رد فعال » .

ان هذه الخطوط العريضة للسياسة الاميركية في المنطقة ايتها الاخوات والاخوة تعطي مؤشرا واضحا الى أين تسير تلك السياسة في مناهضتها لمصالح امتنا العربية ، واي اتجاه استراتيجي تسلك في معاداتها لشعبنا وممالاتها لاعدائنا .

ولعلي في هذا العرض السريع لهذه الخطوط العريضة ، اترك لكم مجال المناقشة ، وسبر اغوار تلك السياسة الى ابعد اكثر تفصيلا في هذه الندوة البناءة .

وفي ختام كلمتي هذه، اكرر شكري لكم ، ولجميع القائمين على هذه الندوة ، متمنيا لكم التوفيق ، والسلام عليكم .

**فاروق القدومي**

رئيس الدائرة السياسية لمنظمة  
التحرير الفلسطينية .

## التأثيرات الداخلية على السياسة الخارجية الاميركية نحو العالم العربي

من المفارقات التي تطالع المرء انه في حين تغطي اميركا الى حد كبير على حياة العرب ، يوجد جهل واسع الانتشار لاميركا وتاريخها ومجتمعها وسياستها في جميع انحاء العالم العربي . وعلى حد علمنا ليست ثمة مؤلفات محترمة وموثوقة باللغة العربية حول الولايات المتحدة . وليس ثمة علماء في العالم العربي تمكن تسميتهم بحق خبراء في شؤون المجتمع الاميركي . وانه لامر يدعو الى السخرية بعض الشيء انه من اصل الوف الطلبة العرب الذين يتخرجون من المؤسسات الاميركية ، لم يظهر احد الكثير من الاهتمام في دراسة السياسة او الاقتصاد او المجتمع الاميركي . وبالفعل فان الطلبة العرب في كثير من الحالات اسهموا في نشر الاساطير الخطرة حول اميركا ودورها في الشرق الاوسط .

من الاساطير المحيطة بالسياسة الخارجية الاميركية ، ربما كانت الاسطورة الاكثر ثباتا . هي الاطروحة القائلة ان اسرائيل والقوى الموالية لاسرائيل في الولايات المتحدة تقرر السياسة الخارجية الاميركية حيال العالم العربي . وترجو هذه المقالة ان تتمكن من تفجير هذه الاسطورة عن طريق تفحص التفاعل الحقيقي للقوى الداخلية في الولايات المتحدة وتأثيرها على رسم السياسة الخارجية الاميركية في الشرق الاوسط . ان الاطروحة الاساسية لهذه المقالة هي ان قرارات السياسة الخارجية الاميركية تنشأ عن تقويم تقوم به القوى المتنافسة المختلفة لمصالح الولايات المتحدة كقوة عالمية .

### ١ ) مدخل تاريخي : أسطورة السياسة الخارجية الاميركية

للاسطورة مصدر او مصادر . فهي تثبت وتستمر بصورة رئيسية لأنها تخدم غاية بالنسبة للذي ينشرها أو يتلقاها على حد سواء . واسطورة وجود لوبي صهيوني كلي القوة تجد مصدرها في مؤلفات الكثير من اصدقاء العرب الاميركيين ، ومنهم المرسلين والمستشرقين ومستعربي وزارة

الخارجية الاميركية ، وبعض الاكاديميين ، وبعض المتصلين بالمصالح النفطية ، والكثيرين من الذين يعلنون انفسهم خبراء عرب في شؤون اميركا .

ان اعمال المرسلين الاميركيين لاجل العرب يدرسها جوزف غرابيل دراسة جيدة في مؤلفه « الدبلوماسية البروتستانتية في الشرق الادنى »<sup>(١)</sup> . وفي العشرينات اسهم المرسلون الاميركيون اسهاما نشيطا في تحديد السياسة الخارجية الاميركية نحو العالم العربي . ولكن منذ ذلك الحين ركز النفوذ الصهيوني ونجاحه الاخير في فلسطين الانتباه اكثر من اي وقت مضى على الدور الواضح جدا الذي يلعبه الصهاينة في اميركا والعالم ، في محاولتهم التأثير على سياسات الدول الكبرى نحو الدولة اليهودية .

وفي الآونة الأخيرة برز نقاش يتعلق بسياسة الرئيس هاري ترومان نحو فلسطين . واتهم المؤرخون التعديليون REVISIONIST الاميركيون ترومان بأنه كان متأثرا الى حد كبير بالحاجة الى اقتناص الاصوات اليهودية في ولاية نيويورك ، وهي ولاية ذات اهمية رئيسية في انتخابات العام ١٩٤٨ . ورد كلارك كليفورد بان تعقب العوامل الأخرى المختلفة التي اثرت في قرارات سياسة الادارة الاميركية حول فلسطين . ومنذ ذلك الحين تركزت القضية الاساسية بالنسبة للعالم العربي حول مدى الضغط اليهودي على السياسيين الاميركيين . وتكثر النظريات المختلفة وهي تمتد من السخيف المضحك كالفكرة القائلة بأن اليهود قتلوا كندي بالنظر الى تقاريره المرتقب مع عبد الناصر ، الى الرأي نصف المعقول والقائل بان القوى اليهودية قد أرغمت الرئيس كارتر على التراجع عن الحث على اقامة دولة مستقلة للفلسطينيين في الضفة الغربية وغزة .

هذه الاسطورة يشجعها احيانا الرسميون الاميركيون لأنها تطلق يدهم اكثر في التعامل مع المنطقة . فهم يزعمون ، على سبيل المثال ، ان القوى الموالية للصهيونية هي من القوة بحيث لا يسعهم التوجه ضدها او بحيث انه ينبغي عليهم التحرك بمنتهى الحذر . ويشيرون عادة الى ان الاصوات اليهودية في الولايات المتحدة هي اكثر بكثير من الاصوات العربية وان لدى اسرائيل دائرة انتخابية قوية ونشطة تفرض قيودا خطيرة معينة على قدرة الولايات المتحدة على المناورة ازاء النزاع العربي - الاسرائيلي .

كما ان الطبيعة المعقدة للنزاع فضلا عن عواقبه التاريخية ، قد اسهمت في المزيد من الاسطورة . مثال ذلك ان الكثيرين من الأفراد في معسكر السلام او على الجناح اليساري في اميركا يتمنعون عن مقارنة قضية الشرق الأوسط . ويجد المرء كتابات مطولة ومدروسة جيدا تفصح تورط اميركا في بلدان مثل التشيلي واندونيسيا ونيكاراغوا والبرازيل والارجنتين وكوريا الجنوبية وغيرها الكثير . وتابرا ما يجد المرء تحليلا مماثلا للتورط الاميركي في الحرب في لبنان ، حيث تذهب المعونة الاميركية مباشرة الى القوى اليمينية ، او للتورط الاميركي في الأردن العام ١٩٧٠ ، او للدعم الاميركي للمستوطنات الاسرائيلية غير القانونية في الاراضي المحتلة . وتمارس الجماعات الموالية لاسرائيل، التي طالما الفت جزءا من الائتلاف المعادي للحرب الفيتنامية، فضلا عن الائتلاف الموالي للحقوق المدنية ما يشبه الفيتو على النقاش حول شؤون تتعلق بالسياسة الخارجية الاميركية حيال ذلك الجزء من العالم .

لقد أبقى على اسطورة اللوبي الصهيوني المهيمن لأنها مؤاتية أيضا للأنظمة العربية المتعاطفة مع الولايات المتحدة . فهي تمكن هذه الأنظمة من تركيز الانتباه بعيدا عن الغايات الحقيقية التي من أجلها تساندها حكومة الولايات المتحدة عسكريا وسياسيا . وتقدم القوة الكلية المزعومة للوبي الصهيوني ستارا ملائما من الدخان يمكن هذه الأنظمة من تسويغ عجزها عن الضغط على الولايات المتحدة من أجل سياسة من شأنها ان تكبح المغامرات والعنوان الاسرائيلي .

ان تضمينات الأسطورة واضحة بقدر ما هي عديمة الجدوى : ان السياسة الخارجية الاميركية حيال العالم العربي هي في الأساس ودية وكريمة لولا تحريفات القوى الموالية للصهيونية ، وان على العرب التكلم مباشرة الى الشعب الاميركي بلغة يفهمها ، وان على العرب ان يوظفوا بعض الاموال في العلاقات العامة بغية الظهور بمظهر معتدل وحسن ، واخيرا ان المجتمع الاميركي هو سوق للأفكار المتنافسة التي تؤثر في النهاية في اتخاذ قرارات السياسة الخارجية .

#### ب ) اتخاذ القرارات في السياسة الخارجية الاميركية

لعدة اعوام خلت كتب احد اكثر السوسولوجيين ايركا في اميركا يقول : « ان الطريقة لفهم قوة النخبة الاميركية لا تكمن فقط في التعرف الى النطاق التاريخي للأحداث ولا في القبول بالادراك الشخصي الذي يتحدث عنه رجال ذوو قرار ظاهري . فورا امثال هؤلاء الرجال وورا أحداث التاريخ هناك المؤسسات الرئيسية للمجتمع الحديث التي تربط بين الاثنين . ان هيكلية الدولة والشركات والجيش هذه تؤلف وسيلة القوة . وهي بحد ذاتها الآن ذات اهمية لم تضاه قبلا قط في التاريخ البشري، وعند قممها هناك الآن مراكز قيادة المجتمع الحديث التي تقدم لنا المفتاح السوسولوجي لفهم دور الحلقات العليا في اميركا » (٢) .

وهؤلاء الرجال هم الذين يتخذون القرارات . انهم نتاج عمليات معقدة من الأخذ والعطاء والمساومة والتسوية والخداع والتلاعب . وهذه القرارات توضع موضع التنفيذ عند كل درجة من درجات السلم وهي تشرح وتسوغ وتبرر للشعب . وفي شؤون السياسة الخارجية ، يصف غبريل كولكو KOILKO هؤلاء الرجال بالطريقة التالية : « ان لم تحقق أوراق البنتاغون اي شيء آخر ، فانها تسجل بشكل حاسم ان الرجال الذين يعملون عند اعلى مستويات الدبلوماسية والقوة العسكرية الاميركيتين يتصفون بحزم ووضوح في الذهن والميل هذه هي سمتهم المميزة الحقيقية . العاطفية المستمرة ، والسذاجة الظاهرية ، والاهتمام بمزاجات الشعب - لقد تظاهروا بهذه الصفات ليتلاعبوا عمدا بالرأي العام الجماهيري بغية اجتذاب مواجهة فكرية مع ضحاياهم الداخليين يمكنها ، اذا ما وضعت التعميمات جانبا ، ان تفضي الى عواقب سياسية عميقة والى بروز معارضة اميركية يكون لها اساس سياسي ومعنوي لمقاومة توجيه هذا المجتمع » (٣) .

تحت قوة هؤلاء الرجال يكمن توزيع الثروة والموارد في المجتمع الاميركي . ان الفعالية السياسية لهذه الجماعات والافراد المختلفين تقرها الى حد كبير موارد القوة المتوافرة لديهم . وبحول معظم القضايا الرئيسية ينال رجال الأعمال ما يريدون في الكونغرس ولدى رئيس

الجمهورية والمحاكم والبروقراطية . واهداف رجال الأعمال ( النمو السريع والارباح والاسواق المأمونة ) تصير اهداف الحكومة . ولا يوجد اجماع في اوساط رجال الأعمال حول جميع القضايا . مثال ذلك ان بول سويزي يصف الاختلافات الاقليمية والايديولوجية فضلا عن الاختلافات بين الشركات . الا ان سويزي يحذر من عدم تضخم اعماق هذه الانقسامات : « بإمكان الرأسماليين ان يتشاجروا بين بعضهم البعض ، وهم يتشاجرون فعلا لتعزيز المصالح الفردية او الجماعية ، ويختلفون حول الطريقة الفضلى لمعالجة المشكلات التي تنشأ عن مركز طبقتهم . لكن الأمر الذي يرجح على جميع هذه الانقسامات هو مصلحتهم المشتركة في حفظ وتعزيز نظام يضمن ثروتهم وامتيازاتهم . » (٤)

ويستنتج غرانت ماكونل في تحليله الكلاسيكي « القوة الخاصة والديموقراطية الاميركية » من الحكومة الاميركية قد اضحى تحت تأثير اوسيطرة نخب ضيقة القاعدة ومستقلة ذاتيا الى حد كبير . وهذه النخب لا تعمل بصورة متماسكة مع بعضها البعض حول الكثير من القضايا . انها لا « تحكم » بمعنى قيادة الامة بأسرها . بل على العكس تماما فهي تحتاج الى ان تنتهج سياسة عدم تورط في القضايا الكبرى لشؤون الحكم ، الا حيث تمس مثل هذه القضايا شؤونهم هم الخاصة » (٦) .

تستجيب الحكومة الاميركية للمصالح المنظمة الخاصة . وهذه الاخيرة لا تغير من السياسة العامة فحسب ، بل انها في كثير من الأحيان ترسمها . وتمارس الشركات نفوذها داخليا وفي ما وراء البحار الى حد ان توصياتها كثيرا ما تصير هي السياسة . وكما يشير مايكل بارنتي : « ضمن حكومة تتصف بسلطة مجزأة الى حد كبير ، تشكل ( مصالح الشركات ) كتلا متماسكة ، وان تكن احيانا متداخلة ، حول المصالح المنتجة الرئيسية مثل النفط والصلب والمصارف والعقار والنقل والاسلحة . وهذه الكتل تتألف من بروقراطيين عند جميع المستويات ، ومفوضين منظمين ، وكبار اعضاء مجلس النواب ، والعاملين في اللوبيات LOBBYISTS ، وناشري الصحف ، والنقابات وشركات الاعمال ، ويعملون بكل الاستقلال الذاتي وعدم المسؤولية اللذين تتمتع بهما الولايات الاساسية (Princly states) ضمن السياسة الاميركية » (٧) .

السياسيون الاميركيون ليسوا غير مبالين بالعاطفة الشعبية ، ولكن عندما تثار هذه الاخيرة فانها كثيرا ما تستجيب بصورة رمزية وغير جوهرية . وكما يقول بارنتي ، فان « الاداء الشامل لنظامنا السياسي ... يمكن وصفه على افضل نحو بأنه يعطي حصصا رمزية للعاطفة الشعبية وحصصا جوهرية للمصالح الخاصة القوية » (٨) .

### ج ( دور الرأي العام

يوافق جميع المحللين تقريبا على ان الشعب بوجه عام في الولايات المتحدة يلعب دورا

محدودا جدا في رسم السياسة الخارجية الاميركية . وعلى وجه التعميم ، ينقسم الشعب الى اربع فئات : (١) **الجمهور العام THE MASS PUBLIC** ، ويتألف من نحو ٢٠٪ من مجموع السكان ، وهم اناس لا يعون الا اهم الاحداث في الشؤون الخارجية . (٢) **الجمهور المتنبه THE ATTENTIVE PUBLIC** ، ويتألف من نحو ٤٥٪ من مجموع السكان ، وهم اناس يعون الاحداث الرئيسية ولكنهم ليسوا مطلعين اطلاقا عميقا على اي من القضايا . وتفتقر مواقفهم عادة الى الحدة والتماسك الداخلي . وتميل اراؤهم الى التقلب بسرعة استجابة للاحداث وللمواقف التي يعرب عنها الرسميون . (٣) **قادة الرأي OPINION LEADERS** ، ٢٥٪ من السكان على وجه التقريب ، وهم عادة مطلعون على الشؤون الخارجية . ومواقفهم مستقرة الى حد ما ومتماسكة داخليا . (٤) **اصحاب الفعاليات ACTIVISTS** ، نسبة مئوية صغيرة جدا من الفئة الرقم ٣ ، لا تتجاوز ١ - ٢٪ ، تتألف من اناس يقدمون المال والوقت للنشاطات السياسية ويوصلون اراءهم الى الرسميين العاميين<sup>(٩)</sup> .

وفي حين ان الشعب بوجه عام لا يقرر السياسة الخارجية الاميركية ، فان الحقيقة هي ان الرأي العام يضع فعلا الحدود التي يمكن لرسمي السياسة الخارجية ان يناوروا ضمنها . وقد تختلف هذه الحدود وفقا للقضية المعنية . وفي بعض الحالات قد تكون لرسمي السياسة الخارجية يد مطلقة لمعالجة قضية لا تثير الجدل او لا علاقة لها بدائرة انتخابية قوية . وفي مثل هذه الحالات نجد ان كون الشعب غير مطلع وغير مهتم في الوقت ذاته يميل الى منح رسمي السياسة امكانيات مختلفة للعمل . الا ان وجود دائرة انتخابية موالية لاسرائيل قوية وتتمتع بمستوى عال نسبيا من الدعم الشعبي يميل ، في حال الشرق الاوسط ، الى تضيق الخيارات المتوفرة لرسمي السياسة . والى ذلك فانه قد يرغمهم على التحرك ببطء وبحذر .

ان المسألة الفلسطينية هي على الأرجح أكثر تعقيدا من معظم المسائل المهمة للسياسة الخارجية الاميركية . وعند مستوى الجمهور العام ، لا يعرف معظم الناس الشيء الكثير عنها . فهم قد يعرفون الخطوط الخارجية الغامضة لنزاع يضع العرب ضد الاسرائيليين في مكان ما من الشرق . ولدى معظم هؤلاء الناس انطباع سلبي حول الفلسطينيين ، معتبرينهم « ارهابيين » او « مثيرين للمتعاب » . وبين الجمهور المتنبه ثمة وعي للفلسطينيين أكثر تعقيدا بعض الشيء . ففي حين ان الصورة الغالبة هنا هي سلبية ، فانه يوجد فعلا بعض الوعي للحاجة الى حل البعد الفلسطيني للمشكلة . ومن المحتمل جدا ان يقبل امثال هؤلاء الافراد بتسوية تذهب بعيدا في اتجاه تمكين الفلسطينيين من تحقيق تقرير المصير في تاريخ مقبل . ويميل معظم قادة الرأي الى ان يكونوا مؤيدين لاسرائيل ولكنهم يحددون انفسهم كموالين للاميركيين اكثر من كونهم موالين للاسراييليين او للعرب .

وبين قادة الرأي في الولايات المتحدة فان الصورة السائدة للفلسطينيين سلبية ولكنها ليست غير مميزة . فهم يقدرّون وجهة النظر الاسرائيلية اكثر مما يقدرّون وجهة النظر العربية . الا انهم في معظم الحالات مستعدون للاصغاء الى وجهة نظر فلسطينية بشرط ان تكون حسنة الاطلاع ، موثوقة وغير مطروحة بصورة خطابية بلاغية .

بيد ان الشعب الاميركي بوجه عام ليس غير مميز بقدر ما يعتقد معظم الناس . فهناك خطوط خارجية عريضة معينة من التطورات المهمة التي ينبغي على راسمي السياسة ان ينتبهوا اليها . مثال ذلك ان هناك في اعقاب الحرب في الفيتنام تمنعا واسع الانتشار عن خوض حرب اخرى حتى ولو عنى ذلك مد يد العون لاسرائيل . وهكذا في حين ان الشعب الاميركي ما يزال في سواده الاعظم مواليا لاسرائيل ، فان اكثرية كبيرة من الاميركيين تنصح ببقاء الولايات المتحدة خارج نزاع واسع النطاق في الشرق الاوسط . ففي رد على سؤال : « ماذا يجب ان تفعل الولايات المتحدة اذا ما اندلع نزاع واسع النطاق في الشرق الاوسط ؟ » قال ٥٥٪ ان على الولايات المتحدة ان تبقى خارج النزاع ، في حين ان ٩٪ فقط نصحوا بارسال المعونة العسكرية الى اسرائيل وقال ٢٪ فقط ان على الولايات المتحدة ان ترسل قوات (١٠) .

وربما كان الأمر الأكثر كشفا للتغير في الرأي العام الاميركي هو الاستطلاع التالي الذي اعلنه غالوب في ايلول ( سبتمبر ) ١٩٧٨ (١١) :

« اي من الخطط المدرجة على هه البطاقة تفضلها فيما يتعلق بالفلسطينيين » .

أ ) يجب ان تكون لهم دولة مستقلة منفصلة على الضفة الغربية من نهر الاردن في المنطقة التي كانت سابقا للاردن ولكنها الآن محتلة من اسرائيل .

ب ) يجب ان تكون لهم على الضفة الغربية دولة ليست مستقلة تماما بل مرتبطة مع الاردن .

ج ) يجب ان يستمروا في العيش كما يعيشون الآن في اسرائيل وفي الدول العربية القائمة .

عينة وطنية	( أ )	( ب )	( ج )	لا يعرفون
	٣٢٪	١٩٪	٢٢٪	٢٩٪
الذين يتعاطفون مع اسرائيل	٣٣٪	٢٢٪	٢٦٪	١٩٪

والى ذلك فان اكثرية ساحقة من الاميركيين يعارضون ارسال اسلحة الى اسرائيل ( ٥٦٪ مقابل ٣١٪ من الذين يؤيدون ارسال اسلحة لها ) . وجدير بالملاحظة كذلك ان اكثرية جوهرية تعارض قيام مستوطنات اسرائيلية في الاراضي المحتلة . ويكشف مسح قام به إفريت لاد وسيمور ليبسيت ان اكثرية من اساتذة الجامعات في الولايات المتحدة لا يعتبرون اسرائيل حليفة يجب حمايتها من الدمار . ويعتقد نحو ٦٤٪ ان على الولايات المتحدة ان تنتهج سياسة اكثر انصافا في الشرق الاوسط . ويوافق نصف المجيبين عن الاسئلة على ان الولايات المتحدة يجب ان تمارس ضغطا على اسرائيل لتذعن للمطالب العربية . ويشعر ٥٦٪ ان اسرائيل يجب ان تتخلى عن معظم الاراضي التي احتلتها في العام ١٩٦٧ . ويشعر نحو ٦٤٪ انه يجب ان يسمح للفلسطينيين باقامة دولة منفصلة على الضفة الغربية من نهر الاردن . ويستنتج لاد وليبسيت انه « اذا ما هددت الاحداث السياسية في المستقبل بقاء اسرائيل او ضغطت على الولايات المتحدة لتصير متورطة على نحو مباشر اكثر كمشارك في نزاع الشرق الاوسط ، فان المرء يستطيع ان يتصور حرما جامعا منقسما حول هذه القضايا انقساما حادا ستبدو معه نزاعات واخر

الستينات سلمية نسبيا بالمقارنة مع هذه « (١٢) .

وعلى ضوء هذا التقدير لما يحتمل ان يحدث ، يمكن القول بثقة ان راسمي السياسة الاميركية سيفعلون على الأرجح كل شيء ممكن لاجتناب حدوث نقاش مفتوح وجاد حول القضايا المتصلة بالسياسة الخارجية الاميركية في الشرق الاوسط . وعلى المرء ايضا الا يقلل من شأن الزيادة المحتملة في المشاعر القوية من اللاسامية او صعودها الى السطح في الولايات المتحدة وهو الأمر الذي قد يهدد بالخطر امن وسلامة الجالية اليهودية الاميركية .

#### د ( الوضع الاجتماعي - الاقتصادي

بعد تجريد امريكا من الاساطير المحيطة بها ، فانها تبدو كأى مجتمع صناعي متقدم آخر معقد ، متغاير العناصر ، وقابل للفهم . ومن اجل اغراضنا المحدودة سترسم هذه المقالة موجزا عاما للقوى الاجتماعية والاقتصادية القائمة التي تؤثر في السياسة الخارجية الاميركية . وفي قسم آخر سنتفحص الطرق التي تشارك بها مراكز القوة المختلفة هذه في رسم السياسة الخارجية الاميركية .

في الآونة الأخيرة برز فارق عام واحد في الأبحاث حول العوامل الداخلية في السياسة الخارجية الاميركية . وهذه الفكرة تمعن النظر في الفوارق بين الشركات المتعددة الجنسيات او « الثلاثية » « TRILATERALISTS » من جهة ، والشركات الداخلية من جهة اخرى .

أسس اللجنة الثلاثية TRILATERAL COMMISSION في اوائل العام ١٩٧٣ كل من ديفد روكفلر وزبيغنيو بريزنسكي . ويصف روبرت مانينغ الدافع الذي ادى الى نشوء هذه اللجنة على النحو التالي :

المبادرة للجنة جاءت كليا من روكفلر . ووفقا لما يقوله جورج فرانكلين ، السكرتير التنفيذي للجنة ، كان روكفلر قد « صار قلقا حول العلاقات المتدهورة بين الولايات المتحدة واوروبا واليابان » . وشرح فرانكلين ان روكفلر اخذ يطرح افكاره على جمعية نخبة اخرى : « ... لدى جماعة بلديرغ THE BILDERBERG GROUP - وهي جماعة انكلو - اميركية ممتازة جدا كانت تجتمع منذ وقت بعيد - قال مايك بلومنتال انه يعتقد ان الأمور هي في وضع خطير للغاية في العالم - وليس في وسع جماعة خاصة ما ان تفعل شيئا اكثر حول هذا الأمر؟ (١٣)

يجب وضع نشوء اللجنة الثلاثية في سياقها التاريخي الصحيح . ويحدد هذا السياق عاملان رئيسيان : الاتكال المتبادل المتزايد في النشاط الاقتصادي بين الأمم الغربية . ويتضح هذا على نحو تام بنشوء رؤوس الاموال الدولية خلال العقدين الماضيين من الزمن ، وبالأهمية المتزايدة للمصارف الاميركية في هذا التمويل الضخم لرؤوس الاموال . والجدول التالي يوضح الزيادة الحادة في نشاطات المصارف التجارية الاميركية في ما وراء البحار (١٤) :

النشاطات الدولية للمصارف التجارية الاميركية  
( نهاية اعوام مختارة )

ببلايين الدولارات			
١٩٧٤	١٩٧٠	١٩٦٠	
١٢٩	٧٩	٨	عدد المصارف الاميركية التي لها فروع اجنبية
٧٣٧	٥٣٦	١٣١	عدد الفروع الاجنبية الموجودة ( ببلايين الدولارات )
١٥٢٥	٥٢٢٦	٣٢٥	لدى الفروع في ما وراء البحار الموجودات الاجنبية كنسبة من مجموع الموجودات
١٧٢٧	١٠٢٩	٣٢٠	

المصادر :

J. BLACKMAN AND E. BLOCK, EDS., **MULTINATIONAL CORPORATIONS, TRADE, AND THE DOLLAR**, NEW YORK, 1974, AND ROBERT Z. ALIBER, «INTERNATIONAL BANKING: GROWTH AND REGULATION,» **COLUMBIA JOURNAL OF WORLD BUSINESS**, WINTER 1975.

يعترض الدوليون INTERNATIONALISTS على التصرفات والحواجز التجارية . وهم مهتمون بصورة رئيسية بالعثور على « الموضوع الأكثر كفاءة وربحا ونتاجا وملاءمة لاستثمارهم » (١٥) . وفي الولايات المتحدة ركز هؤلاء الدوليون عملهم النظري في « مؤسسة بروكينغز » و « المجلس حول العلاقات الخارجية » . وبوصول كارتر الى السلطة ، صار لديهم حليف قوي في البيت الأبيض .

العامل الثاني الذي يجب ان يحدد سياق نشوء اللجنة الثلاثية هو انهيار « نظام » النقد الدولي . وبحلول العام ١٩٧٠ كان قد بوشر في البحث الجدي لاصلاح هذا النظام . وقد اثارت « السياسة الاقتصادية الجديدة » التي انتهجها نيكسون ومحاولته ايقاف انهيار النظام عداوة حلفاء امريكا الاوروبيين فضلا عن الدوليين . وقد اعتبرت سياسة نيكسون في تلك الحين كمحاولة من طرف واحد لاعادة تثبيت السيطرة الاقتصادية الاميركية على اوروبا واليابان . ولذا كانت اللجنة الثلاثية جواب الدوليين عن المشكلات الخطيرة التي تواجه التحالف الاوروبي الغربي . وقد حددت « وحدة المهمة السياسية » التابعة للجنة الهدف على النحو التالي : « ان الهدف الرئيسي هو جعل العالم آمنا للاتكالم المتبادل ، عن طريق حماية القوائد التي يقدمها لكل بلد ضد التهديدات الخارجية والداخلية التي تبرز باستمرار من هؤلاء المستعدين لدفع ثمن من اجل المزيد من الحكم الذاتي الوطني » (١٦) .

ان تقرير مؤسسة بروكينغز ، « نحو سلام في الشرق الاوسط » ( تقرير بروكينغز ،

( ١٩٧٥ ) هو احد الأمثلة على مثل هذا التحليل . ففي معرض تحديد اهداف الولايات المتحدة ، يشدد التقرير على ان « للولايات المتحدة مصلحة قوية في امن واستقلال وسلامة اسرائيل والدول العربية » ، وان للولايات المتحدة « مصلحة كبيرة ونامية في التجارة مع المنطقة بأسرها والاستثمار فيها والمواصلات عبرها » ، واخيرا ان « المحاولات التي تقوم بها الولايات المتحدة لاقامة استقرار عالمي اعظم للمساعدة في ادارة الاتكال المتبادل الاقتصادي النامي بين الامم بمزيد من الفعالية ستحبط على الأرجح طالما بدا النزاع والمواجهة محتملين في هذه المنطقة حيث يلتقي الكثير من المصالح القومية » .

وعلى المرء ان يلاحظ ايضا ان كتابات الاستاذ بريزنسكي في مجلة فورين بوليسي قبل ان يصير مستشارا حول الأمن القومي تعكس كذلك وجهة النظر العامة هذه . والى ذلك فان مقالة السيد جورج بول BALL الشهيرة في مجلة فورين بوليسي حول « كيف ننقذ اسرائيل على الرغم منها » ، تنسجم ايضا مع وجهة النظر هذه .

غير ان كثيرين آخرين في المجتمع الاميركي لا يشاركون بالضرورة في هذا المنظار الدولي . فالذين يتكلمون بالنيابة عن مؤسسات الأعمال الداخلية كالمركب العسكري - الصناعي ، وشركة يو إس ستيل او تكستايلز يبدون معادين لوجهة النظر هذه . مثال ذلك ان موازنة الدفاع التي اقترحتها السيد كارتر للعام ١٩٨٠ تمثل القوة المتزايدة لائتلاف مختلف في السياسة الاميركية .

في اعقاب الحرب العالمية الثانية كان يسيطر على السياسة الخارجية الاميركية ائتلاف يؤيد التوسع في الداخل والخارج على السواء . وكان بين اعضاء هذا الائتلاف نقابات العمال والاقليات والجماعات الاثنية المختلفة وسكان المدن وبعض اقسام الشركات الكبيرة وبعض الدوليين وبعض دعاة الحرب الباردة . فواسط رجال الأعمال ارادت التوسع الاقتصادي فيما وراء البحار . والدوليون الليبراليون جادلوا من اجل نظام عالمي مستقر تقوده اميركا غير منعزلة . والشعب اراد ببساطة ان يتجنب نشوب حربٍ اخرى . وحفز توسيع دور اميركا الدولي الاقتصاد الداخلي . وكانت هذه احدى الحلقات الحاسمة التي ربطت معا نسيجاً معقداً من المعونات الخارجية والوجود العسكري الاميركي والتوسع الاقتصادي الاميركي ومناهضة الشيوعية .

وكانت مناهضة الشيوعية بمثابة اللصاق الذي ربط التوسع الدولي بالدعم الاميركي الداخلي . ولكن بحلول اواخر الستينات واولئ السبعينات ادى معدل ابطاً للنمو الاقتصادي الى تآكل الأساس المنطقي لهذا الائتلاف . وازداد هذا التآكل حدة بعض الشيء نتيجة للهزيمة الاميركية في الفيتنام ، ولبروز اوروبا واليابان كمنافستين معقولتين ، وللزيادة الدراماتيكية في قوة الاتحاد السوفياتي .

ويحاول الرئيس كارتر حالياً ان يشكل ائتلافاً جديداً بغية تدعيم مركزه السياسي الضعيف . ويشمل هذا الائتلاف الطبقة الوسطى الساخطة التي قد تفيد من تقليص النفقات العامة . وفي الوقت ذاته يواصل بنشاط تقديم اعانات مالية حكومية للشركات عن طريق الفوائد الضريبية الارتدادية ، وتحرير الصناعة ، بما فيها النفط ، من الانظمة وتقديم معونات حكومية

كبيرة لتشجيع الصادرات . وعلى الصعيد الدولي فإن السبيل نفسه يعني فتح الصين امام الصادرات الاميركية ، وحماية الامدادات المعدنية الاستراتيجية في جنوبي افريقيا ، والضغط على اوروبا واليابان لتوسيع اقتصاداتهما بسرعة اكبر بغية استيعاب المزيد من المنتجات الاميركية ، وبرنامج مبيعات اسلحة نشط الى الدول الاجنبية . وباختصار فإن الزيادة في النفقات الدفاعية تهدف الى ربط الجناح اليميني من الحزب الديمقراطي والطبقة الوسطى والمركب العسكري - الصناعي الى اهداف السيد كارتر الانتخابية والسياسية .

وبصورة جوهرية تمكن ترجمة العلاقة بين النفقات الدفاعية والاقتصاد الداخلي الى دولارات فعلية لجماعات مختلفة . والى حد كبير يعزى نمو ولايات كاليفورنيا وواشنطن وكولورادو واريوزونا الى الانفاق الدفاعي<sup>(١٧)</sup> . وصناعة الطائرات قائمة في ولايات جورجيا وكانساس وواشنطن وميسوري . وتصنع الصواريخ في كولورادو . وتتخصص ماين وفيرجينيا بصناعة السفن . وتقوم شركة بوينغ في ولايتي كانساس وواشنطن ، ولوكهيد في جورجيا ، ومكدونيل - دوغلاس في ميسوري ، ويوناييتد ايركرافت وجنرال دايناميكس في كونيتيكت<sup>(١٨)</sup> . ويشير ادم يارمولنسكي الى تأثير النفقات الدفاعية على الاقتصاد : « كان للنفقات الدفاعية تأثير مزدوج على تطور القوة العاملة للاقتصاد الاميركية . فهي تمثل مصدرا رئيسيا للطلب وللعرض في آن معا ، وخصوصا للطاقة البشرية المتخصصة . في العام ١٩٦٧ كان النشاط المنبثق عن الدفاع مسؤولا عن ٧,٥٠٠,٠٠٠ عامل، تمثل ١٠٪ من مجموع العمالة الاميركية . كان اكثر من النصف بقليل مستخدمين مباشرة لدى الحكومة الاتحادية ، إما في القوات المسلحة او كمستخدمين مدنيين في المؤسسة العسكرية . وكانت البقية في العمالة المنبثقة عن الدفاع في الصناعة الخاصة ، يعملون لدى ملتزمي الدفاع الرئيسيين او الملتزمين الفرعيين ، او الشركات التي تزود الملتزمين بالمواد والخدمات »<sup>(١٩)</sup> .

والملاحظ ان الشيوخ والنواب الممثلين لولايات تتأثر تأثيرا قويا بالنفقات الدفاعية كثيرا ما يؤيدون زيادة في موازنة الدفاع . ويجادل امثال هنري جاكسون من ولاية واشنطن من اجل موازنة دفاع عالية بالنظر الى ما يعنيه هذا للاقتصاد الاساسي للولاية التي يمثلون . وكثيرا ما تترجم الحجة الى خط من خطوط السياسة الخارجية معاد للاتحاد السوفياتي ومؤيد جدا لاسرائيل التي تعتبر احدى الحليفات الاكثر استقرارا وبولة واقية ضد النفوذ السوفياتي في الشرق الادنى . ومن الممتع ان نلاحظ انه يسمح الآن للشركات الاسرائيلية ان تقدم عطاءات للالتزامات تتعلق بالنفقات الدفاعية الاميركية . وقد تمثل هذه خطوة اخرى في عملية دمج اسرائيل اكثر فاكثر في البنية الاقتصادية والسياسية للولايات المتحدة .

ويمثل السناتور جاكسون وغيره من الشيوخ ، وبينهم السيد باتريك مويتهان ، السناتور من ولاية نيويورك ، اثتلافا محافظا جديدا في السياسة الاميركية . وهذا الائتلاف ينشر آراءه بين الشعب عن طريق مجلتين ، هما كومرتري ، وهي مجلة اللجنة اليهودية الاميركية ، وبابلبيك انترست . وتتألف هذه الجماعة من رجال فكر ، وسياسة قد يكونون ليبراليين نوعا ما حول القضايا الداخلية ولكنهم محافظون حول القضايا الخارجية . وهم يجادلون من اجل سياسة متشددة نحو الاتحاد السوفياتي ومن اجل زيادة في القدرة الدفاعية الاميركية . كما انهم

يجادلون من أجل دعم غير مشروط لإسرائيل التي تعتبر حليفا طبيعيا ، مرتبطا ارتباطا عضويا بالولايات المتحدة . ويحثون على زيادات في شحنات الاسلحة الاميركية الى اسرائيل لتمكينها من حماية المصالح الاميركية في المنطقة . وفي اعقاب الثورة الايرانية جادلت هذه الجماعة بان اسرائيل هي الحليف الوحيد الموثوق به للولايات المتحدة وبانه لا ينبغي الضغط عليها من أجل تقديم أية تنازلات قد تهدد أمنها بالخطر .

ومع هذا تبقى حقيقة ان جماعات معينة مثل رؤساء الاركان المشتركين فضلا عن آخرين ضمن الاوساط الدفاعية قد حذرت احيانا من مغية تقديم الكثير من المعونة لاسرائيل . ومن حين لآخر يجادل الجنرال براون من رؤساء الاركان المشتركين وغيره بان المعونة العسكرية الضخمة لاسرائيل تبقى دفاعات اميركا مكشوفة وتخفف قدرة حكومة الولايات المتحدة على الضغط على اسرائيل لجعلها تتبنى سياسات في مصلحة الولايات المتحدة (٢٠) . ويكلام آخر فانه من غير المحتمل ان تتحمل جماعات ضمن المؤسسة الدفاعية استنزافا لاحتياطيات الولايات المتحدة او سياسة مساعدة ضخمة لاسرائيل اذا ما هددت مثل هذه السياسة مصالحها الثابتة في الولايات المتحدة او بدأت في تفتيت موازنتها .

في العهد اللاحق للحرب الفيتنامية قد يكون تمنع اميركا عن اللجوء الى التدخل العسكري قد اشرف على الانتهاء . ويشير مسح اخير اجرته وكالة الاستخبارات المركزية الاميركية الى ان الولايات المتحدة هي القوة العسكرية الرقم ١ في العالم (٢١) . ولذلك فان على المخططين العسكريين الاميركيين الا يقرروا « عرض او عدم عرض الاسطول » ، ولكن تحت اية ظروف يجب عرضه ، وبأية تأكيدات بان اهداف حكومة الولايات المتحدة ستلبي . وتقوم دراسة اخيرة اجراها المؤسسة بروكينغز (٢٢) كل من باري بليشمان وستيفن كابلان بعنوان « قوة بلا حرب : القوات المسلحة الاميركية كاداة سياسية » ( واشنطن العاصمة : مؤسسة بروكينغز - ١٩٧٨ ) ، بتفحص ٢١٥ حادثا سعت فيها الولايات المتحدة الى تحقيق هدف في العالم عن طريق التهديد باستخدام قوتها العسكرية . والاستنتاج الرئيسي للدراسة هو ان « التهديدات الاميركية باستخدام القوة العسكرية لها صلة بالتطورات السياسية الداخلية اكثر مما لها صلة بالتهديدات الفعلية للامن القومي للولايات المتحدة » (٢٣) . ويتوقع معظم المصلين ، الذين ادهشتهم موازنة الدفاع الجديدة ، تجديد دورة الاشتراك الفعلي في الحروب من قبل حكومة الولايات المتحدة . وهكذا يختم الان وولف تحليله للدراسة بالطريقة التالية : « ان جميع العلامات موجودة : فالديمقراطيون في السلطة ، وشعبية كارتر كانت في ازدياد ، وثمة عودة الى قيم الخمسينات ، والجناح اليميني أخذ في النمو . وفي ظل هذه الظروف يستطيع المرء ان يتكهن بانه سيصار الى العثور بصورة اكثر تكرارا على حوادث نولية لتسوية التهديدات الاميركية باستخدام القوة . ومهما كانت قيمتها العسكرية المشكوك بها فان جولة جديدة من الحروب الاميركية تبدو مؤكدة ، الا اذا تغير الوضع السياسي في الداخل » (٢٤) . ومع استعداد السادات لتقديم خدمات جيشه ومع استعداد اسرائيل لتقديم نفس الخدمات ، يبدو من المرجح ان أمثال هؤلاء الوكلاء قد يستخدمون بصورة فعالة اكثر من تدخل الحكومة الاميركية الفعلي . وتبدو منطقة الخليج بؤرة اهتمام اميركي متزايد وقد تضحي منطقة تدخل عسكري اميركي .

### هـ) دور الكونغرس

يعكس كونغرس الولايات المتحدة مقتطفا نمونجيا للمجتمع الاميركي . ومعظم اعضاء الكونغرس في هم كثير من الاحيان غير مطلعين حسنا على قضايا السياسة الخارجية، الا اذا كان قد مضى على وجودهم في الكونغرس فترة من الوقت وعملوا في بعض اللجان التي تعالج الشؤون الدولية . وليس ثمة شك ، اذن ، في ان الكونغرس يعكس الشعور العام السائد بالعطف على اسرائيل . وحول قضايا الشرق الاوسط ، يتبع الكونغرس عادة الهيئة التنفيذية ونادرا ما يشرع في عمل اي شيء قد يمس المشكلة باستثناء حث رئيس الجمهورية على دعم اسرائيل اكثر فاكثر .

ويعزو معظم المحللين العواطف الموالية لاسرائيل بين اعضاء الكونغرس الى مجموعة متنوعة من العوامل : تأثير الاصوات اليهودية واموال الحملات الانتخابية في نواثرهم ، وعدم وجود اية قوة موازية في الدائرة ، والتمن الباهظ لاتخاذ موقف موال للعرب ، واخيرا مطامح رئيس الجمهورية .

ويشير روبرت ترايس ، في معرض تحليله لمستوى الدعم لاسرائيل في مجلس شيوخ الولايات المتحدة بين العام ١٩٧٠ والعام ١٩٧٣ ، الى انه « من اصل مجموع الاصوات الـ ٥٥١ التي ادلي بها في عمليات التصويت السبع التي اجريت ببناء اسماء الحضور ، يمكن اعتبار ٤٦٣ ( ٨٤٪ ) مؤيدة لاسرائيل ، في حين يمكن اعتبار ٨٨ ( ١٦٪ ) فقط غير مؤيدة » (٢٥) ويؤكد ترايس ، الى ذلك ، انه ليس ثمة فرق بين الديمقراطيين والجمهوريين في الدعم الفعلي لاسرائيل . ويعتبر ترايس ان التفضيلات الايديولوجية للشيوخ ، ومدى تأثير الاصوات اليهودية في نواثرهم ، او كمية الاموال التي يتلقونها من المنظمات اليهودية ، انما هي عوامل مقررة ثانوية وليست حاسمة تماما لسجل الشيوخ في التصويت حول القضية . ويشير الى ان مجموعة متنوعة من الاسباب تميل الى تقرير الاصوات ويحدد بضعة اسباب غير عادية مثل تأثير اعوان الشيخ الذين يعطفون عادة على اسرائيل . الا ان عضو الكونغرس يدعم اسرائيل بالدرجة الاولى لانه بفعله ذلك انما يكون ضمن الاتجاه السائد للرأي العام في دائرته .

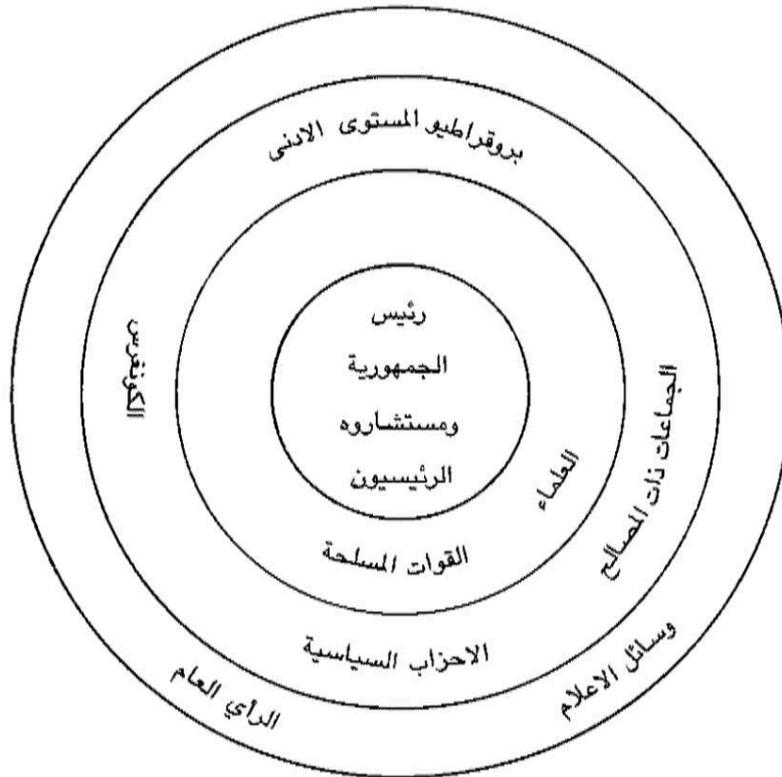
ويعكس كونغرس الولايات المتحدة بوجه عام المقتطف النمونجي للمجتمع الاميركي . ولذلك فان للرأي العام تأثيرا ، بمعنى انه يحدد اطر السلوك السياسي للعضو . وفي معظم الدوائر كثيرا ما تفصح جماعات صغيرة حسنة التنظيم عن عطفها الواضح على اسرائيل . ويكسب عضو الكونغرس الشيء الكثير بمجاراته رأي الاتجاه السائد ويخسر الشيء الكثير بوقوفه ضده .

وفي اللجان المختلفة ، التي يتم فيها اتخاذ قرارات السياسة الفعلية ، كثيرا ما يتعرض عضو الكونغرس لهجمات العاملين في اللوبيات والضغط الحكومي . وكثيرا ما تكون لجنة مثل لجنة العلاقات الخارجية التابعة لمجلس الشيوخ منبرا للمرشحين الطامحين الى رئاسة الجمهورية الذين لا يرغبون في استعداد العناصر القوية . ومع هذا فان الضغط الاكثر حسما على هؤلاء الشيوخ يأتي من الحكومة التي ترسل ممثلين للدلاء بشهاداتهم وتقديم بيانات

للشيوخ . ومعظم هؤلاء الشيوخ يعكسون في كثير من الاحيان المصالح العالمية الامبريالية للولايات المتحدة او للقوى التي يميلون الى تمثيلها .

وبصورة جوهرية يلعب الكونغرس دورا اقل اهمية من دور الهيئة التنفيذية في رسم السياسة الخارجية الاميركية . فرئيس الجمهورية يحدد نبرة واتجاه السياسة الخارجية الاميركية . كما انه بممارسته مبادرته لا يبقى للكونغرس اي خيار سوى ان يتبع ما بدأه هو . واخيرا يوجد لدى رئيس الجمهورية مجموعة من الأدوات الرسمية وغير الرسمية التي تمكنه من استعمال امتيازاته . ويمثل الرسم البياني التالي تفوق رئيس الجمهورية ومستشاريه (٢٦) :

### الدوائر المترابطة للسلطة في اتخاذ قرارات السياسة الخارجية



المصدر : جون سبانيير واريك اوسلانر ،

HOW AMERICAN POLICY IS MADE (NEW YORK: PRAEGER, 1974) P. 55.

## و ) اليهود في السياسة الاميركية

بروي ستيفن ايراكس (٢٧) الحكاية التالية في مؤلفه الهام « اليهود في السياسة الخارجية » JEWISIN AMERICAN POLITICS. ففي الخامس من كانون الثاني (يناير) ١٩٧٠ اجتمع جورج مكغوفرن بجماعة مهمة من الذين يتبرعون تقليديا بمبالغ « كبيرة من المال » لمرشحي الحزب الديمقراطي . ورتب الاجتماع هنري كيملمان ، وهو مليونير من جزر فيرجن كان قد التقى بمكغوفرن في العام ١٩٦٧ . وقد دعا لورنس تيش ، رئيس مجلس ادارة لوز LOWES اصنقاه وبيئهم عمالقة مالين امثال القرد ب . سلامر رئيس كيزر - روث ، وموريس لفينسون رئيس اسوشييتد بروداكتس ، وبريستون ر . تيش شقيق لورنس وهو رئيس شركة تملك ذا تويباكو ريجنسي ( التي تسيطر على دور للسينما وعقارات ولوريلارد ، الى جانب القنادق ) ، وروبرت برنستين رئيس دار النشر راندوم هاوس ، وصول شتاينبرغ رئيس مجلس ادارة لياسكو وهي احدى الشركات الماردة التي تؤجر الكمبيوترات ، وأثر كوهن رئيس مجلس ادارة أرلين ريالتي ، ور . بيتر شتراوس وهو احد اعضاء العائلة التي تملك المتاجر الكبيرة ماسيز ورئيس شتراوس كوميونيكيشنز ، وميشولام ريكليس رئيس مجلس ادارة رابين - اميركان كورپوريشن ( انترناشنال بليتيكس ، بي في دي ، شنلي اندستريز ) .

ولم يصب مكغوفرن النجاح امام هذه الجماعة . فعندما سئل عن موقفه من اسرائيل ، اجاب ان الامل الوحيد لسلام عادل ودائم لا بد من التوصل اليه عن طريق الامم المتحدة . ولم يكن مكغوفرن يدري ان الامم المتحدة شيء بغض بالنسبة الى الصهاينة والاسرائيليين .

ويزعم ستيفن ايزاكس ان المتبرعين اليهود « يقدمون اكثر من نصف الهبات الكبيرة للحملات الانتخابية الديمقراطية القومية » . وفي العام ١٩٧٢ ذهبت معظم هذه الاموال الى هيوبرت هامفري وفيما بعد الى الحملة الانتخابية الجمهورية واللجنة العاملة على اعادة انتخاب السيد نيكسون . ويستشهد ايزاكس بقول احد الاستراتيجيين السياسيين : « لا تستطيع ان تأمل في الوصول الى اي مركز مهم في السياسة القومية ، اذا كنت ديمقراطيا ، بلا اموال يهودية » .

وعلى نطاق قومي نجد ان اليهود هم الجماعة الاكثر نشاطا في السياسة الاميركية . انهم يؤلفون نحو ٣٪ من السكان ومع هذا يملون بأكثر من ٤٪ من الاصوات . وفي ولاية نيويورك ، مثلا ، يمثل اليهود نحو ١٤٪ من السكان ويملون بما بين ١٦٪ و ٢٠٪ من مجموع الاصوات . ويبدلي اليهود بصوت واحد من كل اربعة اصوات في الانتخابات التمهيدية للحزب الديمقراطي على صعيد الولاية كلها ( حيث يتم انتخاب مرشحي الحزب ) وذلك الى حد كبير بالنظر الى نشاطهم في السياسة والى اللامبالاة النسبية لجماعات اخرى ( في بعض الانتخابات المحلية ، قد يقترح ٢٧٪ - ٣٠٪ على وجه التقريب ، وفي الانتخابات القومية لا يزيد عدد المقترعين على ٥٥٪ ) . وبوجه عام فان نسبة مئوية صغيرة جدا من الناس هم ديمقراطيون او جمهوريون نشطون . ومع هذا فان نحو ٢٠٪ من الذين يعملون بنشاط في الحزب الديمقراطي هم يهود . وكما يشير ايزاكس : « في اية مدينة حيث يقيم اي عدد كبير من اليهود ، يحتمل ان يكونوا ، اكثر نشاطا في عملية السياسة من اعضاء اية جماعة اخرى » .

في العام ١٩٧٢ كان لكل مرشح لرئاسة الجمهورية ، باستثناء جورج والاس ، معاون يهودي رئيسي واحد في حاشيته . فان ماسكي كان لديه بيرل برنارد ، وجاكسون كان يدير حملته بن واتنبرغ ، وهامغري كان يدير حملته ماكس كومبلان ، وماكغوفرن كان لديه فران مانكيفيتش .

وينشأ مصدر كل هذه الطاقة السياسية عن التآلف الاجتماعي - الاقتصادي لليهود في المجتمع الاميركي . فهم في اكثرهم الساحة من الطبقة الوسطى ، ويشكلون الجماعة الأكثر بحبوحة في المجتمع الاميركي . ويقدمون نحو ٢٠٪ من محامي الامة ، ويلتحق نحو ٨٠٪ من جميع الشبان والشابات اليهود بالجامعات ويصرون من اصحاب المهن .

وفي حقول اخرى من الشؤون العامة كوسائل الاعلام ، يحدث ان يكون الكثيرون من الشخصيات الشهيرة يهودا - ولترليجان ، آرثر كروك ، ديفد لورنس ، تيودور وايت ، جوزف كرافت ، هيرب بلوك ، ديفد بروبر ، اليزابيت درو ، ديفد هالبرستام ، سيمور هيرش ، ساندر فانوكور ، دانيال شور ، ماكس ليرنر ، وآخرين . وتطورت جميع الشبكات التلفزيونية التجارية الثلاث تحت قيادة يهود لامعين - الجنرال ديفد سارنوف من آر سي إي ( إن بي سي ) ، وليم بيلي ( سي بي إس ) ، وليونارد غولنسون ( إن بي سي ) .

ومن الصعب تعقب تحرك الاموال . يقول ايزاكس ان « المسألة التي يميل اصحاب الفعاليات اليهود الى تجنب الحديث عنها هي المنطقة المتعلقة بالاموال اليهودية » . ومع هذا فمن المعروف ان التبرعات كثيرا ما تذهب الى الديمقراطيين والجمهوريين على السواء . في العام ١٩٧٤ ، نشرت ( ذي ناشنال جويش مونثلي ) ، التي تصدرها بناي بريت ، مقالة بقلم فرانكلين سيبلي ، وهو احد معاوني رجال الكونغرس ، يلت فيها الانتباه الى اصديقاء اليهود واعدائهم الذين يخوضون المعركة الانتخابية لاعادة انتخابهم . واشتملت قائمة الاصدقاء على بيرتش باي BAYH وفرانك تشورتش والان كراستون وروبرت بول وطوماس ايفلتون ودانيال اينويي وورن ماغنوسون ور . باكوود ورتشارد شوايكر وادلاي ستيفنسون الثالث . واشتملت قائمة الاعداء على قولبرايت وهنري بلمون وغيلورد نلسون .

ليس ثمة شك في ان الجالية اليهودية الاميركية تلعب دورا نشطا في التأثير على السياسة الخارجية الاميركية نحو الشرق الاوسط . لكن نجاحها لا يعود الى اية مؤامرة او حتى الى مراكز نفوذها في المؤسسات المختلفة في اميركا ، وهي الى حد كبير مؤيدة للسياسة الخارجية الاميركية نحو الشرق الاوسط . ولو كانت السياسة الخارجية الاميركية معارضة لاسرائيل لتقلصت سلطة هذه الدائرة الانتخابية الى حد كبير . وينشأ مصدر آخر للقوة عن كون الكثيرين من اليهود منهمكين في اكثر من مجرد ممارسة الضغط بالنيابة عن اسرائيل . فهم يشاركون بنشاط في كل وجه من وجوه المجتمع الاميركي ، وبذلك يسهمون بطريقة جازمة في عملية تحديد المشكلات واقتراح حلول لها . واسهامهم ، كجماعة ، في قضايا اخرى وحقول نشاط اخرى كثيرا ما يكون متفوقا على اسهام اية جماعة اخرى . وفي مجتمع حيث النشاط السياسي الفعال محدود جدا وحيث الملايين من الناس يقصرون اسهامهم السياسي ببساطة على فعل الاقتراع ، كان في مقدور اليهود الاميركيين ان يملأوا الكثير من الفجوات للاسهام بطريقة غير اعتيادية في حياة

الولايات المتحدة . ولا يمكن بسهولة تحطيم الاجماع الذي خلقوه حول اسرائيل بين الشعب الاميركي ، بل هو جوهري بالنسبة لهذه الجالية وبالنسبة الى امتدادها في ما وراء البحار .

يؤلف اللوبي الموالي لاسرائيل جماعة فيتو في السياسة الاميركية . ويسمح لقضايا معينة بان تصعد الى السطح ويان تناقش . ويصار الى اغراق قضايا اخرى . وعلى راسي السياسة ان ينتبهوا الى هذه الجماعة خصوصا في الاوقات التي تكون فيها مسائل الشرق الاوسط واضحة جدا . وخلال الاوقات « العادية » يصار الى حشد التأييد الضروري عن طريق وسائل مختلفة على مستوى الجمهور العادي ولدى الكونغرس . ولا تستطيع جماعة فيتو ان تمنع تنفيذ احدي السياسات . كما لا تستطيع ان تمنع رئيس الجمهورية الاميركية من التكلم عن القضايا . بل ان جماعة الفيتو تفرض حدودا على ما يقال ويفعل وفوق كل شيء ترغم السياسي على ان يحسب حسابا لقوتها .

### ز ) دور وسائل الاعلام

اضحت وسائل الاعلام الالكترونية والمطبوعة في الولايات المتحدة مؤسسات كبرى ، تكاد تكون في مثل قوة الحكومة في تكوين المواقف والمفاهيم فضلا عن توجيه السياسة العامة . ويتوقف الكثير من الصحف الاصح حجا عن الصنوبر صارت الصحف الرئيسية كالنيويورك تايمز والواشنطن بوست واللوس اتجيلوس تايمز والوول ستريت جورنال مؤسسات كبرى في المجتمع الاميركي . وبصورة يومية يكون لدى كل مكتب حكومي عادة نسخة من التايمز ومن البوست . وكثيرا ما تحدد المقالات الرئيسية نبرة النقاش على الصعيد العام وفي الكونغرس وفي المكاتب الحكومية .

وتشير معظم الدراسات التي تتناول الصحف الاميركية الرئيسية الاميركية الى انحيازها الواضح الموالي لاسرائيل . وتصاب صورة العرب وخصوصا الفلسطينيين بقدر كبير من التشويه . بيد انه كانت هناك تحسينات ملحوظة خلال الاعوام الثلاثة الماضية في تغطية الشرق الاوسط في الصحف الاميركية . فالنيويورك تايمز مثلا خصصت سلسلة من المقالات للتحديث عن الفلسطينيين ويتحول الاميركيون العرب الآن بصورة متزايدة الى موضوع للتحقيقات الصحفية ، ومع هذا فمن المهم ان نلاحظ ان وسائل الاعلام في معظم الحالات تستوحي ما يتعين عليها ان تفعله من الحكومة الاميركية . وليست ثمة مراقبة او رقابة ، الا ان هناك اتفاقات غير مكتوبة وتفاهات واضحة .

وقد كانت الصحافة الاميركية متمنعة الى اقصى حد عن التورط في تحقيقات صحافية ساهرة لاغوار مشكلات الشرق الاوسط من النوع الذي قامت به حول الفيتنام . وهي نادرا ما تثير الاسئلة حول اتجاه السياسة الخارجية الاميركية نحو تلك الجزء من العالم . وتميل اكثر نحو مجارة وشرح وتسيويع مواقف الحكومة من قضايا الشرق الاوسط . ولكن مما لا ريب فيه ان ثمة استعدادا متزايدا للتحقيق في شؤون ربما كانت اثار في الماضي غُضِب العناصر الموالية لاسرائيل . وعلى الرغم من هذا الانفتاح الجديد تبقى حقيقة انه لم يتم قط تحطيم الاجماع حول الشؤون المتعلقة بالشرق الاوسط ، وما تزال المحرمات حول طبع مواد انتقادية معينة تتعلق باسرائيل قائمة الى حد كبير . وآخر محاولة قامت بها وزارة الخارجية الاميركية للاشارة الى ان

اسرائيل « قد تكون منهمكة في تعذيب منظم » قوبلت بوابل من الانكار وبمحاولات متطرفة للتلطيف والحذر .

### خلاصة واستنتاجات

القرارات في المجتمع الاميركي تتخذها نخبة تستمد سلطتها من المؤسسات التي تقودها ومن قدرتها على ضبط الموارد وتوزيع الثروة في المجتمع . ويستجيب الراسميون للمصالح الخاصة المنظمة او للجماعات التي تملك سلطة اقتصادية . ويصير الكثير من هذه الجماعات منظورا في بعض الاحيان عندما تصير القضايا التي تهمها بارزة . وفي احيان اخرى ، تشارك في عملية تحديد المشكلات واقتراح حلول لها . ويكلام آخر كثيرا ما تكون اقتراحات السياسة نتيجة لعمليات مساومة بين اجزاء المجتمع المتنافسة المختلفة .

القضايا المتعلقة بالشرق الاوسط تستدعي اسهام جماعات منظمة مختلفة في المجتمع الاميركي ، يجد الكثير منها امتدادات لنفسها في الكونغرس وفي البروقراطية . وتشارك جماعات اقتصادية ، كقطاع الطاقة ، والشبكة العسكرية - الصناعية ، وقطاع التكنولوجيا ، وقطاع المال وغيرها في تحديد سياسة الولايات المتحدة ازاء الشرق الاوسط . والى ذلك يشارك اللوبي الموالي لاسرائيل والممثل لمنظمات رسمية وغير رسمية معينة بنشاط في حياة المجتمع الاميركي وفي تحديد سياسته الخارجية .

وتستمد القوى الموالية لاسرائيل سلطتها من طبيعة الجالية اليهودية الاميركية والمجموعة الواسعة من نشاطات اعضائها ، المتمتعين بالحبوحة ، والمنتمين الى الطبقة الوسطى ، والمشاركين بشكل عميق في السياسة . ويتضح هذا الدور بالنظر الى اللامبالاة البالغة لمعظم الاميركيين وتمنعهم عن العمل في الجهود المنظمة المختلفة التي ترمي الى تعزيز مصالحهم . لكن قوة هذه الجماعة هي عظيمة بالدرجة الاولى لأنها تتفق جوهريا مع تقويم السياسة الخارجية الاميركية ازاء الشرق الاوسط . وكثيرا ما تسير الجماعات العربية بعكس الاتجاه السائد ويكون لها بالتالي تاثير محدود في محاولتها تغيير السياسة الاميركية . واقصى ما تستطيع الجماعات الموالية للعرب تأملة هو ان تثير النقاش العلني حول شؤون السياسة الخارجية الاميركية المتعلقة بالعالم العربي . ولن يكون في مقدورها ان تفعل ذلك الا اذا اقامت اتصالات مع الائتلافات المختلفة من الجماعات الاميركية التي تنتقد السياسة الخارجية الاميركية .

ومن الملاحظ ان رئيس الجمهورية الاميركية الذي يكون سياسيا مدركا لاحتياجات اعادة انتخابه ولأخذ حزبه في الحسبان ، نادرا ما يسير ضده الاتجاه السائد للرأي العام الاميركي . واذا ما تغير ذلك الرأي بحيث يزوده بالحرية اللازمة للتصرف ، فانه قد يغير موقفه تدريجيا بصورة موازية ، ولذلك فان الرأي العام يقدم الخطوط الكفافية التي يتم ضمنها تفاعل السياسة واتخاذ القرارات . وبالتالي فانه من الصعب على سياسي اميركي ان يتخذ موقفا معاديا لاسرائيل او موقفا قد يفسر بأنه معاد لاسرائيل . وحول مثل هذه القضايا قد يسير رئيس الجمهورية الاميركية على رؤوس اصابع قدميه بمنتهى الحذر . الا ان ذلك يبقى على مستوى السياسة الرمزية . اما على مستوى السياسة الجوهرية فان مما لا ريب فيه ان لدى رئيس الجمهورية الاميركية أدوات قوية في تصرفه لمعالجة قضايا كالشرق الاوسط .

واخيرا ما هي التوصيات التي يمكن تقديمها من اجل السياسات التي تتعلق بالولايات المتحدة ؟ بالدرجة الاولى ، ان الهجمات ضد الولايات المتحدة كحكومة او كبلد تؤدي عادة الى غير النتائج المرجوة وتميل الى استعداد الرأي العام لأن القوى الموالية لاسرائيل تستطيع استغلالها بمنتهى السهولة . ويمكن توجيه انتقادات أكثر تحديدا وهجمات واضحة ضد رئيس الجمهورية او ادارته وخصوصا ضد سياسات ادارته . ويجب ان يكون هدف الهجوم محددا والهجوم نفسه معقولا . ونشير ببساطة الى ان عبارات مثل الامبريالية الاميركية وغيرها هي عديمة النفع . وأحد الامثلة على هجوم حسن التوجيه وواضح الهدف كان ذلك الموجه ضد بيع الولايات المتحدة القنابل العنقودية لاسرائيل .

والى ذلك فان الشعب الاميركي يميل الى ان يستقبل على نحو افضل هجمات ضد الحكومة الاميركية او بصورة محددة ضد سلبية تصرف الرئيس كارتر حيال مسألة القدس والمستوطنات وغيرها .

وعلينا ان نتذكر ان الدائرة الانتخابية التي يحاول الفلسطينيون وغيرهم ان يخاطبوها في الولايات المتحدة والتي قد تكون ايجابية بالنسبة اليهم هي حسنة الثقافة ومميزة تماما . وهذه الدائرة الانتخابية هي اكبر بكثير مما كان متوقعا قبلا ويمكن في المستقبل ان تقدم نواة مهمة للعمل السياسي في الولايات المتحدة .

من المهم النظر الى الولايات المتحدة لا ككيان متكشف عن وحدة متراسمة وتناغم كلي ، بل بالاحرى كخارطة سياسية متغيرة يمكن اجراء العمليات الجراحية عليها بطرق متنوعة ، باستخدام مجموعة متنوعة من الادوات الجراحية في الوقت ذاته ، ومثل هذه النظرة هي اكثر فائدة بكثير من التاكيد التبسيطي بأن القوى الموالية لاسرائيل هي قوية جدا اوبأن اميركا هي عدو لا رجاء منه . وفي حين ان لا شك هناك بأن الحكومات الاميركية كانت معادية وما تزال معادية للمطامح الفلسطينية ، فان الحقيقة هي ان جماعات مختلفة في المجتمع الاميركي يمكن تعيينها بصورة فعالة لتزويدنا بدائرة انتخابية مهمة قد تلعب دورا حاسما في مستقبلنا .

## الحواشي

(5) Grant McConnell, *Private Power and American Democracy* (New York: Random House, 1966),

(6) Grant McConnell, *Private Power and American Democracy* (New York: Random House, 1966), p. 399.

(7) M. Parenti, *Democracy for the Few* (New York: St. Martin's Press, 1977), p. 292.

(8) M. Parenti, *Democracy for the Few* (New York: St. Martin's Press: 1977), p. 318.

(1) Joseph Grabill, *Protestant Diplomacy in the Near East* (Minneapolis: University of Minnesota Press, 1974).

(2) C. Wright Mills, *The Power Elite* (New York: Oxford University Press, 1956), P. 5.

(3) Gabriel Kolko in a preface to Mike Klare, *War Without End* (New York: Random House, 1972).

(4) Paul Sweezy, *The Present as History* (New York: Monthly Review Press, 1970), p. 138.

(20) See Anthony Cordesman, «How Much is Too Much?» *Armed Forces Journal International*, October, 1977.

(21) Drew Middleton in *The New York Times*, January 7, 1979.

(22) Barry Blechman and Stephen Kaplan, *Force Without War: U.S. Armed Forces as a Political Instrument* (Washington D.C.: The Brookings Institution, 1978).

(23) Alan Wolfe, «The Cycles of Belligerency», *The Nation*, February 3, 1979).

(24) Alan Wolfe, «The Cycles of Belligerency», *The Nation*, February 3, 1979), p. 107.

(25) Rbert Trice, «Congress and THE Arab-Israeli Conflict: Support for Istacl in the U.S. Senate, 1970-73», *Political Science Quarterly*, vol. 92 P 3, Fall 1977, pp. 443-463.

(26) John Spanier and Eric Uslamer; *How American Foreign Policy is Made* (New York: Praeger, 1974), p. 55.

(27) Most of this information is derived from stephen Isaac's work and the *American Jewish Yearbook*.

Stephen Isaacs, *Jews And American Politics* (New York: Doubleday, 1974).

(9 ) Barry Hughes, *The Domestic Context of American Foreign Policy*(San Francisco: W. H. Freeman and Co., 1978).

(10) *Gallup Opinion Index*, Feb. 1975.

(11) *Gallup Opinion Index*, September 1978 ,p.158.

(12) The Ladd-Lipset Survey, *The Chronicle of Higher Education*

(13) RobertManning,«AWorldSafe for Business,» *Far Eastern Economic Review* (March 25, 1977), p. 39.

(14) Jeff Frieden, «The Trilateral Commission: Economics and Politics in the 1970's», *Monthly Review*, Vol. 29 P 7, December 1977, p. 6.

(16) *The Reform of International Institutions*, A Report of the Trilateral Task Force on International Institutions to the Trilateral Commission of New York, 1976.

(17) Rger E. Bolton, *Defense Purchases and Regional Growth* Washkngton D.C.: The Brookings Institution, 1966).

(18) Adam Yarmolinski, *The Military Establishment* (New York: Harper and Row, 1971), p. 254.

(19) Adam Yarmolinski, *The Military Establishment* (New York: Harper and Row, 1971), p. 256.

## أزمة الرأسمالية الأمريكية ، وسياسة الولايات المتحدة الخارجية تجاه الشرق الأوسط

### مقدمة

غرض هذه الدراسة هو تشخيص طبيعة الأزمة في الرأسمالية الأمريكية ، في وجهيتها الداخلي والخارجي ، وتحليل التأثير الذي تفرزه الأزمة على سياسة الولايات المتحدة الخارجية تجاه الشرق الأوسط والقضية الفلسطينية . ولا بد - لتحقيق هذا الغرض - من تصوير ووصف الدور الذي يلعبه الشرق الأوسط في الاقتصاد السياسي العالمي المتأزم من ناحية ، وموقعه الخاص بالنسبة للرأسمالية في الولايات المتحدة من ناحية أخرى . على هذا الضوء سوف نسعى لتحديد مسار الهجمة الأمريكية ، وطبيعة سياسة الولايات المتحدة الخارجية في المنطقة ، وما يتصل بذلك بصفة خاصة بقضية فلسطين .

### تكامل الرأسمالية العالمية

بادئ ذي بدء لا بد من القول بوضوح أن الأزمة لا تنحصر في الولايات المتحدة ، بل تتخطاها لتؤثر في الاقتصاد الرأسمالي في العالم قاطبة . إنها أزمة ذات نطاق عالمي ، وأن اقتصاديات جميع البلدان تكابد مشكلات مماثلة وبالطريقة نفسها . وعلى سبيل المثال يؤكد تقرير الأربعة والعشرين عضواً في OECD بشأن الوضع الاقتصادي :

« في غالبية البلدان الأعضاء في منظمة التعاون الاقتصادي للبلدان الصناعية OECD ، ظل التوسع في حالة تردد ، فيما استمرت البطالة في الصعود ... وأن التوقعات الشاملة لأي تخفيض مهم في التضخم بالنسبة للعام المقبل ، لا تبدو جيدة بصفة خاصة » - أنظر تقرير OECD ص ٢٠ .

ومرد هذا جزئياً ، أن النظام الرأسمالي العالمي أصبح منذ الحرب العالمية الثانية متكاملًا إلى حد بعيد ، ومن العسير للغاية على أي بلد رأسمالي أن يفعل شيئاً بمفرده لحماية نفسه من

تيارات الأزمة العالمية ( أو النمو ) . ومن اللافت للنظر حقاً أنه عند نقطة التطور المرئي للآزمة ، أي في السبعينات ، أن تكامل الرأسمال الأمريكي مع الرأسمالية العالمية استمر في كامل قوته ، بل وأقوى من أي وقت مضى . ثم إن صيغة هذا التكامل تختلف نوعياً هي أيضاً عن الفترة التي سبقت الحرب العالمية الثانية . فنحن الآن أمام اقتصاد عالمي رأسمالي ، لم تعد ميزته الرئيسية التجارة والاستثمار في الأسهم في المشروعات الأجنبية ، بل الاستثمار المباشر في جميع القطاعات الاقتصادية ، ونشوء نظام مالي ومصرفي دولي يتجاوز الحدود القومية . ولعل الأمثلة التالية تدل على هذا التكامل :

شكلت صادرات الولايات المتحدة بين خمسة وستة في المائة من الناتج القومي الاجمالي GNP خلال الستينات ، أما في منتصف السبعينات ، فكانت قد ارتفعت الى زهاء العشرة بالمائة من الناتج القومي الاجمالي GNP ( ويمكن قول الشيء نفسه بالنسبة للواردات ) .

مثال آخر بالنسبة للواردات النفطية الى الولايات المتحدة التي تزايدت أهميتها لتشكّل في منتصف السبعينات نحو ٤٠٪ من امدادات البلاد ، ونحو ٣٠٪ من إجمالي الواردات .

مثال ثالث : إن قيمة الاستثمار الأمريكي المباشر في الخارج ، تضاعفت تقريباً بين ١٩٧٠ و ١٩٧٥ ، وبلغت ١٣٣ بليون دولار في نهاية العام الماضي . وبلغت أرباح الاستثمارات في البلدان الأجنبية نحو ٣٠٪ من مجموع ارباح الشركات في منتصف السبعينات ، من بعد احتساب الضريبة .

مثال رابع يتعلق بالاستثمار الأجنبي المباشر في الولايات المتحدة الذي نما بصورة ملحوظة في السبعينات . فبينما ارتفع الاستثمار الأجنبي المباشر في الولايات المتحدة من ثمانية بلايين دولار في ١٩٦٢ إلى ١٥ بليون دولار في ١٩٧٢ ، نراه يقفز إلى ٢٧ بليون دولار في ١٩٧٥ ( وهو يسجل رقماً أعلى في ١٩٧٩ ) .

مثال خامس : القروض المصرفية الأمريكية في الخارج ، زادت ثلاثة أضعاف بين ١٩٧١ و ١٩٧٥ ، وقفزت من ١٧ بليون دولار الى ٥٩ بليون دولار . وأن أكثر من نصف هذه الديون يتمثل في قروض الدول الرأسمالية الأكثر فقراً . ( انظر ماكويان ص ٥٠ ) .

ويذكر جي . هيل في تقريره «إن ثمانية مصارف أمريكية في ١٩٦٠ كانت تدير ١٢١ فرعاً وراء البحار ، تبلغ موجوداتها وراء البحار ثلاثة بلايين دولار ونصف البليون . أما في ١٩٧٠ فلقد أصبح عدد المصارف ٧٩ مصرفاً ، تدير ٥٨٣ فرعاً في الخارج ، وموجوداتها ٧٧,٤ بليون دولار . لكن الحال في ١٩٧٤ أصبح كما يلي : ارتفع عدد المصارف الى ١٢٩ ، وعدد الفروع الى ٧٢٧ ، والموجودات الى نحو ١٥٥ بليون دولار . ولغرض المقارنة فقط نذكر أن الموجودات الاجمالية لجميع المصارف التجارية في الولايات المتحدة كانت ٢٥٥,٧ بليون دولار في ١٩٦٠ ، وأصبحت ٤٤٨,٩ بليوناً في ١٩٦٧ ، أما في ١٩٧٤ ( حزيران ) فلقد أصبح الرقم ٨٧٢ بليون دولار . وهكذا يتبين أنه بينما ارتفعت الموجودات المصرفية الاجمالية داخل الولايات المتحدة بنسبة ٣,٥ مرة بين ١٩٦٠ و ١٩٧٤ ، فإن الموجودات الخارجية ارتفعت بنسبة ٤٢ مرة تقريباً . ( انظر هيل ، ص ١٣٠ ) .

عل أن هذا التكامل يمكن التدليل عليه بالحقيقة التالية :

« ان نحو ٢٠٪ فقط من الاستثمار الأمريكي المباشر في الفترة التي أعقبت الحرب كانت تتألف فعلياً من رأسمال ( سلعي ونقدي ) مستورد من الولايات المتحدة . أما الثمانون بالمائة المتبقية فلقد تم تكوينها في الأسواق الرأسمالية الأجنبية . وان قسطاً كبيراً ومتزايداً من هذه الثمانين بالمائة ، أتى من الأسواق النقدية الأوروبية ، منذ منتصف الستينات . » ( هيل ، ص ١٢٩ ) .

وفي الختام ، يشير جي . هيل الى « أن كلا من المصارف الأمريكية الخمسة الأكبر حجماً في الولايات المتحدة حقق أكثر من ٤٠٪ من أرباحه من عمليات أجنبية . وفي ١٩٧٦ كان سيتي بنك على رأس القائمة إذ جاءت ٧٨٪ من أرباحه ، من وراء البحار » . ( هيل ، ص ١٢٨ ) .

عل أنه ينبغي القول بالطبع إن النمط المذكور أنفاً للتكامل على صعيد الرأسمال العالمي ، يوازيه تحول نوعي في الاقتصاد الأمريكي نفسه . ويلاحظ هـ . شيرمان أنه بعد الأزمة الرأسمالية لنظام « الحرية الاقتصادية » :

« في تسعينات القرن الماضي والعقد الأول من القرن العشرين ، أدت موجة عمليات دمج الشركات الى خلق شركات عملاقة ، مثل شركة فولاذ الولايات المتحدة ، وفي معظم الصناعات . تلك كانت اندماجات أفقية ، المقصود منها إزاحة المنافسين المباشرين من الطريق . هذه المرحلة التي شهدت قوة الاحتكار في أجلى صورها باعتبارها الميزة البنيوية المهيمنة على الاقتصاد الأمريكي ، تلك الموجة تعززت بموجة اندماجات جديدة في عشرينات القرن العشرين ... كانت في معظمها رأسمالية ، ناشرة الاحتكار خلفاً الى المواد الخام ، وأماماً حتى الى منافذ البيع بالتجزئة ( القطاعي ) . وفي الأخير ظهرت موجة ضخمة أخرى للاندماجات ، في الستينات ، كانت في معظمها تكتلات مختلطة هائلة الحجم لمصالح متباعدة تماماً ، خالقة بذلك شركات عملاقة جديدة تفرض سطوتها وسيطرتها في عدة مجالات متنوعة من الصناعة ، بصورة فورية » . ( شيرمان ، ١٩٧٩ ، ص ٩٦ ) .

وتلاحظ مجلة فورتن التي تجمع المعلومات عن أكبر ٥٠٠ شركة أمريكية ، ان الخمسمائة شركة أمريكية الكبرى كان لها ٢٤,٦٪ من المبيعات الأمريكية ، و ٣٩,٥٪ من الأرباح الأمريكية ، وذلك في ١٩٥٤ . لكن الوضع في ١٩٧٥ ، عصر التكتلات الجبارة ، أصبح كما يلي : فالنسبة من المبيعات الأمريكية أصبحت ٤٢,٩٪ ، والنسبة من الأرباح الأمريكية بلغت ٥٨,٢٪ .

هذه التكتلات هي نفسها الشركات المتعددة الجنسية ذات الدور الدولي البارز ( بارنت ومولر ، ١٩٧٥ ) . وهكذا فان الترابط أو التشابك بين الولايات المتحدة والرأسمالية العالمية وثيق ووطيد الى حد كبير . وعلى هذا يصبح من الجني ان اي حل لأزمة الرأسمالية الأمريكية يصبح متعزراً على صعيد « قومي » أمريكي فقط . فالطول ينبغي أن تكون بالضرورة ذات مدى دولي ، كما لا بد أن تكون في نطاق وسائل دولية ومؤسسية دولية . وان الافتقار الى مثل هذا الحل ذي الطبيعة المؤسسية الدولية يمثل عقبة كبرى أمام معالجة وانهاء هذه الأزمة ، سواء في الولايات المتحدة ، أو في العالم قاطبة .

### الدورات والأزمات : الأجل الطويل والأجل القصير

يتفق معظم الاقتصاديين أو الاقتصاديين السياسيين على ان اقتصاد الولايات المتحدة والاقتصاد العالمي يعانيان « من المتاعب » في الظرف الراهن . ومع ذلك فان الكلاسيكيين الجدد أو الكينزيين الجدد ، وعلى نقيض الاقتصاديين السياسيين ، يرون الى هذه الحالة على أنها مجرد تراجع دوري سيتم تجاوزه والتغلب عليه على المدى القصير . والواقع انه حسب رأي مكتب الميزانية التابع لمجلس النواب الأمريكي ، تدخل الولايات المتحدة الآن فترة تراجع جديدة : يانه المكتب المذكور :

« نبه الكونجرس سراً الى وجوب توقع إنكماش شامل هذا العام ( ١٩٧٩ ) وفي معظم الثمانينات ، وتوقع استمرار التضخم برقم من خانتيين ، وارتفاع البطالة الى نسبة ٧,٥٪ » ( ذي واشنطن بوست ، ١٠ حزيران ١٩٧٩ ) .

إذا احتسبنا الانكماش الراهن ، تكون الولايات المتحدة قد شهدت سبعة انكماشات دورية خلال مرحلة النمو الذي لا سابق له والازدهار في الفترة التي تلت الحرب العالمية الثانية . وفي حين ان هذه التراجعات الدورية مهمة وملزمة لتعاظم / إخفاق ( أو بورة الأعمال ) النظام الرأسمالي ، فان الدورة ذات الأجل الطويل التي يتحدث عنها الاقتصاديون السياسيون ، هي مع ذلك أشد أهمية وتأثيراً بكثير . ( أنظر العدد الخاص عن الدورات والاتجاهات الذي أصدرته ريفيو ، ١٩٧٩ ، وانظر كذلك « الشيخ » ، ١٩٧٨ ووايسكوف ، ١٩٧٨ ) . فمنذ الحرب العالمية الثانية ارتفع الناتج القومي الاجمالي GNP للعالم من ٧٠٠ بليون دولار في ١٩٥٠ ، أعظم فترة للتوسع الاقتصادي في التاريخ العالمي . ( هيل ، ص ١٢٨ ) . إنها نهاية تلك الدورة ذات الأجل الطويل ، التي خلقت الأزمة الحالية . فهناك اجماع عام على ان الولايات المتحدة تمر في أزمة بنيوية ذات أمد طويل ، لا تقل خطورتها المحتملة عن آثار الركود العظيم في الثلاثينات . ونمضي الى أبعد من ذلك لنقول انه بسبب التكامل العالمي للرأسمالية العالمية ، مقارنة بالثلاثينات ، فان الأصداء والآثار والنتائج الاقتصادية والاجتماعية والسياسية على صعيد العالم بأسره ، أكثر درامة وخطورة من أزمة الثلاثينات .

فالأزمة الراهنة تختلف عن ركود الثلاثينات في عدة نواح مهمة ، ولعل أهمها أن الأزمة الراهنة ليست انكماشاً حاداً ومفاجئاً مع آثار اجتماعية وسياسية سريعة مع الهجمة على سوق الأسهم كما حدث في ١٩٢٩ . إنها أزمة ذات خطورة عميقة ، لكنها تتطور ببطء ( ركود زاحف حسب وصف سويزي وماكدوف ، ١٩٧٧ ) ، وبشكل منهجي ، سواء من حيث النطاق أو العمق . وهناك فارق حاسم آخر بين الأزمة الراهنة وبين أزمة الثلاثينات هي حقيقة أن العالم الثالث في الوقت الحاضر ، أقل قابلية للتأثر بالخارج مما كان عليه في ١٩٢٩ ، وهو يملك مؤسسات ومنشآت أكثر بكثير من السابق ، كما يملك مبادرة أكبر للتعامل مع صميم البلدان الرأسمالية والرد عليها . والواقع أن مبادرة العالم الثالث من أجل « نظام اقتصادي جديد » ، أو في حوار « الشمال والجنوب » ، تمثل في جوهرها محاولة هذا العالم الثالث لمعالجة تأثير الأزمة العالمية و « تثليم » حدتها ، واحباط المسعى الجوهري الذي تبذله البلدان الرأسمالية لتصدير « الأزمة » ، كوسيلة للتخفيف من نيولها الداخلية .

إنّ ، الاقتصاد الرأسمالي العالمي متكامل فعلا ، مع اقتصاد الولايات المتحدة ومتشابه فعلا مع اقتصاد الآخرين ( اقتصاديات الأوروبيين الأكثر تقدماً واليابانيين وكذلك اقتصاديات العالم الثالث التابعة ) . ومع ذلك - وكما يقول جويس كولكو : « إن مفتاح الاقتصاديات الصناعية الرأسمالية ما زال مصير أكبر الأعضاء ( الولايات المتحدة ) » ( كولكو ، ١٩٧٤ ، ص ٢٥ ) . ولهذا ينبغي أن نقوم بتحليل الدور الخاص للولايات المتحدة ، ومزاياها الخاصة . ووفقاً لما يقوله أمين ( الثورة الاشتراكية ، ١٩٧٥ ) فإن الولايات المتحدة والرأسمالية العالمية بلغا في ١٩٦٨ ( نروة حرب فيتنام ) نهاية مرحلة طويلة ومديدة ( اتجاه جيبي ) للنمو الاقتصادي والازدهار ، بدأت في الحرب العالمية الثانية . ومنذ ذلك الحين ، أي ١٩٦٨ ، وحتى الآن ، أي منذ عشر سنوات ، دخلت الولايات المتحدة والرأسمالية العالمية اتجاهاً جليلاً جديداً وطويلاً قوامه الأزمة البنيوية . وذلك يعني نهاية « الامبراطورية الأمريكية » ، وبالتالي نهاية « الهيمنة الأمريكية العالمية » على الأصدقاء الاقتصادية والسياسية والعسكرية . ( وهي مؤشر كذلك على صعود الامبراطورية الجديدة ، امبراطورية الاتحاد السوفياتي ، وفقاً لاعتقاد أمين ) .

#### الأزمة في الولايات المتحدة

تعاني الولايات المتحدة أزمة في عدة جوانب من اقتصادها . وتتدرج جوانب الأزمة من معدل بطالة مرتفع نسبياً ، الى « أزمة الأرباح » . إن أرباب العمل القياديين يشكون من أن معدلات الأرباح ... تناقصت من ٩٪ للأسهم الصافية لرأس المال الثابت غير الخاص بالانشاءات في ١٩٦٦ إلى ٤,٧٪ في ١٩٧٠ « ( سلترز ، ١٩٧٨ ، ص ٣٥ ) . انظر الرسمين البيانيين الأول والثاني .

كما إن معدلات الربح للشركات الأمريكية الكبرى هبطت هي أيضاً . إن الخمسمائة شركة العظمى وفق قائمة مجلة فورتنشن حصلت حسب الاحصاءات الرسمية ٦,٧٪ على المبيعات في ١٩٦٥ ، لكن النسبة هبطت في ١٩٧٠ الى ٤,٧٪ ، فيما تندى معدل الربح للموجودات من ٧,٩٪ الى ٥٪ ( سلترز ، ١٩٧٨ ، ص ٤٠ ) . هذا هو الوضع ، على الرغم من أن حكومة الولايات المتحدة انتهجت خطأ ثابتاً في هذه المرحلة ، لانقاص معدل المدخول الضريبي من الشركات ، إذ كان هذا المدخول ٢١٪ في ١٩٥٢ ، في حين هبط المدخول الحكومي من ضريبة الشركات الى ١٤٪ في ١٩٧٥ . وان المعدلات التالية للأرباح مؤشر على مديونية متزايدة للشركات . نسبة الدين/ الأسهم المتزايدة هذه ، ومعدل السيولة المتناقص ، جعلتا الشركات الأمريكية عرضة للتأثر بالهزات الخارجية ( سلترز ، ١٩٧٨ ، ص ٣٦ ) . والخلاصة :

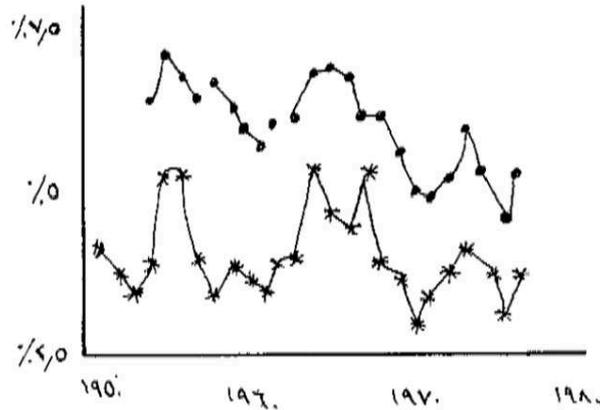
« ان التركيب الاقتصادي للشركات الأمريكية ، يماثل الآن منزلاً من الورق المقوى . فأي تخلف كبير عن تسديد الديون قد يقجر سلسلة من إلغاء القروض والعجز عن الوفاء بالديون ، الأمر الذي قد يؤدي الى انهيار البنيان بكامله . ( سلترز ، ١٩٧٨ ، ص ٣٧ ) .

لكن مشكلة السيولة هذه ليست وفقاً على الشركات وحدها ، فالأفراد والدولة والحكومات المحلية تعاني منها كذلك . فلقد حدث توسع في الاعتمادات الائتمانية وفي المديونية . وارتفع الدين الفردي إلى ٦١٣ بليون دولار ( بمعدل زيادة سنوية ٧,١٪ منذ ١٩٥١ ) في عام ١٩٧٢ ، وتذبذب منذ ذلك الحين ، ليصبح مسؤولاً بصورة جزئية عن تسخين حرارة الاقتصاد ، خصوصاً

أن معظم الزيادة تمثلت في أموال مقترضة ( وهذا سبب جزئي للأزمة التي عانتها مؤخراً مدينة نيويورك وكليفلاند ) . ( أنظر سلتزر ، ١٩٧٨ ، ص ٣٨ ) .  
 كما ان الولايات المتحدة تعاني من أزمة بطالة . فاذا استثنينا فترة الركود العظيم في ١٩٣٠ ، نرى أن معدل البطالة الحالي لم يسبق له مثيل ، ولقد تزايد الرقم المطلق للعاطلين عن العمل بصورة مثيرة نتيجة للتزايد العام في القوة العاملة . ويبين الرسم البياني الرقم ٣ معدلات البطالة المسجلة بين مختلف فئات الناس ، وكذلك بين الأقاليم في الولايات المتحدة . ويكشف الجدول الرقم واحد عن تقدير أكثر واقعية للبطالة في شهر نيسان ١٩٧٥ ، مما يبين الفرق الكبير بين الأرقام الرسمية للبطالة وبين الرقم الاجمالي للبطالة الحقيقية .

### الرسم البياني الرقم واحد معدل الربحية على المبيعات

١٩٥٠ ١٩٦٠ ١٩٧٠ ١٩٨٠ %٢,٥ %٥ %٧,٥  
 \* جميع شركات الولايات المتحدة  
 ● الشركات الخمسمائة الكبرى في الولايات المتحدة

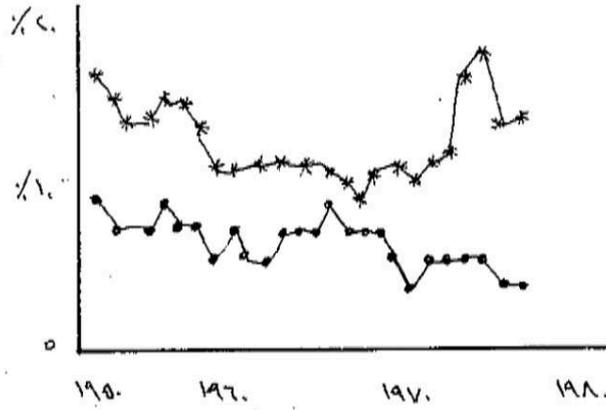


### الرسم البياني الرقم ٢ معدل لربحية على الموجودات

١٩٦٠ ١٩٧٠ ١٩٨٠ ٠ %١٠ %٢٠ %٣٠  
 ١٩٥٠

\* المستثمرون الأجانب  
 ● الشركات الداخلية

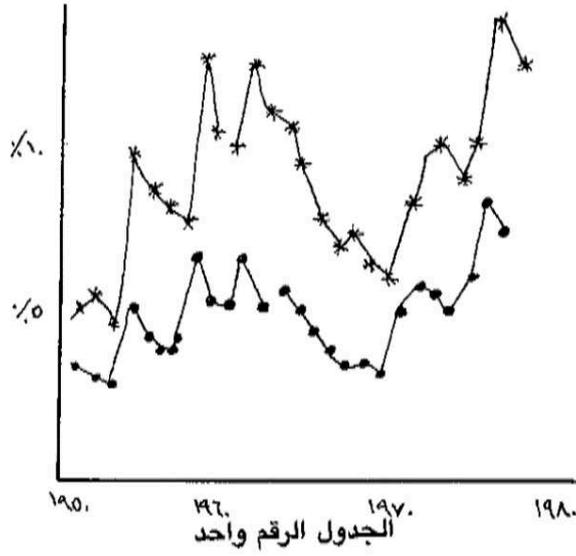
المصدر : بيزنس ستاتستكس - الطبعة العشرون



الرسم البياني الرقم ٣  
معدلات البطالة بالأرقام الرسمية

١٩٥٠ ١٩٦٠ ١٩٧٠ ١٩٨٠ ٠ %٥ %١٠ %١٥  
\* الأقلية  
● إجمالي البطالة

المصدر: بيزنس ستاتستكس - الطبعة العشرون، وسيرفي أف كرنيت بيزنس، آب ١٩٧٦ وأيار ١٩٧٧.



الجدول الرقم واحد

ملايين  
٨,٢  
٣,١  
١,٧  
١٣,٠

(١) البطالة المسجلة رسمياً  
(٢) أشخاص يطلبون عملاً لكنهم غير مشمولين في الأرقام الرسمية\*  
(٣) أشخاص يعملون جزئياً - لبعض الوقت - بصورة غير ارادية\*\*  
الرقم الاجمالي للبطالة

\* باستثناء أولئك الذين يطلبون عملاً لكنهم أبلغوا أنهم لم يكونوا يبحثون بنشاط عن عمل لأنهم مرتبطون بمدرسة أو بسبب المرض . هذه الأرقام خاصة بالربع الأول من العام ١٩٧٥ ، آخر تاريخ توفرت فيه هذه المعلومات . إنما على ضوء الاتجاهات اللموسة مؤخراً ، يبدو أن من المحتمل كثيراً أن هذه المعطيات تقل فعلاً عن الواقع في نيسان ١٩٧٥ .

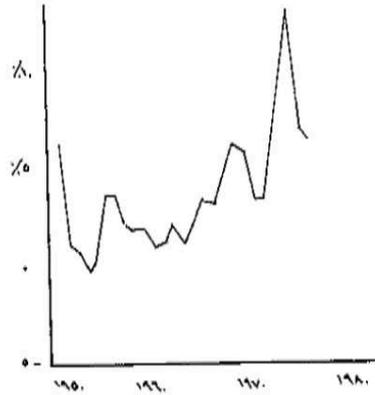
\*\* البطالة الكاملة التي توازي أولئك الذين يعملون بعض الوقت ( بمعدل ٢٢,٥ ساعات اسبوعياً ) لكن الذين يطلبون عملاً كاملاً ( ٤٠ ساعة اسبوعياً ) .

البطالة هي مظهر للتدهور في المستوى المعيشي للطبقة العاملة الأمريكية . المظهر الآخر هو التضخم ، التضخم الذي لم يصبح في الولايات المتحدة مشكلة حادة كما في بقية أنحاء العالم الرأسمالي ، لكنه مع ذلك يقضم رفاه جميع الأمريكيين . لقد كان التضخم المعتدل مقبولاً ، بل وموضع تشجيع ، من جانب حكومة الولايات المتحدة ، حيث انه كان - في أوائل السبعينات - عوناً لها للخلاص الى حد من أزمة ربحية الشركات ، وأزمة السيولة ، وتوفر الاعتمادات . لكن التضخم تزايد كثيراً منذ ١٩٧٠ ، وخرج على السيطرة ، وأصبح يتذبذب بصورة حادة ( أنظر الرسم البياني الرقم ٤ ) .

#### الرسم البياني الرقم ٤ معدل التضخم

١٩٥٠	١٩٦٠	١٩٧٠	١٩٨٠
٥ -	٠	٥%	١٥%

المصدر : وول ستريت جورنال ، ١٨ تشرين الأول ١٩٧٦ .



وهذا التضخم يخلق عدم استقرار لا في الولايات المتحدة وحدها ، بل على الصعيد الدولي أيضاً . فتشابك الأسواق النقدية يجعل ضبط التضخم أمراً عسيراً للغاية . والواقع ان هذه ربما كانت المرة الأولى في تاريخ الرأسمالية حيث يرتبط التضخم بفترات التراجع أو التقلص الاقتصادي ، لا بفترات النمو والازدهار والتوسع . وعلى هذا فان التدخلية الكينزية البسيطة ليس من المحتمل أن تكون قادرة على شفاء الاقتصاد من معضلاته . إن جوهر الأزمة

الاقتصادية الأمريكية كما رأينا إنَّ يتمثل في المشكلات المزبوجة لحد الركود الاقتصادي ( إنَّ البطالة ) والتضخم . هاتان القضيتان متشابكتان ومتداخلتان الآن الى درجة أن الاقتصاديين اشتقوا من الكلمتين مصطلحاً جديداً لوصف الموقف الحالي الذي لم يسبق له مثيل . ( المصطلح المقصود هو Stagflation أي الركود التضخمي ) .

**الركود التضخمي :** هو جوهر الأزمة الاقتصادية في الولايات المتحدة والرأسمالية العالمية . وهو ذو طبيعة رباعية : معدل هابط للأرباح ، تضخم متزايد ، بطالة متزايدة ، ودوامة الإدراك بأن لها انعكاساتها الاجتماعية .

وهذه الأزمة البنوية تزيدها تعقيداً وحدة « أزمة الطاقة » التي تقود الى « سعار الطاقة » وما يصاحبه من زعر وهلع في هذا الربيع والصيف من العام ١٩٧٩ . وأزمة الطاقة هذه مزبوجة ، فهي أزمة في الامدادات ، وهي كذلك أزمة في التكاليف . وتشير وزارة الخزانة الأمريكية في مذكرة الى الرئيس ، الى ان الواردات النفطية كجزء من طلب الاستهلاك الداخلي ، ارتفعت نسبتها من ١٨٪ في ١٩٥٩ الى ٤٥٪ في ١٩٧٨ . فالمستوردات من النفط ارتفعت من ١,٨ مليون برميل يومياً في ١٩٥٩ ، الى ٨,٧ مليون برميل يومياً في ١٩٧٨ .

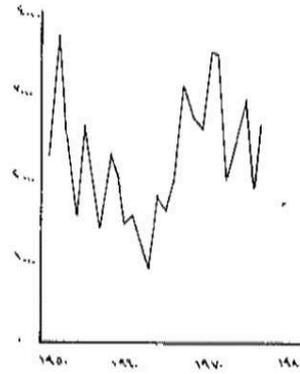
ولقد ارتفعت قيمة الفاتورة النفطية من ١,٥ بليون دولار في ١٩٥٩ الى ٤٢,٣ بليون دولار في ١٩٧٨ . وهذه الأرقام المثيرة تكشف عن تزايد اعتماد الولايات المتحدة على غيرها كمصدر للنفط ، كما تكشف من جهة أخرى الارتفاع الكبير في التكاليف . على أن هذه الأرقام ينبغي وضعها في مكانها الصحيح . فبينما الواردات النفطية كجزء من الطلب الداخلي على النفط ، هي مرتفعة ، فان الواردات النفطية كجزء من الطلب الداخلي على مجمل مصادر الطاقة ( الفحم الحجري ، الغاز ، الذرة ) ، هي أدنى . لقد كانت النسبة ٩٪ في ١٩٥٩ . وارتفعت في ١٩٧٨ الى ٢٣٪ . وهذه الأرقام تقلل من حجم الاعتماد الأمريكي على الخارج ، كما تشير الى التزايد في استخدام الطاقة النووية والغاز المحلي في الولايات المتحدة . لكن ستبقى الولايات المتحدة ، على أي حال ، تعتمد اعتماداً كبيراً على مصادر النفط الأجنبية . ( الأرقام المقتبسة أعلاه وأردت في المذكرة الأنفة الذكر الى الرئيس ، من وزارة الخزانة ، أنظر منثلي إنرجي ريفيو ( ١٤ آذار ١٩٧٩ ) التقرير الخاص بالمقطع ٢٢٢ بشأن التحقيق حول الواردات النفطية ) .

ويمكن القول باختصار إن ارتفاع تكاليف الوقود يمثل حافزاً آخر لتنشيط وزيادة معدل التضخم . فمشكلات الأمداد النفطية والاعتماد الأمريكي على الخارج ، تعقد الوضع ويمكن أن تكون ذات أثر تمزيقي على الانتاج والمواصلات . كل هذا يقلل من قدرة الرأسمال الأمريكي ومن قدرة الحكومة الأمريكية على إيجاد حل لمشكلة الركود التضخمي . والواقع انه نتيجة لتآكل الرفاه العام ، فان الصراع الطبقي في الولايات المتحدة يزداد زخماً وحدة . وعلى سبيل المثال فان عدد العمال الذين اشتركوا في الاضرابات ، تزايد بصورة مثيرة في السبعينات . أنظر الرسم البياني الرقم ٥ .

الرسم البياني الرقم ٥  
عدد العمال الذين اشتركوا في حالات وقف العمل ، بالآلاف

١٠٠٠	٢٠٠٠	٣٠٠٠	٤٠٠٠
١٩٥٠	١٩٦٠	١٩٧٠	١٩٨٠

المصدر : بيزنس ستاتستكس - الطبعة العشرون ، وسير في أوف كرننت بيزنس - أب ١٩٧٦  
وأيار ١٩٧٧ .



### نشوء الازمة في الرأسمالية العالمية

إن الظروف والمعطيات التي تسببت في أزمة الرأسمالية الأمريكية وأعطتها صبغتها المميزة ، مماثلة كثيراً للعوامل التي كانت وراء الأزمة في الرأسمالية العالمية . وفي هذا الصدد يلاحظ ديفيد جورديون :

« يبدو من الممكن تماماً انها ( هذه الأزمة العالمية ) تمثل بداية فترة من الركود ، ومن الانكماش ذي الأجل الطويل . وهذا يعني ... أن البنية المؤسسية لمرحلة التراكم قد بدأت بالانحلال . ولعل الأزمة الراهنة تمثل ... تفكك مجموعة واحدة من المنشآت ( المؤسسات ) وبداية الكفاح بين الرأسماليين وبين البقية منا ، على القاعدة التي سيعاد فوقها بناء المؤسسات » . ( جورديون ، ١٩٧٨ ، ص ٣١ ) .

ومن المهم لفهم الانحلال الراهن لمؤسسات التراكم ، أن نصف تركيبها وديناميتها . وفي هذا السياق يقدم ماكيوان أحد أكثر التحليلات سلامة وتبصراً . وهو يرى أن ربع القرن من النجاح الذي أعقب الحرب العالمية الثانية ، تميز بالتكامل المتزايد للنظام الرأسمالي . على أن « النجاح نفسه الذي عرفته هذه الفترة كان هو ذاته وراء خلق الظروف الممهدة لتمزق النظام ... باتجاه تدمير استقراره » . « وأن عمليتي التكامل وفقدان الاستقرار اللتين عرفهما النظام الرأسمالي العالمي بصورة متزامنة ، شكلتا تناقضاً مهماً » جعل اقتصاد الولايات المتحدة متقللاً إلى حد بعيد في السبعينات .

كانت الولايات المتحدة ، عند انتهاء الحرب العالمية الثانية ، صاحبة أقوى اقتصاد ، وصاحبة الاقتصاد الأقل تضرراً في العالم - « وكانت قوة سياسية واقتصادية فريدة وغير قابلة

للتحدي ، بين الأمم الرأسمالية » . وبنك بدأ عهد الهيمنة الأمريكية . ووجدت الولايات المتحدة نفسها في وضع أتاح لها أن ترسي دعائم نظام عالمي كان مفقوداً منذ الحرب العالمية الأولى . وبهذا كانت قادرة على إملء الخط الاقتصادي والسياسي على امتداد العالم الرأسمالي برمته . والأهم من ذلك كله ، أن الولايات المتحدة ، في عهد هيمنتها هذا ، ساعدت في إقامة مؤسسات مهمتها ضبط النظام الرأسمالي والتحكم فيه . وبين تلك المؤسسات : هيئة الأمم المتحدة ، والتنظيمات النقدية في بريتون وودز ، وسواهما . وأصبح الدولار الأمريكي العملة العالمية الرئيسية . وان دور الدولار كاحتياطي نقدي دولي ، كان وثيق الصلة بالنمو الدولي السريع وبيرحية المصالح الاقتصادية الأمريكية . ولقد اشتمل هذا على التوسع السريع وراء البحار للمصارف الأمريكية أولاً ، وللصناعة الأمريكية ثانياً ، وللاستثمار الأمريكي ثالثاً ، وللتجارة الأمريكية رابعاً . وارتفع حجم الاستثمار الأمريكي في الخارج ، بين ١٩٥١ و ١٩٧٣ ، من ١٦,٨ بليون دولار ، الى ٧٥ بليون دولار ، أي من نسبة ٤٪ من الناتج القومي الاجمالي GNP إلى ٧,٨٪ من الناتج القومي الاجمالي GNP في الفترة ذاتها . ( سلتزر ، ١٩٧٨ ، ص ٣٨ ) .

واتجهت الولايات المتحدة نحو التحكم بالمواد الخام في العالم . « ان قيمة الموجودات الأجنبية في صناعات النفط والمناجم وصهر المعادن تضاعفت ثلاث مرات بين ١٩٥٠ و ١٩٥٩ ( أي من ٤,٥ بلايين دولار الى ١٣,٣ بليون دولار ) ، وتضاعفت ثلاث مرات تقريباً ، مرة أخرى ، عند حلول ١٩٧٣ ( ارتفعت الى ٣٧,١ بليون دولار ) » ( ماكويان ، ص ٥٤ ) .

ويمكن القول باختصار ، ان الولايات المتحدة تمكنت من تحقيق سيطرتها على الصناعة النفطية في الشرق الأوسط : في إيران ( بعد الانقلاب الذي دبرته وكالة المخابرات المركزية والذي أعاد الشاه الى العرش وأطاح بنظام مصدق في ١٩٥٢ ) وفي شبه الجزيرة العربية . وان الولايات المتحدة لم تكتف باختراق اقتصاديات دول العالم الثالث ، ووراثة نفوذ القوى الأوروبية ، لكنها بالاضافة الى ذلك اخترقت اقتصاديات الدول الأوروبية ذاتها . وفيما يتعلق بالمسألة الأخيرة :

« ان حجم الاستثمار الأمريكي المباشر في أوروبا تضاعف ثلاثة أضعاف بين ١٩٥٠ و ١٩٥٩ ( ارتفع من ١,٧ بليون دولار إلى ٥,٣ بليون دولار ) ، ثم زاد أربعة أضعاف ( الى ٢١,٦ بليون دولار ) عند حلول ١٩٦٩ ، وربما تضاعف مرة أخرى عند نهاية ١٩٧٤ » . ( ماكويان ، ص ٤٧ ) .

وهكذا فان الهيمنة الأمريكية وفرت للرأسمالية الأمريكية مزايا ومنافع فريدة :

« ان الأرباح التي حققتها الشركات الأمريكية من الخارج ، بعد احتساب الضريبة ، ارتفعت نسبتها بشكل ثابت ، من ١٠٪ في بداية الخمسينات ، الى زهاء ٢٠٪ في بداية السبعينات » ( ماكويان ، ص ٤٧ ) .

ويقدم الرسم البياني الرقم ٦ صورة مقارنة لمعدلات الأرباح التي حققتها الشركات الأمريكية في داخل الولايات المتحدة من ناحية ، وفي خارجها من ناحية ثانية . فالحقيقة هي أن

الراسمالية الأمريكية حلت بعض معضلاتها ، من خلال التوسع الذي حققته في الخارج .  
ويمكن القول بصورة رئيسية :

### الرسم البياني الرقم ٦ معدلات الأرباح على الموجودات



« من المعروف عامة أنه يجعل الدولار العملة المركزية للراسمالية العالمية ، توفرت للمصالح الأمريكية على الدوام الفرصة الكاملة للقيام بنشاط في البلدان الأجنبية . ثم ان الأعمال في الدول الراسمالية الأخرى ، إزاء قيام النظام النقدي على الدولار ، وجدت نفسها أمام الحاجة المتزايدة للدولارات ، وذلك للقيام بصفقاتها الدولية الخاصة . ففي الستينات مثلاً ، كان معدل نمو الدولارات المحتفظ بها خارج الولايات المتحدة ، نحو بليون دولار سنوياً . وبالنتيجة كان في وسع المصالح الأمريكية أن تعقد مشتريات في الخارج بالدولارات ، دون أن تسترد جميع هذه الدولارات بمشتريات مقابلة في الولايات المتحدة من قبل المصالح الأجنبية . وكانت بقية العالم تقدم للمصالح الأمريكية ، اعتمادات مهمة بمقدرا بليون دولار إضافية كل عام من الستينات » . ( ماكيوان ، ص ٤٧ ) .

لكن مظلة الهيمنة الأمريكية والاستقرار الاقتصادي ، وفرا للاقتصاديات الأوروبية واليابانية التي دمرتها الحرب ، أن تعيد بناء نفسها . لقد تقدمت أوروبا الغربية واليابان ، خصوصاً وأن تكاليف الامبراطورية ، وأعباء الدفاع عن الراسمالية العالمية ، أصبحت على عاتق الولايات المتحدة . ولقد جرت عملية إعادة البناء هذه الى درجة ان هذه البلدان أصبحت قادرة على تحدي الولايات المتحدة اقتصادياً ، بل وسياسياً . لكن الهيمنة العسكرية الأمريكية واجهت التحدي والهزيمة في الهند الصينية في حرب فيتنام . وبصعود منظمة البلدان المصدرة للنفط ( اوبك ) في الستينات ، دخل العالم الثالث مسار التحدي للولايات المتحدة في حقل

إمدادات المواد الخام الرخيصة الى الولايات المتحدة .

منذ حوالي نهاية الحرب العالمية الثانية ، الى حوالي ١٩٦٦ ، كان معدل الصادرات - الواردات ( بالنسبة للنتائج القومي العام ) ٤,٥٪ في الولايات المتحدة . أما بعد ١٩٦٦ وضغط الحرب الفيتنامية ، فقد قفزت الواردات الى معدل سنوي يبلغ ١١,٣٪ بين ١٩٦٦ و ١٩٧٤ . وهذا المعدل السنوي يواصل الارتفاع بسبب الواردات النفطية . كان ميزان المدفوعات الأمريكي يتمتع بثمانية بلايين دولار كفائض في ١٩٦٥ ، لكنه أصبح يعاني من عجز مقداره خمسة بلايين دولار في ١٩٧٢ ، وارتفع هذا العجز التجاري الى ٢٥ بليون دولار في ١٩٧٧ « ( المصدر السابق نفسه ) . ولقد شهد هذا الميزان الكثير من التذبذب منذ ذلك الحين . انظر الرسم البياني الرقم ٧ ) .

#### الرسم البياني الرقم ٧

ميزان المدفوعات بالحساب الجاري ببلايين الدولارات في ١٩٦٧

٢٠ ١٠ ٠ ١٠ ٢٠  
١٩٥٠ ١٩٦٠ ١٩٧٠ ١٩٨٠  
المصدر : بيزنس ستاتستكس - الطبعة العشرون ، كرنيت بيزنس ، آب ١٩٧٦ .



وهكذا ما أن حلت السبعينات ، حتى كان التحديان : التحدي من الرأسمالية الأوروبية - اليابانية ، والتحدي من العالم الثالث ، يلتحمان مع الانهك في اقتصاد الولايات المتحدة نفسها . ولينتهي هذا بانتهاء الهيمنة الأمريكية . وبانتهاء عهد الهيمنة الأمريكية بدأت الأزمة . وباختصار :

« ان التوسع السريع للأعمال الداخلية في السبعينات ، هو كذلك نتيجة طبيعية ترتبت على النجاح في عهد الهيمنة الأمريكية . فالدعائم لتكامل الرأسمالية العالمية كانت قد أرسيت ، وفي ظل هذا النهج ، ضعفت بشكل مطرد قيود الحدود القومية ، وانطلق رأس المال في حركته الحرة . لكن مثل هذا النظام التكاملي في الرأسمالية العالمية كان يستوجب الاستقرار ، إنما لم تعد مقومات الاستقرار متوفرة في غياب الهيمنة الأمريكية . وكانت النتيجة ظهور التناقض بين نظام رأسمالي عالمي متكامل وبين نهج رأسمالي كان قد دمر قواعد استقراره » ١٨ .

### الأزمة النقدية في العالم الرأسمالي

ان التكامل الرأسمالي الذي أعقب الحرب العالمية الثانية ، أنتج نظاماً مترابطاً ليس فقط عبر الشركات العالمية وإنما كذلك عبر المصارف الدولية ، والتبادل النقدي والأسواق النقدية الخاضعة للسيطرة من خلال اتفاقات بريتون وودز . لكن نجاح هذا النظام هو ذاته الذي قاد في النهاية الى زواله . فتحويل رأس المال ساعد في تطوير نظام للتمويل الدولي . وان النمو السريع في الغرب الرأسمالي ( وخصوصاً أوروبا ) وتوسع الشركات المتعددة الجنسية في العالم الثالث ، كل ذلك خلق فترة من التوسع المالي الهائل .

وفيما يتعلق بداخل الولايات المتحدة ، أدى ذلك الى انفجار ائتماني ، وخصوصاً بالنسبة للفرد . فالدين الفردي بلغ ٦١٣ بليون دولار في ١٩٧٢ ، وما زال يتابع تزايداً في الوقت الحاضر .

« ان الانحراط في الاقراض والتوسع الزائد في مجالات عمل المصارف » كما يقول سوزي وماجدوف « كانا بالضبط ما كان النظام الرأسمالي بأمر الحاجة اليه لحمايته ولحماية أرباحه . وذلك للتغلب ولو مؤقتاً على تناقضاته ، ولدعم التوسع الامبريالي وحروب الولايات المتحدة » . ( منتلي ريفيو ، شباط ١٩٧٥ ) .

ولقد تمثل التعبير عن ذلك ، على الصعيد الدولي ، في تطورين رئيسيين : المال الاوروبي أو أسواق النقد الأوروبية ، وأزمة الديون التي تعاني منها بلدان العالم الثالث . فسوق النقد الأوروبي تضخم من زهاء سبعة بلايين دولار في ١٩٦٣ إلى ٢٥٠ بليون دولار في ١٩٧٥ ، وما يزال يتابع نموه الكبير بسرعة . هذا النظام الائتماني الجديد يخدم مصالح كل من المصارف والتكتلات الاحتكارية أو الشركات المتعددة الجنسية . فهو يتيح للصفقات المالية أن تأخذ مجراها خارج نطاق التحكم والمراقبة من جانب الحكومات القومية .

بمعنى آخر ، ما حدث هو أن « اللاقومية » أو عملية تحويل رأس المال والنقد ، قد حدثت دون أن تصاحبها أو تقترن بها عملية تحويل للسياسة الحكومية ، وللوكالات والعمليات . هذه الحقيقة ، مضافة الى حقيقة كون الدولار أساساً للنقد الأوروبي ، هما اللتان قادتا الى تدمير تنظيمات بريتون وودز النقدية ، وجعل وكالتها IMF أقل فاعلية في ضبط النظام النقدي الدولي .

وباختصار :

« لقد بدأ النظام النقدي الدولي بالتفتت والانحيار ، بفعل التضخم ، وانتشار المنافسة ، وارتفاع معدلات الفائدة ، وتحول الأنماط التجارية ، وتزايد العجز في التجارة الأمريكية . وان الدولار الأوروبي كان يعدو مسرعاً حول الأسواق النقدية ، وازدادت المضاربات حدة » ( جوربون ، ١٩٧٨ ، ص ٣٣ ) .

وهكذا انهار نظام معدلات التبادل ، الثابت والمستقر ، الذي أنشأته بريتون وودز بين البلدان الرأسمالية المتطورة . وما أن حل العام ١٩٧١ حتى كان الدولار يواجه الضغوط وتهبط قيمته ، ثم خفضت قيمة الدولار مرة أخرى في ١٩٧٣ . وبرز نظام جديد وواقعي لمعدلات التبادل العائم » . هذه التدابير النقدية متقلبة للغاية ، وقابلة للتوسع السريع ، لكنها قابلة

كذلك للتأزم وبالتالي للخروج عن نطاق السيطرة ، وفي النهاية فقدان الاستقرار . هذه الفوضى والتخبط في الأسواق النقدية أدت الى ضغوط متباينة لتنسيق السياسة النقدية ، ومعدلات الفائدة ، والامدادات النقدية ، والسياسة المالية . وتبرز الأهمية الخاصة لهذه المسألة على ضوء التضخم العالمي الواسع . ومع ذلك فإن البلدان الرأسمالية الغربية عجزت عن وضع « بريتون وودز » جديدة ، أو سبل لمعالجة الوضع ذات نطاق يتخطى الكيانات القومية ... سبل قادرة على ضبط الفوضى وتنظيم الأوضاع والتحكم في هيكل الأزمة الرأسمالية العالمية . ( انظر الدين الدولي ، المصارف وسياسة الولايات المتحدة الخارجية ، تقرير الهيئة ، اللجنة الفرعية للسياسة الاقتصادية الخارجية التابعة للجنة العلاقات الخارجية ، الولايات المتحدة ، ( أب ١٩٧٧ ) .

ويمكن القول بايجاز ، إن النظام النقدي العالمي المتخبط هو من ناحية نتيجة طبيعية للأزمة الرأسمالية المستمرة ، ومن الناحية الثانية عنصر من عناصرها .

« إن قدرة الدول الرأسمالية المتقدمة على تنظيم النظام العالمي بشكل متماسك وثابت ... تبدو غير ممكنة نظراً لأن الأوضاع الاقتصادية والسياسية في كل منها ، تتجه الى أن تستوجب حلولاً وضرورات مختلفة وغالباً متعاكسة » .

وختاماً :

« إن الشبح الذي يخيم ظله على العالم الرأسمالي اليوم ، هو الانهيار المحتمل لمؤسساته المالية ونشوء أزمة اقتصادية عالمية . فجو الذعر الخانق ينشر ظلالة على ضوء ما يجري في عدة بلدان رأسمالية ، بصورة متزامنة ، من تضخم خارج على السيطرة ، ونتاج متناقص ، وانعدام الاستقرار في الأسواق النقدية ) . ( منثلي ريفيو ، شباط ١٩٧٥ ) .

#### الشرق الاوسط في الرأسمالية العالمية والاميركية

برز الشرق الأوسط ، وبخاصة العالم العربي ، في الستينات ولكن خصوصاً في السبعينات كمناطق خطيرة بالنسبة الى كل من الرأسمالية العالمية والرأسمالية الاميركية . وينشأ الكثير من مركزيته من موارد طاقته التي لها وجوه مالية وتجارية واستثمارية . ويمكننا ان ننظم بحث نور الشرق الاوسط ( بما فيه خصوصاً العالم العربي ) في نطاق الفئات التالية : (١) النفط والطاقات بوجه عام ، (٢) المال ، (٣) التجارة ، (٤) الاستثمار\* اما الاعتبارات الاخرى ، كموقعه الاستراتيجي ، وكونه حلقة اتصال ، ومنطقة منافسة سوفياتية - اميركية ، ومنطقة حركات عالية التسييس ومناهضة للامبريالية ، فمن الواضح انها حاسمة في الديناميكيات العالمية ولكنها وجوه سنبحثها ادناه ، وسوف نشدد على الدور الاقتصادي .

يجب ان نبدأ بالنفط . ان حصة اوپيك في مجموع ما استوردته الولايات المتحدة من النفط قد ارتفعت من ٧٠٪ في العام ١٩٥٩ الى ٨٣٪ في العام ١٩٧٨ . الا ان النسبة من الشرق الأوسط ( بما فيه ايران ) قد ارتفعت بصورة دراماتيكية أكثر : فقد ارتفعت نسبة مجموع مستوردات

\* المعلومات عن الاستثمار ليست متوفرة ولكن يجري جمعها الآن .

النفط الاميركية في الشرق الأوسط من ٢١٪ في العام ١٩٥٩ الى ٣٤٪ في العام ١٩٧٨ . وتستنتج المذكورة الى رئيس الجمهورية الاميركية التي اخذت منها الارقام الأنفة الذكر كذلك ان الاعتماد على نفط الشرق الاوسط سيستمر في الزيادة حتى العام ١٩٨٥ على الأقل\* . حتى ان هذه المدة قد تطول أكثر اذا ان الطاقة النووية في الولايات المتحدة تتعرض لهجوم سياسي شعبي . وفي حين ان هذه مسألة خطيرة بالنسبة الى الولايات المتحدة ، فان اليابان وأوروبا تعتمدان الى حد اكبر بكثير على النفط المستورد : ما يقارب ١٠٠٪ . والكثير ، ان لم يكن اكثرية هذا النفط المستورد هي من الشرق الاوسط ، وبخاصة العالم العربي . وبالنسبة الى أوروبا فانه سيكون لتطورات نفطية جديدة نتائج سياسية مهمة في المستقبل . وتقول الواشنطن بوست :

خلال الأشهر الأخيرة خفضت العربية السعودية الى حد كبير كمية النفط التي تباعها مباشرة الى شركات نفط اميركية رئيسية . فشركة النفط العربية الاميركية ( ارامكو ) تتلقى الآن ٦,١ مليون برميل في اليوم ، بالمقارنة مع ٧ ملايين برميل يوميا او اكثر لبضعة اشهر خلت . وفي الوقت ذاته وقع السعوديون عقودا مباشرة مع حكومات اوروبية غربية من اجل نفط كان سابقا مخصصا لتسوقه الشركات الاميركية الرئيسية في أوروبا ( ١٢ حزيران - يونيو ، ١٩٧٩ ) .

وبما أن هناك دراستين حول مسألة الطاقة والسياسة الخارجية الاميركية في هذا المؤتمر ، فانني لن اتوسع في هذه الناحية من الموضوع . وحسبي ان اكرر الحقيقة الواضحة ان الشرق الأوسط ، ولا سيما النفط ( والغاز ) العربي ، هو شريان حياة الرأسمالية الغربية واليابانية . ولذا فان السياسة الخارجية لجميع البلدان الرأسمالية ، افراديا وجماعيا ، لا يسعها بحال من الأحوال ان تتجاهل هذه الحقيقة في حساباتها واعتباراتها . وفي ضوء مختلف نجد ان النفط ضروري للأعمال الاميركية .

خلال بعض الأعوام في الستينات جاء دولار واحد من كل اربعة دولارات من الارياح التي اخذتها الشركات الاميركية في الخارج من نفط الشرق الاوسط ، ان خمسا من اعل ١٠ شركات من الشركات الخمسمائة التي درجتها مجلة فورتشون في قائمتها لها مصالح واسعة في نفط الشرق الاوسط ( س . ريان ، الغارديان ، ٢٠ ايار - مايو ، ١٩٧٩ ) .

الا ان للنفط قضية مشتقة خطيرة هي المال . ذلك ان اسعار النفط ، خصوصا بعد الحظر الذي فرض على النفط في ١٩٧٣ ، قد ارتفعت بسرعة كبيرة وخلق ارباحا طائلة لشركات النفط ، كما خلقت لأول مرة في التاريخ فوائض لبلدان العالم الثالث المصدرة للنفط ، وكان للزيادة السريعة في الفوائض تأثير عميق على اسواق المال ، والنقد الاوروبي بخاصة ، وعلى المصارف والمال الدولي . مثال ذلك ان الواشنطن بوست تقول :

ان اسعار النفط العالمية المتزايدة باستمرار سترفع حسابات النقد الراهنة لمنظمة البلدان المصدرة للنفط ( اوبيك ) الى ٢٩ بليون دولار - اي بزيادة عشرين ضعفا - بنهاية العام ١٩٧٩ ، وذلك وفقا لتقديرات وكالة الاستخبارات المركزية . ( ٥ حزيران - يونيو ، ١٩٧٩ ) \*

\* ولا يشمل هذا الغاز الطبيعي من الجزائر .

\*\* من جهة أخرى يقول السناتور تشيرش انه كان لمصري النفط في العام ١٩٧٤ وحدة « حساب فائض»

بعد حظر النفط في العام ١٩٧٣ كانت البلدان المصدرة للنفط ، وبخاصة دول النفط العربية ، اهم البلدان المهمة في اسواق العملة الاوروبية . وقد اعيد استثمار الكثير من مئات البلايين التي جمعت منذ ١٩٧٣ في مؤسسات مالية غربية ، انتهازا لفرص مربحة في الغرب . « في العام ١٩٧٥ كان ١٢٪ من اموال الشرق الأوسط في ادوات وممتلكات العملة الاوروبية . وفي العام ١٩٧٦ ازدادت هذه النسبة الى ١٩٪ » . ( هاوولي HAWLEY ١٣٤ ) . ان نمط « اعادة استخدام » البتر دولارات تصفه الخزينة الاميركية بهذه الطريقة :

... من مجموع يبلغ على وجه التقريب ١٢٣ بليون دولار في موجودات مالية جمعتها اوبيك في الفترة ١٩٧٤ - ١٩٧٦ ... استثمر ما يقدر بـ ٤٨ بليون دولار في سندات الخزينة الحكومية والاستثمار المباشر الطويل الأمد في البلدان الصناعية . واقترض مبلغ ٩,٧٥ بليون دولار آخر الى منظمات دولية . وادعت الكمية الأكبر بكثير ، ٤٩ بليون دولار او ٣٧٪ من المجموع في مصارف تجارية خاصة ، معظمها في نيويورك ولندن . ( الديون الدولية ، ص ٣٦ ) .

ونتيجة لذلك صارت موارد المصارف الخاصة تقزم موارد مؤسسات الاقراض الرسمية وغير التجارية . وبلغ مجموع «وجودات اكبر ٢١ مصرف تجاري اميركي نحو ٤٠٠ بليون دولار في نهاية ١٩٧٥ ، في حين ان موارد الاقراض لصندوق النقد الدولي والتسهيلات الخاصة للمجلس الاقتصادي الاوروبي بلغت معا ٢١ بليون دولار . ولدى سيتي كورب CITICORP وحدها موجودات بقيمة ٦٤ بليون دولار ، او اكثر مما لدى صندوق النقد الدولي بثلاث مرات ونصف المرة » ( الديون الدولية ، ص ٤٣ ) . وتتلقى العربية السعودية والكويت والامارات العربية المتحدة ٤٧٪ من ايرادات النفط ولكن لديها ٩٠٪ من الفوائض المالية . واعيد استخدام معظم هذه الفوائض في بريطانيا والولايات المتحدة . وبطول ١٩٧٧ ، من اصل مبلغ قدر بـ ١٢٣ بليون دولار جمعتها اوبيك ( وبالدرجة الأولى العربية السعودية والكويت والامارات العربية المتحدة ) اعيد استخدام ١٠٢ بليون دولار او ٧٧٪ في الولايات المتحدة والبلدان الغربية . وتملك الدول المنتجة للنفط موجودات بقيمة نحو ٥٠ بليون دولار في مصارف الولايات المتحدة والمصارف الاميركية في ما وراء البحار ومعظمها في شكل سائل جدا كسندات الخزينة التي يمكن سحبها بسرعة ، واي حركة مفاجئة لهذا الحجم من المال يمكن ان تكون ممزقة للنظام المالي .

لهذا النظام المالي من اموال النفط بعض النتائج المهمة بالنسبة الى العالم الثالث . فلدَى المصارف الخاصة زبائن جدد : حكومات اجنبية ، مصارف مركزية اجنبية ، شركات حكومية ، مرافق عامة ، وغيرها من الهيئات الحكومية . وهؤلاء الزبائن من بلدان صناعية ولكن بخاصة من بلدان العالم الثالث تدفقوا على المصارف الخاصة للحصول على قروض . وبما ان التضخم وحالات العجز في ميزان المدفوعات وأسعار السلع ، وخاصة النفط قد ارتفعت ، فان هذه البلدان او الوكالات المتفرعة عنها اضطرت الى الاقتراض اكثر حتى انها في اواخر السبعينات اقترضت مبالغ ضخمة لمجرد تسديد قروض سابقة : « وتقدر دراسة اجرتها.

جار يزيد على ٦٥ بليون دولار ، بينما كان للبلدان الصناعية عجز جماعي يبلغ ٣٣ بليون دولار ، وللبلدان النامية عجز يبلغ ٢١ بليون دولار » . وقد تدنت هذه الارقام حتى هذه السنة والآن عكست الاتجاه الى زيادة تصاعدية .

اميركان إكسبرس ان واحدا من كل اربعة دولارات اقترضتها LDC البلدان الأقل تطورا في ١٩٧٧ سيذهب لتسديد الديون . وبحلول ١٩٨٠ سيستخدم واحد من كل دولارين لتسديد الديون القديمة . ( الديون الدولية ، ص ٥١ ) . وهذه الحالة تفضي الى « ازمة ديون » ضخمة تبلغ نروتها الآن في الكثير من بلدان العالم الثالث ولكن يمكن ان يكون لها ايضا تأثير جماعي وخيم ، ومثل « ازمة الديون » هذه التي لا يوجد مناعة منها حتى في بريطانيا تفرض على الكثير من الدول المضطربة تخفيضات وتقسفا وغيرها من القيود التي يمكن ان تطلق جيشانا اجتماعيا وسياسيا كما شاهدنا في مصر في كانون الثاني ( يناير ) من العام ١٩٧٧ . لكن الامر الأكثر مدعاة للتشاؤم بالنسبة الى النظام الرأسمالي ككل هو سينااريو يوم الدينونة التالي :

يجادل بعض المراقبين بانه فيما يزداد عبء تسديد الديون بالنسبة للكثير من البلدان نحو نهاية هذا العقد ، فان الوقت قد يأتي عندما سيجد واحد او اكثر من هذه البلدان انه في مصلحته اكثر ان يستمر في الاقتراض لتسديد الديون القديمة فقط . واذا حدث هذا ، فقد يحدث تأثير نوميئو تحنوقيه البلدان المدينة حنوها . وانذاك ستصاب المصارف بالذعر وتبدأ في استدعاء قروضها الدولية . وسيهبط سوق الأسهم بشكل حاد وينهار سوق الرأسمال الدولي . ( الديون الدولية ، ص ٥ ) .

وفي الختام نقول ان حجم واهمية اموال البترول بوجه عام ، وخصوصاً فوائض اموال النفط العربية ( التي تمثل ٩٠٪ من فوائض اموال النفط ) بالنسبة الى الرأسمالية العالمية والرأسمالية الاميركية ، لا سابق لهما تاريخيا . ويعطي هذا بعض الدول العربية « سلاحا ماليا » لا يقل اهمية عن « سلاح النفط » . وبالطبع ان الصعود التي يمكن ضمنها استخدام هذين السلاحين اما لاغراض اقتصادية او سياسية هي العائق بالنسبة للدول او الاقتصادات المتشابكة ، العربية والغربية .

بيد ان اهمية اموال النفط العربية ، وبخاصة البترول دولارات السعودية ، ليست محدودة بالمبالغ الضخمة واعادة استخدامها في الولايات المتحدة وبقية الغرب ، والحقيقة هي ان هذه الفوائض ، اولا وبالدرجة الاولى بالنسبة للولايات المتحدة ، قد ابقت الدولار الاميركي عملة الاحتياط والصفقات الدولية على الرغم من انهيار اتفاقيات بريتون وودز BRETTON WOODS واضعاف الدولار وخفض قيمته . وهذا الدولار الامبريالي يستمر في منح الولايات المتحدة امتيازات هيمنة على الرأسماليات اليابانية والاوربية المتنافسة وعملياتها\* .

ان المحافظة على الدولار كعملة امبريالية ممكنة جزئيا لأن سياسة اوبيك ، وخصوصاً سياسة العربية السعودية مع كل الفوائض الضخمة تربط سعر النفط بالدولار الاميركي ، ويقع ثمن النفط بالدولار الاميركي\* .

\* هذا المركز الامبريالي لا يخلو من الخطر . فانه أمر اصعب على الولايات المتحدة ان تتلاعب باسعار التبادل لخلق وضع مستقر . ويمكن ان يفضي الى مشكلات في تطبيق السياسة الاقتصادية الداخلية .

\* الولايات المتحدة لا تشجع الابتعاد عن الدولار الى « سلة عملات » الخ ، الا في الحالات المتطرفة حيث المستلكات الاجنبية بالدولار تهدد الصحة الاقتصادية الاميركية الداخلية .

وستبذل الحكومة الاميركية قصارى جهدها لاغراء الحكومة السعودية او الضغط عليها للمحافظة على هذه السياسة . وبالفعل يمكن القول ان السيطرة الاقتصادية الاميركية المستمرة عالميا تتوقف على هذه الممارسة والسياسة . وبدونها ستتزلق الولايات المتحدة اكثر فاكثر وستخوض في منافسة اشد شراسة مع البلدان الرأسمالية . وباختصار ان هذا الدور الاقتصادي غير المنظور لمصدرى النفط العرب هو الذي يجعل العالم العربي في مثل هذه الاهمية البالغة بالنسبة الى السياسة الخارجية والسياسة الاقتصادية الاميركية .

وبعدما اثبتنا هذا الدور الاقتصادي الخطير للعالم العربي ، لنتحول الآن الى وجوه اضافية اخرى : التجارة . يظهر الجدول رقم ٢ الارقام حول تجارة الولايات المتحدة مع الشرق الأوسط بما فيه البلدان العربية خلال الاعوام الستة الماضية : ١٩٧٢ - ١٩٧٧ . وهذه الارقام ، كما هي الحال في جميع الحقول الاخرى تقريبا ، تزداد بصورة براماتيكية ، شبكة الولايات المتحدة اكثر فاكثر مع العالم العربي . ومع هذا فان النسب ليست عالية جدا . وكما يلاحظ في الرسم البياني ، فان صادرات الولايات المتحدة الى العالم العربي بلغت مجموع ١١٧٢,٣ مليون دولار او ٢,٣٦٪ من مبيعات الولايات المتحدة العالمية . وبحلول ١٩٧٧ بلغ المجموع ٨٢٥١,٥ مليون دولار او ٦,٨٧٪ . وبالنسبة الى الشرق الأوسط ككل ، فان الزيادة هي من ٥,٣٢٪ من صادرات الولايات المتحدة العالمية في ١٩٧٢ الى ١٠,٧٧٪ في ١٩٧٧ . وخلال هذه الفترة نفسها ارتفع مجموع التجارة الاميركية ( الصادرات والمستوردات ) مع الشرق الأوسط بسرعة اكبر بكثير من سرعة ارتفاع تجارة الولايات المتحدة مع العالم ، والعربية السعودية هي النجم في هذا الحقل . وجميع الارقام المذكورة انفا هي في التجارة المدنية ، باستثناء المبيعات العسكرية .

### الجدول الكبير

المبيعات العسكرية الاميركية الى الشرق الأوسط ضخمة . وهي تشمل نسبة مئوية اعلى بكثير من المجموع العالمي .

بدءاً من سنة ١٩٧٢ المالية ، نجد ان مبيعات الأسلحة الى « منطقة الخليج العربي » ( ايران ، العربية السعودية ، البحرين ، عمان واليمن ) وحدها هي على الأقل ٥٠٪ من مجموع العالم . وفي العام ١٩٧٧ بلغت المبيعات ٦٠٢١,٦ مليون دولار من اصل مجموع عالمي يبلغ ٩٥٠٥,٥ مليون دولار .

وتمثل التجارة العسكرية والمدنية مجتمعة مع العالم العربي والشرق الأوسط نسبة مئوية من مجموع المبيعات الاميركية اعلى بكثير من النسبة المئوية للسلع غير العسكرية وحدها . ومن هنا برز العالم العربي والشرق الأوسط من جديد كمنطقة بالغة الاهمية بالنسبة للرأسمالية الاميركية .

وباختصار ، في ما يتعلق بالنفط والمال والتجارة ( وربما الاستثمار ) فان العالم العربي - الشرق الأوسط حيوي للرأسمالية الاميركية . وهكذا فان الاستقرار السياسي على الأقل ، او في افضل الأحوال السيطرة على المنطقة التي يمكن ان تضمن وتفرض هذه العلاقة

المریحة صاراً فجأة يحتلان المرتبة العليا في الأولوية بالنسبة الى راسمي السياسة الخارجية الاميركية . وهذا تطور حديث تم خلال عقد السبعينات . ويفسر هذا ، انن ، الدخول او التدخل الاميركي سياسياً ودبلوماسياً وحتى عسكرياً في المنطقة ، وهذا ، ايضاً ، هو الذي ينفذ الحكومة الاميركية ، بعد اعوام طويلة من الاهمال الكريم ، الى معالجة المسألة الفلسطينية اذ انها تنظر الى تلك المسألة كمصدر رئيسي لجعل المنطقة غير مستقرة وللتعبئة الشعبية المناهضة للامبريالية ( اي المناهضة لاميركا ) في المنطقة .

غير ان السيطرة السياسية على الشرق الاوسط ، بما فيها معالجة المسألة الفلسطينية ، ليست مهمة سهلة بالنسبة الى الولايات المتحدة . فهذه المهمة متشابكة مع مجموعات متعددة من التناقضات في سياق ازمة رأسمالية عالمية وازمة في الاقتصاد الاميركي . وهذه التناقضات هي التناقض الاميركي مع البلدان الرأسمالية الاخرى ، والنزاع - الوفاق الاميركي مع الاتحاد السوفياتي عالمياً واقليمياً ( مباشرة او بالوكالة ) ، ونزاع الولايات المتحدة مع العالم الثالث ( التحرر الوطني ) .

#### المنافسة بين البلدان الرأسمالية وازمة القوة

لقد برزت اقتصادات الشرق الاوسط عموماً ، واقتصادات العالم العربي بصورة خاصة ، منذ أوائل السبعينات ، بشكل تكاملي مع كل من الرأسمالية الاميركية والرأسمالية العالمية . على ان الشرق الاوسط متشابك مع الرأسمالية الغربية بشكل متناقض ، ذلك انه يسهم في رخائه من ناحية ، وفي مشكلاته من ناحية اخرى . ونجد بشكل محدد أن السعر المتزايد للنقط ( أو تقليص التجارة الشاملة ، أو إنهاء قاعدة الدولار النفطي ) يعزز التضخم ، ويزيد من حدة الركود - التضخم الاميركي . إنما بدون النقط الوفير والفوائض المالية ، قد تصاب الرأسمالية بالركود ( في أحسن التقديرات ) أو تنهار ( في أسوأ التقديرات ) ، مما يهدد بدوره نظام الرأسمالية العالمية . وان الرأسمالية الاميركية ، دون هيمنتها على الشرق الاوسط ، وفي أدنى التقديرات ، تفقد مركزها الراهن باعتبارها الاولى بين أكفاء بالنسبة الى الرأسماليات الأوروبية - اليابانية .

ومنذ فقدان هيمنتها الاقتصادية ( ومعها الهيمنة السياسية والعسكرية ) راحت الولايات المتحدة تبحث عن نظام عالمي جديد ، يمكنها من تنظيم الرأسمالية المتعددة المراكز والتنافس المحتم فيما بينها .

كان نظام « المراكز الثلاثة » وعقد مؤتمرات الذروة ، أبرز الجهود التي بذلت بحثاً عن آليات عملية لمعالجة كل من المنافسة بين البلدان الرأسمالية ، والمشكلات المشتركة التي تجابهها الرأسماليات العالمية ، نتيجة لكونها أصبحت متشابكة الى حد بعيد في نظام رأسمالي عالمي . وان المشكلات التي تواجهها جميعاً ، عديدة وكثيرة ، مع وجود أوضاع خاصة بكل بلد منها . وبين هذه المشكلات : التضخم ، وازمة الديون الدولية ، والطاقة ، والسياسات النقدية والمالية ، والاعمال المصرفية غير المنظمة ، والسياسات العامة للحفز الاقتصادي ، وتنظيم التسليح ومبيعات السلاح ، وتهديد سياسة الحماية التجارية ، والحرب التجارية ، وأخيراً

النزاع الاجتماعي - السياسي . وان الرأسماليات الغربية واليابانية منظمة بصور مختلفة وغير متكافئة ، ولهذا فان أي حل شامل أو صيغة مركزية ذات نتائج مختلفة لا تقبل بها إحدى هذه الرأسماليات أو أكثر . ولهذا هناك شلل ينتاب عملية صنع القرار السياسي وفي التطبيق على المستوى العالمي . فالولايات المتحدة اللامسيطرة ليس في وسعها أن تفرض ارادتها كما فعلت في أعقاب الحرب العالمية الثانية في مرحلة النورة للسيطرة الأمريكية . لقد كان الناتج الممكن الوحيد للعلاقات الرأسمالية المتداخلة ، وربما كان نفسه الناتج الوحيد الممكن مستقبلا ، عقد اتفاقات بهذا الشأن سرعان ما تنحل وتتفكك ليعاد ترقيعها من جديد . هذا هو جوهر أزمة الامبريالية . وباختصار نقول إن تراكم رأس المال على مستوى عالمي يتطلب الحفاظ على نظام سياسي ، وتنسيق مشترك للسياسات السياسية - الاقتصادية ، وعملة دولية مستقرة ، وتجارة حرة ، وحدود مفتوحة أمام الاستثمار . لكن تدويل رأس المال ( أي جعله يتخطى الكيانات القومية ) ، وانهاية الاجراءات المالية ، وعودة ظهور رأسماليات متنافسة وشبه متساوية ، يجعل من المستحيل على أية دولة أن تتولى زمام القيادة بمفردها ، وبدرجة أقل أن تمارس السيطرة . وهكذا فان المعدلات المتفاوتة للنمو ، والنزاعات الداخلية المتباينة بين الأمم الرأسمالية الرئيسية يجعل من شبه المستحيل تنظيمات سياسية - اقتصادية ثابتة فيما بينها . ففترات الاتفاق والتعاهد ، سرعان ما تعقبها فترات التنازع والتنافس على الصعيد الدولي .

ان معضلات هذا النظام نافعة في المرحلة الراهنة لبلدان العالم الثالث عموماً ، وللعالم العربي خصوصاً ، نظراً للأهمية البارزة والهائلة للعالم العربي على الرأسماليات العالمية المتنوعة كما مر معنا . ولهذا ليس مفاجئاً ولا مدهشاً ما نراه من مسعى مختلف القوى الرأسمالية الامبريالية لاقامة علاقات أفضل مع العالم العربي ، وبأسلوب الاحتيال والمناورة ، في حين تقوم هذه القوى بالتنافس ويتوتر العلاقات فيما بينها . وتحت عنوان : « الطاقة والشرق الأوسط يوتران علاقات واشنطن المنسجمة » ( ٦ حزيران ١٩٧٩ ) :

« ... مصادر جديدة للتوتر تظلل العلاقات الفرنسية - الاميركية ، بينما تسوق أزمة الطاقة من ناحية ، واتفاقية السلام المصرية - الاسرائيلية ، كلا من واشنطن وباريس ، في منحنى مختلف » .

« لقد ابلغ كارتر وزير الخارجية ( الفرنسي ) خلال اجتماعهما الذي استمر ٢٠ دقيقة ، ان ( فشل فرنسا في دعم الاتفاقية المصرية - الاسرائيلية ) « يميل الى تعزيز موقف الراديكاليين ، ويضطر المعتدلين ( في العالم العربي ) إلى إخلاء ساحة الاعتدال » . ( أنظر واشنطن بوست ، ٦ حزيران ١٩٧٩ ) .

كما يمكن ملاحظة توتر مماثل يشوب العلاقات البريطانية - الأميركية ، وخصوصاً بشأن مسألة روديسيا . فان قبول حكومة تاتشر البريطانية الجديدة بحكومة موزيريو ، وعزمها على رفع العقوبات الاقتصادية عن روديسيا ، يتعاكسان مع سياسة كارتر القاضية بالإبقاء على هذه العقوبات . وان في استطاعة نول العالم الثالث وحركات التحرر الوطني والقوى الثورية في العالم ان تفيد من هذه الفرصة التاريخية لتستغل هذه التشققات في المعسكر الرأسمالي . وفي

استطاعة هذه الدول والقوى والحركات أن تعتمد على حقيقة أن الرأسمالية الغربية على الأرجح غير مستقرة وليست حاسمة ، إنها - ومن المرجح ان يستمر هذا - انجرافية في التيار . ولعل المثل الأفضل لهذه السياسة الانجرافية كان خلال الثورة الايرانية عندما أمر الرئيس كارتر بتحرك وحدات من الاسطول الأميركي السابع الى المحيط الهندي قرب ايران ثم - وفي خضم الأزمة - صدرت الاوامر الى هذه القوة لكي تدور وتعود الى الشرق الأقصى . فالخطوات الجريئة سرعان ما تنعكس أو تواجه الاخفاق . والسياسة الخارجية تبدو متذبذبة وتتقافها الأمواج .

ان عجز الولايات المتحدة عن التدخل في انجولا واثيوبيا وأفغانستان واليمن الديمقراطية ، وفوق هؤلاء جميعاً في ايران ، لمحاولة عكس التيار وقلب الموجة لصالحها ، هو مؤشر على ما قد أسميه بأزمة القوة الأمريكية .

أزمة القوة الأمريكية هذه ، يجري التعبير عنها كذلك في النزاع بين حكومة الولايات المتحدة ( ادارة كارتر ) وبين الكونجرس ، حول مسألة العقوبات ضد روديسيا . فالامر يبدو وكأن لكارتريسياسة هي سياسة الخط المتشدد ، وكأن للكونجرس سياسة أخرى هي سياسة الخط اللين . والشأن نفسه ، كما سنرى لاحقاً ، ينطبق على الشرق الأوسط ، على الرغم من أن مواقع اللين والتشدد تبدو هنا مختلفة .

#### أزمة القوة الأمريكية والمحكومية Governability والشرق الأوسط

أزمة القوة في السياسة الخارجية المشار إليها آنفاً ، لها ما يقابلها على صعيد السياسة الداخلية . فتقرير اللجنة الثلاثية المعنون أزمة الديمقراطية ( نيويورك : منشورات الجامعة ، ١٩٧٥ ) يشخص الولايات المتحدة باعتبارها تعاني من أزمة في المحكومية Crisis of governability . والتقرير يحمل بكل قسوة على ما يلاحظه من انحطاط في « شرعية القسر ، والنظام ، والسرية ، والخداع » . ويدعو التقرير بدلاً من ذلك ، الى « الاعتدال في الديمقراطية » من أجل افساح المجال أمام قدر أكبر من المحكومية Governability . « هذا العجز في المحكومية » ينذر بالشؤم في رأي واضعي التقرير ، لأنه يحدث في مرحلة نولية طابعها « الندرة الاقتصادية ، والتضخم ، وامكان نشوء ركود اقتصادي ذي أجل طويل » . فالدولة الأمريكية التي كانت على الدوام قادرة على الحفاظ على / أواخر الطلب الاقتصادي الاجمالي ، والتي كانت قادرة على ضبط المناقسة ، وضبط الصراع الطبقي ( كالعلاقات بين الادارة والعمال ) وتخفيف الضائقة الاجتماعية ، ومعالجة السخط الاجتماعي - الاقتصادي ، تجد ان من العسير عليها في السبعينات التأثير في النواحي السالفة الذكر . صحيح انه كما يبين الجدول الرقم ٣ ، فان هناك هبوطاً حاداً في موثوقية الزعامة للمؤسسات الأمريكية الرئيسية . فالادارة الاتحادية ، والكونجرس ، والقوات المسلحة ، مثلها في ذلك مثل الشركات العملاقة ، كابدت انهياراً مثيراً في درجة الثقة بها على الصعيد الشعبي . وكنتيجة طبيعية للأزمة الاقتصادية والأزمة الملزمة لها في الثقة السياسية ، نجد في الولايات المتحدة حالياً موجة واسعة للغاية من تبديل التحالفات وتغيير المواقف والتقلب المستمر ، في علاقات القوى السياسية ببعضها بعضاً . وان التحالف الأعظم بين الشركات الكبرى والليبرالية الذي شكله روزفلت في الثلاثينات ، والذي ساد الولايات المتحدة منذ ذلك الحين ، يتعرض الآن للارتجاج . واذا استثنينا الايديولوجية ( التي تبقى عليها وسائط الاعلام ) ، فاننا لا نجد أي إجماع قومي .

**الجدول الرقم ٣**  
**ما الذي يقلق اللجنة الثلاثية ؟**  
**... تدني الثقة في المؤسسات الرئيسية**  
**النسبة المئوية للجمهور الذي يعبر عن « ثقة عظيمة » في القيادة في :**

التغير	١٩٧٣	١٩٦٦	
١٩٧٣ - ١٩٦٦			
٢٢ -	١٩	٤١	الإدارة الاتحادية
١٣ -	٢٩	٤٢	الكونجرس
١٨ -	٣٣	٥١	المحكمة العليا
٢٢ -	٤٠	٦٢	القوات المسلحة
٢٦ -	٢٩	٥٥	الشركات الكبرى
٢ -	٢٠	٢٢	التنظيمات العمالية
١٧ -	٤٤	٦١	التعليم العالي
١ +	٣٠	٢٩	الصحافة
١٦ +	٤١	٢٥	أبناء التلفزيون

فيما يتعلق بالسياسة الاقتصادية تداعى الإجماع الكينزي ، وظهرت في السياسة عملية التشطي . وهناك إجماع أقل كذلك في أوساط الطبقة الحاكمة حول سؤال : الى أين ؟ وحول مسألة طبيعة الأزمة ، وحول طبيعة الحلول . وهذا أمر مزعج بصورة خاصة ، وفقاً لما يقوله أحد كتاب تقرير اللجنة الثلاثية :

« ان الحكومة التي تفتقر الى الصلاحية والملزمة ببرامج داخلية ملموسة ، تجد لديها القليل من القدرة ... لكي تفرض على شعبها التضحيات التي قد تكون ضرورية لمعالجة السياسة الخارجية والدفاعية . إن هبوط القوة الأميركية وهبوط النفوذ الأميركي في الشؤون العالمية أمر ( يتصل مباشرة ) بأزمة الحكمية *Governability* » . ( خطوط التشديد من عندما ) .

ويمكن أن نلخص هذا كله لنقول بايجاز إن الولايات المتحدة ، وفق أحكام المؤسسة الأميركية والنقاد التقدميين ، تعاني من أزمة حكومية *Crisis of Governability* ، وأزمة قوة ، ومن شلل في رسم السياسات ووضعها موضع التطبيق .

هناك خلاف وشلل في الولايات المتحدة حول الشرق الأوسط والقضية الفلسطينية . هذا الخلاف أو الشقاق بسيط ومن اليسير تجديده في بعض النواحي ، لكنه معقد ومتلاحم مع موضوعات أخرى ، في نواح أخرى . ويأدى ذلك الى بدء نقول انه لا توجد قطاعات محددة في الاقتصاد الأميركي ، تقف بشكل صريح وقاطع الى جانب العرب وضد اسرائيل ، أو العكس . وهكذا ، فان المصالح النفطية ليست مساندة للعرب أو مناصرة للفلسطينيين أكثر من أي قطاع آخر مثلاً . ولعل السبب الأساسي هو أن المصالح الاقتصادية ، النفطية والمالية ،

والعسكرية - الصناعية ، متداخلة وملتحمة ومتشابكة ومتكاملة الى درجة ان من المتعذر أن نجد بينها قوارق قاطعة وخطوطاً فاصلة محددة وواضحة ، أو تناقضات ظاهرة . ومع ذلك فإن التناقضات تبرز بين الدوليين ( ويضم هؤلاء رجال صناعة النفط والمالية وسواهم ) وبين رأس المال الأكثر قومية وإلى جانب الفريق الأخير هذا - وان بدرجة أقل نسبياً - معسكر العسكريين - الصناعيين . فهذا المعسكر الأخير يميل إلى الاتجاهات الصقرية نحو الاتحاد السوفياتي وشؤون العالم الثالث بما فيها الشرق الأوسط وفلسطين . وهناك قطاعات مهمة من المجتمع اليهودي الأمريكي تقيم علاقات متينة مع هذه القوة الاجتماعية التي تنطور على شكل ائتلاف محافظ جديد . وكارتر يسعى كذلك لمد الجسور معهم .

أما في داخل مؤسسات الدولة فإن بعض الموضوعات فقط يمكن أن تكون مثار خلاف في الآراء . وبالتحديد ، يمكن أن تظهر خلافات في الرأي بين الخارجية الأمريكية ، والبنطاجون والخزانة ، حول النفط ، والشؤون المالية ، وأوبك ، إنما لا توجد خلافات ظاهرة فيما يتعلق بقضية فلسطين . وما ترويه الأقاويل عن مختلف الدوائر والوزارات ، أن هناك خلافات بين الأشخاص المسؤولين .. بعضهم مناصر لإسرائيل وبعضهم الآخر بدرجة أقل ، وأحياناً تتحدث الأقاويل عن فلان المعادي لإسرائيل و/ أو المعادي للسامية .

لكن الخارجية الأمريكية هي موضع اتهام بصورة خاصة ، من قبل الدوائر السياسية المساندة لإسرائيل . أنها بالتأكيد ليست معادية للصهيونية ، لكنها قد تضم بعض العناصر التي تعارض سياسة التوسع الإقليمي الإسرائيلي . ولقد اتهمت منذ أمد بعيد بشيء من صبغة العداء للسامية .

على العموم، يمكن القول أن السلطة التنفيذية ، تمثل مصالح رأس المال الاحتكاري أكثر من أي شيء آخر . وبناء عليه ، فإنه ليس أمراً عجباً أن كارتر ومونديل وأنتي عشر شخصاً غيرهما من كبار أعضاء الفريق الحاكم ( وبينهم فانس ويلومنتال وزير الخزانة وبريجنسكي ) هم من جماعة اللجنة الثلاثية . وفي حين أن الإدارة تولي الاحتكارات اهتمامها ، فإن الكونجرس أكثر تنوعاً طبقياً ، حيث يتوفر تمثيل للمصالح الدولية ، والقومية ، والمنطقية ، بل وحتى المحلية جداً .

في أوقات الأزمات ، لا يوجد مركز واضح للسيطرة وطمغيان النفوذ على غيره من المراكز . وبهذا فإنه في موضوع الشرق الأوسط وفلسطين ، فإن السلطة التنفيذية - بما فيها وزارة الخارجية - هي أكثر تقديراً وتفهماً للموقف العربي والقضية الفلسطينية . والأمر نفسه ينطبق على « الدوليين » في أوساط المؤسسة سواء من كان منهم في الحكم أم لم يكن . فبالنسبة لهؤلاء جميعاً ، يمثل تقرير بروكينجز ( الذي هو أحد منجزات فكر اللجنة الثلاثية ) والذي نشر بعنوان : نحو سلم في الشرق الأوسط : تقرير لجماعة دراسية ، بروكينجز ، ١٩٧٥ ، يعتبر هذا التقرير بالنسبة للأوساط السالفة الذكر ، برنامج العمل للتسوية . ويقوم التقرير على قرار الأمم المتحدة الرقم ٢٤٢ مع تطبيع الدولة وجعلها علاقات نولية ، و« حكم ذاتي فلسطيني في الضفة الغربية ( وغزة ) ؟ ، إما ككيان مستقل أو ككيان ملحق بالأردن » . ويمضي التقرير إلى القول : « انه لمن العسير ان نرى كيف يمكن إقامة تسوية شرق أوسطية دائمة ، لا تسلم

بطريقة من الطرق ، بحق تقرير المصير لمعظم ( كذا ) الشعب الذي يعيش الآن في الضفة الغربية ... » وتتوفر في الكونجرس جميع درجات التأييد والمعارضة لهذا المخطط . وثمة الآن أكثر من أي وقت مضى ، أصوات في الكونجرس تنقد أو تتسائل عن التصلب الإسرائيلي ، خصوصاً السياسة الاسرائيلية نحو التسوية . لكن هذا لا ينبغي أن يقودنا الى الاعتقاد بأن اسرائيل فقدت دعم الكونجرس . فالأمر ببساطة ان الاجماع القوي الذي طالما تمتعت اسرائيل به في اوساط الكونجرس ، يمر الآن بمرحلة من الضعف النسبي .

طالما أننا سجلنا أن السلطة التنفيذية وكذلك نوي الاتجاهات الدولية في المؤسسة السياسية الأمريكية ، قد قبلوا وثيقة بروكينجز باعتبارها البرنامج للحل في الشرق الأوسط ، فلماذا إذن لم يسع كارتر لتطبيق بنود تلك الخطة وتنفيذ ذلك البرنامج ؟ مرة أخرى الجواب هو الشلل والعجز والركود في السياسة الأمريكية وفي القوة الأمريكية وفي الحكومية الأمريكية Governability . ولكي نفهم هذه المسألة بشكل ملموس أكثر من المهم أن نشير الى مجموعة العوامل المتنوعة التي تشكل المعادلة السياسية الأمريكية الراهنة . وأولها هو تداعي وضعف مركز الرئاسة منذ جونسون ونشوء الأزمة السياسية - الاقتصادية . ويتمشى مع العامل السابق تنامي قوة مركز الكونجرس كمنافس للرئاسة في هذا الميدان ، ميدان السياسة الخارجية . وثاني العوامل أن التحالفات السياسية القائمة هشّة وغير ثابتة ولا مستقرة ، كانعكاس للشلل السياسي والتنافس القائم في صلب « المؤسسة » من ناحية ، وكعنصر مغذ لهذا الشلل ولذلك التنافس من ناحية ثانية . أما ثالث العوامل فهو أسطورة الصوت اليهودي والحلف الصهيوني وتأثيره على الشؤون الداخلية والولية بالتعاون مع مجموعات المصالح والكتلة الضاغطة في الكونجرس ، هذا يبقي القوى الفاعلة مساندة لاسرائيل ومعادية للفلسطينيين ، باعتبار أن الفلسطينيين يمثلون « نقیضة » اسرائيل . أما رابع العوامل فهو أن منظمات اتحاد العمال تقف بحماسة الى جانب الصهيونيين وضد الشيوعية ، منذ امد بعيد ، وذلك بسبب سيطرة الجناح اليميني عليها . وهذا يقودنا الى العامل الخامس ، وهو أحبولة تداخل موضوع اسرائيل / فلسطين بقضية الحرب الباردة ومعاداة الشيوعية ومعاداة السوفييات ايديولوجية ومواقف . فمعاداة الشيوعية ومعاداة السوفيياتية صارتا تعنيان مناصرة اسرائيل ومعاداة الفلسطينيين في الشرق الأوسط . وأخيراً ، العامل السادس ، ظهور اتجاهين سياسيين : مجموعات الاهتمام المنفرد كجماعة الحفاظ على البيئة وجماعة معاداة الطاقة النووية ، واللامبالاة السياسية والانسحاب من المشكلات الدولية للاهتمام بالذات ، والعزوف عن « المعارك الجانبية » . وبالطبع فان ضعف اليسار ، قديمه وجديده ، في الولايات المتحدة ، يمثل خسارة صافية للقضية الفلسطينية .

ان المشتقات الديناميكية من العوامل السالفة الذكر ، في المعادلة السياسية الأمريكية ، تترجم عملياً وبصورة إجمالية الى شلل سياسي وعجز السلطة التنفيذية عن المبادرة والحسم . وبالنسبة لكارتر وادارته ، تعني محاولة تطبيق برنامج بروكينجز ، فتح معركة متعمدة وشائكة ومفتوحة مع حشد من القوى السياسية داخل المؤسسات الرسمية وخارجها . وان ما سيضطر لتقديمه كارتر ومساندوه والقوى الداعمة له ، في سياق معركة مديدة وصعبة كهذه ، من تنازلات ومقايضات وخسائر ، تمثل ثمناً باهظاً بالنسبة له وعبئاً على مصالحه شخصياً ومصالح

مؤيديه . واذا ما دخل كارتر معارك كهذه ، قد يخسر الانتخابات الرئاسية المقبلة إذا ما قرر خوضها . ولهذا فإن من الأيسر والأدعى للراحة الخضوع لتصلب بيجن وضغط السادات ، بدلا من العكس . فهذا العكس سيجر عليه معركة سياسية داخلية هو لا يريدتها .

وفي الحقيقة أن اسرائيل قد وصلت إلى حد تضيق مجال الخيارات السياسية الاميركية تجاه العالم العربي . أي أن اسرائيل قد قيدت ، بصورة متزايدة ، يدي الولايات المتحدة فيما يتعلق بالنزاع العربي - الاسرائيلي / الفلسطيني الصهيوني . وعلى سبيل المثال ، من أجل تنازل ثانوي في مجال الانسحاب من سيناء ، أجبرت اسرائيل الولايات المتحدة على الالتزام بعدم اقامة اتصال رسمي بـ م . ت . ف . وهذا الأمر قدم لنا مشهداً سوقياً من الاتصالات غير المباشرة ، والسرية والمتوية بين م . ت . ف . والولايات المتحدة . والأمر الأكثر أهمية ، أن اسرائيل كنظام استعماري استيطاني تملك دينامية خاصة بها ، أي قوانين حركتها الخاصة ، التي تتناقض ، تناقضاً ثانوياً ، مع دينامية الامبريالية .

إن الاستعمار الاستيطاني يتميز بغزو الأرض ، والتغيير السكاني ، ( استبدال السكان المحليين بالمستوطنين ) ، وبالتفريغ غزو واستغلال العمال المحليين . وفي العادة يكون هذا مرتبطاً بالاستراتيجية الامبريالية الشاملة وجزءاً صغيراً منها ، تلك الاستراتيجية التي تقضي باكتساب السيطرة الاقتصادية والسياسية وحتى الاجتماعية على المناطق غير الأوروبية . إن المستوطنين يشكلون الشرطة المحلية للامبرياليين . ومع ذلك ، عندما يكتسب السكان المحليون قدراً كافياً من القوة يتحدون بها المصالح الامبريالية ، يجري التضحية بالمستوطنين ، من أجل الوصول إلى ترتيب علاقات جديدة مع السكان المحليين الناهضين . لقد كان هذا ما جرى في فرنسا الديغولية بالنسبة للجزائر . وهذا ما جرى في كينيا وفي روديسيا مع الحكومة البريطانية . وحتى ما جرى مع بريطانيا في فلسطين عام ١٩٣٩ و١٩٤٥ - ١٩٤٨ . فعندما يبدأ السكان المحليون بتهديد المصالح الموضوعية العليا في البلاد وفي الخارج ، يصل التناقض بين الامبريالية والاستعمار الاستيطاني الى حد الصدام : المنظمة العسكرية السرية الفرنسية في الجزائر ضد الجيش الفرنسي ، الارغون ضد الجيش البريطاني . فعندئذ فقط يتم التضحية بالمستوطنين لصالح الترتيب الاستعماري الجديد للعلاقات مع السكان المحليين .

بالنسبة للولايات المتحدة واسرائيل ، برز هذا التناقض بشكل جنيني . ومع ذلك لا تزال اسرائيل هي الشرطة المحلية الرئيسية . فلا العرب ( السكان المحليون ) أقوياء بصورة كافية لتحدي مصالح الولايات المتحدة ، ولا يوجد حلفاء عرب ( سكان محليون ) مؤثوقون ومتمتعون بالاستقرار ، لأداء نفس الوظيفة . ولهذا ستحاول الولايات المتحدة كبح دينامية الاستعمار الاستيطاني ، ومنعه من تجاوز الحدود المناسبة ( هكذا وصلت الولايات المتحدة إلى اعتبار المستوطنات الاسرائيلية في الضفة الغربية وقطاع غزة ، « غير شرعية » ) ، بحيث تؤدي إلى زيادة سوء العلاقات بين العرب ( السكان المحليين ) والاميركيين ( الامبريالية ) . وهكذا يصبح من الضروري انقاذ اسرائيل من نفسها حسب ما ورد في مقالة شهيرة لجورج بول ، أحد الرسميين العاملين في السياسة الخارجية الاميركية ، نشرتها مجلة فورين افيرز ( الشؤون الخارجية ) . إنه خادم جيد ومخلص للمصالح الاميركية الاحتكارية الدولية .

وهكذا فإن الولايات المتحدة تبنت موضوعياً خطة ييجن للحكم الإداري الذاتي . وانها – مثل إسرائيل – تسعى للعثور على فلسطيني أو فلسطينيين يتقبلون بعض هذا الحكم الذاتي الإداري . الولايات المتحدة تبحث حقا عن موزيروا فلسطيني .

وخلاصة القول أن المصالح الرأسمالية ذات الاتجاه النولي في الولايات المتحدة ، تدرك جيدا ما يمثله من تهديد لمصالحها الافتقار الى تسوية ثابتة ومديدة في الشرق الأوسط ( تشتمل على حق تقرير المصير للفلسطينيين ) ، لكنها مع ذلك عاجزة عن تطبيق كلامها ، لماذا ؟ بالضبط بسبب شللها .. إنها مرة أخرى أزمة الحكومة Governability وأزمة القوة .

ان الولايات المتحدة لا تمتلك في أيديها ٩٩٪ من الأوراق . بل انها بالكاد تملك أيا من الأوراق المتعلقة بحل المشكلات الخاصة بالشرق الأوسط وفلسطين . وكأئمة ما كانت قوة الولايات المتحدة ، فانها تستخدمها لابتزاز التنازلات من العرب لا من الاسرائيليين ، كما أصبح السادات يعلم الآن .

إنه هذا الشلل بالذات ، الذي أخرج الى العلن الجدل الحكومي الداخلي حول استخدام القوات المسلحة الأمريكية في الشرق الأوسط . وان خطوط المعركة في هذا الجدل قد رسمت ، حيث الخارجية ضد مثل هذه الروح المغامرة ، وحيث مجلس الأمن القومي والبنجاجون مع ، وكلاهما من الصقور المعادين للسوفييات ، وعموما من المعادين للعرب وللفلسطينيين . وهذا الجدل بين مؤيدي التدخل العسكري الأمريكي الفعلي في الشرق الأوسط وبين معارضيه قد بدأ للتو ، ولم يتحول بعد الى سياسات . وإذا اخذنا في الاعتبار ما وصفناه آنفا من معاناة الولايات المتحدة لازمة القوة ، ولأزمة الحكومة Governability ، والشلل السياسي ، فاننا لا نتوقع أن تكون السياسة التي ستنمخض عن هذا الجدل ، حاسمة وقاطعة على أي حال . السياسة التي ستنمخض ، قد تكون عالية الصوت ، لكنها في الميدان العملي المحسوس قد تكون ضعيفة ومتقلبة .

الاستراتيجية الفلسطينية في هذا الوضع التاريخي ، لا ينبغي تشييدها على اتصال أمريكي لا يستطيع أن يقدم الحل . والأصح أن تبني على استثمار التناقضات سواء العالمية أو الاقليمية أو المحلية ، التي ظهرت نتيجة للأزمة في الرأسمالية العالمية والأمريكية . انها بايجاز التناقض بين الرأسماليات الأوروبية/ واليابانية/ والأمريكية ، والتناقضات بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفيياتي ، والتناقضات بين الكولونيالية الاستيطانية الإسرائيلية وبين الامبريالية الأمريكية . وينبغي على الفلسطينيين أن يسعوا حثيثاً لوضع استراتيجية توصل العرب الى استخدام أسلحة النفط والقوة المالية ، ولإحباط المقولة الأمريكية قبل كل شيء ، مقولة أن المال والسياسة ، والنفط والسياسة ، لا يقتربان . وعلى الفلسطينيين بدلا من ذلك تأكيد الصلة الوثقى بين النفط والسياسة ، بين المال والسياسة ، والسياسة والبنقوية .

على الفلسطينيين تصعيد هذه التناقضات ، وشحذ حدتها ، بحيث لا يعود في وسع الولايات المتحدة الحصول على النفط ، ودولارات التحويل ، والاستقرار السياسي ، معا ، كلها معا ، وفي الوقت نفسه .

## ماري إيلين لاندستين

### من المستنقح رجوعاً إلى الأمبراطورية استراتيجية المقايضة الأميركية أثناء "عصر المفاوضات" ١٩٦٩-١٩٧٩

في ربيع ١٩٦٩ ، مثل وزير الخارجية الأميركية المعين حديثاً ، وليم روجرز ، أمام لجنة العلاقات الدولية في مجلس الشيوخ ، حيث كان ممثلاً للإدارة قد تعوبوا ، في السابق ، على الاستجابات القاسية والحقودة .

وحين طلب إليه أن يفصل تأكيدات الإدارة الجديدة بشأن المفاوضات المتعلقة بالنزاع ، أعلن روجرز الهدف الذي ترمي إليه الإدارة الجديدة في الشرق الأوسط : « لقد عرف بوضوح وبساطة على أنه التوصل إلى سلام عادل ونهائي » ( وفي التحضير للدور الذي اعتقد أنه دور رئيس الدبلوماسية الأميركية ، أعترف روجرز في مقابلة عرضية : « علي أن أتعلم لغة من المصطلحات الكاملة الجديدة ، لأنني لست معتاداً ، على الإطلاق ، على اللغة الدبلوماسية » ) .

في ربيع ١٩٧٩ نظم كل شيء بسرعة في البيت الأبيض ، وكانت اللغة الدبلوماسية في ذلك الحين قد تطورت إلى مستوى جديد ، فآنذاك بدت اللغة الدبلوماسية ، وبشكل يلائم خطورة المرحلة ، رائعة مليئة بالايقاع الديني الغزير ، ومؤهلة لأن تستعمل في الاعلان عن تحقيق اطار السلام العادل والنهائي . وإذاك شكلت مصر واسرائيل شراكة جديدة ، وتم تجهيز رأس المال المندمج بضمائنات أميركية عسكرية واقتصادية وسياسية .

في المناسبتين معاً ، واللتين فصلت بينهما مئات الساعات من الطيران المكوكي واجتماعات القمة ، وآلاف الضحايا في ايلول الأسود ، وعبور القناة ، والحرب « الأهلية » في لبنان ، وملايين الانشآت في أعمدة الصحف التي تعلن عن « عصر المفاوضات » وفي المناسبتين كان يمكن للمستمعين أن يتذكروا تعريف جوزيف كونراد للعبارة الدبلوماسية : « العبارة التي هي صحيحة في كل شيء إلا في الغرض الذي يقف وراءها » .

ويبدو ، على قاعدة أكثر نقدية وتماسكاً ، أن أولئك المعنيين بالعدالة والقدرة على إحلال التسوية ، يقومون اليوم ، وبشكل يقظ ، بامتحان « الغرض » بعيد الأمد وراء هذا العقد

الدبلوماسي ، أي ، الاستراتيجية التي كانت تقف وراء العبارات الأمريكية والأحداث الشرق أوسطية منذ ١٩٦٩ .

هذا التقييم يتطلب ، أولاً ، إيضاح الفروقات الإجرائية أو « التكتيكية » التي ربما استترت وراء دائرتي الاهتمام الدبلوماسي قصيرتي الأمد ، حيث تشكل الأولى سنوات قيادة نيكسون - كسنجر - فورد ، وتشكل الثانية سنوات كارتر - بريجنسكي .

ثانياً ، على التحليل أن يميز مثل هذه الفروقات التكتيكية عن الاتجاهات متوسطة الأجل ، الأمر الذي يتطلب تصوراً موجزاً عن الالتزامات الثابتة ، والتي ستشكل العناصر الاستراتيجية الدائمة في تكوين السياسة الأمريكية في الشرق الأوسط على مدى العقد المقبل .

وأخيراً ، فالتقييم يتطلب فهماً للعملية الطويلة الأجل ، والتي من خلالها تخضع الاستراتيجيات التي كانت قائمة ، للتغيير . وتحليل « الاستراتيجية العظمى » لأمريكا يتطلب تفحصاً للمفهوم المركزي المنظم وللروابط المنطقية التي تشكل بنيته .

ومن ثم يمكن النظر إلى المفاوضات بوصفها فرصاً أمام الدبلوماسيين لامتحان مقترحاتهم العلمانية بالنسبة لحلفائهم وأعدائهم ، خصوصاً ما يتصل بمدى رد فعل كل منهم على أشكال الإغراءات والعقوبات المتنوعة . هذه المفاهيم والعلاقات المنطقية تشبه بنية ما يسمى في العلوم بـ « النماذج »<sup>(١)</sup> ، ففي نقطة محددة يتم تنظيم الفكر والتطبيق العلميين بنموذج شمولي واحد يسيطر على البحث ويتقدم ، حتى حين يبدأ بمواجهة الحالات الشاذة . والاستراتيجيات العظمى ، شأنها في ذلك شأن النماذج العلمية ، تصطدم بالعضلات حين تحيط بعملياتها « الحالات الشاذة » عن التوقعات التي خرج بها صانعو السياسة على ضوء المفهوم الاستراتيجي المسيطر .

قد يطرح ، هنا ، ان استراتيجية السيطرة التي قامت عليها السياسة الأمريكية الكونية في الستينات ، وجهود المفاوضات الأمريكية في الشرق الأوسط أثناء العقد الماضي ، قد بدأت تواجه مثل هذه الحالات الشاذة . وقد كتب زيجنيو بريجنسكي ، المستشار الحالي للأمن القومي الأمريكي ، في ١٩٧٠ عن التوتر الذي تولده هذه الفوضى ، في الدوائر السياسية ، قائلاً :

« ... لفترة من الزمن ، يقوم الإطار المؤسس ، ويففعول رجعي ، بدمج الجديد ، عن طريق تكييفه بشكل أكثر إلفة ، لكن عند نقطة معينة ، يصبح الإطار القديم محملاً أكثر مما يطيق . ويمتنع الزاد الجديد عن أن يعرف بأشكال تقليدية ، وبالتالي فهو يؤكد نفسه بقوة جبرية » ( بريجنسكي ١٩٧٠ ، ص ٢٧٤ ) .

ويمكن إيضاح الاستراتيجية المطلوبة لمواجهة نموذج السيطرة الضخم ، من خلال تحليل توماس كوهن عن الثورات بنماذج علمية . فالأنوار التكتيكية المتخصصة والملائمة يمكن أن تكون من حصة العناصر المكونة العديدة لحركة المقاومة كوسائط قصيرة الأجل للتقدم نحو الهدف البعيد ، وهذا الهدف لا يكون أقل من استبدال النموذج المسيطر بأخري عبر المطالب العادلة للأغلبية الكونية ، ويكون نموذجاً مقرباً اجتماعياً أكثر منه عسكرياً .

ويكشف تحليل الدائرتين قصيرتي الأجل في محاولات نيكسون - كسنجر - فورد

وكارتر - بريجنسكي ، لاجراء مفاوضات بشأن تسوية في الشرق الأوسط ، عن تشابهات اجرائية ، وفروقات أساسية تشير الى تكون نمط جديد من الامبريالية .

ويمكن تبين أربعة أطوار في عملية المفاوضات في الدائرتين الديبلوماسية الأخرتين معا . فالطور الأول والذي هو الانخراط الأولي يتألف من ثلاثة « حبال » تلف المفهوم الاستراتيجي المسيطر ، وأحد « الحبال » الديبلوماسية هو وضع العبارات المبدئية ، واضفاء الشرعية على اندفاع الاستراتيجية الأمريكية بمحاولة الحصول على تأييد عالمي . والمجموعات التي توجه إليها أساساً مطالبة التأييد هي الاعلام الدولي ومجموعات الحقوق في الغرب المعنية بالأمر ، بالإضافة إلى النخب المتغربة في المناطق ( المعنية ) .

في الوقت نفسه تستعمل القدرات العسكرية الاسرائيلية التي استثمرتها الادارات الأمريكية سابقاً ، لمعاينة الخصوم العرب ، وخصوصاً أولئك الملتزمين بمواقع أيديولوجية - تاريخية غير ممتلئة ، وبالتالي يتم الامسك بلائحة القضايا التي تتم عليها المقايضة عشية التفاوض .

ومن موقع مركزي في السيطرة ، ضمن جهاز الامن القومي الأمريكي ، يمكن للمفاوضات أن تضم في فعاليتها « جزر » الاقتناع من قبل الزبائن ، « وعصا » ضربات القصاص الاسرائيلي .

ويقدم الطور الاستراتيجي الثاني بنية مجريات التفاوض : تقرير الحد الأدنى من الأعضاء الذين يلعبون الدور النقدي المطلوب لجعل الاتفاق ناجحاً . وتتبع الفرضيات العملية المنتقاة من المفهوم العام ، كوسيلة لامتحان تكيف اسرائيل والدول العربية لأدوارها في النظام المتطور . في هذا الطور تنبع البديهيات الاستشراقية عن العالم العربي ، من المتطلبات الاستراتيجية ويتم تعيينها على يد « حكمة موجودة » منذ قرنين من الثقافة المدرسية الاستعمارية - مع دعم مؤسساتها ، مؤسسات العرقية والحكم البيروقراطي .

الطور الأخير ، وينسجم في ( عهد ) إدارتي نيكسون وكارتر مع تحضيرهما لاعادة انتخابهما ، ويستلزم تبريراً للسياسات التي اتبعت والمقايضات التي حدثت وهكذا تقدم فرصة موازية للمدافعين السياسيين عن مدارس استراتيجية معارضة ، لكي يفضحوا أخطاء النظام القائم وي طرحوا صلاحية بديلهم المفضل .  
دائرة مفاوضات نيكسون - كسننجر

يمكننا أن نبدأ بتحليل أكثر تفصيلية لهذه الأطوار من خلال مراجعة أهداف السياسة الشرق أوسطية التي تطورت في السنوات الأولى من ( عهد ) إدارة نيكسون . فقد كان من الواجب أن تطبق قوة أميركا ، التي لا تزال مسيطرة ، وبالحد الأقصى من الفعالية لخلق توازن جديد بين المصالح الدولية العظمى .

وفي مناطق المواجهة الحادة مع الاتحاد السوفياتي والصين ، كان على الولايات المتحدة أن تحافظ على سيطرتها حيث ثمة ضرورة لذلك ، من خلال الطاقة السياسية والعسكرية لزبائنها المحليين ، وكانت تقدم تجزئة المنافع على مجموعة من القضايا الاقتصادية والجغرافية الأخرى ، بوصفها وسيلة لاستمالة هذه القوى كي تقبل باستمرار السيادة الأمريكية وقد اعتبر

الصراع العربي - الاسرائيلي « برميل بارود » بحيث أنه إذا ما استمر سيعطي السوفيات فرصة كي يقوبوا « قوى الفوضى في عالم يناضل من أجل النظام » . ومنذ تعيين كسنجر مستشار نيكسون للأمن القومي ، أخذ على عاتقه مسؤولية الجوانب الأمنية في الشرق الأوسط ، وخصوصاً لجهة حجز التقدم الثوري الذي سيدمر ، بالتعريف ، الهدف الأميركي في « الاستقرار » .

ومن الحيوي أن تتبع الادارة الجديدة سياسة ليندون جونسون في الدعم الأميركي العسكري والديبلوماسي المكثف لاسرائيل ، لكن « موجودات المقايضة » التي حصلت عليها اسرائيل في حرب ١٩٦٧ ، ستستعمل في الدفع نحو سلام نهائي على أسس مثل بالنسبة لمصالح الولايات المتحدة .

هذا الهدف الاجمالي ، والضمانة المحددة ببقاء التفوق العسكري الاسرائيلي ، شكلا استراتيجية ديبلوماسية أميركا عبرت عن نفسها في ثلاثة اتجاهات :

#### الطور الاولي : الانخراط الديبلوماسي

حلت على وزير الخارجية وليم روجرز مهمة ديبلوماسية هي توليد دعم دولي أعرض عن طريق « الكبيرين » و « الأربعة الكبار » للمحادثات حول فرض قرار مجلس الأمن ٢٤٢ (٢٤٢) . وكان الهدف من تعددية الأطراف المسيطر عليها ، هذه ، تحويل الاصرار الاسرائيلي على المفاوضات العربية - الاسرائيلية المباشرة ، ريثما يصبح بالامكان توفير كل عناصر السياسة الواقعية المطلوبة لاحلال نظام الهيمنة الأميركية الجديد . والتوجه القائم على تعددية الأطراف المسيطر عليها هذه ، كان يهدف لاقتناع القادة العرب المحافظين بسياسة « اليد العادلة » الأميركية ، وأصبحت مهمة روجرز أن يصب في القنوات الديبلوماسية متطلبات السياسة الواقعية في الدعم الأميركي الكثيف للتفوق الاسرائيلي العسكري ، ووقف الضغوط الدولية المتزايدة على إسرائيل ، وفي الآن نفسه ابقاء آمال الأربن ومصر مرتبطة بأفق مثل هذا الضغط الدولي الذي توجهه الولايات المتحدة . هذه « المحطة الامامية » المعقدة تعثرت ليس بسبب عدم كفاءة روجرز أو مخاضات التعددية كما تمثلت في جهود يارنغ ، بل بسبب « محطة خلفية » محسوبة بشكل أكثر مباشرة هي التي أنشئت من خلال كسنجر وتواطؤ الاستخبارات الاسرائيلية - الأميركية ، وبشكل ملحوظ الجهاز الخاص بجيمس انجليتون ، صلة الوصل بين مكافحة التجسس الأميركية والاستخبارات الاسرائيلية .

والدافع الأول أو الدافعان الأولان وراء انشاء هذه « المحطة الخلفية » نشأ عن رغبة اسرائيل في إذلال مصر والجناح الأكثر نضالية في الجيش البعثي السوري ، وبعد ذلك ، توجيه تحذير مسبق للنظام السوري الجديد « المعتدل » بصدد مخاطر العمل المستقل .

في الوقت نفسه أرادت اسرائيل أن تستأصل علم القومية العربية الذي أعمات المقاومة الفلسطينية رفعه .

وهكذا تم توسيع هجمات القصف ( الاسرائيلية ) على البنية التحتية المصرية والرادار الدفاعي ، في عمق الأرض المصرية ، وقتل أربعة آلاف مصري كانوا يعملون بشكل محموم لتثبيت الجهاز الدفاعي الجوي الجديد .

وحيث تكاثرت نشاطات الفدائيين الفلسطينيين المنطلقين من نقاط داخل الأربن ، قدمت

للحسين ضمانات اسرائيلية باحباط أي هجوم سوري مضاد إذا ما هو تحرك لسحق حركة المقاومة<sup>(٤)</sup> ( شيبهان ١٩٧٦ ص ١٣٧ - ٩ ) وفي العملية لا بد أن يقود الاعتماد السوري على العرب السوفياتي المتردد إلى المزيد من شعور السياسة السورية بالخوف .

أما الدافع الحيوي الثاني وراء « المحطة الخلفية » فقد وفره الموظفون المتوسطون ورسميو السفارة الاميركية داخل مصر . فالاقتصاد المصري كان قد حلل في عدد متتال من الدراسات التي استنتج معظمها أن إعادة ضخ الرساميل من الغرب وإعادة توجيه الاقتصاد المصري نحو الغرب يمكن أن ينعشا الانتاج المصري . وبدأ رجال أعمال مطلعون من أمثال دافيد روكفلر وجون ماكلوي وروبرت اندرسن يزورون مصر بين الفينة والأخرى ، وقام الاخصائون بالشؤون العربية في وزارة الخارجية منذ أواسط الستينات ، بصياغة الهدف العملياتي لشق مصر عن التضامن القومي العربي مع القضية الفلسطينية ، وباتجاه خيارات تنموية « واقعية » .

وهكذا فحين رفض السوفيات خطة محطة « الواجهة » التي طرحها روجرز ، أرسل وزير الخارجية المساعد جوزيف سيسكو إلى القاهرة ليفتح للولايات المتحدة ممرا مباشرا ، وعلى أعلى المستويات ، مع عبدالناصر .

مع فرض أول وقف لإطلاق النار حول القناة ، ومع أزمة الأردن ووفاء عبد الناصر ، جهز الأساس لنظام استراتيجي اميركي من ثلاثة أقسام في الشرق الأوسط . وقدمت الفترة الممتدة بين خريف ١٩٧٠ و١٩٧٣ فرصة لقرع الناكوس من قبل الادارة الاميركية ، فالادارة التي اتجهت نحو العناصر الأخرى في الاستراتيجية الكونية ، استطاعت في الآن نفسه أن تمتحن مدى ملاءمة تطور بنية الهيمنة في الشرق الأوسط .

لقد بدأت لغة توازن القوى العلنية تسيطر على النقاشات الاستراتيجية الدائرة حول تصور مركزي : ان موقع التفوق السياسي العسكري لأميركا يمكن الحفاظ عليه إذا ما تم تقديم تنازلات غير أساسية في الاقتصاد والنفوذ الجغرافي للمنافسين والزبائن المختارين . أما اسرائيل بوصفها النقطة الثابتة التي تدور حولها قوى موازنة صغرى في الشرق الأوسط ، فيجب أن تنمى وتستمر في تلقي المعونات من طائرات الفانتوم الاميركية المقاتلة والقاذفة ف ٤ ، وبشكل كلاوزفيتزي ثابت بهدف رفع تأثير قوتها الحقيقية الى الحد الأقصى من خلال الحرب النفسية .

وهكذا فحين وقعت مصر على المعاهدة السوفياتية - المصرية ، تحركت اسرائيل بهدف مفاجمة الشعور المصري بالخسارة الجغرافية من خلال بناء ميناء ياميت ، الأمر الذي انضاف إلى عزلة مصر عن غزة وجعل مصر أكثر ترحيبا بمبادرات الوزير روجرز الجديدة حول « الحل الجزئي » وتحديد وقف إطلاق النار ، ودفع مصر إلى إعادة فتح القناة وعرض انسحاب اسرائيلي محدود من الأراضي المصرية في سيناء .

وكتمهيد لزيارة روجرز ، توصل مبعوث اميركي بدرجة وزير إلى حد إقناع وزارة الخارجية المصرية بـ « خطتها المزمع في العرض » ( عرض القضية ) حتى انه عرض تقديم مسودة اقتراح التسوية بنفسه .

كذلك كان للعائلة السعودية المالكة دوراً أكثر حيوية في تمرير الرسائل من الولايات المتحدة إلى مصر . فكمال ادهم ، صهر فيصل ، والذي يشرف على الاستخبارات السعودية ، قال للسادات في تشرين الثاني ١٩٧٠ إلى أي حد يؤدي الحضور السوفياتي في مصر إلى « تعقيد » مساعي السلام الأمريكية . والسادات العاجز عن تخطئة انحياز وجهة النظر السعودية إلى هذه المساعي ، أجاب بأنه سوف يطلب من السوفيات أن يغادروا بعد الانسحاب الاسرائيلي الأول . ويعد ذلك أعلن السادات عن تصميمه على عدم السماح لأية دائرة منافسة على السلطة أن تتمثل في القيادة المصرية وذلك من خلال اقضاء مجموعة علي صبري . وبعد قليل قام فيصل بنقل الاهتمام الأمريكي الرفيع في مصر ، علما بوجود المشكلة الاضافية حول المعاهدة السوفياتية - المصرية الجديدة ( هيكل ١٩٧٥ ص ١٤٦ ) .

بعد وقت قصير على هذه الأحداث ، تم الكشف عن جاسوس معاد للسوفيات يرتبط بشبكة السي . أي . إي داخل مصر ( المرجع السابق ص ١٤٩ ) .

أما اقتراح إرسال موفد مصري يلتقي شخصياً بكسنجر فقد وضع في خلال عام ١٩٧٢ ، وهو الذي توج نفسه بمحادثات شباط ١٩٧٢ التي لم تظهر نتائجها المثمرة بشكل مباشر ، والتي كان قد رتبها رئيس ( شركة ) البيسي دونالد كندال ، بين نيكسون وكسنجر وحافظ اسماعيل ، زميل كسنجر بوصفه مستشاراً رئاسياً للأمن . في الوقت نفسه كانت تسير المفاوضات مع روجرز حول « التسوية المؤقتة » وبدأت ثقة السادات بالقيادة السوفياتية وعلاقاته الشخصية معها تتميز بتدهور ملحوظ . وحين قام السادات بفصل الطاقم العسكري المصري ، أخبر الصحافة بأنه تلقى « رسالة من تحت الطاولة » من واشنطن تذكره بأن مفتاح الوضع في الشرق الأوسط هو في واشنطن ( هيكل ١٩٧٥ ص ١٤٩ - ٢٠٢ ) .

لقد أمسك بالسادات بـ « كماشة » الحرب النفسية الاسرائيلية - الاميركية ودفع به في وجهة غربية عن طريق السعوديين الذين كانوا القادرين على حل مشاكل مصر منذ ١٩٦٧ ، وكان كل ما يأمله السادات أن يكون ذا جانبية اعظم من جانبية حسين بالنسبة لدور زيون أميركا العربي الأول . واستجاب السادات بالتظاهر بأنه يحيي القدرات العسكرية المصرية من خلال عملياته الدراماتيكية « بدر » التي استعرضت المبادرة المصرية والقدرات الأمنية والأهداف الاستراتيجية المحدودة .

وقد بدأ استئناف المفاوضات ، التي كان يمكن من خلالها تطبيق مضامين عمليات « السياسة الواقعية » لكسنجر على ميدان المفاوضة ، مع وقف إطلاق النار الذي تلا حرب تشرين ١٩٧٣ والمقاطعة النفطية التي صاحبته . وفي ١١ تشرين الثاني ، حين وقع السادات اتفاقية وقف إطلاق النار ، كان قد تخلى عن اصراره على عودة اسرائيل إلى خطوط ٢٢ تشرين الأول ، ووافق كذلك على تجديد العلاقات الديبلوماسية الكاملة مع الولايات المتحدة . وفيما ألزم مصر بتفريغ القناة واقامة منطقة منزوعة السلاح مع خفض القوات في سيناء الى قرقتين ، ويدفع السادات باتجاه التحرك السريع نحو اتفاقية فصل للقوات هي التي وقعت في ١٨ كانون الثاني ١٩٧٤ .

وقد اثبت الزبائن العرب الآخرون انهم أكثر صعوبة ، وكان الرئيس السوري الأسد ، وبشكل واضح ، مرشحاً أكثر تردداً لتلقي مهارات كسنجر في الوساطة . فقد اتخذ موقفاً

علينا ثابتاً من مسألة المشاركة الفلسطينية في مؤتمر جنيف ، وكان قبل ذلك قد جدد القتال على جبهة اسرائيل الشرقية .

ومن تكتيكات « سياسات الجوار » في مبدأ السياسة الواقعية ، جيء بالضغط الحاسمة التي القيت على نقاد سوريا من العراقيين ، عن طريق الدعم الأميركي - الإيراني للانفصاليين الاكراد ، كما مهدت الأزمة المتصاعدة في لبنان بالتدخل الاسرائيلي في « الخاصرة » السورية ( موريس ، ١٩٧٧ ص ٢٧٧ - ٢٧٨ ) .

وقد بدأ موقع حسين يتآكل مع رفض اسرائيل لخطة اريحا في تموز ١٩٧٤ ومع تأجيل الموضوع في ايلول . من ثم استطاعت الدول العربية في قمة الرباط ، ومن دون أفق واضح لاجراء مفاوضات شاملة ، لأن تحمي حدودها السياسية بالاعتراف بمنظمة التحرير الفلسطينية بوصفها الممثل في المفاوضات عن الضفة الغربية وقطاع غزة، وهكذا وجد حسين « عميل العميل » نفسه مؤقتاً مدفوعاً إلى الوراء في صفوف المقايضة . وكانت موازنة كسننجر لمصالح الدولة ، تهدف إلى تأمين « الجبهة الشمالية » التي كان عبد الناصر قد سدها قبل سنوات .

الذي يمكن إنجازها الآن ، إذا أخذنا بالاعتبار الصورة الجديدة في الشرق الأوسط ، هو إعادة ترتيب موقع مصر مع باقي الزبائن العرب خطوة فخطوة . هذه الهندسة الاستراتيجية استدعت حكماً ملحقة عن قابلية الثقافة والشخصية العربيتين لمثل هذه التحولات السياسات . وبقي جهاز كسننجر من « الواقعيين » حذراً على العموم من أن عقود التوجه المعادي للامبريالية من خلال القومية العربية ، لن ينوي بين ليلة وضحاها ، لكن تقليداً أطول في الاستشراقية المدرسية الذي كان قد تطور على امتداد ثلاثة قرون ليخدم نظام الدولة الغربية المتوسع ، قدم مجموعة اكثر تنوعاً من التوقعات بالنسبة للسلوك العربي .

هذه الهندسة قد تخدم في مواجهة التضامن القومي العربي والوحدة الثقافية بالشكل الذي طرحهما ناصر .

وكان جلياً في سلوكية كسننجر في مواجهة العالم العربي أن ثمة آثاراً في الهندسة الالراكية - الحسية التي كان كتاب ابوارد سعيد « الاستشراقية » قد حددها . فالواصفات التي نسبها كبار المدرسين للعرب كانت تتضمن السمات الثقافية للشهوانية والذهنية الشاذة والطغيان والاعتلال المزمّن والتخلف ( سعيد ١٩٧٨ ص ٢٠١ ) ، وفي بيروقراطية الشؤون الخارجية ، حيث يجب عقلنة المصالح المتضاربة وتبرير الاجراءات القهرية ، يتم « شحذ واستثمار » هذه الصور والسمات على يد التفكير العرقي ( ارندت ١٩٥١ ، ص ٦٣ ) . هذه الهندسات التي تجد أصلها في المدرسية الأوروبية العظمى ، وجدت طريقها إلى بيروقراطية الأمن القومي الاميركي عن طريق إشراف الحكومة على مراكز التدريب . فكما كان متوقعا ، تم وصل المفاهيم المترابطة بالتعقيد البنيوي المطلوب والتقريبية الحديثة في العلوم الاجتماعية .

لكن بغض النظر عن التنصل الدفاعي ، فإن النمط الأساسي الذي لم يكشفه سعيد ، واضح في محلي العلوم الاجتماعية المدرسين والذين خدموا آلة السياسة الأميركية في الشرق الأوسط .

وفي التحليل البنيوي للصراع العربي الاسرائيلي تنقسم تراكيب الاستقطاب ، فتكون الثنائية الاساسية بين الشرق والغرب ، بين الخيال والعقلانية ، وبين المرض والصحة .

لقد سئل صانعو السياسة في مؤتمر عقد قبل سنوات عديدة وأشرف عليه غوستاف فون غرونباوم من خلال شل الدولية ومدرسة الدراسات الشرقية والافريقية في لندن ، أن يدرسوا العلاقة بين « الحرب والتقنية والمجتمع في الشرق الأوسط » ، والمنطق التالي تقدمه كأحد الايضاحات على المجتمع « الحربي » المفترض في العالم الاسلامي :

« ... لقد مالت بعض الدراسات الانثروبولوجية الاخيرة لأن تعطي بعض الوزن الجدي لآراء اوروبيي القرن التاسع عشر الذين قالوا أن بنية العائلة الاسلامية ، وموقع النساء في القانون ، والأبوية الصارمة ، والتركيز الذي تحظى به فضائل الذكورة ، تعطي المجتمع الاسلامي طابعاً طغيانياً عدوانياً يعبر عن نفسه بشكل طبيعي في الحرب » مقابل هذا النمط الاجتماعي ( القائم على ) « الخيال » العربي الانعكاسي ، وضعت اسرائيل « الواقعية » التي يوازن قاداتها بشكل دقيق بين « الرؤية الشاملة الثابتة والمهارات التكتيكية » ، ومع الاقرار ببعض الخصائص الجغرافية فان المعالجة على أساس الثنائية تبقى شيئاً ثابتاً .

واستناداً إلى انوارد شيهان ، نصح كسنجر بأن يتعاطى مع سوريا من ضمن الاقرار بـ « المشروطيتين التوأمين » في « العقل المشرقي » : « أعراض البداية » « وأعراض القسبة » ، والمقايضة مع المشرق تتطلب مفاوضاً يميز « الملاحكة » في طباع القسبة عن العودة عن الخطأ التي تستدعي الطباع البدوية من أجل إنجازها تدخل الوسيط ( شيهان ١٩٧٦ ، ص ١١٩ - ١٢٠ ) وقد حاضر في ايار ١٩٧٩ باحث في قسم INR في وزارة الخارجية وكان ذلك في إحدى الجامعات الأمريكية عن النظرة العالمية السعودية بوصفها تنقسم إلى دار الحرب ودار الاسلام ، مع تقديم مجموعة متوازنة من الازمات التي تزود بمعنى التركيز على الحرب وعلى ديناميكيته .

وفي درسه العظيم لعلم فقه اللغة عند الشرقيين ، وللانثروبولوجيا والتاريخ ، اعاد سعيد دمج عنصري الفصل الثنائي المزيف للثقافة العربية ، كاشفاً عن التصور المركزي الراهن لدى الاستشراقين بالنسبة للمجتمع العربي ، فالعربي وعلى الصعيدين الشخصي والسياسي ، يتم النظر إليه كخليط شاذ من العدوانية الذكورية والسلبية الانثوية ، وهو خليط يستحيل الى عجز على المستوى السلوكي .

وينظر ضمناً إلى الزبائن العرب بوصفهم سلبيين ويمكن معالجتهم من خلال المداينة والاعراض المادية . وهذه السلوكية الشبيهة بسلوكية الالعوبة يمكن أن تخفي نفسها بلغة تقريرية ، حتى حين يكون الزبون العربي إياه خاضعاً لحكم السلطة الغربية ، ويجب التودد للزبائن العرب الذين يجب « كسبهم » من موقع ثنائيتهم هذه .

وقد قال شيهان ان تقنية كسنجر في ممارسة السحر والتعذيب الشخصيين قد استعملت لهذا الهدف في أثناء زيارته إلى دمشق في ايار ١٩٧٤ . وقد قيل عن كسنجر أنه التفت إلى عبد الحليم خدام « وزير خارجية الأسد الشاب الذي يتنفس ناراً » وقال له : « مثل هذه العيون الزرقاء الجميلة ( ... ) لن تأتي معي إلى اسرائيل ؟ سأرتب أمورك مع غولدا » . وفي مناسبة

وصف شيهان كيف أن كسنجر « أخرج دفتر ملاحظات أسود من جيبه وقال لخدام : في هذا أكثر أرقام التليفونات حرارة في واشنطن ، وحين توقع الاتفاقية تصبح ملكاً لك » ( شيهان ١٩٧٦ ص ١٢١ ) وعلق جورج بول على موقع الأسد بين غروميكو وكسنجر « شعر غروميكو بأنه مضطر لأن يسافر عدة مرات إلى دمشق ليرى الرئيس الأسد ، وفي كل مرة كان يصل بعد كسنجر الذي - كما قال أحد الأنكياء - يكون قد ترك البلدة وكأنه العاشق المتيم لزوجة بحار مسافر » ( بول ١٩٧٦ ص ١٢٧ ) .

والخصوم العرب الذين يظهرون بمواصفاتهم التقريرية والذكورية ، سيتعرضون للفضح بوصفهم أصحاب أمزجة صيبانية ، عاجزين عن التصرف بعكس ما يقولونه ، وعاجزين عن الاستمرار في عمل متناسق ( سعيد ١٩٧٨ ص ٣١٢ - ٣١٧ ) .

وقد استنتج جورج بول في أحد مقالاته ، وبشيء من الرضا ، أن منظمة التحرير قد تمتعت بمجرد لحظة عابرة من « التبخر » على المسرح الدولي في ١٩٧٤ ، في حين أن الملك المعتدل حسين كان يعود أراجيه تدريجياً نحو ائتمتع بالاحترام العربي « وصورة مقاتلي منظمة التحرير وقادتها بوصفها «متبخرين» عاجزين عن الصمود أمام هجوم مضاد جدي ، لا زالت هي الصورة السائدة لدى رسمي وزارة الخارجية حتى الوقت الحاضر .

وفي ظل هذه الافتراضات الأساسية عن الثقافة والشخصيات التي كان يواجهها كسنجر ، تقدمت دبلوماسية المكوكية في عام ١٩٧٥ . فالالتزامات التي نتجت عن هذه العملية حافظت على البنية البسيطة نسبياً للبلورة المفهومية الأولية ، ولكن كان عليها أن تعمل في ظل نتائج أكثر تعقيداً خلال المرحلة التالية من الدبلوماسية .

واستعملت « العلوم الجوية » لتجنب نشوء شك دولي بالنسبة للمفاوضات المحيطة ، وفعالية المظاهر المكوكية لكسنجر ولرؤية السلام ، التي رفعها الاعلام الى مستوى التقديس ، لم يكن مسموحاً لها أن تنافس صورة « برمبل البارود » ومع هذا فالمساهمة الدولية في عملية حسم الصراع كانت تتجاوز بمساعدة الاعلام ، ويتم انشاء منطلق وشرعية للعلاقات الخاصة بين مصر واسرائيل . إن الموقع الذي حظيت عليه منظمة التحرير في الاجتماع العام للأمم المتحدة ، والقوة الجديدة التي حصلت عليها أقطار النفط العربية ، كانتا معروضتين في وقت واحد للاستخفاف بهما وعرضتين للهجمات الكلامية . وطور دانيال موينهان انتقاده اللاذع للأمم المتحدة الى أن شمل جميع العالم الاقرو اسيوي الذي تجزأ على دعم منظمة التحرير الفلسطينية ، أما الرئيس فورد فاستعمل استشهادات شوفينية متزايدة لكي يطرح « مشروع الاستقلال » وتم التعبير عن قلق كسنجر الجديد بشأن الحساسيات الأوروبية من خلال المحاولات المبذولة لانشاء كارتل للأمم المستهلكة للنفط .

ووضع المزيد من العناصر الأساسية البنوية والستراتيجية موضع التنفيذ مع توقيع اتفاقية سيناء ؟ وقامت قاعدة هرمية جديدة للولايات المتحدة وزبائنها الرئيسيين - اسرائيل ومصر والعربية السعودية - بتأمين نظام الهيمنة في مركز الشرق الأوسط . ونظر إلى انفصال مصر بوصفه رانداً في « عملية مفيدة » وبهذا تم اضعاف الشرعية على دور مصر اللاحق كزبون . وعن طريق الضمانة النفطية وأجهزة الاستخبارات التي تعاونت على تثقيف السادات

بـ « السياسة الواقعية » ، نشأ ارتباط مع الزيون المسيطر الآخر ، الشاهنشاه الذي عهد إليه بضمانة الشطر الشرقي من المنطقة :

لكن لم يكن الأشكال قد حل بالنسبة لما إذا كانت هذه القاعدة الهرمية في المركز قادرة على التواصل مع بنية أكثر تعقيداً من مصالح الزيائن العرب الصغار بين مصر وإيران . فإسرائيل قد بدأت تمارس تقييمها الداخلي الخاص للاستراتيجية التي ترتبت على مباغته الهجوم المصري على المحيط الغربي في تشرين الأول ١٩٧٣ .

وقد نظر بكثير من الجدية بعد الحرب إلى المضامين التي أشارت إليها الأسلحة التي وجهت بدقة، مثل الصواريخ المضادة للدبابات التي استعملت بكثير من الفعالية من قبل المشاة العرب، والمخاطر المضاعفة من مواجهة هذه القوى الفعالة على عدة جبهات في وقت واحد . وقد أشارت التضمينات الاستراتيجية لهذه التطورات كما بحثت في عدد من المؤتمرات وفي دعوات متفردة ، إلى حاجات إسرائيل الجديدة : سلاح دبابات أفضل لكي يحافظ على البراعات الأقل كلفة ، ونخائر للبنادق الكبيرة ، والاستعمال التكتيكي المتزايد لهدف الليزر الذي يعين المدفعية المضادة للطائرات ، وتوظيف التطورات الجديدة في الهليكوبترات المهاجمة للدبابات . وقد عني تحسن أجهزة الدفاع الجوي العربية لإسرائيل تقليص الاعتماد على « البندقية الواحدة في المعركة » والمزيد من الاهتمام بمسائل القيادة والإشراف المتلازمة مع استعمال العديد من الأسلحة ، وخصوصاً إضافة الناقلات العسكرية الثقيلة المقاتلة .

لقد ولدت مرحلة جديدة تؤكد معها التصور العام حول أهمية السلاح ، وحظي الدفاع التكتيكي على الأفضلية ، معتمداً على العمق ومفضلاً استراتيجية الاستنزاف على استراتيجية تصفية دول العدو . وتذكر مستشارو إسرائيل توكيد مولتكة على المناورة الاستراتيجية التي تتمسك بالمواقع كما وتجبر العدو على أن يحول المبادرة التكتيكية إلى نفاع حسن التجهيز ، الأمر الذي سوف يعمل بعد ذلك ضد العدو في جبهته الخارجية أكثر مما في خطوطه الداخلية ، ويمكن أن يدفع العدو إلى التركيز في ساحة المعركة لا قبلها . وهكذا أعلن عن نوع جديد من العنوان ( فان كريفلد ١٩٧٥ ص ٣١ - ٥٠ ) كما وتكون ضمناً مشروع إيقاع سكان المناطق الفلسطينية العربية المحتلة في الفخ ضمن خطوط المعركة .

وفي ١٩٧٥ ومع الانتهاء من مفاوضات سيناء ٢ وضع في التداول مفهوم عن الدور الذي يستطيع الزيون المصري أن يلعبه لأجل حاجات تحصين إسرائيل ، ففي ظل الافتراض القائل بأن السياسة الخارجية المصرية ينقصها العامل القومي العربي الأصيل ، تنبأ أحد المعلقين بالقوائد التي توجب على مصر لكي تحصل عليها أن « تقوم بوظيفة زعيمة الدول العربية في ظل الإشراف الإسرائيلي العام » الأمر الذي يجعلها بالتالي محررة من مخاوف الهجوم الإسرائيلي ، وقادرة على رفض الحماية السوفياتية بشكل دائم ، ومحررة من الاعتماد على الدول الغنية بالنقط ، ومتخلصة من الفيتو السيء الذي يمارسه الأطراف العرب الأضعف مثل سوريا والفلسطينيين ( رويرتس ١٩٧٣ ص ١٣٤ - ٥ )

هذه النقاشات التي أطلقتها التحديثات التقنية التي تؤثر على تكتيكات المعركة وبالتالي استراتيجيتها ، تدعمت عن طريق نقاشات « الاستراتيجية العظمى » التي قدمها عدة نظريين

أميركان شديدي الالتزام بالسياسة الاسرائيلية ، فتوكيد اوارد لوتواك على الطور الثالث للامبراطورية الرومانية والذي سوف يبحث في هذا التحليل ، يقدم توازيات قديمة ليس فقط للسياسة الأمريكية في حقبة ما بعد فيتنام ولكن أيضاً لاسرائيل بوصفها جرماً مصغراً عن أميركا العظمى .

استناداً إلى هذا التفكير ، فان مرتفعات الجولان والضفة الغربية لا يجب الاحتفاظ بهما تبعاً لستراتيجية « الدفاع في العمق » التي تؤكد على أهمية المواقع المحتواة ذاتياً ، « القدرة ذاتياً على احتمال هجوم من دون طلب الدعم المباشر من العناصر المتحركة » ومثل هذا التحول الاستراتيجي يمكن أن يوفر « المحافظة النهائية على كامل الأمن الاقليمي » ( لوتواك ١٩٧٦ ص ١٢١ ) .

وتطور بسرعة تدعيم مستوطنات الضفة الغربية في أثناء هذه الفترة نفسها من إعادة النظر الاسرائيلية الاستراتيجية . وكانت نتيجة دبلوماسية كسنجر ، خريطة جهزها الاسرائيليون تظهر لحسين أية مناطق يريد الاسرائيليون أن يقدموها له في تسوية نهائية ، ففي حين أن اسرائيل ستحتفظ بالقدس العربية والمناطق العسكرية الهامة في الضفة الغربية ، وجبهة دفاعية على امتداد نهر الأردن ، فانها مستعدة لأن ترد ما اسماء الصحافي انوار شيهان بـ « البالونات والسجق والممرات » مع تشبيكها بالجيش الاسرائيلي . وانتقد شيهان العرض بوصفه « ليسوتو عربية » ( شيهان ١٩٧٦ ، ص ١٤٧ ) وقد نصح كسنجر حسين بأن اسرائيل ستقدم فقط « فصل قوات إداري » اكثر منه انسحاباً من أراضي الضفة الغربية ( كوانت ١٩٧٧ ص ٢٢٩ ) وسوف تظل منظمة التحرير خارج الصورة ، كما وستكون الوسيلة قصيرة الأجل الأكثر فعالية ، كما وصف التكتيك عضو سابق في جهاز الأمن القومي ، « استثمار الحرب الاهلية اللبنانية » لتدمير منظمة التحرير ( كوانت ١٩٧٧ ص ٢٢٩ ) .

وفي ظل تزايد التمسك الاسرائيلي بالاحتفاظ بالضفة الغربية ومرتفعات الجولان ، وتزايد رغبتها في استعمال سيناء كجسر إلى زيون عربي جديد يقع ضمن دائرة الهيمنة الخاصة باسرائيل ، وقعت على الدبلوماسية الاميركينية مهمة وضع الترتيبات المرضية للزيائن التقليديين الآخرين ، واستناداً إلى التعليقات المنشورة لمعاوني كسنجر ، تضمن تكتيكه اللعب على « سياسة التقصير » مع السعوديين ، محذراً من أن الرئيس نيكسون ذا الوضع الرجراج لن يستطيع إذا ما خذل أن يحقق السلام الكامل بالشكل الذي اراده السعوديون . وفي خلاف

آخر هدد السعوديون بنشر مراسلات محرجة . وللتغلب على الحرد السوري ، علم أن كسنجر اتصل بالشاه الذي قدم المزيد من الدعم للانتفاضة الكردية التي تضايق العراقيين ، وبهذا دفع الآخرين إلى التخلي عن هجماتهم اللفظية ضد سوريا . وافترض أن سوريا ستجد طريقاً مقبولاً للتوصل إلى اتفاقيتها الخاصة بفصل القوات ( شيهان ١٩٧٦ ص ١١٦ وموريس ١٩٧٧ ص ٢٧٧ - ٢٧٨ وكوانت ١٩٧٧ ص ٢٢٣ ) .

إن المحطات الاستراتيجية الثلاث التي أشير إليها ، في بداية ادارة نيكسون ، قد دعمت بشكل مربع أجهزة السيطرة الاسرائيلية والاميركية : فمصر أصبحت الآن « معتمد » سياسة كسنجر العربية ، وعمل الملوك المحافظون والمعتمدون عليهم بوصفهم مكملين لبعضهم ،

فالمدفوعات تذهب إلى الولايات المتحدة على شكل مقاومة للمزيد من رفع أسعار النفط ، وبشكل مباشر تذهب للولايات المتحدة على شكل معونات كبيرة لمساعدة حكومة السادات على الاستمرار في مصر . أما الأمم المتحدة فكان كل دورها انتدابياً يقوم على مراقبة منطقة سيناء العازلة ، كما اتفق في المعاهدة الأولية لفصل القوات .

ومع ان اتفاقات ١٩٧٥ كانت غامضة بشكل يكفي لانكار أي تدخل اميركي واسع النطاق على شكل مباشر ، فقد كان على أية حال في اتفاقية سيناء ٢ مجموعة من الالتزامات التي تتصل بالجهاز المدني الاميركي : تقنيون للإشراف على التحركات العسكرية في سيناء ، وطاقم للاستطلاع الجوي ، وجهاز مدني من ٢٠٠ شخص معينين لمحطات المراقبة .

وفي الاتفاقات السرية الأربع عملت الولايات المتحدة بنفسها لتحقيق مجموعة من المنافع لاسرائيل : اقتصادياً ، ضمان تدفق النفط الاسرائيلي على مدى السنوات الخمس المقبلة ، مطالبة ايران بأن تكون مصدراً للدعم إذا كانت ثمة حاجة لذلك ، ولأن تقدم ٢,٥ مليار دولار كمساعدات لسنة ١٩٧٦ المالية . وعسكرياً ، الاستجابة ايجابياً لطلب اسرائيل الحصول على طائرات ف - ١٦ المقاتلة لكل الفصول وصواريخ بيرشونغ ( وبهذا يتم تأكيد السياسة طويلة الأمد القائمة على التزويد بالسلاح المتطور ، والتخلص من الحظر قصير الأجل على السلاح لاسرائيل والذي كان قد أعلن في مطلع السنة نفسها ) ، وسياسياً ، رفض الاعتراف بمنظمة التحرير أو التفاوض معها ، ريثما تعلن المنظمة عن قبول القرارين ٢٤٢ و ٢٣٨ ، والتمسك بالشكل الثنائي للتفاوض ، والتحرك في الخطوة التالية من المفاوضات نحو معاهدة نهائية مع مصر ، « والنشاور » بشكل ثابت مع اسرائيل ولو انطوى ذلك على تشكيل تحد لأية « قوة دولية » . أما بالنسبة للرئيس السادات فقد وصله عون من ٧٥٠ مليون دولار ( معظمه لتغطية اكاليف جهاز الانذار الذي وضع قبلاً ) ووعود أميركية بدفع سوريا إلى عملية المفاوضات ، في وقت تجري فيه « المشاورات » مع مصر في ما إذا كانت اسرائيل تقوم بانتهاك الاتفاقية .

وخاطب الرئيس السادات مجلس الشعب المصري دفاعاً عن الاتفاقية، وكان يستعرض «الواقعية الجديدة» التي سر المعلقون الاميركيون لان يلاحظوا وجودها في العالم العربي: « يجب أن نكون واقعيين في تقييمنا لقوة العدو ونقاط ضعفه ، كما علينا أن نكون واقعيين في فهمنا للعلاقات بين الأمم في حدود تأثيرها على الوضع ... لقد قاتلنا ولقد فاضنا ولقد ربحنا ... فكما أن أميركا لم تضيع الوقت في استعمال جسرنا الجوي لانقاذ اسرائيل أثناء القتال ، فقد أرسلت إلينا وزير خارجيتها ليقم الاتصالات معنا وليبدأ المحادثات التي يمكن أن توصل الى التسوية . ما الذي تغير ؟ ... يقع التغير في أن أميركا قد اكتشفت أن حساباتها كانت خاطئة ... لقد رأت عالماً عربياً جديداً بالكامل ، ورات انها لا يجب ان تضيع الوقت فتتصل بنا ... عندما كنت أطري الدور الذي كان على أميركا أن تلعبه ، عندما قلت أن أميركا تمسك بمعظم الأوراق ، بحيث فسرها البعض بأنني كنت أرمي نفسي في حضن أميركا - فهدفي كان أولاً أن أؤكد حقيقة ، ولأن أمارس ضغطاً على أميركا لكي أضعها أمام مسؤولياتها وكنا ناجحين كثيراً في هذا .. » ( القاهرة ٤ ايلول ١٩٧٥ ، عن الامرام ٥ ايلول ١٩٧٥ ) .

وقد أدينت ردود الفعل السلبية التي صدرت في أجزاء أخرى من العالم العربي بوصفها

مراعاة ومؤقتة . فالسادات ضمن كلامه أن هناك محاولات اضافية من الولايات المتحدة ستقود الى التحرك نحو حل المصاعب السورية والفلسطينية ، وبعد قليل تسلم الكونغرس من هارولد ساوندرز ، نائب مساعد وزير الخارجية الاميركي ، عبارته الاحتفالية التي صاغها كسينجر بعناية ، فجاءت لتعين البعد الفلسطيني بوصفه « قلب الصراع » وتؤكد أن « المصالح الشرعية للفلسطينيين العرب يجب أن تؤخذ في الحساب في مفاوضات السلام العربية الاسرائيلية .

### تقييمات الاستراتيجية من قبل الاخصائيين الاميركيين

في تقييم وسائل السلام عند كسنجر ، بدأ النقاش السياسي ينفرد بشكل بطيء ، فالاستياء العام من الوفاق قد تم التعبير عنه من قبل عدد من القادة السياسيين على رأسهم هنري جاكسون ومنهم باتريك مونيهان ووزير الدفاع المفصول لتوه جيمس شليسنجر . ولاحظ وليم كوانت الموقع المركزي لسالة اسرائيل في هذا النقاش العريض : « فكل أعداء الوفاق هؤلاء أثبتوا أنهم داعمون متشددون لاسرائيل : فاسرائيل معادية للسوفيات ، واسرائيل هي في رأس المدافعين عن الحقوق الانسانية لليهود السوفيات ، واسرائيل ديمقراطية ، وبالنسبة لهؤلاء النقاد يجب بشكل خاص أن يزول الضغط الاميركي على اسرائيل الذي يهدف للحصول على الوفاق أو النفط العربي » ( كوانت ١٩٧٧ ص ٢٧٩ ) .

وبدا يظهر تقييم وسائل كسنجر الدبلوماسية مع عقد مفاوضات سيناء ٢ ، وفي السنتين التاليتين فرض النقاش الاستراتيجي على الاستراتيجية الاميركية في الشرق الاوسط انقساماً بين مدرستين استراتيجيتين<sup>(٤)</sup> ، نهضت الاولى من الوسط الذي يمكن أن نسميه بوسط « الانتداب الاميركي » في الشرق الاوسط ، وكان هذا النظام من السيطرة جذاباً لمن يعتبرون أنفسهم « أميين ليبراليين » والأعضاء في « مؤسسة » السياسة الخارجية الاميركية لما بعد الحرب العالمية الثانية ممن يفضلون هيمنة عريضة ومعترفاً بها لولياً في الشرق الاوسط . أما المجموعة الثانية الأكثر صرامة ، فتضم مجموعة من الاستراتيجيين المولودين في أوروبا ممن ينهض تحليلهم لتطلبات السياسة الاميركية على تواريخ الامبراطوريات القديمة ، وايجاز الوسائل الصالحة للاستعمال الفعال لقوة القهر الاميركية في الشرق الاوسط . وأعضاء المجموعتين الاثنتين يتشاركان في تأييدهم الثابت لاسرائيل ، ويأخذون بوصفه اهتمامهم المركزي نفس « الاحجية » أو المعضلة الاستراتيجية التي تحل في مواجهة حالات شاذة متنامية .

لكن المجموعتين قدمتا حججهما انطلاقاً من مفهومين مختلفين في تعريف طبيعة السيطرة الاميركية . وبالتالي فالمجموعتان تؤكدان على تكتيكات مختلفة وتفضلان اتباع خطوط مختلفة في المجازفة .

لقد كان ممثل المجموعة من النقاد جورج بول ، الذي ينبع تحفظه تجاه دبلوماسية كسنجر من تكتيكات الأخير وتوقيتها ودرجات التوكيد ، أكثر مما ينبع من تصور أساسي للعمل الرسمي . « والاحجية » المركزية أو المعضلة الاستراتيجية في عالم متزايد « الازدحام » تنبع من تنقية محاور السياسة وقضاياها . فكما أن بعض الأمم تمتعت بأشكال من السيطرة على الاقتصاد والموارد ، فيما حافظت أمم أخرى على تفوق قوتها العسكرية مع الاعتماد اقتصادياً

وديبولوماسيا على مورد ثابت وشبكة تسويق ، فان بوسع بول أن يتبين قابليات بنيوية ملائمة للقوى الغربية .

وفي محور آخر تقع المسألة التي يفضل الاستراتيجيون أن يبنوها ، وهي عدم القدرة على التوفيق بين البرامج القومية - الأيديولوجية المتصارعة ضمن جهاز الدولة الحالي « الأمر الذي يستمر في توكيد دور السيطرة والسيادة على الأرض بوصفها المقياس النهائي للقوة والحق . وإمكانية وقوف المحارر المتعددة التي تتحرك في الشرق الأوسط في مواقع نازعة للاستقرار ، تنتج المعضلة الاستراتيجية الرئيسية في تحليل بول . ودور الفلسطينيين في المحافظة على الدافع العربي القومي ، في حين تبقى إسرائيل ، وبعناد معادية لأي تراجع جغرافي أمام هذه القومية ، هو الذي يوفر ديناميكية مثل هذا الاصطاف النازع للاستقرار .

وهكذا فقد نظر إلى وجه الخطورة في الاعتماد على القوة الأمريكية ، على أنه يستدعي استعمالاً دقيقاً لجهاز السيطرة الأمريكية ، وخصوصاً في دعم الأنظمة العميلة . وتحتل إسرائيل الموقع الأول في نظام التبعية ، لكن هذا الموقع مشروط بقدرة إسرائيل على تدعيم السيطرة الأمريكية وسط مجموعة أعرض من الزبائن . وحرية إسرائيل في الحركة تصبح موضوعاً مشكلياً عند النقطة التي تولد فيها ضغوط ثورية داخلية ضد أنظمة العملاء العرب « المعتدلين » . وهكذا يتم الحكم على قابلية القوى السياسية التي تدعم الأنظمة الحاكمة في مجتمعات العالم الثالث بوصفها عنصراً متحركاً خطيراً على السياسة الأمريكية أن تأخذ في الحساب .

« إن العنصر القائم في الوضع الراهن والذي يطعم السيناريو الكالغ هذا بحتمية المسألة اليونانية ، هو أن قاده الحكومات في كل العواصم الرئيسية هم أسرى القوى السياسية المحلية ، وبالتالي فليدهم حرية ضئيلة في القرار والحركة » .

وكما يمكن أن نتوقع ، يقع بول على استقطاب في طبيعة هذه القوى كما تظهر في إسرائيل وفي العالم العربي :

«... ففي إسرائيل تركّز لا مثيل له للرجال والنساء النشيطين والأنكياء والمتقنين وأصحاب النزعات الفردية ، لكنه في الوقت نفسه حسن وسيء ، فرغم أنه يغني الثقافة الإسرائيلية ، إلا أنه يقود إلى التفرفة ، مع وجود الميل إلى التبعض السياسي ممزوجاً بالتمثيل النسبي ، والائتلافات سريعة الزوال التي تظهر يمكن أن تعكس شيئاً يزيد قليلاً عن قاسم الحد الأدنى المشترك ... كذلك فالقادة العرب لا يملكون حرية حركة أكبر ، فبغض النظر عن مدى رغبتهم في التخلص من الكابوس المكلف للنزاع العربي الإسرائيلي ، فهم لا يزالون عرضةً للآثار الشعائرية والديماغوجية من قبل اخوانهم العرب الأكثر تعصباً ( بول ١٩٧٦ ) .

إن نقد بول لتعاطي نيكسون - كسنجر مع مقاضات الشرق الأوسط ، فشل في أن يرى « تبادل التنازلات » في الخطوة خطوة ، وكذلك تقنيات كسنجر الخادمة واستعمالاته الشفافة . فأخطاء التوقيت المنسوبة لاستثمار كسنجر لموقعه الشخصي في الحصول على الاتفاقية ، كانت هي المسؤولة ، حسب هذا النقد ، عن تعليق المفاوضات عند النقطة الحرجة . ويدعو بول استناداً لمنطق « شرعي » لآطار شامل يستطيع أن يضمن استقرار

الزيائن . وهذا التعاطي يتطلب إصدار نص مبدئي حول النطق باسم الفلسطينيين ، والتمهيد لكيان فلسطيني مسيطر عليه ، أي مرتبط بالأردن ، الأمر الذي يكون مقبولاً من الأنظمة المحافظة العميلة ويمكن أن يتعايش مع دولة إسرائيل الصهيونية .

وسوف تتطلب التكتيكات التي سيتم تبنيها ، انخراطاً أميركياً غير مباشر ، على المستويات العسكرية والاقتصادية ومستوى الطاقة الاستخباراتية ، لكنها سوف تعمل من خلال النخب المحلية ضمن مساحات « الانتداب » الدولي .

أما الإدارة الأميركية التي ستطبق هذا النظام فستحتاج في الداخل ، إلى شجاعة سياسية في مواجهة المجموعات المؤيدة للتصلب الإسرائيلي . ( بول ١٩٧٧ ) .

إن لمدرسة « الامبراطورية المستعادة » والستراتيجية العظمى قاسماً مشتركاً مع مدرسة بول عن « الانتداب الدولي » هو الاهتمام بأشكال القوى الراهنة وأخطار الفوضى التي تهدد الأمم المكونة ، لكن أنصار الامبراطورية المستعادة يفترضون أن القوة العسكرية لازالت تعرف الترتاب السياسي الكوني ( ص ٥ )

هذا الخط من التفكير يطبق على الشرق الأوسط كتفريعة معلنة من نظرية « القوة العظمى » لجورج ليسكا الدبلوماسي التشيكي السابق . والتحويل المفهومي يتم عرضه شعبياً على يد تلامذة ليسكا وأصدقائه الذين هم ، كأصدقاء لإسرائيل ، مشدودون إلى نمط ليسكا في التحليل ، وبين هؤلاء إدوارد لوثواك وروبرت و . تكرر الذي كثيراً ما يساهم في التعليل ، أما الأصوات الأخرى فهي أصوات المحللين الستراتيجيين الأوروبيين ، كبرنارد برودي وريمون أرون ، وسامويل روبرتس تلميذ تكرر وليسكا الذي صور الاستراتيجية الكبرى الخاصة بإسرائيل على ضوء تلك النظرة ، الأعرض على الاستراتيجية العظمى .

وتنهض العضلة الاستراتيجية أو « الأحجية » المركزية بالنسبة لهؤلاء المحللين من نفس القوى التي رأى فيها بول فرض مشاكل التجزئة على الأمم الناضجة . وبهذه اللغة صاغ دانيال بل وستانلي هوفمان المشكلة في الموضوعات الأخيرة في السياسة الخارجية ، كذلك حطت تفصيليات العضلة في كتاب هوفمان « السيادة أو النظام العالمي » . ثمة ثنائية أساسية في « ميادين » القوة تمثل المواجهة بين « الحضارات المسؤولة » أو القوى العظمى ، مع البرابرة أو القوى الأقل قوة .

« ... فالهدف في الميدان الكوني الأساسي هو وضع ومن ثم تأمين نظام دولي متعدد القوى أكثر من إيجاد أي وضع محدد ( شأن الوقاق الأميركي - السوفيياتي ) والهدف الإيجابي المحدد هو ادامة القيادة الأميركية في نظام جديد من التوازن ، يمنع التقارب الدائم بين الصين والاتحاد السوفيياتي ويعمل لصعود أوروبا الغربية ( أو بدلا عنها المانيا الغربية ) وكذلك يعمل على إيصال اليابان لأن تكون على الأقل ذات دور داعم أو ذي استقلال ثانوي في دبلوماسية الدول العظمى .. والميدان الاقليمي متفرع عن ميدان القوى العظمى الكونية في رؤية عالمية بيسماركية ، فيما القوى العظمى تناور من أجل وصول الستراتيجيات المتشابكة ، بهدف الوصول إلى صراعات اقليمية متفجرة على أرضية التسويات السياسية في أطر هيمنية أو

متوازنة ، تتغاضى عن ، بل تطور أنظمة من توازن القوى الاقليمية على قاعدة الاصطفاف التراتبي . ( ليسكا ١٩٧٥ ، ص ٩٩ ) .

ونقد ليسكا الأساسي على كسنجر هو في مزوجة الأخير المعكوسة بين القسوة التكتيكية والرقعة الاستراتيجية في سعيه لبناء قاعدة جديدة لا تتغير للسيطرة الاميركية . واعتبر نمط الأحادية عند كسنجر « حديثاً » كما وأدان ليسكا لجوء كسنجر لـ « العبارات الاخلاقية » حول شرعية النظام الذي كان يتجه ويسرعة نحو العجز ، في حين كان أن النظام الجديد لم يكن قد نضج بعد .

وهكذا ففي المناطق حيث استطاع كسنجر أن يوظف القبول المؤقت للقوى الشيوعية بالسياسة الأميركية ، كان كسنجر يفتقد البعد « المعماري » في العمل السياسي . وما كنا بحاجة اليه هو « تزامن البواعث في ميادين القوة المختلفة » ( ليسكا ١٩٧٥ ص ٢٠٨ ) .

وتحديداً بالنسبة لمنطقة الشرق الأوسط ، طرح ليسكا ومساعدوه اصطفافاً تراتبياً تحتل اسرائيل فيه قمة النظام بوصفها القوة « شبه المهيمنة » ، ويسبب المنطق غير القابل للمصالحة بين الصهيونية وقومية الفلسطينيين العربية ، طرح ليسكا - وهذا ما قاله في ندوة اسرائيلية حول انتهاء الحروب عقدت في حزيران ١٩٧٦ - بأن القاعدة الوحيدة للتوازن تكون بخلق « مجموعة تكون جماعية بنيوية وتضم عدداً من الأطراف الثانوية وعدداً من القضايا المتداخلة » ويعد ذلك ميز ليسكا الصراعات بين طرفين عن الصراعات بين جانبين حيث يكون أحدهما ائتلافاً على الأقل : « دور القوة الخارجية أو ظهور عامل جديد ، يخلق نزوعات تعادلية متعددة الأنماط ... ( لكن ) بغض النظر عن الاتجاه الذي يأخذه التعادل ، ستكون هناك عناصر للسلام المنفصل الذي هو الأساس الجوهري للتبديد الثلاثي الأطراف ... إن مصر ستكون عاملاً أساسياً في هذا التبديد ... أكان ذلك القوى العظمى الضامنة والمشرقة التي تجعل الهدف المشترك نسبياً للمضمونين ، أم المرتدين من القوى الصغرى الذين يطفئون صراعمهم لتجنب ضغوطه ، أو الحاجة للدعم من الأسياد السابقين » ( ليسكا ١٩٧٧ ص ٢٢١ ) .

على أية حال ، فليسكا أكد على الاتجاه نحو التبديد ، و « التعددية في الأطراف والحصص والمستويات » التي « توفر المجال لاطفاء الصراع وبهذا تضع حداً نهائياً له » الأمر الذي يعمل ضد « السمات الهامة ذاتياً » مثل قضايا التعاقب المحق أو الايديولوجيا ويصل تحليل ليسكا للاستراتيجية الاسرائيلية الى القول :

« بهذه الحدود ومع هيمنة السمات الهامة ذاتياً ، يكون الصراع قابلاً فقط لانتهاء كارثي بالنسبة لأحد الطرفين أو الطرفين معا » . ومع الحؤول دون اجتثاث أحد الطرفين الذي يمكن تحقيقه دون كلفة كبرى من الطرف الآخر ، فالنتيجة تكون عرضة لأن تخرج عن خانة تحقيق الانتصار ، طالما أن النصر معرف بشكل صحيح على أنه ، أولاً ، تحقيق الأهداف الأساسية للصراع ، ثانياً ، الانجاز على يد الطرف أو الأطراف التي لم تتغير في قسماتها الداخلية أو الخارجية الجوهرية ، وثالثاً ، بفضيلة التطبيق الحاسم للقوة ولأنوات التقرير الديبلوماسي » .

وتعتمد السيناريوهات التي بناها ليسكا على هذا التحليل اعتماداً كبيراً على الاكراه

العسكري الاسرائيلي وعلى صورة « سويس ١٩٥٦ معدلة » من خلال « التواجد العسكري الأميركي في الخليج الفارسي أو الشاطيء المتوسطي » وهذا الاستخلاص يرى إليه ليسكا بوصفه مقايضة اضافية لصالح الطرف الأميركي - الاسرائيلي ( ليسكا ١٩٧٧ ص ١٥٨ ) . والقبول المحلي بهذه الاستراتيجية الأميركية الرسمية ولتبنيتها من قبل أنصار اسرائيل ، هو الذي يقرر ما إذا كان الجمهور الأميركي قد صدق أن العرب رفضوا التسوية على أرضية ورطة ١٩٧٣ . وبالنسبة لليسكا ، فإن عمليات أكثر تطورية على امتداد مراحل طويلة من الزمن ستكون على الأرجح معروضة من خلال دورات عديدة متعاقبة من الحرب والديبلوماسية . وبين المراحل الممكنة التي أوجزها في العملية الطويلة يمكن أن تكون ثمة مرحلة تقوم فيها اسرائيل « بحصر المزيد من العمليات العسكرية على أرض المواجهة مع مصر وسوريا في ممارسة العمل الدفاعي ، وأن تكون جاهزة لتحريك « الأنوات الجوية المباشرة للتدمير » الذي يطال المشاريع الصناعية النامية وبأقي المواقع المتصلة بالتنمية ( ما عدا النفط ) في بلدان كالعربية السعودية والعراق » .

ويمكن تطوير المزيد من فصل مصر عن « الدول العربية المولعة بالقتال » عن طريق « استعراض التبعية العسكرية لمصر من المشاركة العرب » وفي مثل هذه الحالة فإن « القوات العسكرية المصرية والاسرائيلية ستضم بحكم الظروف عناصر التنبيه والاصطدام » مثل « حرب زائقة على الجبهة الغربية » في المرحلة الأخيرة التي تقوم فيها مصر بـ « انقاذ « الجبهة الشرقية من الكارثة العسكرية » .

أما بالنسبة لـ « القضايا الأساسية والروحية الحية » فسوف تبقى ، مثل القضايا التاريخية السالفة التي نكرها ليسكا ، « خارج المفاوضات ، وبالكامل غير مذكورة » « فإن يتم تجاهلها في أنوات انتهاء الحرب هو الذي يتيح للحرب أن تنتهي فعلاً» اما « التفسير الوظيفي » بين اسرائيل والطرف غير المذكور الذي يمسك بالهم الذي لا يخضع للتفاوض ، فيمكن أن يكون « الحل الوحيد المتوفر » لكن « قبل أن يعرف مثل هذا الانجاز ... فإن الاعتراف الشكلي بحق ( أي حق اسرائيل في الوجود ) هو التنازل الأخير ، بل الأول الذي يجب الحصول عليه من الطرف الذي خسر عسكرياً على أرضية تقنية ... والاصرار على مثل هذا الاعتراف بوصفه المفتاح الأساسي ، سيكون بالتالي ، كثير الفائدة لتأخير المفاوضات الجدية التي اعتبرت غير ناضجة » ..

ويستنتج ليسكا من مراقبته ان « قضية الدولة الفلسطينية ربطت نفسها إلى حد ضئيل » بانتهاء القتال عبر تطور سلمي . ففي المدى القصير ، ذكر الحاجة إلى « التدخل الجراحي » ضد القوات الفلسطينية التي لا مجال للتصالح معها ، ملاحظاً أن « الاستئصال هو الشكل الأسرع لانتهاء القتال » .

بالنسبة لعلاقات اسرائيل مع باقي الاطراف العربية ، والذين يمكن أن تطبق معهم العمليات التطورية ، فـ « فالمزيد من التطور فقط هو الذي يسهل إعادة تقييم الحالات الشاذة المعنية ، والحصص المحددة ، والأطر المعرض في حسابات الربح والخسارة التي سوف تتكسر في العمق ، حتى حين يتدرج تحديدها على مستوى سطحي فقط . و فقط حين يحدث

هذا ، سيتقرر مصير القضايا التي ينقسم الرأي بشأنها ، بما فيها المشكلة الفلسطينية ، قاما أن تشتمل عليها المفاوضات واما أن تنتهز، اما أن تحال الى اتفاقيات أو يكون حظها الضمور » .

وجاءت مساهمة اوارد لوتوك في هذا النقاش تحدد كيف يكون الحصول على « تقديم الضمانة في العمق » من خلال التقليد العسكري، فكما ثبت مع الامبراطور الروماني دايوكليتيان فان « سياسة منهجية من التنظيم الداخلي الصارم ( مراسيم على الأسعار ) » و « تصليب الجبهة » عبر قلاع قومية تبنى حول المساحة الملكية ، بالاصافة إلى تحالف القوى المحلية داخليا ، تستطيع الحفاظ على قوى الامبراطورية في اوقات تصبح معها عوامل الكلفة عوامل حاسمة وتصبح خطوط التموين مختلة وظيفيا . وعملياتها فان منهج « الدفاع في العمق » يتمتع « بأفضلية الدعم المشترك ، بين المواقع المحتواة ذاتيا والقوات المتحركة في الميدان... »

« فاذا كانت المواقع قابلة بشكل كاف لأن تتحمل الهجمات دون أن تطلب دعما مباشرا من العناصر المتحركة ، واذا كانت العناصر المتحركة بدورها قادرة على أن تقاوم أو تتجنب الهجمات المركزة في الميدان دون حاجة إلى اللجوء للمواقع ، وأخيرا ، إذا كان على الهجوم أن يقلص المواقع في النهاية في سبيل انتشاره ، عند ذلك تكون الشروط حاضرة لدفاع ناجح في العمق » ( لوتوك ١٩٧٦ ص ١٢١ ) .

ومضى لوتوك في توكيد التوظيف الاقتصادي للقوة المصاحبة للحرب النفسية ، فالقدرة على استنباط ردود الفعل المرغوبة من خلال قرارات ممثل أدوات علاقة القوى، هي ليست، ببساطة ، وظيفة في القدرة على الامساك بالاكلاف والارياح ، بل بالقدرة المستوعبة للقيام بذلك ( المرجع السابق ص ١٩٧ ) .

إن وظيفة صياغة وتوضيح ملاءمة الاستراتيجيات العظمى القديمة للمتطلبات الاميركية الراهنة تعود إلى ليسكا . ففي كتابه الصادر في ١٩٧٨ « وظيفة الامبراطورية » يكشف ليسكا الشروط المحددة للانحلال السلطوي وشكا فشل الرؤساء الأميركيين السابقين في تحديد العلاقة بين المنافع التي حظي بها الأميركيون من جراء موقعهم الممتاز ، وضرورات المحافظة على هذا الموقع :

« إلى درجة أن انحلال الامبراطورية الاميركية كانت أساسا مشكلة قرار حر وغير اكرهي اكثر مما كانت مشكلة تبخر أي من ( الامبراطوريتين ) الرومانية أو البريطانية ، وإلى هذه الدرجة نفسها يكون الأمر قابلا للعكس من خلال كشف الشروط المقررة للتغير » .

في المفاوضات المستقبلية كانت ثمة حاجة لحس التوقيت الدبلوماسي وشطاره الاخراج اللائق للتوازنات الاقليمية المتعددة ، من أجل التهيئة لانتقال السلطة من الامبراطورية ، ووجود الشك بقدرة رسل أميركا يؤخر الانحدار الأميركي عن طريق التدخل القسري والمحافظة على السيطرة في مناطق حساسة محددة .

والسؤال الذي يبقى من حصة ادارة كارتر ، عند تحليل النقاش الاستراتيجي الذي جرى في أواسط السبعينات ، هو تقرير مدى نفوذ هذين المتغيرين على نموذج السيطرة الملكية - الهيمنة

الاندابية التي تضمنها منطوق بول أو السيطرة على الأرض في امبريالية ليسكا .  
 واحد المفاتيح توفره كتابات زيغنيو بريجنسكي في خلال فترة التقييم نفسها ، حيث تزاملت مع الحملة الرئاسية التي عمل فيها بريجنسكي كمستشار رئيسي لشؤون السياسة الخارجية .  
 وفي خلال الفترة اياها ، كان بريجنسكي يساعد في اقامة اللجنة الثلاثية التي يمولها دافيد روكفلر لتنسيق السياسات بين الولايات المتحدة « والقوى الوسطى » لأوروبا الغربية واليابان .

وتحتوي المقالات التي كتبها بريجنسكي في خلال إدارة نيكسون ، عبارات تردد ببغائيا تقريبا بعض مصطلحات ليسكا عن « الاستراتيجية العظمى » لكنها تنبذ اصالة مفهوم التقرير الذاتي في الفكر السياسي الأمريكي ، كما وتكرر انتقادات مماثلة لتعاطي كسينجر مع تسوية الشرق الأوسط . وفي مقالته لعام ١٩٦٨ عن « السلم والقوة » والتي نشرت في « انكونتر » استرجع بريجنسكي مخاطر قوتين كبيرين تسعيان وراء استراتيجيات كونية تصارعية في العالم الثالث غير المستقر ، فـ « القوة العظمى المتدفقة ( أو المتحركة ) يجب أن تتحرك نحو اكتساب حقوق الأولوية ومجال التدخل » بعد ذلك استشهد بريجنسكي بمثال الحكومة الفرنسية التي تنازلت عن مطالبها في فاشوده أمام الضغوط البريطانية . وفي كتابه لعام ١٩٧٠ « بين عصرين » لاحظ أن فاشوده لم تفسد الوفاق الأوروبي الصاعد ودافع عن كونسورتيوم القوة المتعددة هذا والصالح لـ « الأمم المتقدمة » في يومنا :

« فالحركة باتجاه مثل هذه المجموعة ستتطلب في كل الحالات طورين عريضين ومتجاورين ، الأول منهما يتصل بصناعة روابط للمجموعة تربط بين الولايات المتحدة وأوروبا الغربية واليابان كما وبين بلدان متقدمة أخرى ( مثلا ، استراليا واسرائيل والمكسيك ) . أما الطور الثاني فيتضمن توسيع هذه الروابط إلى الأقطار الشيوعية الأكثر تقدماً ( بريجنسكي ١٩٧٠ ص ٢٩٦ - ٢٩٧ ) .

لا وجود لأليات محددة سوى تعديلات التسعيرة الجمركية « والعون غير السياسي » يقترحهما ( بريجنسكي ) لتحسين وضع العالم الثالث . والاستراتيجية يمكن بالتالي أن تنبع من متطلبات ميدان « القوة العظمى » وسوف تتطلب إقناع « النخب الطامحة في الأمم النامية » بتبني القيم « الواقعية » المرتكزة على تطورات حقيقية لا على أصداء تطورات غارقة في « التعميمات التجريدية » ( المرجع السابق ص ٢٨١ ) . وقد أكد بريجنسكي في مقابلة أجريت معه في ١٩٧٨ على عنصر القوة في مثله عن فاشوده : « نعم ، إذا كان حيويًا بشكل كاف .. فنعم . علينا أن نحاول الدخول إلى هناك أولا . أو أننا ندخل ، ثانياً ونصبح الأول » ( ١٩٧٨ ) .

وبريجنسكي ، في ملاحظته للمحاور المتعددة في الصراع الحاضر بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي ، وميدان الشمال - الجنوب الأكثر جده ، والقضايا العنصرية ، والقومية ، خرج باستنتاجاته من الزاوية الأضيق لمصالح الامبراطورية الأمريكية في السيطرة . « انه أكثر تهديداً بكثير لكرامتنا ولدورنا في العالم . لا طريقة إلى معرفة أين نقف حين نبدأ بالانحدار » . بعد ذلك أضاف بريجنسكي مفهوم « المهمة » التي عقلنت المثل

الأمريكية التقليدية والتدخل القهري « قال جانب ذلك ، هناك المضمون الأخلاقي والديني . فاذا وقف الغرب إلى جانب أي من القيم ، فسيكون ذلك إلى جانب القيم الروحية ، وروحانية الفرد . ويكون من المؤسف أن يصبح هذا الأمر أقل أهمية في الشؤون الإنسانية » ( ١٩٧٨ ص ١١١ ) .

إن التحويل المفهومي عند بريجنسكي هو انتقائي بشكل عام ، يتضمن مجموعة متباينة من القوى والضغوط الاقتصادية والنفسية – الاجتماعية الهادفة للمساواة . ويجد المرء في كتاباته طلباً لـ « موقف أكثر ابتعاداً عن العمليات الثورية العالمية.. وفي مقالاته عن « السياسة الخارجية في ١٩٧٥ و ١٩٧٦ تمنح القضايا الاقتصادية العالمية موقعا مركزيا بوصفها القوى الجديدة » النازعة للاستقرار ، التي تواجهها أميركا في « عالم معاد » ، والسيطرة غير المباشرة على هذه القوى . كما قد يقترح مفهوم بول عن « الانتداب الأميركي » ، تتطلب تأمين شرعية نولية لمزيد من الاختراق الأميركي الى الانظمة الزبونة واضفاء الاستقرار عليها .

وقد ظهرت آراء بريجنسكي بالنسبة لتسوية مفيدة في الشرق الأوسط في مقالة إلى جانب مقالات أعضاء من « اللجنة الثلاثية » الأوروبيين واليابانيين ، وقد طرحوا عروضاً بشأن تسوية مرحلة بحيث « ولأول مرة ، لا تكون سياسة إسرائيل سابعة ضد التيار ، بل معه » . وتضمن اقتراحهم للمدى القصير دوراً رئيسياً لأميركا من خلال اتفاق مشترك أميركي – سوفياتي ، واتفاقية حول حدود الدول القائمة ، وتجارة إسرائيل مع الأراضي المحتلة مقابل قبول عربي بـ « انتداب على الأرض الفلسطينية القديمة بين إسرائيل وما يمكن أن يكون دولة فلسطين التي تحكمها منظمة التحرير في الضفة الغربية وقطاع غزة ..

مثل هذه الاتفاقية ستدعم بضمانات أميركية – سوفياتية مشتركة وقوات إشراف تكون حسب عبارات بريجنسكي ، لأغراض سياسية وعسكرية ، إذ الولايات المتحدة لا تستطيع ( وحدها ) أن تتحمل قوة كبيرة . أما بالنسبة للمآزق المباشر في فصل القوات بسيناء والذي كان لا يزال مستمراً فيما كان أعضاء اللجنة الثلاثية يحضرون برنامجهم الخاص ، فقد اقترح بريجنسكي امكانية توقيع معاهدة مؤقتة إذا استطاع السادات أن يجد الطريق لضمان إنهاء حالة الاعتداء ، وإذا تم الاقرار بالمسألة الفلسطينية بوصفها المسألة المركزية في الاطار طويل الأمد ، فإن مسألة التقاطع الأخيرة ستكون ما اذا توفر « لأحد أطراف النزاع أن يكون قادراً على اختراق الوضع نحو السلام » .

ويبدو على قاعدة كتابات بريجنسكي انه حافظ على فهم ثنائي للستراتيجية الأميركية ، التي نظم من حولها تصورات نمط الانتداب المتفائلة عن انتقال السلطة والتعاون في ظل استقرار اقتصادي مشترك وعلاقات زبائنية ، ولكن التي استنتج من ضمنها التوكيد القديم على التفوق العسكري الأميركي والاستعراض الرمزي للقوة .

أما وان هذا التحويل المفهومي الثنائي لم يكن متلاحماً في إطار استراتيجي موحد فكان أمراً مرشحاً لأن يعرض سياسة كارتر للنقد من قبل مدرسة « الانبعاث الملكي » الأكثر احساساً بالذات . ويكون انتقاداتهم قد وجهت إلى الادارة الجديدة بشكل أكثر حدة مما كانت توجه به إلى كسنجر ، فهو أمر يمكن توقعه .

### دائرة كارتر - بريجنسكي للتفاوض

إذا انتقلنا إلى أطوار مفاوضات الشرق الأوسط التي رعتها إدارة كارتر ، يمكن أن نسأل إلى أي حد مثلت عملية التحويل المفهومي الثنائي عند بريجنسكي في المقايضة ؟

في أثناء مناخات الانتقال من إدارة فورد إلى إدارة كارتر ، كان ثمة عرض ضمنى يرتكز على عبارة ساوندرز القائلة انه : مع قبول منظمة التحرير بقرار ٢٤٢ والتخلي عن الكفاح المسلح ، فان « التفكير الأمريكي في المسألة الفلسطينية يمكن أن يتطور » . لكن قرار الأمم المتحدة العام ١٩٧٥ عن الصهيونية والعرقية بقي مناسبة احتفالية لشخصيتي المرشحين والوسط الاعلامي كي يظهروا تضامنهم الاخلاقي مع اسرائيل . وهوجمت المقاطعة العربية والعالم ثالثة للأطراف التي تقيم علاقات مالية وتجارية مع اسرائيل ، وصنفت هذه الأعمال بوصفها أعمال تمييز معارضة للقوانين الأمريكية المضادة للترسات ، والمرشحان طالباً بايجاد التشريعات التي تحول دون التواطؤ مع المقاطعة ، وأقسم فورد على عدم معاقبة التعصب .

### الطور الأوي : الانخراط الديبلوماسي

تجاوز طور انخراط الادارة الجديدة هذه القضايا ، لكن التركيز على الشمولية ، كما في تقرير بروكنغز ، ميز حالة الاختلاف لدى مسؤولي كارتر . فقبل مدة كانت أية إشارة إلى تعاط جديد مع منظمة التحرير واستعادة علاقات التعاون مع السعوديين النافذين تمتزج بصورة الذي يضع مهمة صناعة السلام على حساب مصالح اسرائيل طويلة الأمد .

وإذا أخذنا التحول الذي كثر الضجيج بشأنه ، حول الشمولية ، فان ادارة كارتر حاولت أن تغطي كل زوايا الحقل الديبلوماسي ، فقد استعمل اندرو يونغ من موقعه الجديد في الأمم المتحدة والذي حل فيه محل موينهان ، لغة مقصود منها أن تصلح الخراب الذي حل بعلاقات أميركا مع العالم الثالث ، كما وقدم اندراج الاهتمام بالحقوق الانسانية في العلاقات الثنائية لأميركا مع بعض الاقطار ، وتكرار الحديث عن القيم الاجتماعية كقاعدة للسياسة الاميركية ، في سبيل الحفاظ على الدعم الليبرالي في مجال الرأي الدولي .

وأكثر ما يتصل بالشرق الأوسط كانت عبارات كارتر في خطابه بكننتون ، ماساشوسيتس ، في آذار ١٩٧٧ ، عن قضية « الوطن » الفلسطيني ، فهذه « الجزيرة » الديبلوماسية التي تذكر على نحو غير مريح بلغة بلفور ، كانت قد عرضت لتغري أعضاء المجلس الوطني الفلسطيني الذين كانوا يجتمعون في القاهرة ، بأن يخرجوا من برنامج عملهم كل حديث عن طبيعة المجتمع الاسرائيلي والاسس التاريخية للنضال التحرري . ولم ترفض « الجزيرة » فقط ، بل ان قيادة منظمة التحرير تصلبت عند مطالبتها بالدعوة المنفصلة للمشاركة في جنيف . وطرحت مذكرة منظمة التحرير التي أوجزها دافيد هيرست في الغارديان الأسبوعي الشروط التي تشكل اعترافاً مرضياً . ففيما مضت المذكرة لتؤكد على العمليات العسكرية بوصفها وسيلة للحصول على الهدف السياسي في سيادة فلسطينية مستقلة ، فانها طمأنت واشنطن إلى أن الدولة الفلسطينية لن تكون قاعدة عسكرية سوفياتية ولا كياناً محكوماً بالمساعدات الخارجية « من الشرق أو الغرب » . وفي الفترة نفسها نظم ١٠ آلاف فلسطيني

داخل اسرائيل نشاطات الاحتفال بذكرى يوم الأرض والاحتجاج على المصادرة الاسرائيلية للاراضي العربية .

لقد سجل توضيح كارتر الاخير للعنصر الفلسطيني في السياسة الاميركية « حق الفلسطينيين بأن يكون لهم وطن ، وأن تعوض عليهم الخسائر التي تكبدوها ، وأن يحصلوا على الانسحاب الاسرائيلي من اراض احتلت عام ١٩٦٧ ، وأن تحل نهاية حالة العداء وتنشأ حدود سلمية وأمنة » .

واستمر الضغط الديبلوماسي على منظمة التحرير خلال الصيف وما بعده ، ففي جزيران أجرى فانس محادثات مع القادة الاسرائيليين الذين عارضوا مصطلح « الوطن » الفلسطيني ، واقترح فانس أن يتلو قبول منظمة التحرير بالقرار ٢٤٢ لقاءات اميركية مع ممثلي منظمة التحرير في الأمم المتحدة بعد شهر على القبول بالقرار .

وحين أنتج هذا الضغط صدور شرط مضاد من منظمة التحرير مفاده ضرورة أن يعدل القرار ٢٤٢ ليعترف بالكيان الوطني الفلسطيني وحين أكد الاتحاد السوفياتي في تشرين الأول على حق الممثلين الفلسطينيين بحضور مؤتمر جنيف ، فإن إدارة كارتر تراجعت مباشرة لمستوى « ورقة العمل » الاميركية - الاسرائيلية المشتركة لكي تضع الجوانب الاجرائية لجنيف . منذ تلك اللحظة أصبحت القضايا الاجرائية تعطى الاولوية على إعلان المواقف المبدئية التي كان بول سابقاً قد حث عليها بوصفها وسيلة للحفاظ على القاعدة الدولية للشرعية .

وفي حين تراجع نكر القلب الفلسطيني لصراع الشرق الأوسط ، انتشرت شائعات عديدة حول حوار فلسطيني - اسرائيلي سري . لكن العلاقات العسكرية الاميركية الاسرائيلية تدعمت بشكل لا لبس فيه مع إعلان كارتر في ١٢ أيار عن استمرار « المعاملة الخاصة » لترتيبات السلاح الاسرائيلي ، بما يتضمن السماح بالمشاركة في انتاج انظمة السلاح المتقدمة ( مع بعض أنظمة المواصلات التي أعلن لاحقاً أنها للاسرائيليين بلا حدود ) .

وهكذا أعطيت اسرائيل موقعا كموقع بلدان الناتو لجهة اعفائها من الاعتبارات التي وضعتها ادارة كارتر لتقييد بيع الاسلحة . وأشارت استجابة اسرائيل إلى تصليب الحكم المحلي والسيطرة الجغرافية كقاعدة للستراتيجية الاسرائيلية ، وتم التعجيل ببناء المستوطنات اليهودية الجديدة في الضفة الغربية .

في تموز أعاد بيغن تسخين تاريخ الانتداب البريطاني من خلال الخروج بمقترحات سلمية تتضمن نسقا من « الحكم الذاتي » يمكن ان يحول مطلب « التمثيل الذاتي الفلسطيني » إلى موضوعات بلدية تتناول الوظائف الحكومية - تماما كما اقترح المفوض الصهيوني هيربرت صموئيل وخلفه لورد بلمر ، وجود مجالس بلدية قبل خمسين عاما ، كوسيلة لامتناس التفوق العددي العربي ، والسماح في الوقت نفسه لنشوء سيطرة صهيونية على المستعمرات الجديدة التي يمكن تحصينها ، وفيما بعد توحيدها في ظل القيادة القومية الصهيونية .

لكن المبادرة الاسرائيلية الأساسية تركزت على مد خط للسادات في سنة ١٩٧٧ ، مع زيارة وزير الخارجية الاسرائيلي موشي دايان للمغرب كي يقابل سرا مساعد السادات الاعلى حسن التهامي ، وليكشف تفاصيل عن ان الموساد قد قضت على مؤامرة ضخمة أعدتها ليبيا ضد

السادات . وكان هذا اللقاء ، استناداً الى صحافيين اسرائيليين ، مجرد واحد في سياق طويل من الاتصالات المصرية – الاسرائيلية التي كانت الحكومة المغربية توفر لها السرية المطلوبة ، واستناداً لمعلومات الصحافيين ، فان اعتماد مخابرات السادات على اسرائيل ، وانزعاجه من مشاورات كارتر مع السوفيات ، وشوقه لأن يوجه ضربة مضادة لليبيين ويبرهن عن قيمة بلاده كقوة لها حقوق الاستيلاء ، بالاضافة إلى رغبته بالظهور في صورة رجل العقل والتسامح ، كلها أنتجت « ايماءة السلام الدراماتيكية » التي اقترحتها واشنطن . ومع أن طاقم وزارة خارجيته قد تريت وأبقى مسافة بينه وبين السادات ، إلا أن الأخير وجد نفسه على الطريق الى الكنيست ومن هناك الى السلام المنفصل .

إن المحطة الخلفية التي انشأها كسنجر من خلال الاستخبارات الاميركية والمصرية ، قد استعملت من قبل اسرائيل للحوّل دون وجود مشاركة أعرض في مناقشة المستوطنات ، أما العلاقة الثنائية الاسرائيلية – المصرية فقد تدعمت بقوة الجعجة العاطفية واللقاءات الشخصية في القدس التي جعلت لابعيها الرئيسيين يحظيان بتلليل الاعلام وجوائز السلام . واستمر السادات معلناً انه سيسعمل موقعه الشخصي بوصفه رجل السلام لهذا العقد ، لتأمين التنازلات من قبل الاطراف العربية الاخرى .

#### امتحان الأهداف العملية والمحاور الاستشراقية

لقد تصلبت العلاقات بين مصر والأردن وسوريا من خلال التوجهات المشتركة لفانس بأن الأنظمة الثلاثة ستوقع اتفاقيات سلام مع اسرائيل كجزء من تسوية شاملة . واستمرت الحكومات الثلاث في اجراء الاستشارات مع بعضها ، والتقى عرفات بالسادات قبل يوم واحد فقط من إعلان الأخير عن رغبته بالذهاب إلى القدس ، واستمر السعوديون في تشجيع التبديلات في مواقع منظمة التحرير ، كما وبدا القادة السعوديون في العديد من اللقاءات كمنسقين لاستجابات الحكومات العربية على القضايا المطروحة للمفاوضات . لكن فجائية « مبادرة » السادات المنفردة وقلة أكرائه بالسعوديين – الذين أدى دعمهم الى تمكين نظامه من الاستمرار المالي ، حطمت تضامن زبائن أميركا الثانويين في المنطقة .

وأدى التحرك المتسارع للأحداث إلى دفع إدارة كارتر نحو إعادة تقييم العناصر العملية في استراتيجيتها . فقد وفرت أحداث ١٩٧٨ للإدارة وسائل امتحان الأهلية السياسية للتسوية الثنائية المصرية – الاسرائيلية . وفي سبيل الاحتفاظ بنوعية الشمولية ، التي كثر حولها الضجيج بوصفها التعاطي المميز لكارتر – بريجنسكي مع السلم في الشرق الأوسط ، كان على كارتر أن يسعى وراء مجموعة من الاتفاقات الملحقة . فمن منظور السيطرة الملكية ، ستكون هذه الاتفاقات ، وراء الاتفاقية الثنائية ، ضرورية إذا ما أرادت الولايات المتحدة أن تحافظ على الهيمنة في كامل المنطقة بدل أن تقتصر الهيمنة على منطقة القناة .

وبهذه الطريقة ، فان مبادرة اسرائيل الاستراتيجية المستقلة ، ومداعبة السادات التكتيكية للمبادرة الكريمة ، شكلتا « عنصرين شاذين » أمام النموذج المفهومي الاميركي المتطور .

وعلى أية حال ، فبغض النظر عن هذه المضامين العكسية ، فان إدارة كارتر ضاعفت

جهودها باتجاه نظام السيطرة اللطيف لنموذج « الانتداب » وللحفاظ على الشرعية الدولية التي يستدعيها ذلك النظام ، كان على الدبلوماسيين الأميركيين أن يمتحنوا الاستجابة الدولية على العلاقة المنفصلة مع مصر والتي فضلتها إسرائيل . عند ذلك صاغ بريجنسكي نظريته عن « الدوائر متحدة المركز » ، محاولاً أن يمزج التحويلين المفهومين الشمولي والمنفصل ، فيما تستمر المحادثات الثنائية الإسرائيلية - المصرية . وعلى طول الخط قام بيغن والسادات بأدانة هذا الاقتراح عن الشمولية باختيار لغة تقتصر على المساحة المحددة للمقايضة ، أي تلك التي بين مصر وإسرائيل : طلب بيغن أن تلعب الولايات المتحدة دور « الوسيط الشريف » بالنسبة للبلدين ، فيما طالب السادات بالانخراط الأميركي بالمثل كـ « شريك كامل » .

وزادت إسرائيل في تعقيد اللطافة الأميركية من خلال تسريب أن السادات قد علم سلفاً بهجوم إسرائيل المنتظر طويلاً ضد منظمة التحرير . أما انتهاكات إسرائيل لاتفاقية التعاون الدفاعي المشترك مع الولايات المتحدة ، عبر استعمالها للقنابل العنقودية أميركية الصنع ، فقد ذكرها فانس بشكل غامض . وبعد نقاش ثانوي في الدوائر السياسية الأميركية لم يقترح فانس أي عمل آخر لكي يقوم وراء المشاورات المباشرة مع الإسرائيليين . والحكومة الإسرائيلية في سياستها لتصلب حكمها في الضفة الغربية ، استمرت في توسيع المستوطنات وأعلنت في ٤ آذار ١٩٧٨ أنها لا توافق على إصرار القرار ٢٤٢ بالانسحاب الإسرائيلي من الضفة الغربية وغزة . وحاولت إدارة كارتر غير الراضية في مواجهة هذه التحركات الإسرائيلية الاستراتيجية المستقلة ، أن تمزج العنصرين « المنفصل » « والشمولي » في تعاطيها الثنائي من خلال دمج المبيعات العسكرية والعون الاقتصادي وفي حين كانت إدارة كارتر تطلب الموافقة على قروض امتيازية لسوريا وتستمر في توجيه دعمها المالي السنوي للأردن ، فإنها وقفت بحزم وراء بيع الطائرات الحربية لمصر والعربية السعودية وإسرائيل . وكانت العربية السعودية بوصفها العميل التمويلي الضروري لعمليات الجيش المصري ، وللنظام العربي الأكثر اتساعاً ، حلقة الارتباط الأساسية في هذا الطور من الاستراتيجية الأميركية . فحين تحرك الكونغرس لاحباط المبيع للسعوديين ، بقي موقف كارتر شديد الثبات ومع ان الإدارة مضت في تعيين الفروقات الكبيرة ، أمام داعمي إسرائيل في الكونغرس ، بين المقدرة الهجومية لطائرات ف ١٦ الإسرائيلية بالمقارنة مع طائرات ف ١٥ « الخليفة » التي سمح بها للسعوديين وطائرات الـ ف ٥ ي للمصريين ، فقد استمر الحجب من قبل الكونغرس ، وأخيراً أعلن فانس عن إضافة عشرين طائرة ف ١٥ إلى الطلب الإسرائيلي .

الزيون التقليدي الوحيد الذي بقي على الهامش في أثناء طور « الامتحان » هذا ، كان الأردن . فالتبعية العربية المركزة للسادات والسعوديين وفرت في تلك اللحظة « ائتلاف الحد الأدنى المطلوب للربح » والقابل للحياة تكتيكياً . ومنذ إعلان حسين عن تبعية نظام الهيمنة الأميركية في ١٩٧٠ ، حتى بالشكل الذي أظهر فيه هذه التبعية ضمن النظام ، فقد كان واضحاً في ١٩٧٨ أن أي دور للأردن سينتظر مصير التسوية النهائية .

وواجه كارتر في محاولته وضع عناصر نظام الزبائن على محك التطبيق ، إزعاجاً سياسياً جاداً في الداخل . فمباشرة قبل مغامرة السادات بالتوجه إلى القدس ، كانت شهور « الأزمة العميقة » - كما سماها بيغن - في الشراكة الأميركية - الإسرائيلية قد جعلت من المستحيل

على كارتر أن يدفع بيغن نحو تنازلات ضرورية كحد أدنى للتقدم نحو جنيف . ثم ، بعد رحلة السادات ، كان على كارتر أن يتجنب الاتهامات بـ « الخروج عن خط » قطار السلام الأكثر إثارة للابتهاال حتى لو اقتصر على سيارتين فقط .

واختار كارتر أن يتجنب الخطأ السياسي الاضافي الذي قد ينجم عن الضغط الاميركي على اسرائيل في شكل تأخير العون أو السلاح الاميركي من هذه القيود على المقايضة جاء حل كامب ديفيد ، حاملا الاطار الثنائي الذي استدعاه المزج بين المعاهدة المصرية الاسرائيلية وخطة الحكم الذاتي الفلسطيني .

كان مؤيدو اسرائيل في الولايات المتحدة قد أعلنوا عن موافقتهم على تحول التركيز عند كارتر عن الشمولية فكما كتب روبرت تاكر : « قد يفضل المرء سلاماً عاماً على سلام جزئي ، لكن إذا كانت حظوظ السلام الشامل ليست متوفرة عملياً ، وإذا كان السعي وراءه يشل المنظور القائم لسلام منفصل ، فالتفصيل يمكن أن يستبدل . هذه قد تكون حالة يكون معها تفضيل الأفضل الذي لا ينجز عدواً للجيد الذي يمكن انجازه » ( أذار ٧٨ ) .

عند ذلك كان المطلوب فقط احتلاء السادات مع المفاوضين الاسرائيليين في كامب ديفيد للخروج بقرار نهائي حول ما إذا كان السادات ، حسب عبارات الصحافيين الاسرائيليين ، « راغباً في الوصول الى تفاهم بشأن الضفة الغربية بدون حسين » . أما استقصاء دايان حول الموضوع في حجرة السادات فقد يجعله يخرج باستنتاج ايجابي . أما السادات فقد تعلق بالصيغة النهائية حتى ولو واجهته استقالة وزير خارجيته . إن صدى ذلك المستشرق الكبير اللورد كرومر كان حاضراً : إن الوجود الانجليزي في مصر لن يكون هدفه تدريب العقل المصري بقدر ما هو تشكيل طابعه ( سعيد ١٩٧٨ ص ٢١٢ ) .

### الالتزام

في الالتزامات التي قدمتها ادارة كارتر في كامب ديفيد ، وتم التصديق عليها في أذار ١٩٧٩ ، يمكن العثور على العنصرين المتغيرين في استراتيجية السيطرة الاميركية معاً ، لكن أياً منهما يبدو مفصلاً عن جهازه الكامل من العناصر والروابط المنطقية ، فضرورات السيطرة الملكية كما حددها ليسكا نظرياً تقوم أساساً في « إعادة الطمأنة في العمق » التي قدمتها مصر لاسرائيل المدعمة عسكرياً . وإعادة تملك مصر لسيناء ونزع المظاهر العسكرية عملياً عن الجبهة الغربية لاسرائيل يفترض أن يتصاحبا مع إقامة جهاز إنذار اميركي مبكر هو أكثر الأجهزة كلفة وتعقيداً في النقب . والطيران الاستطلاعي اسبوعياً بالاضافة للمساعدات البالغة ٣ ملايين دولار للتحرك وبناء القواعد في النقب هما أيضاً من الالتزامات . ومع أن صحفيي الاذاعة الاميركية قدموا العديد من المعلومات السريعة في شهر أذار حول الاتفاقات الاميركية الاسرائيلية بالنسبة للترتيبات العسكرية المباشرة في المعاهدة ، متحدثين عن قاعسة بحرية للولايات المتحدة في حيفا ووجود ضمانات أمنية مكتوبة ، فإن الصحف الأساسية تجاهلت هذه التقارير . أما الاتفاقية بالمضاعفة ثلاث مرات لعدد السنوات التي تضمن فيها الولايات المتحدة تزود اسرائيل بالوقود فبالكاد أشير إليه في التعليقات العامة ، كذلك لم تحظ « مذكرة التفاهم » بين دايان وفانس بما تستحقه ، رغم أنها انطوت على اجراء « استشارات »

اميركية - اسرائيلية مباشرة في حال نشوء أي تغير في موقع مصر يمكن أن يهدد بانتهاك القيود على نزع المظاهر العسكرية .

لقد ظهر الموقع الاستراتيجي الاسرائيلي الذي تصلب في كامب ديفيد ، على شكل واضح . فبعد الدفعة التي تسلم في مطلع ١٩٨٠ من ف ١٦ التي تم التفاوض بشأنها في أثناء ١٩٧٨ ، فإن الاسلحة الملائمة لـ « دفاع اسرائيل في العمق » ستشحن حسب لائحة « الدفاع لخمس سنوات » التي تمت دراستها . ومن ضمن هذه الاسلحة ٨٠٠ ناقلة حربية مصفحة و ٢٠٠ دبابة و ٢٠٠ مدفع ١٧٥ م م و ٦٠٠ صاروخ مفريك جو - أرض ، و ٦٠٠ صاروخ سايدوندر جو - جو .

وبالمنطق نفسه ، ويتكشف دايوكلاتيني جيد ، أنذر ارليخ وزير المال الاسرائيلي مواطنيه بأن القيود الاقتصادية يجب تقبلها بنتيجة كامب ديفيد ، أي ان المشاريع الاجتماعية الاسرائيلية ستتوقف ، وستتوقف « المشاريع غير الحيوية » بحيث ان البنية التحتية للنقب لن تشهد أي تطور .

أما دور مصر بوصفها الحارس الخلفي لاسرائيل حسب استراتيجية « الاستعادة الملكية » فيتطلب من مصر أن تحمي السفن الاسرائيلية وكل المنشآت التي ستبنى في منطقة البحر الأحمر وقناة السويس . كذلك فتأمين عناصر الانتاج التي تحتاجها اسرائيل - مثل العمل الرخيص والدخول الموسع إلى الاسواق ، هودور آخر لمصريتأتى من التصور الأساسي عن « الدفاع في العمق » . وتخصص مصر كقوة بوليسية ثانوية في منطقة شمال شرق افريقيا ، يعوض إلى حد ما خسارة اسرائيل للنقطة الفضلى في إثيوبيا الملكية ، ويتطلب من مصر وجود قوات قادرة على الانتقال بحركة أكبر .

لقد أعطيت الأولوية للمشاة والكوماندوس المدعومين بشحنات بطائرات النقل الـ ١٩ من طراز س ١٣٠ ( مضافة الى العشرين طائرة من طراز أ . ن ١٢ الباقية من عهد التزود بالسلاح السوفياتي ) وكذلك بشراء طائرات الهليكوبتر الفرنسية غزال . وينذت أيضاً الجهود لجعل مصر تحوز على طائرات لينكس البريطانية ، أما آمال السادات الاكثر طموحاً في الحصول على ٣٠٠ طائرة ف ١٦ فيمكن نبذها الآن حيث انها غير ملائمة للدور المصري ضمن نظام السيطرة الجغرافية .

كذلك ظهرت مصر بوصفها المفصل الذي يربط نظام « الاستعادة الملكية » بالنظام الهيمنوي الاكثر رقة ، والذي يكرر المواصفات الجوهرية العسكرية والبيروقراطية غير المباشرة لمرحلة الانتداب .

إن سيطرة السادات القوية على الجيش المصري قد دعمت عن طريق اتفاقية وزير الدفاع الاميركي هارولد براون القاضية باستبدال طائرات الفانتوم ف ٤ وف ٥ ي الاكثر قدرة على المناورة والتي كانت مصر قد سددت ثمنها في ١٩٧٨ ، أما إذا كانت الولايات المتحدة ستسلم بقية طائرات ف ٤ فهو أمر سيعرف في حينه .

كذلك طلب المزيد من العون لمصر على صعيد التدريب العسكري ، بالإضافة الى الشحنات الجديدة من أنظمة هوك للدفاع الجوي ومن المدمرات والبوارج والذبابات والناقلات العسكرية

المصفحة . إلى جانب البرامج العسكرية ، سيتم تحقيق المزيد من السيطرة غير المباشرة على السياسة المصرية ، من خلال العون الاقتصادي الأمريكي ومشاريع الاستثمار المشترك ، وكذلك ، الوصاية الثقافية المتزايدة .

وبالتنسيق مع هذه الالتزامات لمصر ، كانت تنطلق التحركات الاميركية المحتجة على المستشارين الروس والكوبيين في جمهورية اليمن الديمقراطي ، والتحرك الاميركي المضاد الذي تضمن فصل حاملات الطائرات كونستاليشن وقوة عاملة عسكرية الى البحر العربي ، والشحنة الجوية « الطائرة » من السلاح الذي تقدر قيمته بـ ٤٠٠ مليون دولار - بما في ذلك ٧٠٠٠ قذيفة مضادة للدبابات تطلق من الكتف - وعروض بفرز طائرات ف ١٥ الاميركية لحماية العربية السعودية اذا ما أرسلت السعودية طائراتها المقاتلة الى اليمن الشمالي . وأرسلت طائرتا استطلاع معقدتان ومجهزتان برادار « إلى الأسفل » للسعوديين كي تستعمل في مراقبة الطيران السوفياتي إلى اليمن .

ووصل الى الرياض فريق من ٢٢ مسؤول عسكري ليضعوا خططا لطائرة لتوزيع القوات على المنطقة . ومع ان الناطق بلسان البنتاغون قد أكد ان أياً من القوات المقاتلة الاميركية أو السعودية غير مطروح للاستعمال في المستقبل ، فان وسيلة التدخل « الوقائي » قد تأكدت .

#### استنتاجات

في أطوار الالتزام بالمفاوضات في ( عهد ) الادارتين ، كان اللاعب الذي يوزع الأوراق ( أي الذي يمسك بـ ٩٠٪ من الأوراق ) يقدم الوعود بالمزيد من العون غير العسكري للتخلص من الخيوط التي تعرقل حياكة التسوية التي تكاد أن تتم . هذا العنصر غير العسكري يقدم تمييزاً مركزياً بين « المدرستين » الاستراتيجيةتين المتنافستين اللتين أجرتا نقاشاً علنياً منذ مفاوضات سيناء في ١٩٧٥ . والالتزامات بالعون العسكري التي زادت بشكل ملحوظ على يد ادارة كارتر كان يتم تبريرها على أساس استراتيجي من قبل أنصار مدرستي نظام الهيمنة على « النمط الانتدابي » التي دافع عنها بنجاح خاص جورج بول ، ومدرسة « الاستعادة الملكية » من الاستراتيجيين الذين عرض لآرائهم منهجياً جورج ليسكا ، مع أن العرض كان تجريدياً .

لكن بسبب أن العنصر غير العسكري في العون الأمريكي الاضافي ، يستدعي المزيد من مستويات العلاقة المعقدة والنتائج الأقل ملاءمة للسيطرة الملكية ، فان هذا النوع من الالتزام هو الذي يجده استراتيجيو الاستعادة الملكية أكثر اشكالا .

إن التورط الاميركي الأعمق في مصر التابعة اقتصادياً ، والتي في الآن نفسه تتصدى لدور المدرب العسكري وبركي البحر الأحمر ، يندرج بنشوء « نموذج اقتصادي » يمكن ان يصبح مصدراً رئيسياً للنقاش الاستراتيجي والتحضيرات الطائرة في الدائرة الديبلوماسية المقبلة .

ويظهر أحد الفروقات في دائرتي المفاوضات على أنه يتمثل في التطور الزمني والذي من خلاله انشأ كسينجر أصلاً رابطة « المحطة الخلفية » ( بمساعدة السي . اي . إي ورجال الاعمال الأمريكان ) لتوضع في صالح اسرائيل في الدائرة الثانية . فمن خلال هذه المحطة متنت اسرائيل

علاقتها المنفصلة مع السادات في ١٩٧٧ أي مباشرة، قبل أن يجد السادات نفسه في الكنيست الإسرائيلي .

إن اقتراح حاكم عربي عميل يقوم بقلب دراماتيكي لصورة المستشرقين التي تؤكد السلبية العربية واللاعقلانية ، هذا الاقتراح متضمن في هذا الطور . فالمدى الذي بلغه العديد من القادة العرب في القبول الضمني لهذه المحاور الاستشراقية عن ثقافتهم وعن أنفسهم يستحق المزيد من التحليل .

والتطور الثاني الذي يميز بين الدائرتين قصيرتي الأجل ، هو ظهور استراتيجيي « الاستعادة الملكية » في مجال الارشاد السياسي ، قبعد وقوف الجميع في ١٩٧٥ - ١٩٧٦ ضد نظام كسنجر البسماركي المخفف ، فان المجموعة تطرح اليوم تركيزها غير الخجول على الأراضي ، محتفظة بالاهتمام المركزي بالضرورات السياسية العسكرية التي تحافظ على الامبراطورية الاميركية ، هذا المفهوم الاستراتيجي قد أعيد توحيده بالتواؤم مع البستراتيجيين الاسرائيليين الذين وضعوا ، كما يبدو ، متطلباته التكتيكية في نظام للسيطرة المنطوية اكثر تناسقا بعد ١٩٧٢ . بعد ذلك بدأت تشكل المتطلبات الاستراتيجية الاسرائيلية ، في حدها الأدنى ، « البعد » الاجباري في استراتيجية اميركا . هذا التطور قد عنى ان محصلة النظامين تظهران سيادة موجبة السيطرة الجغرافي ، حتى حين كان نمطا الانظمة الاستراتيجية قيد التداول ، أي هيمنة « نمط الانتداب » بتوكيداتها الاقتصادية والشرعية ، والتأويل السياسي - العسكري للامبراطورية ، وحتى حين كان الاثنان يصارعان بعضهما في مواضع محددة .

إن نظام الهيمنة يتطلب تسلسلا وشروطا في التوقيت اكثر دقة بكثير ، وحين يفشل توفير أي من هذه الأمور بفعل النقص في ديبلوماسية البشر ، فعند ذلك تبقى محركات السيطرة الجغرافية الأيسر بوصفها البديل الوحيد للفضى السياسية . في هذه المصادفة بدأت اميركا - الربيع الأخير من القرن العشرين ، تشبه بريطانيا في المراحل الأخيرة لسيطرتها الجغرافية ، بعد فقدان الثقة الثقافية بشكل عام الأمر الذي جرهما الى حرب البوير وتدعم بالمواجهات الطبقيّة في الداخل ، والتحوّلات في السلوكية الاجتماعية ، والاحساس بأن قيادة بريطانيا تقنيا قد تآكلت .

ومع أن منطق الاستراتيجيين الملكيين يعامل مرحلة ما بين الحربين في الثلاثينيات بوصفها المرحلة التي تصلح للمشابهة مع السياسة الأميركية الراهنة ، فان تحليلهم يميل في المقابل لأن يركز على المراحل المبكرة ، حيث بدأ القادة الرومان القدامى والقادة الملكيون البريطانيون المعاصرون بانراك علائم الابطاء التقني والانحدار الاقتصادي ، ويتحركون بالتالي نحو تصليب نظامهم الداخلي وتمتين سيطرتهم الجغرافية على المحيط .

ولقلب ما يراه هؤلاء الاستراتيجيون بوصفه تراجعاً اميركياً كونياً وقدرة سوفياتية متزايدة على تهديد الدفاع الوطني ، فانهم يدافعون عن اتخاذ خطوات تستثمر ما يقع خارج الحاجة السوفياتية للوفاق على نطاق كوني ، ورغبة السوفيات الملازمة بالبقاء كقوة ثانوية في الشرق الأوسط ، الأمر الذي يمكن الولايات المتحدة من تصليب الاصطفاف التراتبي لزيائنها في المنطقة ومن البدء في تكديس السلاح ، واعادة توزيع حاملات القوى العسكرية ، ضمن نطاق من التوجهات الجذرية والانظمة المهتزة .

وبالحدود التي أكد فيها كامب ديفيد هذه الاجراءات ، في ظل اشراف وزير الدفاع هارولد براون ، وفي ظل تنسيق مستشار الأمن القومي بريجنسكي ، يستطيع المرء أن يتوقع المزيد من التأكيد على السيطرة الجغرافية في استراتيجية الشرق الأوسط الاميركية . وبتحديد وجود هذا المفهوم الذي دافع عنه استراتيجيو « السيطرة الجغرافية » في كتابات بريجنسكي نفسه على امتداد العقد الماضي ، رغم انه مخلوط باحالات غامضة عن القوى الجديدة التي على القوى الغربية أن تتكيف معها ، يستطيع المرء أن يتوقع من ادارة كارتر في السنة المقبلة ، أن تدافع عن سياستها في وجه النقاد الانتخابيين ، وذلك من خلال الارتداد نحو لغة السيطرة الجغرافية الأسهل مفهوماً .

وقد تنتج ضغوط التحزب الانتخابي إياه ، حيث تجري الانتخابات في وسط مصاعب اقتصادية وتراخ تشريعي يعاني منه جمهور مثبط الهمة ، درجة أرفع من الشيوعية القومية الموجهة ضد تسعير النفط العربي وتكتيكات حرب العصابات .

وتشكل الأحداث العديدة الماثلة في السياسات الراهنة للشرق الأوسط ، المضمون الاختباري للمبادرة الدبلوماسية الكبرى الثانية في المنطقة ، فالتوظيف المستمر ، لكن الأكثر تعقيداً للزيائن ، من خلال الحرب النفسية والاختراق الاستخباراتي للمناطق شديدة الخطورة ، هي أمور يمكن توقعها . ومع تزايد الروابط الأكيدة بالقاعدة الجغرافية في اسرائيل ، فإن حركات التنقل العسكري الأمريكي في المحيط الاغرض سوف تزيد الاعتماد الأساسي على اسرائيل ، والاحتمالات الملائمة التي أشار إليها استراتيجيو « الاستعادة الملكية » في معرض النصح لاسرائيل ، تحمل مضامين أكثر خطورة على ( مهمة ) الدفاع عن بقايا الأمة العربية . وهذه تتضمن استعمال مصر « الموازنة » لتقديم نسخة جديدة من استراتيجية « الدفاع في العمق » الاسرائيلية ، أكان هذا الاستعمال يعني توفير مخزن إضافي تزود اسرائيل منه ، أو ساحة معركة موسعة ، أو أكان يعني قيام مصر بدور عميل يخدع ويحير ومن ثم « ينقذ » الشرق العربي ، ويحتل حقول النفط الليبية أو ينافس ، وفي النهاية يحطم ، الادعاء السعودي بحمل لواء القيادة ضمن الانظمة العربية ذات التوجه الاميركي .

إن المتطلبات التكتيكية للدفاع الاسرائيلي في العمق ، يحمل معنى خاصاً للفلسطينيين الذين سيقصدهم الاستراتيجيون المليون الى طرف لا علاقة له بالموضوع ، من خلال معالجة « جراحية » اخرى ، مثل ضربة في لبنان ، أو العديد من الحلول النابعة من حكمة المستشرقين ، مثل « الاجهاض » في عمل غير ناضج تحت عليه ترتيب اسرائيل مسبقاً .

والبديل لمثل هذه العملية الجراحية في منطق الاستراتيجيين الملكيين ، سيكون اختراقاً وظائفياً على قاعدة يفضلها نائب القنصل الملكي ، أي ، تشكيلية من العلاقات الاجتماعية التعددية بنيوية ، والمحسوبة على انها تقلص الهموم الايديولوجية والتاريخية لبعض مصالح الدول وخصائص الانظمة المحلية .

إن « المواصفات الهامة ذاتياً » سوف تبقى لغة الاستراتيجيين « غير المعرضة للنقاش وغير المذكورة اطلاقاً » ومن الضروري أن يتم « تجاهلها في الحرب التي تنهي الأنوات لكي تسمح للحرب بأن تنتهي في الواقع » ( جورج بول ) .

لكي نخرج باستخلاصنا عن متطلبات الاستراتيجية طويلة المدى ، يمكننا أن نتذكر الجسد الفكري الذي طوره توماس كاهن حول كيفية استبدال النماذج العلمية بنماذج أخرى جديدة . والنظرات العامة في داخل هذه الثورة المفهومية يمكن أن يطلقها أولئك المخروطون في النضال اليومي في الشرق الأوسط والمناطق الأخرى من العالم الأفرو آسيوي لمواجهة النموذج الملكي .

فمن موديل\* كاهن العلمي يستطيع المرء أن يتحرك نحو القضايا التفصيلية التي تحتل أولوية رفيعة بالنسبة للتحليل السياسي والدراسة الاستراتيجية من قبل جميع القوى التقدمية العربية . وهذه القضايا تتضمن بالطبع ، المشاكل المتداخلة للإمبريالية الثقافية ، وأنماط الانتاج والتشكل الطبقي وسيطرة الدولة التي يتم بحثها على نحو واسع من قبل المنقذين في العالم العربي .

لكن الجهد الاستراتيجي الأكبر الذي هو توسيع النموذج الثوري ليواجه السيطرة الملكية ، ( يعادل ) إعادة تعريف تم الاعتراف بها كمهمة عاجلة مطروحة على الثورة الفلسطينية ، ونحوها ثم قطع تقدما ملحوظا . وهذا الجهد الأكبر يتطلب حذرا في التعامل مع المجموعة الكاملة من العناصر وعلاقتها المنطقية الضرورية .

إن تشابه ديناميكيات التغيير في النموذج ، يطرح كيف أن إطارا موحدا ينهض على مفاهيم متناقضة وشروط تابعة يتم تقديمها على يد مجموعات ذات آراء ووسائل مختلفة ، لكنها ذات توجه متساو بالنسبة للعملية طويلة الأمد . وفي التجربة العربية تتمركز هذه العملية حول ما أسماه جاك بيرك بـ « البحث عن الاصاله » .

وريشما يتم إيضاح الهدف طويل الأمد ، ويتم تفصيل المتطلبات العملية ، فان الحركة تواجه مخاطر قصيرة الاجل أوجزت سابقا . فاذا كان أولئك الذين هم في السيطرة الكونية لنموذج سلطة الدولة يقدمون للفلسطينيين خيارات عضمة سمك القرش من خلال هجوم عسكري ، أو قبضة المجس على يد أخطبوط الانتداب ، أو العنف الهضمي للحوت الملكي ، فأية أسس للمقاومة لا تستطيع أن توفر الامن الضروري . أكثر من هذا وكما يقترح كاهن ، فان الذين يهيئون النموذج المضاد ليس لديهم خيار سوى أن يبنوا على جثة نموذج السيطرة القائم .

لقد كشف التحليل الذي تقدم ان النموذج يعرض لغموض دقيق ومقاييس مختلفة تكون هجينة ( كما لاحظ هناك أرندت بالنسبة لنظام السيطرة البريطاني في عملية مماثلة ) .

وكما ان النموذج الملكي قد حاك خيوطا مختلفة في المنطق ، ومواد البيع ، فهكذا رسمت الحركة الصهيونية على مجموعة منقسمة من المهام الديبلوماسية والاقتصادية والعسكرية من أجل ان تنتصر في فترة الانتداب البريطاني . وهكذا تستطيع الحركة الفلسطينية أن تفعل . فمتى يظهر أفق حقيقي لدولة من دون فقره خضوع ، وحتى يتم الاعتراف بحقوق كل الفلسطينيين في العودة الى بلادهم ، تقوم الحركة الفلسطينية بتوظيف الادوار المميزة والضرورية بنفس القدر في قطاعاتها المختلفة . إن الدياسبورا المتغربة ضرورية للمساعدة على تنظيم المواهب الثقافية والعملية للجماعة الفلسطينية . والكوارث الثورية تصيغ الاحساس

\* استعمل « موديل » ولم يستعمل « نموذج » تمييزا عن « نموذج » الذي استعمل كمرادف لـ Paradigm

الاعمق بالتاريخ وتبقي التواصل مع باقي المثقفين الثوريين ، وتطلب العبور الديمقراطي من خلال العالم العربي من أجل ان تحمل هذا البرنامج « القادر على إرشاد العرب الى ممرات المستقبل » كما عبر عبد الله العروبي عن المهمة . وتقدم مؤسسات بناء الدولة القاعدة العسكرية والاقتصادية للنضال الراهن .

فبإظهار طاقة تنظيمية أرفع ، وتخصص في الأدوار ، وتلاحم منظم بين مجمل النشاطات المتصلة بشؤون العمل والشؤون العسكرية ، سيخطيء قادة هذه المؤسسات الافتراض الاستشراقي عن العجز العربي عن التناسق ، وسوف يقدمون في الوقت نفسه حالات شاذة تعيق عمل الاستراتيجية الملكية ، حتى لو على المدى القصير . كذلك من الهام دور القيادة في تأمين الحماية الدبلوماسية الضرورية للحركة في أدق مراحلها من المجموعة الدولية ، وأخيرا ، فأولئك العمال الفلسطينيين العاملون في الانتاج الصناعي والسلعي ذي الاهمية الاقتصادية – الاستراتيجية بالنسبة للغرب ، يمسون « بالأوراق » المتبقية في حماية القطاعات الفلسطينية الأخرى .

مع تقدم هذه العملية ، التي بدأت في الواقع ، ومع تكريس اهتمام كاف لتدعيم القيادة ومتطلبات السيطرة التي هي حلقات حيوية بين الأجزاء المتعددة للحركة ، تستطيع الحركات بشكل أفضل أمام ضربات مباشرة في المستقبل ، وقد تصبح جاهزة لاشكال جديدة من العمل حالما تنتج الحالات الشاذة متوسطة الاجل في نظام السيطرة الاميركي « فيتناما أو اثنتين .. او فيتنامات عديدة » التي حث عليها غيفارا والتي تنبأ بها الستراتيجيون الملكييون انفسهم على قاعدة المشابهات الملكية الماضية ، كما لاحظ انوارد لوتاك في المثال الروماني :

« كون البرابرة المتخلفين قد واجهوا ، ولدة طويلة ، عدوا واحدا استطاعت ثقافته أن تتغلغل في كل جوانب حياتهم المنفصلة ، فقد وجدوا قاعدة ثقافية مشتركة للعمل ضد الامبراطورية . وأصبح من الأصعب على الديبلوماسية الرومانية ان تستمر في زرع الانقسامات بين الناس الذين صار يجمع بينهم الشيء الكثير » .

وبغض النظر عن التاريخ واللغة المشتركين ، فان النظرة الى القضايا المعاصرة هي التي تمتحن القدرة على التوحيد في الأمة العربية ، وهي التي تربط هذه القدرة بالنضالات في افريقيا وآسيا . إن الثورة طويلة الأمد في النماذج الاستراتيجية ، مهما كان شكلها الخاص ، مرشحة لأن تعرف على هذه القاعدة الأعرض .

## الطاقة والسياسة الخارجية الأميركية

### مقدمة

كانت السمة المميزة لنظام اتفاقيات الامتيازات ، الذي كان حتى الآونة الأخيرة الاداة الوحيدة لتنمية موارد النفط العربية ، انه ما ان يتم منح الامتياز او الحصول عليه ، حتى تسلم الحكومة المضيفة معه سلطة سيطرتها على تنمية موارد النفط ، ومستوى الانتاج ، والسعر الذي يباع به النفط . واستمر انعدام التنسيق حتى العام ١٩٦٠ عندما تم خلق منظمة البلدان المصدرة للبترول ( اوبك ) . وكان خلق اوبك نفسها عملا دفاعيا يقصد منه حماية دخل النفط من المزيد من التفتت . وحتى مع وجود اوبك ، اخفقت بلدان النفط العربية في صياغة سياسة مشتركة من شأنها ان تنسق السياسات المتحكمة بقطاعاتها النفطية او دمجها مع بقية اقتصاداتها . وهدف السياسة المشتركة الوحيد الذي رأوه مناسباً كان الهدف الذي من شأنه ان يزيد الدخل للبرميل الواحد ويزيد الدخل الاجمالي .

كان من المتعذر نوعاً ما تجنب هذه الحالة اذ ان السلطة النهائية لزيادة النمو أو تأخيرها كانت تكمن مع ادارة الشركات ، وهذا يعني خارج سيطرة الحكومات العربية . وبالإضافة الى اتفاقيات الامتيازات ، كانت شركات النفط المتعددة الجنسيات ( الشركات الكبرى ) في مركز يمكنها من الدخول في اشكال مختلفة من المشاركات للسيطرة على معدل تنمية موارد النفط ومن ان تكون القوة التقريرية النهائية فيما يتعلق بكمية النفط التي يتوجب على كل بلد ان ينتجها . وهذه نقطة مهمة تدعو الى بعض التوسع .

### النفط واهداف السياسة الخارجية الاميركية

خلال الحرب العالمية الثانية ، صار واضحاً انه لن يكون في مقدور الولايات المتحدة ان تواصل دورها بوصفها البلد المصدر للنفط الرئيسي في العالم ، وأنه لا بد من تنمية موارد نفط الشرق الاوسط لتوفير الطاقة الضرورية من أجل التنمية الاقتصادية اللاحقة للحرب ونمو الاقتصادات المصنعة . وانعكس تقدير هذه الحقيقة في اتفاقية النفط الانكلو - اميركية للعام

١٩٤٤ والتي كان لها هدفان رئيسيان (١) تمكين شركات النفط الاميركية من ان يكون لها المزيد من حرية الوصول الى نفط الشرق الاوسط ، (٢) اقتراح كيف يمكن ربط العرض بالطلب بغية دعم الادارة النظامية لدرجة النفط الدولية . ونجم عن عدم ابرام الاتفاقية تفويض الوظيفة العالمية لآلية تخصيص الانتاج الى الشركات الكبرى بمساعدة الحكومة الاميركية . وارتكز النظام على الافتراضيين الأساسيين التاليين : (١) ان الشركات كانت ادوات للسياسة الخارجية الاميركية ، (٢) ان مصالح الشركات كانت متطابقة مع المصلحة القومية للولايات المتحدة . وحددت اهداف السياسة الخارجية الاميركية آنذاك على انها :

(١) ان الولايات المتحدة رغبت في توفير امداد ثابت من النفط لاوروبا واليابان باسعار معقولة .

(٢) ان يصار الى المحافظة على الحكومات المستقرة في البلدان المنتجة للنفط غير الغربية .

(٣) ان تكون الشركات التي لها قواعد اميركية قوة مهيمنة في نفط العالم . ان اهداف السياسة الخارجية الاميركية التي عبرت عنها وزارتا الخارجية والدفاع في تقرير رفع في العام ١٩٥٣ الى مجلس الامن القومي هي نفسها الآن في العام ١٩٧٩ كما كانت في العام ١٩٥٣ . كما لا يجب على المرء ان يتوقع تغيرها . بل على العكس فان الأهمية الحاسمة للنفط لا من اجل اقتصادات أوروبا واليابان فحسب ، ولكن الآن من أجل الولايات المتحدة نفسها ، من شأنها أن تجعل هذه الاهداف حتى أكثر أهمية ، وبما ان الدفع الرئيسي لسياسة النفط الاجنبي الاميركية يبقى هو نفسه ، فانه من المناسب للحالة الراهنة على ما اعتقد ان استشهد ببعض النقاط الأكثر أهمية من تقرير العام ١٩٥٣ .

قال التقرير ، الذي اعد لايقاف العملية القضائية التي كانت تقوم بها وزارة العدل لمقاضاة الشركات الكبرى لخرقها القانون الاميركي في عملياتها الخارجية ، ان ثمة خطرا جديا بأن محاكمة شركات النفط ستكون مضرّة باهداف السياسة الخارجية الاميركية - ومضى التقرير مؤكدا ان الاقتصادات الصناعية المعقدة للعالم الغربي معتمدة اعتمادا مطلقا على وفرة مستمرة لمصدر الطاقة الاساسي هذا . وبما ان النفط هو المصدر الرئيسي للدخل والثروة في بلدان الشرق الاوسط ، فذلك يعني ان وجودها الاقتصادي والسياسي يعتمد على المعدل والشروط التي يتم بها إنتاج النفط . وهذا يعني ان « عمليات النفط الاميركية هي عمليا أدوات لسياستنا الخارجية نحو هذه البلدان » . و « احدى النتائج الطبيعية الرئيسية لهذا الامر هي حقيقة ان الانماء الاقتصادي الداخلي لهذه البلدان يعتمد الى حد كبير على سياسة عمليات شركات النفط » . وبما ان معدل النمو الاقتصادي يعتمد الى درجة مهمة على السياسات التي تنتهجها شركات النفط ، فانها بالتالي « تستطيع ان تساعد او تؤذي الاستقرار السياسي الذي نحتاج اليه في المنطقة » . ووفقا للتقرير كانت عمليات الشركات مهمة ايضا لاهداف السياسة الخارجية الاميركية بطريقة جوهرية اكثر اذ « ان الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي سيكونان في الوقت الحالي ولفترة مقبلة من الوقت منهيكين في صراع لاقتناص تأييد ولاء الجماعات السياسية في جميع أنحاء العالم الحر . وسوف نقدم الحجج والبراهين من اجل قضية حرية الفرد وكرامته وحرية الاعمال الحرة . وتتبعي معالجة نشاطات الحكومة الاميركية في النفط بطريقة من شأنها تجنب اعطاء القوة للادعاء بان النظام الاميركي هو نظام امتيازات واحتكارات وامبريالية » .

ويظهر هذا التقرير ، الذي لم ينشر علنا الا في العام ١٩٧٤ ، الرؤية والتوقعات التي كانت لدى صائغي السياسة الاميركية للبلدان المنتجة للنفط . وكما ذكرنا سابقا ، ليس ثمة سبب للافتراض بان الاهداف الاساسية قد تغيرت . بل على العكس يمكننا بثقة الافتراض بأن هذه الاهداف اكثر ارتباطا بالحاضر وبالمستقبل المنظور .

اذا صحت الملاحظات التي ابديناها في الفقرة الاخيرة ، فان سؤالنا مركزيا سي طرح نفسه . والسؤال هو الى اي حد وكم ستطول الفترة التي ستستمر فيها حكومات البلدان المنتجة للنفط بتنفيذ الدور الذي لعبته الشركات الكبرى بنجاح تام حتى العام ١٩٧٢ . ويكلام آخر ، هل ستدير هذه الحكومات وتنتج وتحفظ وتسعر نفطها وفقا لاهداف سياسة النمو والانماء الاقتصادي القومي البعيد المدى أم هل ستستجيب فحسب لطلب السوق العالمية وتعديل امداداتها النفطية تبعا لذلك ؟

ان نقطة الخلاف هنا جوهرية . وتتلخص بمسألة حرية الاختيار بين مجالات اختيار مختلفة للسياسة . ومركزية هذه القضية جلية بحد ذاتها ولا تحتاج الى توسع او تسويغ اذ انها تنبثق من حقيقة ما اذا كانت البلدان العربية كجماعة من البلدان النامية المعتمدة الى حد كبير على مورد واحد ولا يمكن تجديده تستطيع ان تستعيد المبادرة لتدفع الى الامام بسياسة من شأنها أن تزيد الى الحد الأعلى رفاهية شعوبها حتى نهاية هذا القرن وبعده .

#### تأثير الطاقة على حرب تشرين الأول ( اكتوبر )

فيما كانت الحكومات العربية وسط التفاوض على اسعار جديدة لنفطها الخام مع شركات النفط الكبرى ، انبثقت حرب تشرين الاول . ونتج تأثير حرب تشرين على مسرح الطاقة في ذلك الصين بصورة مباشرة عن قرار حكومة الولايات المتحدة الشروع في عملية نقل جوي كبرى للأسلحة لتعويض الخسائر التي تكبدتها اسرائيل ابان الحرب .

هذا القرار السياسي من جانب الولايات المتحدة جعل المفاوضات مع شركات النفط الكبرى تصير في غير محلها . والى ذلك فان عملية النقل الجوي لم تترك للحكومات العربية اي خيار سوى أن تتخذ قرارات من طرف واحد فيما يتعلق بالاسعار - وفيما يتعلق بالحظر وتخفيضات الانتاج ، وهو الامر الأهم في ذلك الحين . وخلقت القرارات الاخيرة حالة في السوق العالمية شجعت اوبيك على رفع اسعار النفط مرة أخرى ابتداء من كانون الثاني ( يناير ) العام ١٩٧٤ ، ومن المهم ان نتذكر ان هذه القرارات المهمة التي اتخذت في سياق حرب تشرين الاول ساعدت في تحويل مركز الحكومات العربية بصورة جوهرية وفي اعطائها لا كميات واقرة من الدخل والثروة فحسب بل كذلك نفوذا جديدا ومهما جدا .

ويكلام آخر أدخلت قرارات العام ١٩٧٢ عهدا جديدا من العلاقات بين البلدان المتطورة والجماعة الصغيرة من البلدان النامية المصدرة للنفط . وكانت تلك هي المرة الاولى التي اضطرت فيها البلدان المصنعة الى التسليم بأن سلطة السيطرة على احتياطات و انتاج واسعار النفط قد انتقلت الى المنتجين . ومثل هذا الاعتراف باعتماد متبادل ومتناسق الى حد غير مريح حمل معه ضرورة المساومة . وكانت هذه الضرورة مقلقة بعض الشيء بالنسبة الى البلدان المعتادة على الافتراض بأن تلك السلطة هي حكر مقصور عليها ، ويأن الوضع القائم هو

الترتيب الصحيح والطبيعي للأمور ، وبأنها تحتكر الحكمة ( والسلطة ) التي تضمن السلام .

قبل تناول ردة فعل الغرب ( والولايات المتحدة بنوع خاص ) للعلاقات المتغيرة ، سيكون من المفيد ان نتناول بنية العرض والطلب للطاقة والمركز الخاص والاحتياجات الخاصة للولايات المتحدة في هذه السوق .

#### بنية العرض والطلب للطاقة

بعد تعقب بعض أهم القوى التي الفت تطور قطاع الطاقة العالمية ، من المهم الآن ان نقدم صورة لسوق الطاقة العالمية ومكان النفط العربي في مثل هذه السوق .

في العام ١٩٧٧ بلغ مجمل الاستهلاك العالمي للطاقة ١٣٤ مليون برميل يوميا ، ( م ب ي ) بالمقارنة مع ٨٩ م ب ي قبل ذلك بعشرة أعوام و ٥٤ م ب ي فقط في العام ١٩٥٧ . ومن هذه الكمية الاجمالية للطاقة ، قدم النفط اقل من ثلث الاستهلاك العالمي في العام ١٩٥٧ ، مرتفعا الى ٤٠٪ في العام ١٩٦٧ ومرتفعا من جديد الى ٤٥٪ في العام ١٩٧٧ . من المهم ان نتأمل في هذه المعطيات ان انها تشير بوضوح الى الزيادة المستمرة في حصة النفط في استهلاك الطاقة في العالم . ويكلام أخر صار الاقتصار لعالمي ككل معتمدا بصورة متزايدة على مصدر الطاقة هذا خلال الاعوام العشرين الاخيرة . ومن المتوقع ان يستمر هذا الاتجاه في المستقبل ان ليست هنالك اية اشارات مهمة الى ان النمط سيتغير على نحو جدي بأية طريقة ممكن اذراكها .

واذا استثنينا البلدان الاشتراكية من حسابنا لهذه اللحظة ، لوجدنا ان النفط قدم ٥٢٪ من استهلاك الطاقة في العالم غير الاشتراكي .

ولكن ضمن هذه الصورة يختلف الاعتماد على النفط اختلافا كبيرا من بلد الى آخر، وهي حقيقة يجب ان تكون باعثة على مواقف واختيارات سياسية مختلفة لكل من المستهلكين والمنتجين . وهكذا في العام ١٩٧٧ ، مع ان النفط قدم ٥٢٪ من استهلاك الطاقة في العالم غير الاشتراكي ، الا ان اسهامه بلغ ٤٧٪ من استهلاك الطاقة في الولايات المتحدة من جهة و ٧٣٪ في اليابان من جهة اخرى . اما استهلاك اوروبا الغربية من النفط فيقع بين استهلاك الماردين الصناعيين الآخرين ، ويبلغ ٥٥٪ من مجموع استهلاك الطاقة .

يمكن النظر الى مكان النفط في بنية الطلب على الطاقة من زاوية مختلفة واكثر اهمية بكثير ، فاذا نظرنا الى معدل نمو استهلاك الطاقة ، لوجدنا انه خلال الماضي القريب ازداد مثل هذا الاستهلاك بمعدل متوسط يبلغ ٣,٦٪ سنويا للعقد الممتد من العام ١٩٦٧ الى العام ١٩٧٧ . وفي الولايات المتحدة وحدها ازداد مثل هذا الاستهلاك بمعدل ٢,٤٪ ( ادنى من متوسط العالم ) وفي اوروبا الغربية ازداد بمعدل ٢,٥٪ في حين ازداد في اليابان بمعدل ٦,٢٪ ، مشيرا الى المعدل الاعلى من النمو الاقتصادي الذي استطاع البلد الأخير أن يحققه . ومع هذا اذا نظرنا الى مستوردات النفط ( وهي أهم شكل من اشكال مستوردات الطاقة الى حد بعيد ) ، لوجدنا انه في حين ازدادت مستوردات النفط العالمية بمعدل متوسط بلغ ٦,٨٪ فان مستوردات النفط اليابانية ارتفعت بنسبة ٦,٥٪ سنويا ، ومستوردات النفط الاوروبية الغربية ازدادت بنسبة

٢,٧٪ ، في حين ان مستوردات نفط الولايات المتحدة ازدادت بمعدل متوسط بلغ ١٢,٧٪ لفترة الاعوام العشرة التي ننظر فيها . والامر الالهم من ذلك هو حقيقة انه في حين افلحت منافستا الولايات المتحدة الاقتصادية الرئيسيتان ( اوروبا الغربية واليابان ) في ان تبطلنا في الاعوام الاخيرة معدل نمو مستورداتهما النفطية ، استمرت الولايات المتحدة في زيادة مستورداتها بالنسب العالية نفسها . ويكشف النفط المستورد ، بوصفه عنصرا اساسيا من مجموع استهلاك الطاقة في الولايات المتحدة ، عن زيادة اعتماد استهلاك طاقة ذلك البلد على النفط الاجنبي . ويظهر هذا في حقيقة ان النفط المستورد في العام ١٩٦٧ لم يمثل غير ٨,٥٪ من مجموع استهلاك الطاقة في الولايات المتحدة ( او ٢٠٪ من استهلاك النفط ) في حين ان عنصر النفط المستورد الاساسي كاد يؤلف بعد ذلك بعشرة اعوام ربع مجموع استهلاك الطاقة ( وما يقرب من نصف مجموع استهلاك النفط ) . ومن المهم على ما اعتقد ان نتأمل في دلالة هذه التغييرات اذ انها تشير بوضوح الى ان مصلحة الولايات المتحدة في المنطقة العربية ليست مجرد مصلحة استثمارات اجنبية تقوم بها شركات . وسأتحدث عن هذا الموضوع فيما بعد . وقبل ان اتناول الجانب الآخر من قضية استيراد النفط الى الولايات المتحدة ، اي اهمية النفط العربي لاقتصاد الولايات المتحدة ، سيكون من المفيد على ما اعتقد ان الخص باقتضاب بعض المعطيات التي عرضت حتى الآن .

في العام ١٩٧٧ استهلكت الكتل الاقتصادية الرئيسية الثلاث في العالم الرأسمالي ( الولايات المتحدة واوروبا الغربية واليابان ) ٢٧,٥ م ب ي و انتجت ١١,٢ م ب ي فقط . واستهلكت الولايات المتحدة وحدها ما يقرب من نصف ذلك المجموع . واستوردت هذه الكتل الاقتصادية الثلاث في تلك السنة ٢٧,٥ م ب ي من النفط . واستوردت الولايات المتحدة وحدها ٨,٧ م ب ي ( او ثلث مجموع ما استوردته الجماعة من النفط ) .

القضية التالية التي احب ان اعالجها هي من اين جاء النفط واي دور يلعبه النفط العربي في مجموع واردات النفط في العالم .

اولا في العام ١٩٧٧ استورد العالم مجموع ٣٣ م ب ي من النفط الخام . وكما لاحظنا انفا ذهب ٢٧,٥ م ب ي من هذا المجموع الى الكتل الاقتصادية الرئيسية الثلاث للعالم الرأسمالي . ويكلام آخر ذهب نحو ٨٠٪ من تجارة العالم في النفط الخام الى هذه الكتل الاقتصادية الثلاث .

وفيما يتعلق بالـ ٣٣ م ب ي من النفط التي استوردها العالم ، فقد جاء نحو ٢ م ب ي من البلدان لاشتراكية وجاءت البقية من بلدان العالم الثالث ، ومن البلدان العربية بالدرجة الاولى . وقدمت البلدان العربية في تلك السنة ما يزيد على ١٨ م ب ي او ما يزيد على ٥٤٪ من المجموع . فانه من الطبيعي ، انن ، في ظل اوضاع الاعتماد والتخلف الاقتصاديين التي تميز البلدان العربية ان يكون معظم هذا النفط قد شحن الى اسواق الكتل الاقتصادية الثلاث .

وفي حين انه من الصحيح القول بأنه في ظل النظام الاقتصادي العالمي الراهن ، لا خيار للبلدان العربية سوى ان تصدر نفطها الى البلدان الرأسمالية في العالم ، فانه من الصحيح القول الى الحد نفسه ان الكميات التي تصدرها اكبر من احتياجاتها الداخلية . وقبل تناول هذه النقطة المهمة ، سيكون من المفيد ان نكرس بضع فقرات لتفاصيل علاقة الطاقة بين

### الولايات المتحدة والبلدان العربية في الوقت الحالي .

كان واضحا جدا من البحث في القسم الاول ان صلة الطاقة بين الولايات المتحدة والبلدان العربية كانت ثابتة الاركان لعقود من الزمن . الا ان صلة الطاقة اتخذت بالدرجة الاولى شكل استثمار اجنبي لشركات النفط الاميركية المتعددة الجنسيات ، وهذا الاستثمار جنى ارباحا طائلة وزود حكومه الولايات المتحدة بنفوذ السياسة الخارجية الذي كان مقيدا لاهدافها العالمية . ويكلام آخر لم يكن للولايات المتحدة اية مصلحة في نفط العالم العربي من اجل استهلاكها الداخلي . فقد كانت احتياجات الولايات المتحدة من النفط المستورد تلبى بالدرجة الاولى من مصادر غير عربية وغير منتمية الى اوبك . وكانت المصادر الرئيسية لمستوربات النفط الخام هي كندا وفنزويلا . وهكذا حتى العام ١٩٧٠ كانت مستوربات النفط الاميركية من العالم العربي اقل بقليل من ٤٪ من مجموع المستوربات الاميركية للنفط الخام . وبحلول العام ١٩٧٧ كانت النسبة قد قفزت بصورة دراماتيكية الى ما يزيد على ٢٦٪ . و اشار هذا الى حدوث تغيير من استيراد ٢،٤٨ م ب ي في العام ١٩٧٠ الى استيراد ٢،٢ م ب ي في العام ١٩٧٧ . حتى ان احتمالات الاعتماد على النفط العربي في المستقبل القريب ستكون اكبر اذا ما التزمت جمهورية ايران الاسلامية بسياستها المعلنة الرامية الى جعل انتاج النفط الخام في ايران خاضعا لاحتياجات الاقتصاد الايراني وليس الى الطلب من المصادر الاجنبية .

### الاقتصاد السياسي وارتباط الطاقة

خلافًا للرأي الشائع على نطاق واسع فان الاعتماد المتزايد للولايات المتحدة على النفط العربي لم يحمل حتى الآن اية فوائد سياسية او اقتصادية للعالم العربي . وممالا نزاع فيه ، بالطبع ، ان الزيادة الدراماتيكية في سعر النفط الخام وضعت في تصرف منتجي النفط ، العرب وغير العرب ، كميات كبيرة من العملة الاجنبية ، ولكن خلاف ذلك استمر نمط الاعتماد الاقتصادي دون تغيير .

من الامور المتفق عليها بوجه عام ان البلدان العربية المنتجة للنفط التي توجد لديها اموال فائضة تجد نفسها في المركز الغريب لانتاج النفط الذي تنخفض قيمته بسرعة بسبب التأثير المشترك للتضخم وتقلب اسعار العملات . وفيما يتعلق بالعجز التجاري الاميركي الذي كثر الحديث عنه فانه من المفيد ان نوضح بعض الافكار الخاطئة . وتنشأ هذه الافكار الخاطئة عن الخلط بين مفهومين متصلين ولكنهما مميّزان . وهذان المفهومان هما الميزان التجاري وميزان المدفوعات . صحيح انه على اساس الميزان التجاري تظهر حسابات منتجي النفط فائضا في تجارتهم مع الولايات المتحدة من حيث انهم يبيعون الى الولايات المتحدة اكثر مما يشترون منها . غير ان هذا المفهوم يحدد الصفقات الاقتصادية على نحو ضيق جدا ولا يأخذ في الحسبان جمهرة الصفقات الاخرى التي تجري عادة بين الامم . وهذه الصفقات ، بما فيها الميزان التجاري ، تؤلف ميزان المدفوعات . ووفقا لهذا القياس نجد ان الاموال التي يتلقاها منتجو النفط العرب على نفطهم انما تعود الى الولايات المتحدة في شكل مستوربات سلع ، ومستوربات خدمات ، وفوق كل شيء في شكل اموال تستثمر في اسواق المال ورؤوس الاموال في الولايات المتحدة . ومن المفيد جدا ان نتذكر ان نفقات الولايات المتحدة على النفط المستورد ، وفقا لهذا

القياس ، يعوضها ، بل ويزيد ، تدفق الأموال العربية الى الولايات المتحدة . وثمة وجوه اخرى لصلة الطاقة بين الولايات المتحدة والعالم العربي لا بد من معالجتها علما بانها قد لا تكون مرتبطة ارتباطا مباشرا بالقضية التي نحن بصددنا . اولا لا بد من ان نذكر ان الزيادة في سعر النفط في سياق حرب تشرين الأول ( اكتوبر ) كان لها تأثير متناقض ظاهريا من حيث انها تعطي الولايات المتحدة امتيازات اكثر نسبة الى منافساتها الرئيسية ، اذ ان حصة النفط المستورد من مجموع استهلاك الطاقة في الولايات المتحدة هي اصغر من حصتها في البلدان الاخرى .

ثانيا ، فان معدل ايرادات شركات النفط المتعددة الجنسيات قد ازداد نسبة الى الاعوام السابقة . وبكلام آخر فان زيادات الاسعار للعام ١٩٧٢ قد مكنت هذه الشركات المتعددة الجنسيات من ان تنقل الى المستهلكين ، لا الزيادة في التكلفة فحسب بل تضخيم مثل هذه الزيادة ايضا . وبما ان معظم هذه الشركات هي اميركية القاعدة فانه يصح القول ان ايراداتها الاعلى قد افادت الاقتصاد الاميركي ، وزادت من قدرتها على تنويع مصادر الامدادات ومكنتها من مواصلة عملية نقل الموارد من بلدان العالم الثالث الى الولايات المتحدة .

ثالثا ان سياسة الطاقة التي انتهجتها الولايات المتحدة قد اتبعت ما يبدو انه سبيل عمل متناقض . وهذه السياسات المتضاربة ظاهريا اظهرت نفسها في محاولة الولايات المتحدة اعادة فرض مركزها المهيمن في العالم الغربي عن طريق اشراك شركائها الصناعيين في خلق « وكالة الطاقة الدولية » بينما هي تدخل ، في الوقت ذاته ، في علاقة خاصة مع العربية السعودية . ولدى إمعان النظر يصير من الواضح جدا انه لم يكن هناك اي تناقض كهذا . بل على العكس فان فرض الولايات المتحدة زعامتها المهيمنة في حقل الطاقة مكنها من تقويض اية قوة قد يكون اظهرها او حاول اظهارها منتجو النفط ( العرب وغير العرب ) . وبدخول الولايات المتحدة في العلاقة الخاصة مع اهم بلد منتج للنفط في العالم فانها تكون قد ضمنت لنفسها موردا يمكنها الاعتماد عليه في وقت يتوقع ان تستمر احتياجاتها هي من النفط المستورد في الارتفاع . والى ذلك تستطيع الولايات المتحدة ، بدخولها في العلاقة الخاصة ، ان تمارس درجة معينة من الضغط على منافساتها .

رابعا ، طالما بقيت الشركات المتعددة الجنسيات والاميركية القاعدة مسيطرة على المراحل غير الانتاجية للصناعة وطالما استمرت في ادارة القطاعات النفطية لبعض البلدان المنتجة للنفط ، فانه لا سبب هناك يدعو الى الافتراض بان مركزها في الصناعة قد ضعف . وبالتالي ، ليس ثمة ما يدعو الى الافتراض بان مركز الولايات المتحدة قد صار اضعف الآن مما كان عليه لبضعة اعوام خلت . بل على العكس ، فبالنظر الى النظام الاقتصادي الدولي الراهن وبالنظر الى ان معظم الانظمة العربية ما زالت تربط نفسها ايدولوجيا بالسياسات العالمية للولايات المتحدة ، يستطيع المرء ان يقول ان الولايات المتحدة كانت قادرة على تعزيز مركز قوتها في هذا الجزء من العالم .

#### الاقتصادات الرأسمالية : نزاع وتعاون

لقد قلنا سابقا ان احد أهم اهداف السياسة الاقتصادية الخارجية للولايات المتحدة كانت

تمكين شركات النفط الاميركية من ان يكون لها المركز المسيطر في صناعة النفط الدولية . وكان من المهم بالنسبة الى الولايات المتحدة كذلك ان يكون لها حلفاء قابلون للحياة سياسيا واقتصاديا ومزدهرون . فالنمو الاقتصادي غير الاعتيادي الذي ميز بلدان العالم المتطورة خلال العقود الثلاثة الماضية ساعدته الى حد كبير ، حقيقة ان النفط العربي كان ينتج ويباع بأسعار زهيدة جدا . والاعتماد المتزايد على النفط العربي زود الولايات المتحدة بنفوذ مهم ازاء شركائها التجاريين . وكان استخدام مثل هذا النفوذ غير مهم طالما ان الولايات المتحدة لم تكن هي نفسها معتمدة على النفط العربي من أجل احتياجاتها الداخلية . ونشأت المشكلة في اعقاب حرب ١٩٧٣ عندما واجهت الولايات المتحدة حالة كانت فيها مصالحها مهددة بالخطر الجدي ووجدت ان شركاءها التجاريين كانوا يدخلون في بعض الترتيبات التجارية غير التقليدية اطلاقا مع البلدان المنتجة للنفط في المنطقة لضمان استمرار الوصول الى النفط العربي .

واثار مثل هذا العمل المستقل الذي اقدم عليه شركاء الولايات المتحدة التجاريون خطرا في منتهى الجدية بالنسبة الى القوة المهيمنة للولايات المتحدة على حلفائها ، وهدد بتقويض مصالحها الاقتصادية والسياسية والعالية في المنطقة . وينبغي ان نتذكر دوما ان اعتماد الولايات المتحدة على النفط العربي هو في التحليل الاخير اقل بكثير من اعتماد شركائها التجاريين .

ولكي تعيد الولايات المتحدة جميع شركائها التجاريين وراء قيادتها وتعيد تثبيت مركزها ازاء شركائها التجاريين والبلدان المنتجة للنفط ، تم اتخاذ اجرائين سياسيين مهمين في اوائل العام ١٩٧٤ .

كان الاجراء الاول خلق وكالة الطاقة الدولية . وهذه الوكالة هي في الأساس ائتلاف البلدان المتطورة ( باستثناء فرنسا ) وكان يقصد منه ان يستخدم كقوة موازية ضد اوبك . واهم معلمين اثنين من اتفاقيات الوكالة هما سياسة ابطاء معدل النمو في الطلب على النفط ( والطاقة بوجه عام ) والآلية المطلقة لترتيبات المشاركة في النفط اذا ما نشأت من جديد حالة شبيهة بحالة العام ١٩٧٣ . وبغية خفض التعرض لقطع الامدادات ، اتفقت بلدان وكالة الطاقة الدولية على زيادة حجم مخزونها النفطي لتلبية احتياجاتها لمدة تسعين يوما وتقاسم احتياطاتها النفطية في حال حدوث قطع الامدادات .

وفي الولايات المتحدة سبق للحكومة ان وضعت الخطة وبدأت في تنفيذ ( احتياطي نفط استراتيجي ) من بليون برميل يضم ما يوازي امدادات ثلاثة اشهر من النفط المتسورد . ومع انه لم يتم التوصل قط الى هدف البليون برميل ، فان الحقيقة تبقى ان البلدان المستهلكة للنفط ، بامتلاكها لمثل هذا الاحتياطي من النفط ، ستكون في مركز يمكنها من تخفيف او اضعاف وقع اي استخدام ذي دافع سياسي لامدادات النفط من قبل البلدان المنتجة للنفط العربية وغير العربية . وباستعداد البلدان المنتجة للنفط لجاراة فكرة تأمين الاحتياطات الضرورية ، فانها تحرم نفسها من اداة سياسية مهمة .

كان خلق وكالة الطاقة الدولية مبادرة اميركية الى حد كبير ، وينوع خاص انعكاسا لرغبة كيسنجر في اعادة تثبيت قيادة الولايات المتحدة في العالم الصناعي وفي ان يمنع من ان تقوم بين

بعض منتجي النفط وشركاء الولايات المتحدة التجاريين ترتيبات تفضيلية تستثني الولايات المتحدة ، وكذلك في مواجهة اوبك بثقل موازن من الدول المستهلكة . ويكلام آخر كانت خطة كيسنجر هي ائذار البلدان المنتجة للنفط من ان استخدام سلاحها النفطي سيكون اغلى ثمنا من الناحيتين السياسية والمالية .

وكان الحدث الاكثر امتناعا ، وان لم يكن الاكثر مفاجأة ، هو اعلان الولايات المتحدة ، في غمرة مفاوضاتها لخلق وكالة الطاقة الدولية ، انها اقامت علاقتها الخاصة مع العربية السعودية حول الشؤون الاقتصادية والعسكرية . وهكذا نجح راسمو السياسة الاميركية ، في المدى القصير على الاقل ، في تعبئة البلدان المتطورة في وكالة الطاقة الدولية وفي ان تدخل ، في الوقت ذاته ، في اتفاقات خاصة مع اهم بلد منتج للنفط في العالم ( العربية السعودية ) ، من اجل الحصول على مركز ممتاز . وجوهر ترتيب تقاسم النفط بسيط : ان عبء النقص في الامدادات لدى اي بلد من البلدان ، او لدى المجموعة ككل ، يجب ان تتقاسمه الدول المشاركة . الا ان تطبيقات صيغة تقاسم النفط في الحالات الطارئة تسبب مشكلات اقتصادية وسياسية خطيرة . وهكذا اذا كانت الولايات المتحدة هي هدف حظر فرض عليها بسبب سياساتها فيما يتعلق بالنزاع العربي - الاسرائيلي ، فانه سيصار الى دعوة اوروبا واليابان لتقاسما خسارة الولايات المتحدة . ومن الناحية الاخرى ، اذا كانت اوروبا واليابان هدف الحظر ، بغية ممارسة ضغط غير مباشر على الولايات المتحدة ، فانه من غير المحتمل اطلاقا ان تكون لدى الولايات المتحدة امدادات كافية لموازنة العبء . وهذا يعني ان اوروبا واليابان ستضطران الى امتصاص العبء نفسيهما .

من المهم تكرار نقطة سابقة . فكلما طال مدة بقاء النزاع العربي - الاسرائيلي بلا حل ، ارتفع مستوى احتياطات النفط في البلدان المستهلكة . وهذا سيعني حتما ان استخدام النفط كاداة للسياسة الخارجية سيميل الى فقدان فعاليته مع مرور الوقت .

#### الولايات المتحدة ، الاتحاد السوفياتي والشرق الاوسط

قبل تناول العلاقة المتبادلة بين اهداف السياسة الخارجية للولايات المتحدة في المنطقة العربية وتفاعلاتها مع الاتحاد السوفياتي ، سيكون من المفيد قول بضع كلمات حول قطاع الطاقة في الاتحاد السوفياتي نفسه .

بادئ ذي بدء لا بد من ان نذكر ان الاتحاد السوفياتي هو اكبر بلد منتج للنفط في العالم وتتبعه العربية السعودية ثم الولايات المتحدة . والاتحاد السوفياتي هو كذلك بلد مصدر للنفط وتذهب معظم صادراته النفطية الى الغرب . ويبدو ان خطط الطاقة للاتحاد السوفياتي حتى العام ١٩٩٠ تتركز على الاهداف المركزية التالية :

( ١ ) ان يكون مكتفيا ذاتيا في الطاقة لجميع الاحتياجات الداخلية السوفياتية .

( ٢ ) ان يلبي الحد الأدنى من احتياجات اوروبا الشرقية .

( ٣ ) توفير حجم متزايد من صادرات منتجات النفط والغاز الطبيعي لتمويل مستويات متوسعة من الاتكال الاقتصادي المتبادل مع الاقتصادات الصناعية الغربية .

٤ ) توفير صادرات متواضعة من النفط الى البلدان النامية . الا انه لا بد من التذكر ان الاتحاد السوفياتي لا يتوقع منه ان يكون عاملا رئيسيا في سوق الطاقة العالمية الا بالنسبة لبلدان اوروبا الشرقية .

وقد تنشأ مشكلة بالنسبة الى الاتحاد السوفياتي اذا لم تتحقق خططه او اذا ازدادت احتياجاته الى المنتجات و سلع الانتاج الغربية الى النقطة التي قد لا يعود قادرا معها على تحقيق الاحتياجات المرتقبة لبلدان اوروبا الشرقية . وفي ظل هذه الاوضاع يجب ان نتوقع ان يصير التنافس السوفياتي - الاميركي على النفط العربي عاملا مهما في السياسة الخارجية الاميركية نحو المنطقة العربية . وثمة وجه آخر لهذه الحالة . فقد يجد الاتحاد السوفياتي ، في حملته للحصول على كمية متزايدة من السلع والتكنولوجيا الغربية ، انه من الضروري ان يزيد التسليمات النفطية الى اوروبا الغربية وان يعوض الفرق بزيادة مستورداته هو من الشرق الاوسط وايضا ان يشجع بلدان اوروبا الشرقية على ان تحذو حذوه .

إلا انه يمكن الافتراض بثقة ان الاتحاد السوفياتي ، للعقد المقبل من الزمن او نحو ذلك ، لن يدخل في اي نزاع خطير مع الولايات المتحدة من أجل موارد طاقة العالم العربي . واذا صحت هذه الملاحظة الاخيرة فان السؤال التالي سيكون : ما هي اهم المتغيرات التي ستدخل السياسة الخارجية الاميركية نحو المنطقة في العقد التالي من الزمن او نحو ذلك .

#### عامل الطاقة في السياسة الخارجية الاميركية

هناك على الاقل اربعة متغيرات يجب ان ننظر فيها من هذه الناحية .

- ١) الاحتياجات الاميركية الى النفط العربي .
- ٢) احتياجات شركاء اميركا التجاريين للنفط العربي .
- ٣) قدرة البلدان العربية على تلبية هذه الاحتياجات .
- ٤) اعتبارات السياسة القومية للبلدان العربية .

يبدو ان جميع الاشارات والدراسات تتفق على ان لا مناص من ملاحظة حقيقة ان كلا من الولايات المتحدة وشريكاتها التجارية ستستمر في الاعتماد على مصادرها التقليدية لامدادات النفط حتى آخر هذا القرن . وقد تكون الكميات مختلفة من مصادر مختلفة لكن الحقيقة تبقى ان النفط العربي سيستمر في لعب دوره التقليدي كعنصر طاقة اساسي ومهم وجوهري في صورة الامدادات بالنسبة لهذه البلدان .

ومقابل هذه الحاجة الى النفط العربي ، من المهم ان نلاحظ ان هناك قيودا مهمة وجديّة على قدرة المنتجين على تلبية الطلب . والقيود هي مادية واقتصادية واجتماعية .

اهم القيود هو قدرة العربية السعودية على توسيع انتاجها لتلبية الطلب العالمي . وكان الكثيرون من المراقبين ورأسمي السياسة قد افترضوا ، منذ فترة غير بعيدة ، انه سيكون في وسع العربية السعودية ان توسع قدرتها الانتاجية لانتاج ٢٠ م ب ي بحلول منتصف العقد التالي . اما هذه الايام فان اجماع الاراء هو ان الحقول السعودية عاجزة ببساطة عن تحقيق هذا المستوى من الانتاج . وبالإضافة الى هذه الحقيقة فان الانتاج الحالي لجميع

البلدان العربية يفوق احتياجاتها لنفقات التنمية الاقتصادية . وهذا يعني انه من مصلحة البلدان العربية في المدى البعيد ، من وجهة النظر الاقتصادية البحتة ، ان تجعل انتاجها النفطي مستقرا او ان تخفضه بدل ان تنتجه بالمستويات الراهنة . والى ذلك ، فان الثمن الاجتماعي للاضطراب الى مواجهة نتائج الارتفاع المفاجيء في اسعار النفط وايرادات النفط يرغم الحكومات العربية على اعادة النظر في سياساتها للتصنيع المعجل في وقت لا تلبى فيه الاحتياجات الاساسية للجماهير . ولا حاجة الى القول ان الثورة الايرانية قد غيرت الكثير من المقدمات المنطقية التي بنيت عليها السياسات . واذا افترضنا ان البلدان العربية ستكون إما غير راغبة او غير قادرة على تلبية طلب البلدان الصناعية للنفط ، فان عدة مشكلات ستنشأ حتما في المستقبل القريب .

اولى هذه المشكلات واهمها هي النزاع الذي سينشأ بين البلدان المصنعة نفسها فيما يتعلق بوصولها الى نفط المنطقة . ان المركز الممتاز الذي اوجدته الولايات المتحدة لنفسها مع العربية السعودية ومصر اضافة الى علاقتها الخاصة مع اسرائيل سيمكنها من لعب دور مهم في عملية تخصيص الامدادات المتوفرة بين مستعملي النفط المختلفين . وستستمر شركات النفط المتعددة الجنسيات المتمركزة في اميركا في لعب دور مهم في عملية التخصيص هذه .

المشكلة الثانية هي مشكلة وصول بلدان العالم الثالث المستوردة للنفط الى النفط العربي . ولن تعاني هذه البلدان من عجزها عن تلبية احتياجاتها الى النفط المستورد فحسب ، ولكنها ستعاني ايضا من الزيادة الحتمية في سعر النفط .

والمشكلة الثالثة والاكثر خطورة التي ستواجه البلدان العربية هي تلك التي تتعلق بحرية تصرفها كدول مستقلة . ومن المعروف تماما ، بالطبع ، ان الولايات المتحدة لن تتردد في اللجوء الى اية اداة من ابوات الضغط السياسي والعسكري الموجودة في تصرفها ، مباشرة او مداورة ، لتأمين الوصول الى النفط العربي . ويجري في الولايات المتحدة وضع خطط طوارئ لاقامة قوى من ١٠٠,٠٠٠ بينها ٤٠,٠٠٠ جندي مقاتل لاستخدامها لحماية مصالح النفط الاميركية في المنطقة من العراق الى عمان . ولا حاجة الى القول ان المخططين الاميركيين يعتبرون المنطقة العربية في الشرق الاوسط حساسة جدا وفي غاية الاهمية للمصالح الاميركية الداخلية والعالمية .

وبما ان الاتحاد السوفياتي سيكون مكتفيا ذاتيا في الطاقة فان البلدان المصنعة الاخرى هي التي تحب الولايات المتحدة ان تحرمها حرية الوصول الى النفط العربي . وتفترض الملاحظات الاخيرة الثلاث ان البلدان الغربية ستكون ممثلة سلبية في ما سوف يحدث لها وان الاوضاع السائدة في العالم العربي ستبقى جامدة . ان ايا من هذه الافتراضات ليس صحيحا ، بالطبع ، كما اظهرت الاحداث الاخيرة في ايران . ومن المهم ان نتذكر كذلك ان التناقضات بين بلدان العالم الرأسمالية فيما هي تدون من العقد التالي يجب ان توفر فرصا مهمة للبلدان العربية لاستخدام نفوذها الاقتصادي المهم لتحقيق اهدافها السياسية القومية .

#### ملاحظات ختامية

ان مسألة الطاقة والسياسة الخارجية الاميركية ليست مسألة جديدة . وكذلك الصلة بين

السياسة الخارجية الاميركية والنفط العربي .

ان التغييرات التي تمت في السبعينات والتغيرات التي يرتقب ان تتم في العقد التالي من الزمن لن تؤدي الا الى تقوية تورط الولايات المتحدة في شؤون المنطقة العربية .

ان الاهمية المتزايدة للنفط العربي بالنسبة الى قابلية الحياة الاقتصادية المستقبلية للبلدان المصنعة هي ببساطة اهمية عامل اضافي سيميل الى تعميق التناقضات التي ميزت العلاقات الاقتصادية بين هذه البلدان .

من المتفق عليه بوجه عام ان الركود الاقتصادي في العام ١٩٧٤ قد فاقم حالة نزاع كانت موجودة بين البلدان الصناعية . وفي الواقع كان النزاع الذي وجد اهم تعبير له في انهيار نظام بريتون وودز THE BRETTON WOODS SYSTEM قيد الاعداد طيلة عقدين من الزمن .

ويكمن في اساس النزاع الضعف في المركز المهم نسبيا لاقتصاد الولايات المتحدة ازاء شريكاتها التجاريات في اوربيا واليابان . وقد بدأت المراكز النسبية المتغيرة لهذه الكتل الاقتصادية الثلاث عملية اعادة ضبط لم تنته بعد ، كما انه من غير المتوقع ان تكتمل في المستقبل القريب . ان الميل الجديد لدى البلدان العربية المنتجة للنفط ولدى غيرها من اعضاء اوبك فضلا عن بلدان العالم الثالث ، لقرض موافقها قد اضاف بعدا جديدا الى مشكلات البلدان الصناعية والنزاعات فيما بينها .

وفيما تتلمس البلدان الرأسمالية طريقها لوضع مجموعة جديدة من الانظمة للتحكم في سلوكها الاقتصادي ، فان احد اهم التطورات في هذا العقد من الزمن هو بروز العالم الثالث كقوة اقتصادية مهمة في الاقتصاد الدولي . ومالت هذه الحقيقة بحد ذاتها الى زيادة النزاعات بين البلدان المصنعة في محاولاتها خلق او تعزيز مراكز سيطرتها في بلدان العالم الثالث . الا ان بروز العالم الثالث كقوة اقتصادية مهمة ( وكسوق مهمة ) قد خلق ايضا فرصة تاريخية مهمة للبلدان العربية . فلدى البلدان العربية المنتجة للنفط فرصة تاريخية لم يسبق لها مثيل لضم قواها الى قوى بلدان العالم الثالث الأخرى لتغيير نمط الاعتماد الاقتصادي والسياسي الذي ميز معظم الفترة اللاحقة للحرب العالمية الثانية .

ان البلدان العربية المنتجة للنفط ، باستخدامها النفط كأداة للتغيير ، لن تغير نفسها فحسب بل ستفيد ايضا اكثرية البشر .

ان التحدي ، بالطبع ، هو ما اذا كان العرب مستعدين وراغبين في القبول بهذا التحدي التاريخي .

## الاقتصاد السياسي لسياسة الطاقة للولايات المتحدة

تنطوي سياسة الطاقة ، المتعلقة بالانتاج والتسعير والتملك والاستيراد ، على قضايا معقدة في علم الاقتصاد ، لكن هذه القضايا لا تشكل في حد ذاتها مسائل اقتصادية بحتة ، النظر اليها من وجهة الاقتصاد النظري فقط يكون وجهة نظر مشوشة ومضللة<sup>(١)</sup> . فالموارد الطبيعية في حدود أي دولة هي في معظم الحالات ملك الحكومات الوطنية ، كما أن القرارات المتعلقة بسرعة التنقيب والاستثمار هي قرارات حكومية ، سياسية . كما أن تنظيم وفرض الضرائب على الطاقة هي قضايا سياسية ، وتنظيم تدفق الطاقة بين الامم ينظر اليه من قبل جميع الحكومات كوظيفة سياسية . اما بالنسبة للنواحي الاقتصادية ونتائج وتكاليف السياسات البديلة ، فإن علم الاقتصاد النظري يسلط عليها ضوءا غير ان الموضوع ككل ليس موضوع اقتصاديات الطاقة بل الاقتصاد السياسي للطاقة<sup>(٢)</sup> .

وعليه فان سياسة الطاقة لا تتبلور في فراغ بل ان ارضيتها مؤصلة في القياسات الاولية الجغرافية والسياسية والاقتصادية الاجتماعية العائدة لها ، كما هي في شبكة الاهداف المعقدة المستهدفة التحقيق من قبل الحكومات .

تشتمل محدودات الوضع العالمي الحالي للطاقة على ما يلي :

- أ - ان زيادة الاسعار من قبل منظمة الاوبك ( الدول المنتجة والمصدرة للنفط ) لم تجار معدل التضخم الحالي وهبوط سعر الدولار منذ سنة ١٩٧٤ حيث هبط السعر الحقيقي بشكل ملحوظ<sup>(٣)</sup> . بالرغم من ازدياد سعر البترول الاسمي اربعة اضعاف في تلك السنة .
- ب - ان معظم العائدات الجديدة من النفط او ما يسمى بالبترول دولار توجهت للغرب ، وعليه فان مشكلة انتقال الثروة التي اثارها كثيرا من القلق لم تشكل تلك الكابوس الذي كان متوقعا ان يحدث في سنة ١٩٧٤ .
- ج - انخفاض الطلب على النفط في الفترة الاخيرة عن كمية العرض . لقد ازداد استهلاك الطاقة في

الدول الصناعية الهامة بسرعة تفوق الزيادة في الانتاج المحلي القائم في السنوات التي سبقت ١٩٧٤ ، غير ان النسبة بين معدلي النمو أي معدل الطاقة ( energy coefficient ) فقد هبط هبوطا ملحوظا في السنوات التالية . اما بالنسبة للولايات المتحدة فقد ازداد استهلاك النفط بصورة اجمالية تقدر بعشرة بالمائة بين سنة ١٩٧٢ و١٩٧٧ .

د - ان جميع التقديرات للطلب على النفط في المستقبل تشير الى زيادة في كميات النفط التي سيحتاجها العالم في المدة المقبلة . واذا اخذنا بعين الاعتبار الكمية المتاحة والاستعمال الكلي لجميع مصادر الطاقة من غير النفط فان اكثر التقديرات تحفظا تنبئ بأن استهلاك النفط في العالم باستثناء العالم الشيوعي سيزيد على ٦٢ مليون برميل في اليوم في سنة ١٩٨٥ . وهذا يشكل زيادة بنسبة ٢٢٪ على مستوى الاستهلاك لسنة ١٩٧٧ والذي بلغ ٥١ مليون برميل في اليوم<sup>(٤)</sup> . وبناء على هذه الزيادة وعلى افتراض صحة التنبؤات المتفائلة عن انتاج النفط من غير دول الاوبك ، فان الدول المستهلكة بحاجة الى ٣٧ مليون برميل في اليوم من دول الاوبك مقابل ٢٢ مليون برميل في اليوم في سنة ١٩٧٧ . هذا بالاضافة الى الافتراض الغير واقعي ، بان حاجة الكتلة الشيوعية لا تحتاج فقط الاوبك ابدا . والجدير بالذكر هنا ان منظمة التعاون الاقتصادي والتنمية OECD تتنبأ لحاجة اكبر لنتف الاوبك في سنة ١٩٨٥ . فبالنسبة لجميع دول OECD ، فان مجموع استيرادها من الاوبك يمكن ان يصل الى ما بين ٢٨ و٤٠ مليون برميل في اليوم ، واذا اضفنا استهلاك دول الاوبك الى استيراد الدول النامية LDC فان مجموع الانتاج المطلوب من دول الاوبك يجب ان يتراوح بين ٤٢ و٤٤ مليون برميل في اليوم<sup>(٥)</sup> .

هـ - ان طاقة الاوبك لانتاج الطلب المستقبلي سيكون مضمونا من دول الاوبك بنظر باحثي MIT . ولكن وكالة المخابرات المركزية الاميركية تفترض ان هذه الطاقة ستنقص عن ٢٩ مليون برميل في اليوم خصوصا بالنسبة لانخفاض الانتاج في ايران وتمنع او عدم قدرة السعودية على زيادة انتاجها الى المستوى التي تحاول الولايات المتحدة فرضه عليها .

و - ان الاكتشافات الجديدة في الصين والمكسيك والقطب المتجمد ستعمل على تغطية جزء بسيط فقط من الفجوة المتوقعة بين الطلب والعرض . كما انه حتى في حالة الاستثمار الكلي ( الاقصى ) فان الاكتشافات الجديدة ستعجز عن تخفيف النقص المتوقع بنسبة مهمة . اما الاستهلاك المتراكم من سنة ١٩٧٨ ولنهاية ١٩٩٠ سوف يبلغ قرابة ٣٠٠ بليون برميل او على وجه التقريب نصف مجموع الاحتياطيات المعروفة حاليا . وبما ان نسبة الانتاج لسنة ١٩٧٨ الى الاحتياطي المعروف هي ٢٢ سنة فان معدل الاكتشافات التعادلي المطلوب لتثبيت واستدامة هذه النسبة يجب ان يبدأ بكمية ١٨ بليون برميل في السنة على ان يزداد تدريجيا الى ما يقرب من ٢٨ بليون برميل في نهاية سنة ١٩٨٥<sup>(٦)</sup> . وبموجب دراسة حديثة لشركة اكسون EXXON فان معدل الاكتشافات في السنوات العشر المقبلة يتراوح بين ١٢ - ١٨ بليون برميل . وذلك بناء على افضل التوقعات . وهذا يعني ان نسبة الانتاج الى الاحتياطيات مرشحة للهبوط من ٢٢ سنة عام ١٩٧٨ الى اقل من ٢٥ سنة عام ١٩٨٥ . طبعاً ستكون نسب الاستنزاف مختلفة في مختلف اقطار الاوبك . ففي السعودية ستكون النسبة ادنى مما هي عليه في فنزويلا انما صلب القضية هو ان كثيرا من بلدان الاوبك

ستواجه مشكلة الاستنزاف الكلي لاحتياطاتها البترولية في المستقبل القريب . لذلك فان الاكتشافات الجديدة في الصين والمكسيك والمنطقة المتجمدة لن تغير من صورة النقص في موارد النفط في المستقبل ، زد على ذلك فان مناطق الانتاج الجديدة او مناطق الانتاج الحالية الموسعة لن تعمل بالتاكيد دون اعتبارات العرض /الطلب وعوامل التواجد الطبيعي والتي تحدد مسيرة وقرارات اعضاء منظمة الاوبك الحاليين . « بل على العكس ، فمن المفترض أن يندمج الانتاج الجديد أجلا ام عاجلا في انماط العرض والتسعير لدول الاوبك » (٧) .

ز - سقوط الشاه في ايران وفقدان ايران كرجل الشرطة الاميركي في الخليج وكحليف اكيد للغرب في منظمة الاوبك ، وقطع النفط الايراني عن اسرائيل وافريقيا الجنوبية ، وانخفاض تدفق البترول الايراني .

ح - معاهدة السادات - بيجين الاستسلامية وتراجع اسرائيل عن ابار النفط في سيناء .  
ط - سيطرة الاتحاد السوفياتي الكاملة على المحيط الهندي .

ي - بروز اوربا واليابان كقوى اقتصادية عظمى على حساب الولايات المتحدة .

ك - ميوعة الوضع العسكري السياسي في جنوب افريقيا وانتفاضة شعوب المنطقة على الانظمة العنصرية .

انطلاقا من هذه الحقائق ، تظهر سياسة الطاقة في الولايات المتحدة وكأنها خطت لتخدم غرضين رئيسيين : اولاً ، الغرض المألوف وهو المصالح الاقتصادية الداخلية وثانياً ، الاهداف السياسية والاقتصادية والعسكرية للسياسة الخارجية التي تبقى عادة سرية او غير معلنة . والتي يمكن الاشارة الى عناصرها الاساسية كما يلي :

- (أ) اسعار متدنية للطاقة للاستعمال الداخلي .
- (ب) ضمانات مؤن النفط وضمائم طرق التمويل .
- (ج) ضبط وتطويق وترويض الاوبك .
- (د) تأكيد زعامتها على اوربا واليابان .
- (هـ) دعم الانظمة الرجعية العميلة .

لقد استخدمت الولايات المتحدة عدة استراتيجيات وتكتيكات لخدمة هذه الاهداف التي قد تظهر وكأنها غير مترابطة ، ولكن الاهداف المذكورة اعلاه تشكل الرابط الاساسي لفهم هذه الاستراتيجيات .

استطاعت الولايات المتحدة بطرق مختلفة ، منها طويل الامد ومنها صيغ بسرعة اثناء ازمة الطاقة ، ان تبقي سعر الطاقة في الولايات المتحدة دون المستوى العالمي . وقد حرم على المنتجين

المحليين من الاستفادة من الاسعار العالمية العالية . اما بالنسبة للنفط فقد فرضت ضريبة عالية على الانتاج المحلي لتمويل المعونات للنفط المستورد من الخارج (٨) . ونتج عن ذلك ازدياد في حجم الفجوة بين الطلب والعرض للطاقة ، وقد ازداد الاستيراد بشكل ثابت وكان معظم هذه الزيادة في الاستيراد من الدول العربية في منظمة الاوپيك .

الجدول رقم (١)  
استيراد الولايات المتحدة من نفط العالم العربي  
( آلاف الاطنان المترية )

السنة	مجموع الاستيراد	المصادر العربية	نسبة المصادر العربية الى مجموع الاستيراد
١٩٧٥	٢٠٧,٨٠٦	٦٥,٧٩٩	٣١,٧
١٩٧٦	٣٠١,٠٧١	١٢٩,١٧٢	٤٣,٠
١٩٧٧	٣٧٤,٢٤٥	١٦٧,٩٥٦	٤٤,٩

Source, World Oil, General Issue, February 15, 1978.

وتظهر مشكلة الطاقة في الولايات المتحدة وكأنها لا تتضمن أكثر من المبدأ الاقتصادي المعروف القائل بأن الزيادة في السعر تكون نتيجتها انخفاض في الطلب وزيادة في العرض . طبعاً ان تحديد الوقت الذي يؤثر فيه السعر على الطلب والعرض هو موضع نقاش ، انما خلاصة الشواهد تظهر بأن الطلب ينخفض بنسبة ١٪ لكل ٤٪ من الزيادة في السعر ، وان العرض يزداد بنسبة ١٪ مقابل زيادة ٥٪ في السعر ، ولا شك ان هذه التعديلات تأخذ بعض الوقت لتحقيق . وعليه فهناك بعض الشك في سرعة وحجم التأثير على السوق . انما هذه الارقام تكون اساساً معقولاً لوصف اولى لسوق الطاقة في الولايات المتحدة (٩) . ومن الواضح ان السياسة القائمة اليوم في الولايات المتحدة أبقت اسعار الطاقة فيها حوالي ٣٠٪ دون مستوى الاسعار العالمية ، ولذلك فان الاستهلاك هو ٨٪ اعلى مما يمكن ان يكون والعرض ينقص ٦٪ وانما ترجمت هذه النسب الى ارقام معادلة للنفط فان مجموع استهلاك النفط في الولايات المتحدة في الوقت الحاضر هو حوالي ٢٨ مليون برميل في اليوم منها ٢١ مليون برميل من النفط والغاز والفحم المنتج محلياً والرصيد الباقي هو مستورد . وعليه فان ٨٪ من الاستهلاك يعادل ٢ ملايين برميل يومياً بينما ٦٪ من الانتاج المحلي يقارب مليوني برميل يومياً . اما النتيجة الصافية لسياسة استبقاء اسعار النفط على حالها فتتبلور في زيادة الاستيراد بحوالي ٩ ملايين برميل يومياً . ومن هذا يظهر استنتاج خارق وهو ان مشكلة المستوى العالي للاستيراد في الولايات المتحدة هي من صنع الولايات المتحدة نفسها اذ ان مستوى الاستيراد يمكن تخفيضه كثيراً ، لو ان الولايات المتحدة لم تعتمد سياسة المحافظة على اسعار متدنية للطاقة في السوق الداخلي (١٠) .

والسؤال الوارد هنا هو لماذا فرضت الولايات المتحدة على نفسها هذه السياسة ، اذا كانت هي وحدها سبب مشكلة ازدياد الاستيراد ؟ طبعاً لا يجهل صانعو السياسة الاميركية بديهيات

اقتصاد العرض والطلب كما أنهم لا يقللون من حجم اثر السعر على العرض والطلب . الجواب الصحيح هو ان هذه السياسات كانت وليدة استراتيجية مدروسة لمنع اسعار المنتجات الصناعية في الولايات المتحدة من الارتفاع بالنسبة لاوروپا واليابان من اجل افادة المستهلك والمنتج المحلي للبضائع الصناعية. وان الفوائد التي يجنيها منتج البضائع الصناعية هدفها تحسين الوضع التنافسي المتدهور لصادرات الولايات المتحدة ، زد على ذلك فان منع اسعار الطاقة المحلية من الارتفاع الى المستوى العالمي يحول دون اعادة توزيع الدخل ، بشكل اجمالي من المستهلكين المحليين الى شركات النفط ، كما يخفض حجم الطاقة المنتجة محليا فيحافظ على الاحتياطات المحلية باستعمال الاحتياطات الاجنبية . كما يجبر دول الاوبك على المحافظة على مستوى اعلى من الانتاج مما لا يتوافق مع قدرة اعضاء منظمة الاوبك على الاستيعاب الامر الذي يؤدي بالنهاية الى اسعار ادنى للطاقة وتراكم الاموال الرهينة . ( Hostage Funds ) .

ان تمويل Subsidization خفض اسعار النفط يورط الحكومة الاميركية في عملية تمويل النفط المستورد من دول الاوبك ، وانه من السذاجة ان يصدق بأن هذه الظاهرة هي ناتجة عن رغبة حكومة الولايات المتحدة في تحديد ومنع تحويل الدخل من المستهلك الى شركات النفط<sup>(١١)</sup> . فلو كان هدف حكومة الولايات المتحدة ان تعيد توزيع الدخل ، فهذا يمكن تحقيقه بسهولة عن طريق الضرائب بدلا من طريق الاسعار . وان كتب الاقتصاد حتى الابتدائية منها تزخر بمثل هذه الحالات<sup>(١٢)</sup> . ولذلك فاننا نميل الى الاعتقاد بأن الولايات المتحدة تتبع الاهداف الاخرى التي نكرناها مثل تحسين الوضع التنافسي الدولي للبضائع الاميركية والمحافظة على مدخر الطاقة المحلي ، واجبار دول الاوبك على أن تزيد من اعتمادها على الولايات المتحدة ماليا وكمنفذ لصادراتها من النفط .

ان زيادة القدرة التنافسية للبضائع الاميركية تتأتى عن الاوضاع التالية:

اولا : ان حصول المنتج الاميركي على النفط باسعار تقل عما يحصله الاوروي او الياباني يخفض من كلفة انتاجه ويسمح له باستيعاب اكلاف اخرى ليس بمقدور المنتج الاوروي استيعابها . واذا افترضنا كما هي الحال ، ان الطلب على الصادرات الصناعية يخضع لمرونة عالية ، اكتسب المنتج الاميركي فائدة مهمة من جراء تدني اسعاره نتيجة تدني كلفة الطاقة . ثانيا ان استيراد الطاقة بالكميات التي تستوردها الولايات المتحدة ادى بطريقة مباشرة الى تخفيض سعر صرف الدولار مما ادى بدوره الى رفع القدرة التنافسية للبضائع الاميركية تجاه الدول التي ارتفعت نسبيا اسعار صرف عملتها بالنسبة للدولار . هذا مع العلم ان انخفاض سعر صرف الدولار ادى الى تخفيض اكلاف تحويل الثروة Transfer Problem الى دول الاوبك ايضا . ثالثا ، ان تحديد الانتاج من قبل الاوبك للمحافظة على سعر الطاقة المقرر يؤدي بالضرورة الى انخفاض الكمية المتاحة لاوروپا واليابان بالقدر والنسبة التي تزيد بها الولايات المتحدة استيرادها من الطاقة من الاوبك . وبما ان الطاقة ترتبط ارتباطا تكنولوجيا مع رأس المال الثابت فأي تقلص في الكمية المتاحة من الطاقة يعني نقصا حتميا في استعمال الطاقة الانتاجية للاقتصاد الذي يعاني نقصا في الطاقة . لهذا نجد اليوم ان معدلات البطالة في اوروپا واليابان قد وصلت الى ارقام لم تعهد مثيلها هذه الاقتصاديات الا في زمن البطالة الكبرى Great Depression في الثلاثينيات .

ان ربط الاوبك وزيادة اعتمادها على الولايات المتحدة مهم للاخيرة من عدة اوجه . اولاً  
 انها تحرم منظمة الاوبك من حرية التصرف والتحكم بالسعر والكمية المنتجة واتباع النمط  
 الكفيل بتحقيق المنفعة القصوى لها . ثانياً انها تعطي الولايات المتحدة موقفاً مهماً بالنسبة  
 لاروپا واليابان لاعتمادهم عليها من اجل رعاية مصالحهم مع الاوبك ، اذ انهم اكثر ارتباطاً  
 واعتماداً على الاوبك من الولايات المتحدة . ان هدف تعميق ارتباط الاوبك بالولايات المتحدة  
 يتحقق بواسطة رفع صادرات الاوبك اليها وكون الشركات الاجنبية العاملة في دول الاوبك هي  
 على الغالب اميركية ، يضاف الى ذلك الضغوطات السياسية التي تمارسها الحكومة الاميركية  
 على حكومات الاوبك مباشرة او بطرق غير مباشرة عبر الانظمة المرتبطة لها .

ان زيادة الصادرات من الاوبك الى الولايات المتحدة خاصة عندما تكون هذه الصادرات  
 زيادة في الانتاج تفوق الكمية المناسبة للاوبك ، فانها تعني في النهاية خفضاً للأسعار وزيادة في  
 الاستثمار الاجنبي الذي هو في الغالب بالدولار الاميركي .

ان زيادة العائدات البترولية التي ليس بالامكان استيعابها في الاقتصاد الوطني هي  
 بالضرورة استثمار في الخارج . والولايات المتحدة لها حصة الاسد في ذلك . تبلغ هذه  
 التوظيفات حالياً اكثر من ١٦٠ بليون دولار ، اكثر من ٩٥ بليون دولار موظفة في الولايات  
 المتحدة .

#### الجدول رقم ٢

توزيع توظيفات الرأسمال النقدي لدول الاوبك ١٩٧٧

نوع الاستثمار	الكمية المستثمرة	النسبة المئوية
١ . استثمار مباشر في الولايات المتحدة	٤٢	٢٦,٣
٢ . استثمار في الدول الصناعية غير الولايات المتحدة	١٦	١٠,٠
٣ . ديون للدول الصناعية	١٢	٧,٥
٤ . ودائع بالعملات الاجنبية الأوروبية	٦٠	٣٥,٥
٥ . توظيفات وديون للدول النامية	٢٠	١٢,٥
٦ . ديون المؤسسات الدولية	١٠	٦,٢
المجموع	١٦٠	١٠٠,٠

Source A. Alnasrawi, Arab Oil and The Industrial Economies: The Paradox of  
 Oil Dependency *Arab Studies Quarterly*, Vol. 1, No. 1, 1979, p. 14.

ان التوظيفات الكبيرة في الولايات المتحدة او في الدولار ، من شأنها ان تربط الدولة الموظفة

بمصالح الاقتصاد الأمريكي . انها تؤدي في النهاية الى تحديد قدرة الدول الموظفة على اتباع سياسات مستقلة ان من حيث الطاقة او من حيث التوظيفات النقدية، وتعرض اقتصادياتها لتقلبات الدولار وسياسات الدولة الاميركية . كما ان معظم هذه التوظيفات تتصف بسيولة عالية ، هي مجبرة عليها ، لذلك فانها تخضع لتأكلات عدة من حيث ارتفاع الاسعار والعمولات .

تدرك الولايات المتحدة على جميع المستويات ما يترتب على هذا الارتباط من نتائج ، ولقد سعت الحكومة الاميركية بشكل واضح ويمقتضى خطة محكمة الى تعميق هذا الاعتماد واستعماله كسلاح في وجه الاوبك والاوربيين معا . كما ان هناك عدة اوجه اخرى لظاهرة الارتباط المحكم التي حبكتها السياسة الاميركية حول بعض دول الاوبك . فمثلا بالرغم من كون دول الاوبك مجموعتين بالاساس . مجموعة تزيد عائداتها على نفقاتها وتمتع بمدخرات كبيرة كالسعودية والكويت والامارات هناك ايضا مجموعة مقابلة تتدنى عائداتها عن نفقاتها وليس لها مدخرات كبيرة كفرنزويلا ، وايران والجزائر الخ . المجموعة الاولى يهملها ان لا ترتفع الاسعار في السياق القصير بسرعة وبكميات كبيرة لان لديها المدخرات والانتاج على المدى الطويل . اما المجموعة الثانية فيهمها زيادة كبيرة في السعر والاستفادة من عدم مرونة الطلب في السياق القصير حيث ان انتاجها لن يدوم طويلا . ان هذا التنافس الطبيعي داخل الاوبك حتمي وضروري . غير انه من المستغرب ان ايران قبل الثورة والسعودية وكل ينتمي الى مجموعة مختلفة يتفقان على تحديد السعر والانتاج معا . ان القاسم المشترك يكمن في سباقهم لخدمة المصالح الاميركية والقرارات الاميركية . فالولايات المتحدة تربط بيع اسلحتها وتكنولوجيتها ودعم الانظمة لقاء سيطرتها غير المباشرة على قرارات الاوبك . يقول جون وست سفير الولايات المتحدة في السعودية « حصلت حكومة الولايات المتحدة بنتيجة بيع الاسلحة للسعودية على شيئين اوتوماتيكيا . ستبقى اسعار البترول مجمدة عبر ١٩٧٨ وستبقى السعودية الدولار اساسا للعائدات » (١٣) .

اما ضمان مصادر الطاقة فتستهدفه الولايات المتحدة من جراء تنوع مصادر الاستيراد ومصادر الطاقة المستعملة . فهي جاهدة لتعميم استعمال الطاقة النووية ، غير ان المشاكل التقنية والصحية وسلامة الاستعمال ادت مؤخرا بعد حوادث المحولات في بنسلفانيا الى اعادة النظر والتهمل والتزيت في الاعتماد على هذا المصدر . والجدير بالذكر هنا انه حتى قبل حادثة بنسلفانيا Three Miles Island ، اظهرت تقديرات منظمة الـ OECD ان الكمية المتاحة من هذه الطاقة والمحددة بحوالي 300,000 ماغاوات منها 200,000 ماغاوات للولايات المتحدة لسنة ١٩٨٥ غير واقعية وتفق كثيرا تقديرات دائرة الطاقة الاميركية Department of Energy للمدة نفسها والتي حددت العرض في اميركا بحوالي نصف الكمية المقدرة من قبل OECD (١٤) . اما بعد الحادثة فحتى تقديرات الدائرة الاميركية للطاقة اصبحت نفسها مبالغيا فيها . للفحم الحجري دوره في اشباع حاجة السوق الاميركية من الطاقة ولكن المضاعفات والاثار الاسيئة على البيئة من شأنها ان تحول دون الاستعمال الاقصى لهذا المصدر الذي هو بحد ذاته مكلف ومحدود الكمية . كما ان استعمال Shale oil and Tar Sands سيكون محدودا ما بقيت القضايا التكنولوجية المتعلقة باستعمالها غير محلولة .

اما تنويع مراكز الاستيراد فيظهر ان اميركا تحاول جاهدة تحقيقه خوفا من استفحال اعتمادها على بترول العرب . ولهذا الهدف عدة مضامين : اولا الاعتماد على مصادر من غير الاوبيك . ثانيا الاعتماد على غير العرب في الاوبيك . وثالثا الاعتماد على عرب الاوبيك الاصدقاء لها . فأكبر المصدرين العرب لاميركا هي السعودية ( وتمثل عشرين بالمائة من مجموع استيراد الطاقة في اميركا سنة ١٩٧٦ ) . ومن الامارات استوردت ٦٪ من حاجتها في نفس السنة . اما من ليبيا فقد استوردت ٩٪ سنة ١٩٧٦ وخفضت هذه النسبة الى ١,١٪ في سنة ١٩٧٧ . اما الدول النفطية التي هي خارج الاوبيك فقد صدرت الى الولايات المتحدة اكثر من ١٦٪ من حاجة اميركا . اما الدول الغير عربية في منظمة الاوبيك فقد صدرت ما يقارب الـ ٤٠٪ من مجموع حاجة اميركا في تلك السنة .

ان تكاثف اعتماد اميركا على بترول العرب بدأ يثير القلق في اوساط الصهاينة والاميركيين المتصهينين ، وقد اتخذ قلقهم اشكالا عدة . فمنهم من يحاول تضخيم ازمة الطاقة محاولا تأليب الرأي العام الاميركي على الاوبيك والعرب ، ومنهم من يحاول ايهام الشعب الاميركي ان الطاقة متوفرة ليس بإمكان العرب التضيق على مصادر الطاقة. وان الازمة اساسها الشركات الاميركية المتكالبة على الربح مع العرب والبيروقراطية الاميركية الغبية . اما القاسم المشترك لهذه المجموعات فهو التمثيل الاكبر للصهاينة في صفوفها . اما الصيغ التي يقترحها هؤلاء لمعالجة الوضع فتعبر بشكل واضح على نيتهم المبيتة للنيل من العرب وعلى اثرهم الفعال في تأليب الرأي العام الاميركي والتاثير المباشر على اصحاب السلطة . وسنعرض الآن لبعض مقترحاتهم :

#### اولا : الاستعجال ببناء وتعبئة الخزين البترولي الاستراتيجي

تعمل الولايات المتحدة الاميركية منذ ١٩٧٢ لبناء خزانات كبيرة تحت الارض في منطقة خليج مكسيكو . الكمية المستهدفة تبلغ بليون برميل أي حوالي ٦ ملايين برميل في اليوم لمدة ستة أشهر او ما يقارب ثلاثة ارباع القيمة المستوردة حسب ارقام سنة ١٩٧٧ . اما استكمال هذا المخزون فلن يتم قبل سنة ١٩٨٤ . فحسب تقديرات الاحصائيين لن يتم الحصول على نصف الكمية قبل ١٩٨١ ، وقد وضع هذه التقديرات قبل الثورة الايرانية وتخفيض ايران لانتاجها . غير ان المخططين الاميركيين يدركون كل الانراك انه حتى في حال الحصول الكامل على الكمية المستهدفة فانها ( أي هذه الكمية ) ستكون غير قادرة على نرى مترتبات حظر البترول العربي عن اميركا . لهذا ترتفع اصوات الصهاينة واصدقائهم بالطلب من اجل رفع الكمية الى اربعة بلايين برميل على ان يتم تخزين هذه الكمية في اسرع وقت ممكن ومن مصادر غير عربية . فالاساتذة بانديك وألمان من الـ MIT صرحوا مرارا وتكرارا ان لا وقاية لاميركا من انقطاع البترول العربي قبل استكمال مخزون يكفي حاجة اميركا لسنة (١٥) .

#### ثانيا : اعتماد سياسة زيادة الانتاج النفطي في اي مكان

تتمتع هذه السياسة المقترحة بتأييد عدد كبير من اعضاء الكونغرس الاميركي . يقول وليم لاين جونيوز WILLIAM LANE, JR. الذي عمل كمستشار للسناطور فرانك تشوريش المعروف بميله الصهيوني ، ان هناك ضعفي عدد الابار البترولية الموجودة في اميركا الجنوبية في مقاطعة

كانساس وحدها ، وهناك ثلاثة اضعاف عدد الابار الموجودة في كل افريقيا في ولاية اركنساس . لهذا يطالب لجنة مجلس الشيوخ المختصة بالسياسة الاقتصادية الخارجية تعميم انتاج البترول في كل انحاء العالم لتفتيت تجمع الانتاج في دول الاوبك .

اما السناتور دانيال مويناهاان ( الصهيوني الكبير ) فقد قدم عدة تشريعات مقترحة امام مجلس الشيوخ الاميركي تطالب الحكومة بوضع جميع امكاناتها الخاصة والغير مباشرة مثل البنك الدولي لتوسيع مصانع انتاج النفط . كما ان احد مشاريعه القانونية المقترحة لمجلس الشيوخ تقترح تحديد نسب الاستيراد النفطي من كل دولة (١٦) . اما خلاصة المشاريع القانونية المقترحة امام مجلس الشيوخ بهذا الصدد فهي :

- (ا) رفض حسم الضرائب التي تدفع للدول المصدرة للنفط من قبل الشركات الاميركية من الضرائب المتوجبة على هذه الشركة للحكومة الاميركية .
- (ب) توسيع صلاحيات بنك التصدير والاستيراد الاميركي ليقدم المعونات المالية لاية دولة خارج الاوبك تعتزم زيادة انتاجها النفطي .
- (ج) وضع كوتا على استيراد البترول واستثناء واعفاء كندا ومكسيكو منها لتشجيع بناء سوق طاقة حر بين الولايات المتحدة وهاتين الدولتين الاميركيتين .

#### ثالثا : بناء سوق لعقود الكوتا للاستيراد

لا يزال موريس ادلمان ، وراء محاولات ترويض الاوبك وشقها . اما آخر اقتراحاته الشيطانية حول هذا الموضوع فتتعلق بانشاء سوق لحقوق الاستيراد تحت اشراف الحكومة الفدرالية . تباع اوراق او صكوك الكوتا بسرية لكل من يريد الاستيراد ولا يحق الاستيراد الا بشراء الصكوك . وتفتح المزايده على هذه الاوراق وتباع لدافع السعر الاكبر . ينتج عن هذا بنظر ادلمان سباق وتنازع بين اعضاء الاوبك للحصول على حقوق البيع في السوق الاميركية . ان التنازع هذا يؤول الى زيادة في اسعار الصكوك مما يشكل انخفاضا في سعر البترول المستورد ونزاع حاد بين اعضاء الاوبك قد يؤدي الى الانشقاق (١٧) .

#### رابعا : وضع خطة طوارئ في حال انقطاع النفط عن اميركا

صاحب هذا الاقتراح آرثر رايت من جامعة ماساشوسستس . اما تفاصيل الاقتراح فتقضي برفع اسعار النفط داخليا بشكل كبير لوقت محدد وفرض ضريبة نخل استثنائية على شركات البترول . من شان ارتفاع السعر ان يؤول الى تحقيق التوازن بين العرض والطلب مهما قل العرض .

#### خامسا : اخضاع التصدير لدول الاوبك الى رخص مسبقة

يطالب بعض اعضاء الكونغرس الاميركي الحكومة استعمال صلاحياتها القانونية بفرض رخص تصدير للدول غير الحليفة . وبما ان الاوبك بنظر هؤلاء عدوه للمصالح الاميركية الاستراتيجية ، فعلى الحكومة الاميركية منع تصدير البضائع الاميركية الى هذه الدول دون موافقة الحكومة . اما الموافقة فتأتي بعد تاكد الحكومة الاميركية من ضمانه سيادتها

ومصالحها على تلك الدول . كما ان اخضاع التصدير لاجازات مسبقة من شأنه اضعاف اصحاب المصالح مع العرب من التأثير على الحكومة والرأي العام الاميركي . احد كبار مؤيدي هذا الاقتراح هو رئيس مجلس ادارة البنك المركزي الاميركي الصهيوني آرثر بيونز (١٨) .

في ندوة عقدتها مجلة التايم TIME ونشرت في ٢٣ نيسان ١٩٧٩ ( VOL. 113, No. ) يلخص موريس ادلمان مواقف الصهاينة والمتصهينين من الطاقة والعرب بقوله « لا جدوى من التحدث عن تمزيق الاوبيك ، اذ اذا غابت اليوم فستعود الى الوجود غدا . ولكن بإمكان الولايات المتحدة ان تستخدم قوتها الشرائية ، الكبيرة في تحجيم قوى الاوبيك لرفع الاسعار . الهدف يجب ان يكون تحويل المال من الاوبيك الى صناديق خزينة اميركا . اما رد الاوبيك الفعلي الوحيد فسيكون قطع النفط عنا . فاذا فعلوا ذلك بإمكاننا مصادرة اموالهم الموظفة هنا وارسال بعض بوارجنا لحظر وصول المواد الغذائية اليهم . فاذا قطعوا عنا النفط قطعنا عنهم الطعام . واذا تطورت المشادة وصعدت فهذا من مصلحتنا لاننا سنربح التصعيد » .

بات من البديهي ان الولايات المتحدة حاولت تحطيم الاوبيك فعجزت ولكنها عند عجزها عن ذلك بدأت محاولات الترويض والتحجيم وخاصة الاستفادة من التناقضات بين دول الاوبيك ومن فقدان الامن الغذائي ومن تراكم التوظيفات النقدية في الولايات المتحدة . ولتسهيل عملية الترويض يبدو ان السلطة الاميركية تسكت وتغض الطرف عن الحملة الاعلامية العنيفة المبرضة على العرب والاوبيك . كما ان اميركا سارعت الى تقوية الانظمة العسكرية العميلة للتهويل بها على عرب الاوبيك - فالولايات المتحدة تتباهي بقيمة المساعدات العسكرية والاقتصادية التي تقدمها لاسرائيل مقابل هذا الدور التي وظفته لها . كما انها تعمل بسرية على دعم وتسكين الانتفاضات الشعبية حول نظام جنوب افريقيا العنصري . وها هي الحكومة الاميركية تدعم نظام السادات الذي تعتبره السلطات الاميركية النظام العميل البديل لنظام الشاه الذي قوض . فمعاهدة الاستسلام لا يمكن فهمها الا من خلال الدور الذي ترتأيه السياسة الاميركية لنظام السادات وللكيان الصهيوني المرتهن لضممان خطوط النفط ومصادر الطاقة .

#### الخلاصة

لا يمكن فهم خفايا سياسة الطاقة الاميركية ، الا من خلال دراستها ضمن الاهداف السياسية والاستراتيجية للسياسة الخارجية للحكومة الاميركية . فالعجز عن حل منظمة الاوبيك ، دفع السلطات الاميركية الى محاولة ترويضها وجعل تحكمها بها سلاحا تواجه به أوروبا واليابان وكأنها قادرة وحدها على التصرف بالاوبيك حيثما وكيفما تشاء . وتستعمل الولايات المتحدة في عملية الترويض هذه جميع انواع التهيب والترغيب مهددة باحتلال ابار النفط ويقطع المواد الغذائية ، مهددة ويكونها تعتمد بشكل واضح على الكيان الصهيوني كبعبع عسكري تروض به الخليج والصحراء العربية من جهة والدول العربية التقدمية من جهة اخرى . وها هي تلوح بنظام السادات حليفا للكيان الصهيوني وعدوا للمصالح العربية والقضية القومية .

ان المصلحة المشتركة لدول الاوبيك تتطلب سياسة عقلانية واضحة لترجمة الانتاج النفطي

والعائدات النفطية الى تطور اقتصادي ونمو صناعي وزراعي ، وخاصة نمو في المواد الغذائية وسبل توزيعها على الدول الاعضاء لتأمين الامن الغذائي المستقل . كما يتطلب من الدول الاعضاء في الاوبك ان توزع ثروتها وتوظيفاتها النقدية على اكبر عدد من الدول للحيلولة دون تجميع هذه الثروة النقدية في ايدي الدول التي بإمكانها مصادرتها وتحديد وتقليص حرية تصرف الاوبك في الانتاج والاستثمار . كما يتوجب على الاوبك ان تناهض الحملة الاعلامية الصهيونية في العالم الغربي بنكاء وجدية وكفاءة .

واخيرا ويبيدنا عن التشاؤم فباستطاعة اكثرية دول الاوبك الاستمرار دون عائداتهم النفطية لاشهر وسنين ، اما العالم الغربي فليس باستطاعته الحياة لايام بدون نفطنا .

### الحواشي

holding U.S. energy prices below world prices have been price controls on natural gas and the price controls - entitlements programme for crude oil. See R. E. Hall and R. S. Pindyck, «The Conflicting Goals of National Energy Policy», *The Public Interest*, No. 47, (Spring, 1977) p.p. 3-15.

(9) R. E. Hall and R. S. Pindyck. *Ibid.* p. 475.

(10) *Ibid.* p. 6.

(11) *Ibid.*

(12) See James R. Quirk, *Intermediate Microeconomics*, Chicago, Scientific Research Associates, 1976.

(13) Craig S.Karpel. «Ten Ways to Break OPEC», *Harper's* (January, 1979), p. 73.

(14) See I.E.A., *World Energy Outlook* (OECD, Paris, 1977).

(15) Karpel, *Op. Cit.*, p. 72.

(16) Karpel, *Ibid.*, p. 71.

(17) R. E. Hall and R. S. Pindyck, *Ibid.* and Karpel, *Ibid.*

(18) *In Business Week*, August 28, 1978.

(1) See the interesting paper by David M. Winch, «The Political Economy of Canadian Oil Policy», Unpublished, 1974.

(2) D.M. Winch, *Ibid.*, p. 25.

(3) Walter J. Levy, «The Years that the Locust Hath Eaten: Oil Policy and OPEC Development Prospects», *Foreign Affairs*, Vol. 57, No. 2, (Winter, 1978-79), p. 287.

(4) The above figures would represent an increase in oil consumption of 2.5% per annum between 1977 and 1985 - versus a rate of 7.5% between 1965 and 1973. This is predicted on an OECD economic growth rate of 3.6% per year from 1977 to 1985 - versus a 4.7% from 1965 to 1973. See Levy. *Ibid.*, p. 289.

(5) Levy, *Ibid.*, p. 289, R.S. Pindyck. «OPEC oil Prices and the Western Economies», Massachusetts Institute of Technology, *Energy Laboratory Working Paper*, MIT-EL 78-001 WP, January, 1978 and IEA. *World Energy Outlook* (OECD, Paris, 1977).

(6) *Ibid.*

(7) *Ibid.*, p. 291.

(8) The main instruments for

## نصير عاروري

### الإنفراج والشرق الأوسط

سيدرس هذا البحث طبيعة وجوهر الانفراج في اطار العلاقة بين القوتين العظميين ، والعلاقة بينهما وبين الصين ، وتفاعلها مع اطراف النزاع المختلفة في الشرق الاوسط . وسنحاول القاء بعض الضوء على طبيعة التركيب الدولي الحالي ونحدد اثره على الشرق الاوسط .

عندما تسلم نيكسون وكيسنجر السلطة في مجال العلاقات الخارجية الاميريكية ، كانت العلاقات بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي قد مرت بتغير جديد آخر . فقد تطورت من حالة تعايش سلبي ، كان قد حل محل سياسة المواجهة في الخمسينات ، الى سياسة قائمة على بحث إيجابي عن التكيف ومناطق الاتفاق ، وهي سياسة بدأت تنمو متجولة الى نمط من المواقف السياسية التي تدعى الانفراج .

لقد أخذت الحرب الباردة مداها ، وكرست كلتا القوتين الكبيرتين قسما كبيرا من مواردها وطاقتها لنزاعات في زوايا بعيدة من الكرة الارضية . فقد كان للولايات المتحدة في عهد هاري ترومان وجون فوستر دالاس نظرة مانوية الى العالم ، حيث تنفصل قوى النور عن قوى الظلام ، بشكل واضح . وكانت تنظر الى الشيوعية كفسلفة شريرة لا يجوز تقديم اي تنازل لها . بل ان الحياد وعدم الانحياز كانا أمرين لا أخلاقيين في نظر جون فوستر دالاس . لقد شنت امريكا بعد الحرب العالمية الثانية حملة صليبية ضد الشيوعية والاتحاد السوفياتي دون أي تمييز بين العقيدة والدولة . وكان مبدأ ترومان أول اعلان عن هذه الحملة ، تلتها مبادئ أخرى ، صيغت بعبارات مثالية تمثل محاولة سيئة للتستر على الطبيعة الامبريالية لسياسة الاحتواء .

وكثيرا ما تميز الروايات الصحفية بين الرؤساء الذين يتبعون اسلوبا اخلاقيا قانونيا في العلاقات الخارجية ، واولئك الذين يفيلون نحو السياسة الواقعية . فقد قورن جيمي كارتر مثلا بتوماس جيفرسون ، باعتباره رئيسا شعبيا ونظيفا ، ويؤمن بالمساواة ، في حين قورن نيكسون وكيسنجر بمتريخ ويسمارك . لكن الدلائل المتوفرة لا تظهر كبير اختلاف بين اسلوب

كارتر في العلاقات الدولية ، واسلوب نيكسون وكيسنجر . لقد تجاهل الليبراليون الامريكويون الذين توقعوا تغييرات كبرى في السياسات الداخلية والخارجية ، خلال فترة رئاسة كارتر ، حقيقة ان زعامة امريكا السياسية خلال المئتي سنة الماضية كانت زعامة محافظة بصورة أساسية ، بمعنى انها تقبلت الاجماع الأساسي الكامن خلف النظام السياسي والاقتصادي الامريكوي، فلم تجر اية اعادة نظر جذرية في النظام الامريكوي ، طوال تاريخه ، في القرنين الماضيين . وكانت التغيرات بطيئة ومتراكمة وتطورية . وهذا ينطبق على هاملتون وجفرسون وجاكسون ، تماما كما ينطبق على فرانكلين روزفلت ، وجميع من خلفوه بما فيهم كارتر . وربما اختلفت النخبة الامريكوية فيما يتعلق بالوسائل ، لكنها لم تختلف اطلاقا حول اهداف العمل السياسي .

ويبدو ان الصحفيين الذين قارنوا كارتر بجفرسون تجاهلوا حقيقة ان سياسة جفرسون الشعبية ، في السياسة الخارجية ، تعكس ذلك النوع من الامبريالية الذي يجسد مفاهيم من نوع « الشعب المختار » . لقد كان يتنبأ لامريكا عام ١٨٠١ ان تشمل نصف الكرة الارضية الغربي بأسره ، باعتبار أن « الشعب الامريكوي كان شعبا مختارا ... يتمتع بموهبة من الحكمة والقوة المتميزين » . ان النظريات عن « نظام عالمي » جديد ، يمثل « هيكل سلام » وسياسة خارجية قائمة على حقوق الانسان ليست بالأمر الجديد . ان ودرويلسون ، المشهور بمثاليته ومبادئه الرفيعة ، والذي دعا الى نظام عالمي جديد خال من المعاهدات السرية ، والتعويضات العقابية، واضطهاد الاقليات ، أظهر الدوافع الامبريالية نفسها التي تميزت بها سياسة الولايات المتحدة الخارجية . لقد قادته حماسته المسيانية برسالته الى أن يبدي بهذا التعليق على الحرب الاسبانية الامريكوية : « لقد ايقظتنا على حقيقة علاقتنا بباقي البشرية » ، وأن « واجبنا الخاص » هو تعليم الشعوب المستعمرة ( بفتح الميم ) « النظام وضبط النفس » وأن « ننقل اليها ، اذا امكن ، خبرة القانون والطاعة والاعتقاد عليهما ، وهو ما تعلمناه منذ زمن بعيد من التاريخ الانجليزي » .

ان انعزالية أمريكا في القرن التاسع عشر كانت في حقيقتها مجرد أسطورة ، والفرق الوحيد بين موقف الولايات المتحدة، قبل وبعد الحرب العالمية الثانية، هو استمرار التدخل الامريكوي، الذي بدأ خلال العقود الثلاثة السابقة، وأصبح يعتبر خطوة لا رجوع عنها نظرا لقدرات بريطانيا وفرنسا الكسيحة العاجزة عن الحفاظ على السيطرة الغربية على الامبراطوريات . ولم يعد باستطاعة امريكا ان تحتفظ بكمكبتها ، وأن تأكلها في آن واحد ، اذ ازدادت صعوبة الاعتماد على البحرية البريطانية ، التي تحولت الى قوة من الدرجة الثانية . فالصعود الامريكوي على الساحة الدولية في اعقاب الحرب العالمية الاولى كان تجربة مؤلمة ، ومصدر احباط رهيب لشعب طالما اعتاد الاعتقاد بأن بلاده مخلصه للمسحوقين ، وملتزمة بمساعدة المضطهدين . ان تزايد القوة الامريكوية بحجة الحفاظ على الوضع القائم ، والذي اعتبرها ثلثا سكان العالم ، على الاقل ، تزايدا غير عادل ، فسر على أنه جزء ضروري من سياسة احتواء الشيوعية . وكانت الزعامة الامريكوية قادرة على توحيد اليمين واليسار السياسي ، عن طريق الحفاظ على الخوف من الشيوعية ، ودعم حماسة من النوع المسياني ، وذلك عبر رغبتها في نشر « التمدن » وبناء « الديمقراطية » . لكن الاجماع الذي قامت عليه تلك السياسة بدأ يظهر علامات توتر

وضغوطا تحت تأثير كارثة فيتنام . وتحت تأثير خيبة الامل من نتائج تلك السياسة ، أصبح من الضروري اعادة تقييم السياسة في مطلع السبعينات ، وهو أمر تبين أنه ليس أكثر من مجرد جراحة تجميلية أجريت لسياسات عفى عليها الزمن ، ولم تعد تمت الى الحاضر بصلة .

ونما الانفراج مع الاتحاد السوفياتي في هذه الظروف . وبالنسبة للولايات المتحدة كانت هذه السياسة تهدف الى وقف التدهور المتزايد في ثقة العالم بها ، وبصلاحياتها كشرطي للعالم . فقد كانت تكاليف الامبراطورية المعنوية والمادية أكثر مما يستطيع الشعب الامريكى تحمله . اما بالنسبة للاتحاد السوفياتي ، فكان الانفراج هو الاستمرار المنطقي لسياسة التعايش السلمي التي نتجت عن المؤتمر العشرين للحزب الشيوعي عام ١٩٥٦ . والتي كانت تهدف ، أيضا ، الى تخفيف ضغوط تعدد المراكز داخل الكتلة الشيوعية .

**معنى الانفراج :** أصبح الانفراج يعني امورا كثيرة لشعوب كثيرة . وبالرغم من غموضه ، الا انه اطار لتخفيف التوتر بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي اساسا . وهو يركز على أمل خلق مجموعة مصالح بين القوتين العظميين ، قائمة على حاجتهما المشتركة لتحاشي كارثة نووية . وفي نشرة بعنوان **معنى الانفراج** ، ص ٨٧٦٦ ( حزيران/يونيو ١٩٧٤ ) ، قالت وزارة الخارجية الامريكية ان « الانفراج » يشتمل على وفاق ، وان النزاعات بين القوتين العظميين ستظل تتكرر رغم الانفراج .

وكانت استراتيجية نيكسون الاساسية هي التفاوض مع الاتحاد السوفياتي على سلسلة واسعة من المشاكل المترابطة فيما بينهما ، بدلا من التركيز على مشاكل محددة مثل الحد من التسلح . وكان الحد من التسلح يعتبر قضية سياسية أكثر منها تقنية ، وبالتالي تعتبر جزءا من مجموعة المشاكل السياسية . والجديد في هذا الاسلوب هو اختلافه عن سياسة جونسون ، وحتى سياسة ويليام روجرز ، حيث كانت كل قضية تعالج بمعزل عن الأخرى . وأصبح اسلوب كيسنجر يسمى مبدأ « الربط » ، وهي سياسة مقياضة دبلوماسية كانت الولايات المتحدة تأمل بواسطتها أن تكسب تعاون السوفيات في الهند الصينية ، والشرق الاوسط ، مقابل تنازلات امريكية في مجال التجارة ، والحد من التسلح . وقد امتعض الاتحاد السوفياتي من فكرة الربط ، واعتبرها شكلا من اشكال الابتزاز الدبلوماسي . ولكن مسألة تجاوب السوفيات مع برنامج كيسنجر ، تبقى مسألة تحتاج الى توضيح .

وكانت الناحية الأخرى من الانفراج ، في نظر نيكسون وكيسنجر ، هي القدرة المحتملة على خلق نظام عالمي متوازن ، او ما سماه كيسنجر « هيكل السلام » ، عبر نوع من الشراكة بين القوى الكبرى ، قائمة على مبادئ مترنيخ التسعة عشر حول الشرعية والتوازن . وكان الانفراج معلنا على أساس ان الولايات المتحدة ستمنح الاتحاد السوفياتي سندا من الاستقرار الذي يساعد على تحويله من قوة ثورية مصممة على تبني الثورة العالمية الى دولة « شرعية » . وبهذا الصدد كان الانفراج خطوة تهدف الى المساعدة على انقاذ الامبراطورية الامريكية ، واحد اشكال التعاون التي يكافأ فيها الاتحاد السوفياتي في اماكن معينة لقاء خدمات قدمها الى شرطي عالمي ، اتسعت نشاطاته كثيرا . وبالتالي يجب تعديل أهداف القوى الكبرى بما يتلاءم مع ضرورات نظام عالمي متزن ولو فشلت الولايات المتحدة في تحقيق هدفها ، وهو وقف التحول

الاجتماعي والثورة العالمية بواسطة تكتيكات الحرب الباردة ، والمواجهة ، لحاولت عندها استبدال القوة بالدبلوماسية والتكيف ، اي الانفراج . ان نجاح هذا الاسلوب ، اوفشله ، كان يعتمد على رغبة الاتحاد السوفياتي في دخول لعبة الربط .

وستنقحظ ظاهرة الربط هذه في مكان آخر في الدراسة ، بعد ان ندرس « نظام العالم الجديد » الذي دعا اليه كيسنجر ، والذي يجسد اسلوب امريكا في التعامل مع الاتحاد السوفياتي ، والتغير الاجتماعي في العالم . والهدف المطلوب التوصل اليه من هذه الدراسة هو ان كيسنجر استخدم الانفراج ليعطي امبراطورية في طور الانحلال جرعة جديدة من الحياة .

### نظام كيسنجر العالمي الجديد

منذ اعتناق مبدأ ترومان ، لم يطرأ تغير يذكر على مبدأ الولايات المتحدة الاستراتيجي ، الذي يشكل أساس كل مجرى الحرب الباردة ، والقائم على رؤيا مضخمة عمدا لنوايا السوفيات « العدوانية » . وتنطبق رؤيا كيسنجر بخصوص العالم مع هذا المبدأ ، وهو مأخوذ من أول كتاباته المنشورة في الخمسينات . وكانت النتيجة هي استمرارية وثبات في السياسة الخارجية الامريكية منذ الحرب العالمية الثانية . لقد صاغ كيسنجر اصطلاحات جديدة مثل « هيكل السلام » ، و « نظام عالمي جديد » ، و « عالم خماسي » ، لوصف مبدئه ، القائم أساسا على نفس الافتراضات التي بنيت عليها سياسة الاحتواء . وقد وضعت هذه السياسة اقتراحا يقول ان هناك نظاما عالميا شرعيا مكونا من القوى الكبرى وحلفائها ، بزعامة الولايات المتحدة ، والاعتقاد بأن القوى الشيوعية الثورية ، ودول العالم الثالث ، مصممة على تحدي النظام القائم . ويشكل هذا الافتراض أساس مشروع مارشال الذي تبناه ترومان ، والنتا ، ومبدأ ترومان . ويشكل بالنسبة لايزنهاور « الرد الجماعي » ، السياتو ، حلف بغداد ومبدأ ايزنهاور ، وبالنسبة لكيندي « الرد المرن » مع فروعه المكونة من « الحرب النووية المحددة » والتمرد المضاد ، وبالنسبة لجونسون « نظرية الدومينو » ، ومبدأ جونسون بخصوص نصف الكرة الغربي .

وفي حين بقي جوهر السياسة هو نفسه ، منذ عهد ترومان مرورا بنيكسون وحتى كارتر ، تمكن رؤية تغييرات في الاسلوب ، ذات طبيعة تجميلية في سياسة كيسنجر وخلفائه ، فرضتها التطورات الجديدة في البيئة الدولية ، بما في ذلك الخلاف الصيني - السوفياتي . ان النزاع الايديولوجي بين العملاقين الشيوعيين جعل من الممكن للولايات المتحدة ان تخلص نفسها من تحالفات متشابكة ، ومن دور الشرطي العالمي المكلف بحراسة الوضع القائم « المقدس » . وبدلا من ان تتصرف بمفردها لوقف مد التغيرات الثورية في العالم ، بدأت الولايات المتحدة في عهد كيسنجر بتحريك النزاع السوفياتي - الصيني ، في محاولة لمنع أي منهما من الوصول الى السيادة وتحدي اطار النظام العالمي ، اي التصرف بطريقة ثورية . ان الاستقرار الذي نتج عن ذلك ، أي غياب الحرب ، الامر الذي يعادل السلام بالنسبة لكيسنجر هو بالنسبة له ليس وصفاً يمكن تحقيقه بواسطة جهود الدبلوماسيين الحكماء ، اورجال الدولة الطيبين النوايا بل هو نتاج مبادئ موضوعية معينة يجب ان توجد في البيئة الدولية . ان كيسنجر يذكرنا ، في كتابه « عالم مستعاد » بأن الاستقرار ليس نتاج السعي نحو السلام ، بل يأتي من « شرعية

مقبولة « ، أي قبول اطار النظام العالمي من قبل القوى الكبرى في العالم ، التي يوجد منها خمس في السبعينات ، بما فيها اليابان واوروبا الغربية .

ويعتبر كيسنجر ان هذا النوع من الشرعية شرط ضروري لتحقيق السلام . ورغم انه لا يستبعد النزاعات تماما ، الا ان له قدرة على تحديد مجال هذه النزاعات . ولن يتم منع الحرب المحدودة أبدا ، بل ستعتبر وسيلة تساهم في تحقيق « سلام أكثر كمالا » . ان هذه الحروب تقام باسم الهيكل القائم وترتكز على افتراض ان السلام الذي سيتبعها سيكون تعبيرا أسمى بكثير عن الاجماع الشرعي العام .

وباصطلاحات عملية ، يعني هذا أن اطار النظام العام ، او الاستقرار العالمي ، الذي كان سابقا مسؤولية الولايات المتحدة بمفردها ، بفضل طولها محل القوى الاستعمارية السابقة ، أصبح بفضل النزاع السوفياتي - الصيني ، وقدرة كيسنجر على استغلاله ، مسؤولية القوى الكبرى التي تعمل أحيانا بشكل متفق كليا او جزئيا ، من أجل فرض ارادتها على المتقاتلين الاقل شأننا ، الذين يتحدون النظام القائم . وكم كان ذلك مصدر فرج لقوة كبرى كانت منذ عهد ترومان مضطرة الى تقديم الرجال والمال والاسلحة ، بمفردها ، في حملة صليبية ضد الثورة الاجتماعية .

وكان السلام الذي أتى اثر حرب الهند الصينية أكثر توافقا مع الحقائق الجديدة من ميزان القوى في جنوب شرق آسيا . لقد كانت الولايات المتحدة التي فشلت في تحقيق نصر عسكري على فيتنام الشمالية تبحث عن مخرج ، يحفظ الكرامة ، من المأزق الذي بدأ يهدد التركيبة الاجتماعية في المجتمع الامريكي ، ويقلل من استقراره . وأصبح المخرج أسهل جزئيا ، لان الصين فهمت ضرورات اطار النظام العالمي والتوازن في الكرة الارضية .

ان التوازن الكامن في اساس نظرية كيسنجر عن العلاقات الدولية خادع أكثر بكثير من نظرية سلفه ، ومصدر الهامه الذي ساد في مرحلة ما بعد نابليون ، والذي تميزت به علاقات الدول الكبرى خلال القرن التاسع عشر . ففي حين كانت البديهية السياسية لدى مترنيخ هي « تطبيق مبدأ التضامن والتوازن ... والجهود الموحدة لمجموعة الدول ضد سيادة قوة واحدة » ، كان توازن كيسنجر يرتكز على سيادة القوة الاميركية . وكان عالمه الضمائي يتكون من قوى عالمية وأخرى محلية . فأما القوى العالمية فلم تكن سوى الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي . ان اليابان واوروبا الغربية لم تشتركا في التسوية في الهند الصينية ، ولم يكن لليابان والصين علاقة بمؤتمر هلسنكي للتسوية الأوروبية ، تماما كما ان الصين لا تلعب اي دور في افريقيا ، او الشرق الاوسط ، او امريكا الجنوبية . ولكن ، حتى عند تحقيق « رسالة » كونية ، تستمر الولايات المتحدة في التمسك بوجهة نظرها القائلة ان القوة العسكرية هي اللغة الوحيدة التي يفهمها السوفيات ، وبذلك تصل سياسة الاحتواء الى مرتبة رسالة أخلاقية للقضاء على الهرطقة السياسية ، التي يجب على امريكا ان تظهر عزمها على القضاء عليها خوفا من اختلال الاستقرار في العالم ، وتعرضه للخطر .

ولو قبلنا هذه الفرضية الأساسية لوصلنا الى نتيجة مفادها ان امريكا لم تتعلم من أخطائها السابقة . فالهوس بالاستقرار ، والخوف من الثورة الاجتماعية ، قد استمر في

اغلاق راحة زعامة أمريكا . وربما ساعد الانفراج على تغطية موقف مواجهة ، لكنه لم يتطور اطلاقا الى شراكة في البحث عن نظام عالمي متزن . ان تصريح كيسنجر في نيسان ( ابريل ) ١٩٧٤ ، يعطي فكرة مركزية عن الانفراج :

« ان الانفراج بالنسبة لنا هو عملية ادارة العلاقات مع دولة ذات قابلية عدوانية من أجل الحفاظ على السلام ، مع المحافظة على مصالحنا الحيوية في أن » .

### ضرورات التكيف

رغم أن الانفراج لم يتطور اطلاقا ليصبح جهدا مشتركا صالحا لتحقيق الاستقرار ، الا انه جاء ردا على حاجات ملحة لدى القوى الكبرى . وكانت الفكرة السائدة عن الانفراج في الدوائر الاكاديمية الامريكية هي ان الحاجة السوفياتية الى التكنولوجيا والقمح والاموال الامريكية قد فرضتها . كما عجل في حدوثها الصراع الصيني السوفياتي ، والتقارب الصيني الامريكي هو نتيجة لذلك . كما كان نمو القومية في اوربا الشرقية يقدم كسبب ثالث نفع الى تحريك السياسة السوفياتية الخارجية باتجاه الانفراج مع الولايات المتحدة . وأدرك الاكاديميون أنفسهم حاجة الولايات المتحدة الى المساعدة السوفياتية في الهند الصينية والشرق الاوسط . وبالتالي فان العلاقة غير متماثلة ، ويبدو فيها الاتحاد السوفياتي اكثر تلهفا على التكيف . ان هذا تحليل فعال في التبسيط ، يتجاهل ازمة الامبريالية ، وأهمية التغير الاجتماعي .

صحيح ان النزاع الصيني - السوفياتي ، والتجارة ، والتكنولوجيا ، لعبت دورا بارزا في تطوير الانفراج من المنظور السوفياتي ، الا ان لدى الولايات المتحدة أسبابا أكثر الحاحا تدفعها الى البحث عن التكيف مع الاتحاد السوفياتي . فمنذ نهاية الحرب العالمية الثانية كانت الولايات المتحدة مسيطرة على الهيكل الاقتصادي الاعلى : القدرة على الانتاج والاستغلال والتوزيع ، وعلى القدرة الاستراتيجية على فرض ارادتها ، سواء داخل الحدود الدولية او عبرها - تدريب الشرطة ، والاسلحة ، تكتيك المراقبة وتكنولوجيا الاسلحة ، وادارة الثقافة ، أي نشر المعلومات والافكار بواسطة وسائل الاعلام المتعددة . كما كانت الولايات المتحدة ايضا مصرفا مركزيا وشرطيا دوليا .

ويوجد كل هذه القوى بتصرفها ، لعبت الولايات المتحدة دور الحارس على المصالح الغربية في جميع انحاء العالم ، وبقيت قوتها دون أن تجد من يناقسها . لقد ردت بعنف على تأمين الموارد التي كانت الشركات الغربية تستغلها ، ونظمت وكالة الاستخبارات المركزية انقلابات ضد من يحتمل ان يشكلوا تحديا للسيادة الامريكية . وكانت الولايات المتحدة تستطيع ان تفرض النظام على حلفائها وزبائنها ، بأن تهدد بقطع الاسلحة ، او المال ، او السلع الصناعية . وكان على العالم الغربي ابقاء الاحزاب الشيوعية خارج السلطة ، والامتناع عن اقامة علاقات طبيعية مع جمهورية الصين الشعبية ، والتقييد بالحظر الامريكي على بيع السلع الى كوبا ، كما كان على العالم الثالث ان يمتنع عن تأمين ممتلكات الشركات الكبرى متعددة الجنسيات او الممتلكات التي تديرها هذه الشركات .

ووصلت الامبراطورية اعلى قمة في وسط الستينات ، لكنها بدأت تظهر دلائل ضعف تحت

تأثير تعدد المراكز . لقد اختارت الشعوب الجديدة في أفريقيا وآسيا ، التي بدأت تسيطر على الجمعية العمومية في الأمم المتحدة ، طريق عدم الانحياز ، وهو موقف رحب به الاتحاد السوفياتي باعتباره حركة في اتجاه الابتعاد عن الامبراطورية الغربية . وتحدث فرنسا الديغولية ، السيادة الأمريكية في حلف شمال الاطلسي ، كما تحدث المقاييس الأمريكية في التعامل مع العالم الشيوعي . لكن الحادثة المنفردة الأكثر أهمية التي ساهمت في تدهور السيادة الأمريكية كانت نزاع فيتنام . ان الشقوق في أساسات الامبراطورية الأمريكية كانت ظاهرة منذ شعر ليندون جونسون انه مضطر للتخلي عن البيت الابيض .

وعندما تسلم ريتشارد نيكسون الرئاسة كان الدولار الأمريكي ، الذي اعتبر وسيلة المبادلات النقدية العالمية ، قد أخذ يتدهور . وعندما تسلم كارتر السلطة كان الحلفاء الاوروبيون قد بدأوا يتفاوضون حول نوع جديد من الاتحاد النقدي ، الأمر الذي يمثل فقدان الثقة في الدولار وتزايد تدهور النفوذ الأمريكي ، وصعود في المقابل لاوروبا الغربية . ولم تعد لأمريكا أسرع نسبة في النمو الاقتصادي ، ان حلت محلها أوروبا الغربية واليابان . ولم تعد أمريكا قادرة على لعب دور المصرف المركزي وشرطي العالم . ان ارتفاع تكاليف الشرطي العالمي أدى الى نقص في ميزان المدفوعات . وتم تخفيض الدولار الأمريكي للمرة الاولى عام ١٩٧١ ، عندما سجل أول نقص في ميزان المدفوعات أيضا ، وتصادف وقوع الامرين مع هزيمة وشيكة في فيتنام . وفي تلك اللحظة بالذات كان السعي وراء الانفراج في أقصى اندفاعه . وكان مبدأ نيكسون - كيسنجر الذي يحاول تخفيض العمليات الخارجية الأمريكية يشمل تقليصا للنفقات في الخارج وسحب القوات وفرض قيود على الاستيراد . وكان يدعو ايضا الى اقامة أنواع من الشراكة كما حاول ايجاد البديل الذي يحل مكان أمريكا في ساحة المعركة . ان خطاب نيكسون الشهير في غوام عام ١٩٦٩ يوضح حدود القوة الأمريكية : فلن تعود الولايات المتحدة قادرة او راغبة في تقديم الرجال والمال والسلاح للحفاظ على الوضع القائم في العالم . وتم تذكر الآخرين بأن لديهم مسؤولية عليهم أن يشتركوا بها في هذه المهمة . كما أن الولايات المتحدة لن تستمر في نورشرطي العالم، لأن هذا الدور أدى الى كارثة اقتصادية والاساءة الى معنويات امة يزداد ارتباكها واحساسها بالذنب. لقد قررت الولايات المتحدة ان تلعب دور رئيس الشرطة : بأن تقدم المياه وخراطيم المياه فيه فيما يقدم الآخرون رجال الاطفاء . وكان عليها أن تكتفي بمخرج سليم من فيتنام ، وهو أمر بعيد عن النصر العسكري الذي كان يفكر فيه ماكسويل تيلور ووالث روستو . لقد أدرك كيسنجر ونيكسون أكثر من أي شخص آخر في المؤسسة الأمريكية ان الطريق الى مخرج سليم من الهند الصينية هو الطريق الى موسكو ويكين ، لانه لن يصبح سهلا الا بالانفراج .

لقد أدت هزيمة الولايات المتحدة في الهند الصينية ، الى فقدان الثقة في « الحماية » الأمريكية لدى الوكلاء والاتباع في جميع انحاء العالم ، في الوقت الذي أدى فيه تدهور الدولار الى تقليل قوة الضغط التي كانت الولايات المتحدة تمارسها عبر تقديم المساعدات والقروض . ان ترسانة الاسلحة التي ابقت انظمة غير شعبية في السلطة في أمريكا الجنوبية وكوريا الجنوبية وفيتنام الجنوبية وتايلاند واثيوبيا واسبانيا تبين أنها فشلت في الهند الصينية وانغولا وموزمبيق والقرن الافريقي ، ومؤخرا في ايران . لقد أهملت تهديدات كيسنجر الموجهة الى السوفيات في

انغولا تماما مثل تحذيراته الموجهة الى ايطاليا حول احتمال وصول حكومة شيوعية الى السلطة ، كما أهملت تحذيراته لدول الاوبك بخصوص ارتفاع الاسعار المستمر .

وكتبت ماري كالدر ، صاحبة كتاب الغرب المتحلل في افتتاحية في النيويورك تايمز ( ١٩٧٨/١١/٩ ) « أن امريكا تقف على حافة هاوية بين التكاليف المحلية لقاء كونها قوى كبرى والتكاليف العالمية لقاء عدم كونها كذلك » . لقد انتهت الايام التي كان فيها الدولار الذي ينفق في الخارج على القوات العسكرية يرجع على شكل مشتريات من البضائع الامريكية . ولم تعد هذه البضائع قادرة على منافسة منتجات اوروبا الغربية واليابان . لقد خسرت امريكا سباق الانتاجية : فمن سنة ١٩٦٥ الى ١٩٧٢ هبط الانتاج الصناعي في ساعة عمل من ٢,٥ بالمئة الى اقل من واحد بالمئة . كما اضطرت امريكا الى تحمل ازمات طاقة وغذاء ونقد . وأدت هذه العوامل مشتركة الى ضرورة اعادة تقييم مركز امريكا في العالم الذي يجعل الانفراج مع الاتحاد السوفياتي والصين خطوة ضرورية وعلاجية . ومع تحول انتشار القوى الى ظاهرة عالمية في منتصف الستينات ، لم تعد الولايات المتحدة قادرة على تحمل عبء الاستمرار في وقف مواردها على فرض منع الثورة الاجتماعية في الوقت الذي كان فيه الاتحاد السوفياتي يجني ثمار التحول الاجتماعي في العالم الثالث بون مقابل تقريبا .

وفيما يتعلق بالاتحاد السوفياتي كان الانفراج تبريرا لمبدأ التعايش السلمي . فمن وجهة نظر عملية فتح المجال أمام التجارة والتكنولوجيا والحد من التسلح اضافة الى احتمال تسوية مشكلة المانيا المزعجة .

#### العلاقات السوفياتية - الامريكية واكتمال الانفراج :

كانت ازمة الصواريخ في كوبا عام ١٩٦٢ نقطة تحول في العلاقات الامريكية السوفياتية . اذ لم يحصل سابقا ان اقترب العالم بهذه الدرجة الى حافة مواجهة نووية . ومع ذلك تم توقيع معاهدة حظر التجارب النووية في موسكو في العام التالي ، وتبع ذلك سلسلة اتفاقات بين القوى الكبرى ، التي شكلت بمجموعها ما يسمى بالانفراج . وعشية الاجتياح السوفياتي لتشيكوسلوفاكيا في مطلع تموز ( يوليو ) ١٩٦٨ تم توقيع معاهدة منع تزايد الاسلحة النووية ، وفي تشرين الثاني ( نوفمبر ) ١٩٦٩ كانت وفود القوتين العظميين تتفاوض في هلسنكي حول ما أصبح يسمى سالت - أي مفاوضات الحد من الاسلحة الاستراتيجية . واستمرت هذه المفاوضات طوال حرب الهند الصينية والغزو الامريكي لكومبوديا واختتمت في قمة موسكو يوم ١٩٧٢/٥/٢٦ بين نيكسون وبريجنيف . وكانت خلاصته سالت ١ هي ان القوتين تخلتا عن الدفاع عن أراضيهما وشعبهما ضد الاسلحة النووية التي يمتلكها الآخر . وعقد اجتماع قمة آخر في واشنطن في حزيران ( يونيو ) ١٩٧٢ بين نيكسون وبريجنيف ، مباشرة بعد توقيع معاهدة سلام بين المانيا الاتحادية والاتحاد السوفياتي وقبل المانيا الديمقراطية والاتحادية في الأمم المتحدة . وعقدت مفاوضات من أجل اتفاقية سالت ٢ بين فورد وبريجنيف في فلاديفوستوك في تشرين الأول ( اكتوبر ) ١٩٧٤ ، لكن التقدم في هذا المجال أعاقه حملة ضد الانفراج في الولايات المتحدة تزعمها الاميرال المو زوموانت ووزير الدفاع شليسنبجر والسنتاتور هنري جاكسون . وادعى زوموانت في كانون الأول ( ديسمبر ) ١٩٧٥ أن الاتحاد السوفياتي ارتكب « انتهاكات ضخمة » لاتفاقية سالت ١ عام ١٩٧٢ ، بينما

اتهم شليسنجر كيسنجر بأنه يعقد اتفاقات مضرّة مع الاتحاد السوفياتي للحفاظ على وهم بوجود انفراج زائف . وتزعم جاكسون القوى التي كانت تشكك بالانفراج عموما . وحاول أن يربط بين اتفاقية التجارة التي تقدم للاتحاد السوفياتي مرتبة الدولة المفضلة وبين الهجرة اليهودية . وكان الهجوم صاخبا الى حد أن فورد قرر شطب كلمة انفراج من الكلمات التي استخدمها خلال حملته الرئاسية في آذار ( مارس ) ١٩٧٦ . وتجاوب جيمي كارتر مع نفس الضغوط المحلية عندما شن حملة حقوق الانسان في الاتحاد السوفياتي . وحذر في جداله العلني مع بريجنيف عام ١٩٧٧ من أن الاصرار السوفياتي على دعم حركات التحرر في العالم الثالث سيحرم الاتحاد السوفياتي من حق الاعتراض على الدعم الخارجي المقدم الى « المنشقين » السوفيات باعتباره تدخلا في الشؤون السوفياتية الداخلية . وهكذا أصبحت حقوق الانسان خاضعة لصفقات بين القوى الكبرى مثلها في ذلك مثل سباق التسلح أو درجة ازالة الاستعمار في افريقيا . لقد كان كارتر ينظر الى شارافسكي وغينزبرغ تماما مثل اقليم شابا واثيوبيا ، باعتبارهما جزءا من سياسة الربط ، التي يعتبرها كيسنجر شرطا ضروريا للانفراج .

### اختبار الانفراج

قلنا سابقا ان مفهوم كيسنجر للانفراج مع الاتحاد السوفياتي قائم على فكرة ان القوتين العظميين يمكن في النهاية ان تشكلا شراكة ما في سعيهما من اجل نظام عالمي مستقر ، وان الانفراج يعتمد على رغبة الاتحاد السوفياتي في استبدال التصرف « الثوري » بتصرف « شرعي » . وكان استعداد الاتحاد السوفياتي لقبول سياسة الربط هو الذي يحكم على قبوله « شرعية » النظام العالمي . وقد فسر كيسنجر الأمر التالي :

« ما أريد أن أقوم به هو أن أعمل على أن يكون لدينا محادثات حول الاسلحة الاستراتيجية بأسلوب وفي وقت يؤدي ان أمكن الى زيادة التقدم بشأن القضايا السياسية المتعلقة في ذات الوقت - مثلا حول مشكلة الشرق الاوسط ومشاكل معلقة أخرى يمكن فيها أن تخدم الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي عملية السلام اذا عملا سوية . »

هل قبل الاتحاد السوفياتي فعلا الأسس التي طالب بها كيسنجر للانفراج ؟ والى أية درجة تعاون مع الولايات المتحدة في الهند الصينية والشرق الاوسط ؟ وهل تم اختياره ليقوم بدور الشريك الصغير في سيادة مشتركة من القوى الكبرى ؟ يمكن الحصول على اجابات على هذه الاسئلة من دراسة الأمثلة التالية التي وقعت بين ١٩٧٠ والآن :

- ١ - الشرق الاوسط ( ١٩٧٠ - ١٩٧٩ ) .
- ٢ - النزاع الهندي الباكستاني ( ١٩٧١ ) .
- ٣ - حرب الهند الصينية ( ١٩٦٩ - ١٩٧٣ ) .
- ٤ - انجولا ( ١٩٧٥ ) .

وعلينا أن نلاحظ ان جميع هذه النزاعات وقعت خارج دوائر نفوذ القوتين العظميين في المناطق التي لا يزال النزاع يدور حولها ، بعكس غرب وشرق أوروبا وأمريكا الجنوبية ، وحيث لم يتم رسم دوائر النفوذ بدقة ولا زالت الحدود بين الشرق والغرب غير محددة بدقة . ان كلا من هذه المنازعات يقدم نمط من العلاقات والتكيف بين القوى الكبرى . ففي الشرق الاوسط

واقريقيا كان النمط يقوم على المواجهة ، وفي شبه القارة الهندية نمط تكيف وفي الهند الصينية خليط من الاثنين .

ففي الشرق الاوسط ، قدمت الولايات المتحدة الى الاتحاد السوفياتي عدة تهديدات وانذارات ادت في النهاية الى تدهور موقعه وصعود في النفوذ الامريكى . فممنذ ١٩٧٠ تلقى الاتحاد السوفياتي تهديدات باجراءات امريكية ملموسة بما فيها التدخل المباشر . وتراجع السوفيات وشاهدوا عودة للقوى المحافظة في المنطقة . فعندما تقدمت الدبابات السورية في الاردن عام ١٩٧٠ حذرت الولايات المتحدة من أنه ما لم تنسحب سوريا ستتحرك القوات الاسرائيلية ضد سوريا وتتوقع دعما امريكيا في حالة تحرك سوفياتي او مصري لمساعدة سوريا . ووضعت عدة وحدات محمولة جوا في الاسطول السادس في حالة تآهب ، كما اجتمعت « مجموعة واشنطن للتحرك الخاص » ، وهو فريق اداري رفيع المستوى لحالات الطوارئ ، بصورة مستمرة لبحث الخيار الموجود امام الولايات المتحدة . وانتهى النزاع بانتصار القوى الموالية للغرب . وبعد ذلك وصف نيكسون الحادثة بأنها « أخطر تهديد للسلام العالمي منذ قدوم هذه الادارة الى السلطة » . وفسرت فئات « الصقور » في الادارة الامريكية هذه النتيجة على انها تبرير لاسلوبهم في الشرق الاوسط . ففي رسالته عن « اوضاع العالم » في شباط ( فبراير ) ١٩٧٠ ، اعلن نيكسون « ان الولايات المتحدة ستعتبر أية محاولة من قبل الاتحاد السوفياتي لتحقيق سيطرته في الشرق الاوسط مسألة خطيرة للغاية » . ويوم ٢٦ حزيران ( يونيو ) تحدث كيسنجر عن « طرد » الاتحاد السوفياتي من الشرق الاوسط . لكن الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي اشتركا في مفاوضات تهدف الى الوصول الى نوع من التكيف في تلك المنطقة . فآثر محادثات القوى الأربع عقدت مفاوضات ثنائية امريكية سوفياتية في الوقت الذي كانت فيه مصر واسرائيل مشتبكتان في حرب الاستنزاف على طول قناة السويس . ولم تؤد نتائج هذه المحادثات يضاف اليها مشروع روجرز ومهمة يارينغ الى شيء . لقد ألزم نيكسون الولايات المتحدة بأن ١ - تعارض أية دعوة صريحة من مجلس الامن الى انسحاب اسرائيلي الى حدود ١٩٦٧/٦/٤ ، ٢ - تمتنع عن فرض تسوية ، ٣ - تضمن لاسرائيل « احتياطيا » من التفوق العسكري والتكنولوجي على جميع الدول العربية مجتمعة ، وبالتالي لم يعد ثمة مجال للتسوية « المتوازنة » التي تحدث عنها نيكسون .

ومن الناحية الأخرى طبق الاتحاد السوفياتي في الشرق الاوسط الاستراتيجية نفسها التي اتبعها في الهند الصينية - تزويد حلفائه بالمعدات العسكرية والتدريب الضروري لتحرير الاراضي المحتلة في حرب دفاعية . لكن الشرق الاوسط يختلف عن الهند الصينية في ان الكثير من الدول العربية مرتبطة بالمصالح الامريكية ، الأمر الذي يجعل معارضتها لاسرائيل غير مجدية . وكان قبول هذه الدول بمشروع روجرز ووقف اطلاق النار أول اشارة صريحة منذ عام ١٩٦٧ على رغبتها في التنازل بشأن الحقوق الفلسطينية . وهنا ، يعكس فيتنام ، كان ثمة غياب لحركة تحرير وطنية متماسكة ذات اهداف واضحة وايدولوجية متماسكة . فمنذ البداية كان الصراع العربي مقتصرًا على استعادة الاراضي المحتلة واتباع اسلوب نبلوماسي . ويجب ان نذكر ان تاريخ النضال الفيتنامي لا يحتوي على فصول تتعلق بالأمم المتحدة . لقد كان تدخل القوى الكبرى في الهند الصينية تبخلا عسكريا بشكل أساسي . ولم يكن مؤتمر جنيف عام

١٩٧٦ واتفاقية باريس عام ١٩٧٣ سوى مصادقة على الحقائق العسكرية وإيجاد صيغة لانقاذ ماء وجه الامبراطوريات المتدهورة .

لكن العرب قبلوا وقف اطلاق نار غير مشروط عام ١٩٦٧ على طول خطوط كانت اسرائيل تعتبرها حدودا طبيعية ، واكتفوا بالكلام تأييدا لنضال من أجل التحرر الوطني يخوضه الشعب الفلسطيني ، وعرضت قضيتها في أروقة الأمم المتحدة .

عندما تسلم انور السادات الحكم في مصر كان قد تم تحضير الاتحاد السوفياتي ليكون كبش الفداء . وقد تحرك السادات باتجاه تحقيق الهدف الامريكي الاساسي عندما أمر باخراج الخبراء السوفيات من مصر في تموز ( يوليو ) ١٩٧٢ . ولم تضطر الولايات المتحدة لدفع الثمن الذي توقعت ان تدفعه مقابل هدية كهذه - وهو تسوية سياسية . وكان المبرر الذي قدمه السادات هو أن الاتحاد السوفياتي لم يقدم أسلحة كافية . ان تحرك السادات المفاجيء ضيق على الخيار السوفياتي وبالتالي أصبح الانفراج طريقا ذا اتجاه واحد في الشرق الاوسط . ولم يعد هناك شك كبير منذ ١٩٧٢ بأن الولايات المتحدة هي التي تتولى القيادة في الشرق الاوسط . وطوال تلك الفترة كانت الولايات المتحدة تحاول استغلال النزاع العربي الاسرائيلي لصالحها مع الحفاظ على خيار التسوية النهائية مفتوحا حتى اشعار آخر عندما توجه الدعوة الى الاتحاد السوفياتي للانضمام الى التصديق على الترتيبات ، بعد ان يكون قد تم ارساء الاساس وبناء الجدران .

ولذلك دخلت الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي عهد انفراج في الشرق الاوسط اكتفى فيه الاتحاد السوفياتي بانقاذ استثماره الذي دام عقدين من الزمن. البيان الامريكي السوفياتي المشترك الموقع اترقمة نيكسون وبريجنيف في موسكو أيار ( مايو ) ١٩٧٢ يؤكد بأسلوب عرضي دعم القوتين « لتسوية سلمية في الشرق الاوسط تتفق مع قرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ » . مما حدا باسرائيل الى التعبير عن رضاها .

ان ظروف حرب تشرين الأول ( اكتوبر ) ٩٧٢ تكشف خليطا من نمطي المواجهة والتكيف في علاقات القوى الكبرى . وهي تتفق مع الوصف الذي أطلقه اقبال أحمد على الانفراج - التعاون المعادي . وقال معارضو الانفراج في الولايات المتحدة ان الاتحاد السوفياتي انتهك روح الانفراج بتشجيعه العرب على شن الحرب في اكتوبر . بما يتعارض واتفاقية نيكسون - بريجنيف في قمة واشنطن ١٩٧٢ التي تنص على اجراء مشاورات عند قيام وضع قد يصبح خطرا . ان هذه الانتقادات الموجهة الى نيكسون وكيسنجر ، يضاف اليها ضغوط ووترغيت ، أدت الى حالة تأهب نووي للقوات الامريكية في جميع انحاء العالم ، كان أساسا ردا على التحذير السوفياتي باتخاذ « خطوات فردية » لمواجهة عبور اسرائيل قناة السويس . ولكن خلف هذا التصلب كانت القوتان مشتركتين في جهود دبلوماسية لتضخيم اهدافهما الخاصة . فقد قال كيسنجر مؤكدا مبدأ الربط : « لو عملنا متعاونين مع الاتحاد السوفياتي ، اولا من أجل اقامة وقف اطلاق نار ، ثم من أجل تسوية دائمة في الشرق الاوسط ، اذن لأثبت الانفراج نفسه » . ويعد ذلك بقليل وافقت القوتان على وقف اطلاق نار ، وعلى مؤتمر جنيف للتوصل الى حل شامل . بل ان الاتحاد السوفياتي نجح في اقناع سوريا بقبول قرار ٢٢٨ اثر تلميحات بان اسرائيل ستسحب من جميع الاراضي العربية المحتلة ، وتعترف بحقوق

الشعب الفلسطيني . وتبين أن هذا الوعد باطل عندما قدمت الولايات المتحدة لاسرائيل فيتو حقيقيا حول اشتراك م . ت . ف . في اية اجتماعات تعقد في المستقبل في جنيف ، وعندما استبدل الحل عن طريق مؤتمر جنيف بدبلوماسية كيسنجر المكوكة ، وأصبحت هي المحاولة الدبلوماسية الوحيدة في الشرق الاوسط . واختتمت اتفاقات فك الارتباط التي تفاوض عليها كيسنجر على جبهتي السويس والجولان باتفاقات كامب ديفيد والسلام المنفرد بين مصر واسرائيل . وتم تعليق حظر النفط العربي في آذار ( مارس ) ١٩٧٤ ، ثمنا لفك الارتباط السوري - الاسرائيلي ، الذي قوى بحد ذاته من مركز الولايات المتحدة ، بالمقارنة مع الاتحاد السوفياتي ، في الشرق الاوسط . وطالما ان العرب اختاروا حلا دبلوماسيا حتى قبل حرب أكتوبر ، فقد كانت الولايات المتحدة تستطيع ان تقدم لهم ما لا يستطيعه الاتحاد السوفياتي . فالولايات المتحدة فقط تستطيع ان تقدم الاسلحة ، وان تضغط على اسرائيل في الوقت نفسه من أجل تنازلات اقليمية . ولكن في النهاية ، أصبحت قدرة الولايات المتحدة و/أو رغبتها في الضغط على اسرائيل ، مثار شكوك كبيرة . ولم يترك للاتحاد السوفياتي سوى خيارات قليلة ، بينما راحت مصالح جيمي كارتر ، ومناحيم بيغن ، وأنور السادات ، تتركز على ضرورة وقف التحول الاجتماعي ، وبقاء السوفيات خارج الشرق الاوسط ايضا .

ونختتم هذا بقولنا ان الانفراج في الشرق الاوسط لم يكن يستحق هذا الاسم ، وأنه مجرد نسخة مضخمة من التنافس « السلمي » . لقد استفادت منه الولايات المتحدة على المدى القصير ، بسبب طبيعة النزاع والمتنازعين . وبالعكس الهند الصينية ، وانغولا ، كانت أطراف النزاع هنا تنظر الى نزاعها من وجهة نظر اقليمية وأمنية ، بدلا من ايدولوجية - قومية . ان العامل الغائب في الشرق الاوسط كان الالتزام بحرب تحرير طويلة النفس كطريق وحيد لإزالة الاستعمار . فثبات القوى التي أمنت بهذا المبدأ في الهند الصينية ، وانغولا مكنت الاتحاد السوفياتي من تقديم المساعدة الضرورية ، التي ساهمت في النهاية في ظهور نمط تكيف ادى الى ضمان زوال الاستعمار .

فعندما حققت انغولا استقلالها عن البرتغال ، كانت ثلاث قوى تتنافس للسيطرة على البلاد ، أحدها يدعمها الاتحاد السوفياتي وكوبا ( ج . ش . ت . ا . ) ، في حين تدعم القوتين الأخرين القوى الأوروبية ، التي كانت تأمل في إجراء تعديل طفيف على الوضع القائم ومرة أخرى حاول كيسنجر تطبيق مبدأ الربط ، عندما حذر الاتحاد السوفياتي بأن الكونغرس الامريكى ، الذي كان يتعرض آنذاك لضغوط معادية للانفراج ، سيتردد في منح تنازلات تجارية او التجارب مع سالت ٢ . وكان تحذير كيسنجر قائما بالطبع على افتراض ان ج . ش . ت . ا . مجرد دمية يمكن تحريكها في أي اتجاه ، وأن الاتحاد السوفياتي يستطيع استخدامها كحجر شطرنج في لعبة الدبلوماسية الدولية . لكن صلابة وتصميم ج . ش . ت . ا . هي التي أدت في النهاية الى الاعتراف بها كحكومة رسمية في انغولا .

ولكن ، كانت القوى الكبرى ، في شبه القارة الهندية ، يتكيف كل منها مع اهتمامات القوى الاخرى ، أكثر مما حدث في الشرق الاوسط أو افريقيا . فبرغم كل التحذيرات التي وجهتها واشنطن الى الهند خلال الحرب الهندية الباكستانية عام ١٩٧١ ، اقتصرت الولايات المتحدة في دعمها على شحنة رمزية من الاسلحة الخفيفة الى باكستان ، عن طريق الاردن ، وصل

ثمنها الى خمسة ملايين دولار ، اضافة الى مرور الغواصة الامريكية انتربرايز في خليج البنغال . لقد امتنعت الولايات المتحدة تماما عن دعم المجهود العسكري الباكستاني بشكل فعال في باكستان الشرقية ، وسكتت على تجزئة باكستان التي كانت ملتزمة بالحفاظ على وحدتها الاقليمية . كما ان الولايات المتحدة لم تقم بأية خطوات ملموسة لاحباط الغزو الهندي ، رغم ان الهند كانت قد عقدت معاهدة عسكرية مع الاتحاد السوفياتي . لقد كانت الولايات المتحدة أكثر رضوخا لما يشبه سيادة مشتركة من القوى الكبرى في شبه القارة الهندية ، وهو موقف حددته بسالة الهند العسكرية ، اضافة الى النزاع الصيني السوفياتي ، وطبيعة القوى السياسية المحلية في الهند وبنغلادش . فبالنسبة للولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي ، على حد سواء ، كان حزب المؤتمر الهندي الذي ترأسه انديرا غاندي ، وحزب عوامي الذي يرئسه مجيب الرحمن ، هما أهون الشرين . لقد كان التعايش ممكنا في شبه القارة الهندية ، والاستقرار مرغوبا فيه من جانب القوى الكبرى ، لكن الولايات المتحدة استمرت ، في الشرق الاوسط ، في مناوراتها من أجل تدعيم مفهومها الخاص لما يعنيه الاستقرار ، وأبقت الاتحاد السوفياتي من أجل المصانقة المظهرية فقط .

وفي الهند الصينية طلبت الولايات المتحدة ، التي كانت ترغب بشدة في مخرج كريم ، مساعدة الاتحاد السوفياتي والصين . لقد كان المقصود من زرع الألغام في مياه هايفونج وهانوي في أيار ( مايو ) ١٩٧٢ ، وإلحاق الأذى في كانون الأول ( ديسمبر ) ١٩٧٢ ، استعراض تصميم أمريكا على ضمان انسحاب أمن . ولم يكن الزعماء السوفيات الذين استضافوا نيكسون في موسكو في ذات الوقت ( أيار/مايو ١٩٧٢ ) ، وعقدوا معه اتفاقية التجارة والسلاح ، غافلين عن المأزق الأمريكي . ان دعمهم المستمر للنضال الفيتنامي حرم الولايات المتحدة من الانتصار الذي كان يرغب فيه بعض جنراتها . وقررت القوى الكبرى ، التي وجدت نفسها في طريق مسدود ، انتهاء الحرب سعيا وراء مصالحها الخاصة .

ولما كان الاتحاد السوفياتي لا يبحث عن السيادة والأولية في الهند الصينية ، وأنغولا ، لم يكن التكيف يشكل بالضرورة تنازلا للقوة الأخرى . فبالنسبة للاتحاد السوفياتي كان يكفي أن يحدث تغير كبير ، يتفق مع متطلبات زوال الاستعمار أكثر من متطلبات ما كان يشار اليه في الغرب ، بتهذيب ، باسم الاطار الدولي الشرعي . بل يمكن القول ان مبدأ الانفراج ، كما يعرفه الغرب ، يمثل قناعا يهدف الى اعطاء انطباع بتدهور القوة الأمريكية كعملية تكيف طبيعية سعيا وراء الشرعية الدولية والاستقرار العالمي .

ان صيغ كيسنجر المقتبسة من دبلوماسية القرن التاسع عشر ، وخاصة مؤتمر فيينا ، تشوه وتموه مجموعة كبيرة مركبة من التغيرات الشاملة في العالم أجمع ، هي الميزة الرئيسية ، ان لم تكن جوهر الحياة والتاريخ المعاصر . ان عبارات مثل « هيكل السلام » ، « توافق القوى » ، « الاتزان » ، والتي تشير الى اعادة تقييم استرضائية لسياسة أمريكا في الحرب الباردة ، هي مجرد مظاهر لهذا التغير العظيم ، الذي يجعل هذه المرحلة من تاريخ العالم « مرحلة انتقالية مضطربة وعظيمة »\* ، يمكن مقارنتها بتدهور وسقوط الامبراطورية

\* أدب بهذا الاصطلاح للبروفسور نيل هيوتون .

الرومانية ، وظهور الدولة - الأمة ، والثورة الصناعية وغيرها .

ان السياسة الامريكية الخارجية تواجه تحديا دائما ، هو ضرورة التكيف مع متطلبات ومطالب هذه الفترة الثورية ، حيث تصبح « العلاقات الخاصة » ذات الوكلاء والشركات المتعددة الجنسيات ، دعائم الامبريالية الامريكية .

لقد اثبتت ايران أنها حقل تجارب « للعلاقة الخاصة » بين الولايات المتحدة وبولة من العالم الثالث ، منذ الحرب العالمية الثانية . وهزيمة هذه العسكرية المدرية على يد امريكا هزيمة كبرى للسياسة الخارجية الامريكية ، مما يلقي ظللا كبيرة من الشك على صلاحية مبدأ نيكسون . لقد اعترف مساعد وزير الخارجية السابق جورج بول بهذا الفشل في مقال بعنوان « دروس من ايران » ( بوسطن غلوب ، ٢/٤/١٩٧٩ ) .

مع ازالة ايران « كحامية » لمنطقة الخليج ، تدفع ردة فعل عمياء الكثيرين الى البحث عن دولة عميلة أخرى ، كمصر او السعودية ، لتولي دور الشاه « كشرطي » . لكن هذا يبدو لي اغراء يجب تجنبه بشدة .

ان الدرس الاول من كارثة ايران هو ننا لانستطيع ان نضمن أمن منطقة استراتيجية بأن نملا دولة متخلفة بكميات هائلة من الالحة - كما يفترض مبدأ نيكسون .

لكن العلاج الذي اقترحه بول ، يثير تساؤلات حول ما اذا كان هو نفسه قد استفاد من هذا الدرس :

« علينا ان نزيد تواجدنا بشدة في المحيط الهندي ، ونساعد السعودية في مهمة المراقبة ، ونقدم تنكيرات مستمرة على قدرتنا المتحصنة على نقل القوات بسرعة ، وايصالها ، حتى من القواعد الامريكية » .

ان هذا النوع من اللجوء الى التدخل الامريكي ، لاجباط التغير الاجتماعي في العالم الثالث ، يؤيد ، واضع مبدأ نيكسون نفسه . فقد قال هنري كيسنجر ردا على سؤال من « الايكونوميست » ( ١٠/٢/١٩٧٩ ) ، حول ما اذا كان على الولايات المتحدة أن تستخدم القوة العسكرية للحفاظ على نظام معين :

« علينا بالتاكيد ان لا نستبعد ذلك علنا ، رغم انه لن يكون سوى ملجأ أخير بالطبع » .

لقد حنر جيمس شليسنجر ، وزير الطاقة ، وهارولد براون ، وزير الدفاع ، من أن الولايات المتحدة ستحمي « مصالحها الحيوية » في الشرق الأوسط ، حتى لو تطلب ذلك القوة العسكرية ، أو الوجود العسكري . ونكرت النيويورك تايمز ، يوم ٢٠/٤/١٩٧٩ ، ان وزارة الدفاع الامريكية تخطط لاقامة قوة ضاربة جديدة ، مشلحة من مئة ألف فرد ، من أجل « رد عسكري سريع » على اوضاع في الشرق الأوسط ، تشتمل على ثورات شعبية ، او الاستيلاء على منشآت النفط .

وهذه الذبذبات التي تبعت سقوط الشاه في ايران ، كانت تضم شحنة أسلحة ضخمة الى اليمن الشمالي ، وارسال حاملة الطائرات الامريكية كونستيليشن ، واسطول صغير من السفن

الحربية ، الى بحر العرب كعرض عضلات . وفي تلك الاثناء قام وزير الدفاع الامريكى هارولد براون بجولة في الشرق الاوسط ، في شباط ( فبراير ) ، في محاولة لاستعادة الهيئة الامريكية ، واصلاح هيكل التحالف الذي تضعضع . ويجب رؤية معاهدة السلام المصرية - الاسرائيلية في اطار « الأمن الاقليمي » ، هذا حيث تصبح القوات الامريكية قادرة على الوصول الى قاعدة مصيرة في عمان ، والقواعد المصرية التي استردت مؤخرا ، والتي يسميها الاسرائيليون « اتسيون » ، قرب البحر الاحمر ، و « ايتام » ، قرب البحر الابيض المتوسط . ان الاسطول الخامس الذي شكل حديثا من سفن في الاسطولين السادس والسابع ، هو حلقة أخرى في هذه السلسلة الجديدة من الوجود السعكري الامريكى .

وقد اختارالاتحاد السوفياتي السكوت ازاء هذا التعبير الامريكى عن القلق.لقد ارتفعت اسهم الاتحاد السوفياتي في المنطقة في الأشهر الأخيرة دون ان يضطر لادخال قواته ، او لاقناع الكوبيين بتدخل قواتهم . وحتى لو لم يكن للسوفيات علاقة بالثورة الايرانية ، فقد كانت الخسائر الامريكية ريجا سوفياتيا صافيا . بل ان جزئا كبيرا من هذه « الخسائر » ، في جميع أنحاء العالم ، نتجت عن مبادرات من شعوب العالم الثالث ، أكثر من أعمال علنية أو خفية قام بها الاتحاد السوفياتي . وهذا ما حدث في فيتنام ، ولاوس وكمبوديا ، وموزمبيق ، وافغانستان ، واليمن الجنوبي ، والحبشة ، وايران . كما حدث الشيء نفسه في اوروبا ، حيث اطيح بالدكتاتوريات اليمينية في اسبانيا والبرتغال واليونان ، مؤخرا .

ولذا ، فان الانفراج لا يعتمد على حسن نوايا ، او تصلب قوة كبرى معينة ، او قابلية الاتحاد السوفياتي لتبني دبلوماسية « الربط » . ولا يوجد دليل يشير الى ان مصلحة الاتحاد السوفياتي في التجارة والتكنولوجيا قد أدت الى تحييد دعمه للتحول في العالم الثالث . كذلك لا يمكن الافتراض أن أيامن القوى الكبرى تتحكم في المفاتيح التي تفتح الأبواب ، وتشق الطريق امام تسوية النزاعات في الاطراف . ان الاتجاه في الماضي القريب ، وفي الحاضر ، يشير الى ان الولايات المتحدة لم تنته من ممارسة ضغوطها . ان الانفراج يزود القوى الكبرى بصمام الامان الذي تحتاج اليه ، لتحاشي صدام مباشر ، بينما تستمر في سعيها وراء مصالحها المختلفة ، من أجل ، او لمعاكسة استقرار عالمي . لم تعد اكثرية العالم تعتبره مقدسا ، او أرضا حراما .

## أميركا وإسرائيل

منذ بدأت اعي الكلام السياسي وأنا اسمع منولة تتردد ، تندد بالسياسة الاميركية ، وتصف القائمين على صنعها بالغباء . ثم تطرح ، بشكل او بأخر ، السؤال التالي : ما دامت مصلحة اميركا مع العرب ، فلماذا تنحاز هذه الى اسرائيل ؟ واذا كان الامر كذلك ، فلماذا لا تتعامل اميركا مع العرب كما تفعل مع اسرائيل ؟ ثمة من يتهم العرب بالتقصير ، ويتساءل لماذا لا يحاول العرب ، ويشكل جدي ، ذكي وفعال ، شرح قضيتهم العادلة في اميركا ، وبالتالي احداث شرح بينها وبين اسرائيل . وبالفعل ، لماذا تتصرف الولايات المتحدة كذلك ؟ ولماذا تفضل صهيونيتها على عربيها؟ ثم ما هي تلك المصلحة الاميركية معنا ؟ وهل هي مصلحة لنا ايضا ، او لمن منا ؟ ومن وعي تلك المصلحة ، فقه سر العلاقة الخاصة التي تربط اسرائيل باميركا ، وفهم مغزى الكلام الذي ترده اوساط المؤسسة الحاكمة في واشنطن ، بأن امن اسرائيل هو من صميم المصلحة الاميركية القومية . فواشنطن تفضل اسرائيل لانها منها واليهما . والعرب ليسوا كذلك ، حتى وان بقوا ابوابها ، وارتموا على اقدامها . ولقد اثبتت التجربة ان طريق واشنطن تؤدي الى تل ابيب ، وان التحرير لا يكون بالتعاون مع هذا الطرف المستعمر او ذاك . وامامنا عبرة في الثورة العربية الكبرى ، ثورة الشريف حسين .

إن أي تقويم جاد لطبيعة العلاقة بين الكيان الصهيوني والولايات المتحدة لا يستقيم دون تحديد صحيح لطبيعة الكيان ، الذي هو نتاج العمل الصهيوني . ولا مجال هنا للخوض في التفاصيل ، وانما هي بضع نقاط تساق ، تشكل منطلقات لهذا التحديد .

### الكيان نتاج عمل مشترك بين الاستعمار والصهيونية اليهودية

للمشروع الصهيوني في جوهره شقان : الاول ، وهو الاصغر ، يهودي ذاتي ، يعبر عن تطلعات الصهيونية اليهودية . والثاني ، وهو الاكبر ، امبريالي ، يعبر عن مصالح الاستعمار الغربي في المنطقة العربية ، اي ما يسمى احيانا « صهيونية الاغيار » . والعمل الصهيوني كان مشتركا بين هذين الطرفين ، مع تغير الطرف الثاني ، كل دولة امبريالية وبورها في حينه . والشراكة في هذا العمل ليست ، ولم تكن قط ، متكافئة . وانما ظلت ، منذ البداية والى يومنا ،

تعكس موازين القوى بين الشريكين . فكان سهم الاستعمار فيها ، ولا زال ، هو الأكبر . وهكذا كان مردود المشروع على اصحابه ، اذ انه خدم الاستعمار الغربي اكثر مما قدم للصهيونية اليهودية . والكيان الصهيوني اصاب نجاحا اكبر في مهمته الامبريالية مما في عمله اليهودي . لقد عرقل مسيرة حركة التحرر العربية اكثر مما اسهم في « حل المسألة اليهودية » .

## ٢ - المشروع الصهيوني لم يستكمل بعد

والمشروع كما يصوره اصحابه لم يحقق غايته بعد ، سواء في شقة اليهودي ام الامبريالي . فلا هو حل « المسألة اليهودية » ، ولا تغلب على حركة الجماهير العربية ، المنطلقة الى الاستقلال والوحدة . ففي جانبه اليهودي ، اريد للمشروع أن يجمع اكثرية يهود العالم في « دولته القومية » على ارض فلسطين ، وييسر حمايته على الاقلية المتبقية في الشتات . والذي جرى الى الآن هو العكس تماما . اذ تجمعت في فلسطين الاقلية من يهود العالم ، وهي بحاجة مستمرة الى دعم الاكثرية في الخارج : ناهيك عن انه خلق « مسألة » جديدة مزبوجة : « المسألة الاسرائيلية » و « المسألة الفلسطينية » . وفي جانبه الامبريالي ، لم يفلح الكيان ، الى الآن ، في ضرب الحركة القومية العربية ، واخضاعها لاملاءات المصالح الامبريالية في المنطقة . واذا كانت المهمة التي من اجلها اقيم الكيان لم تنته بعد ، وكان اصحاب المشروع لا يزالون يسعون وراء اهدافهم الاصلية ، فمن الطبيعي أن يستمر الكيان في محاولة تحقيق ذاته كاملا . وفي هذه المرحلة التي تمر بها المنطقة ، نشهد هجمة امبريالية شرسة عليها ، لنهب ثرواتها وضرب حركة جماهيرها . وبالمقابل تبقى القوى السياسية الفاعلة في الكيان الصهيوني صهيونية بمجملها ، ترى مبرر وجودها واستمرارها في انجاز المشروع الصهيوني وتحقيق « حلم الاباء » في استكمالها . واذا كان الامر كذلك ، فان اية تسوية يقوم بها الكيان الآن ، لن تكون اكثر من محطة اخرى على طريق استكمال المشروع ، على الاقل من زاوية نظره وتطلعاته . وستكون هذه المحطة حلقة اخرى في السلسل بعد مؤتمر بازل ، وعد بلفور ، مؤتمر بلتيمور ، قيام الكيان ، حرب حزيران ( يونيو ) ١٩٦٧ ، « المعاهدة المصرية - الاسرائيلية » . والخلاف الدائر في الكيان اليوم ، بين تيارين صهيونيين رئيسيين ، وكذلك بين الكيان ككل وواشنطن ، انما هو على تحديد معالم هذه المحطة ، ورسم خطوطها ، بحيث تستطيع تأدية مهامها المستقبلية بشكل اكثر نجاعة . وهنا تختلف التقويمات طبقا لاختلاف فهم الاولويات لدى الاطراف المعنية .

## ٣ - السمة البارزة للكيان كونه قاعدة عدوانية متقدمة للامبريالية الاميركية

اكيد ان للمشروع الصهيوني جانبا اقتصاديا واجتماعيا ، كون القيادة الصهيونية اليهودية ارادت ان تحل المسألة اليهودية عن طريق بناء نولة بالمفهوم البرجوازي ، تكون لليهود ويهم ومنهم . ولكن الشريك الاكبر في المشروع - الاستعمار ، اراده ان يصير قاعدة عدوانية . فكان له ما اراد . وهكذا فان التوازن بين هذين الجانبين للكيان يعكس موازين القوى بين الطرفين المشاركين في اقامته . ومن وجهة نظر الشريك الاكبر ، لم يكن المشروع استيطانيا اقتصاديا ، الهدف منه استغلال الرقعة الجغرافية التي يقوم عليها ، اوحى اهالي البلد الاصليين ، وانما تهيئة الظروف الملائمة للنفاذ الى ثروات المناطق العربية المجاورة . وعلى هامش هذا الهدف

الرئيسي ، قام الشريك الاصغر ، بمشروع على حجمه هو ، اقتصادي وسياسي واجتماعي ، يعطي للتكنة طعما ، وراثحة ، يجعلان الحياة فيها مستساغة ، ولولفئة من الناس ، لها ثوقها الخاص. وليس ادل على ذلك من الفارق الشاسع بين تنامي المؤسسة العسكرية في الكيان ونضوجها ، وبين هشاشة مؤسساته الاخرى ، اقتصادية كانت ام اجتماعية . وليس ذلك الا لان الالة العسكرية الصهيونية مرتبطة مباشرة بالمهمة الامبريالية ، ويرعاها الشريك الاكبر بعناية خاصة . وما دامت مهمة الالة العسكرية الامبريالية هي ضرب حركة الجماهير العربية ، فان نشاطها ينحصر بالاساس خارج حدود استيطان الكيان . وعليه فان ما يسمى « امن الكيان القومي » - اي مبرر وجوده ، وبالتالي استمرار تقديم الدعم له ، لا يتوقف عند حدوده اوداخلها ، وانما يمر في عواصم الدول العربية ، حيث نشاط حركة الجماهير العربية . وهذا « الامن » لا يستتب نون التحكم بالمسارات السياسية لتلك الحركة ، وضبط نشاطها . من هنا ، يبقى العامل الحاسم في قرار الشريك الاكبر الاستمرار في دعم الكيان والحفاظ على بقائه، او عدمه، وبالتالي انهائه ، لا يتوقف على ميزان مدفوعات الكيان، سلبا ام ايجابا . وانما على مدى نجاعة فاعليته في تهيئة الظروف لاستمرار الهيمنة الامبريالية على المنطقة ، وضمنان مصالحها فيها .

والواقع ان الكيان قد اثبت مصداقيته في خدمة الشريك الاكبر ، وصنقت الى الان مقولة ان « ليس للغرب افضل في المشرق من الغرب نفسه ، المتمثل في اسرائيل » . اما حلفاء الغرب من العرب وغيرهم في المنطقة ، فلم يثبتوا مصداقيتهم في اداء المهمة المطلوبة . وحتى الشاه سقط . ويبقى الكيان يصارع على اثبات تلك المصداقية ، وبالتالي الحفاظ على موقعة المتميز في المعسكر الامبريالي ، ليحافظ على خصوصيته التي هي جزء اساسي مما يعتبره « امته القومي » . من هنا قوة الكيان في الساحة الاميركية . ومن هنا يحظى بمعاملة خاصة في واشنطن ، بحسده عليها « عرب اميركا » ، رغم ان « مصلحة هذه معهم »، بل واكثر من ذلك ، فواشنطن تعلم يقينا ان بقاء هؤلاء رهن بوجود اسرائيل قوية في المنطقة وهم بدورهم يعون ذلك جيدا ، حتى ولو كابروا . وهذا يفسر فشل منافسي اسرائيل العرب على احتلال موقع مواز لها في واشنطن ، وبالتالي في الاستراتيجية العالمية للامبريالية الاميركية .

□ ان التحديد الصحيح لدور الكيان الصهيوني الامبريالي ، لا يستقيم الا اذا تم الربط الجدلي بين انشائه ونشاطه ، وبين الظواهر السياسية التي واكبت تلك زمانا ومكانا ، وتطورها ، وبالتالي تحديد المهام الموكلة اليه في الصراع بين القوى وراء الاحداث . ولا بد لهذا التحديد من الربط بين اربع ظواهر اساسية ، حكمت تاريخ المنطقة في القرن الاخير ، ومن ثم استنباط العلاقة الجدلية بينها ، وهي : ١ ) انحلال الامبراطورية العثمانية - آخر الامبراطوريات الاسلامية من القرون الوسطى . ٢ ) تكالب الدول الاستعمارية على تقسيم اراضي الامبراطورية ، وضمنان مناطق نفوذ فيها . ٣ ) بروز الحركة القومية العربية ، تنادي بالاستقلال والوحدة العربيين . ٤ ) بروز الحركة الصهيونية السياسي ، تنادي باقامة دولة يهودية ، عن طريق الاستيطان ، وبالتعاون مع الاستعمار ، وفي هذا الاطار يبرز الدور الصهيوني ، والذي اوكلت اليه من خلال مشروعه ، ومن ثم كيانه ، مهمة التصدي للحركة القومية العربية ، وضربها واحباط نضالها من اجل الاستقلال والوحدة . وذلك عن طريق بناء الكيان كقاعدة للعدوان على شعوب الامة العربية ، من اجل اجهاض حركة جماهيرها ،

والحوول دون تحقيقها للوحدة ، من خلال ترسيخ تفتيتها ، سواء بالتدخل المباشر ، ام بالحفاظ على نظم حاكمة فيها ، لا مصلحة لها في الوحدة او حتى في الاستقلال .

وعليه فان مهمة الكيان الامبريالية تنفذ خارج حدود استيطانه فالحركة القومية العربية، المتصدية للمصالح الامبريالية والنفوذ الاستعماري في المنطقة ، لم يكن مركزها فلسطين بالذات ، وانما بعض العواصم العربية الكبرى ، وهكذا فان « امن الكيان » يمر بتلك العواصم ، عابرا اليها من ثغورها . ولكن للتناقض بين الكيان الصهيوني والشعب الفلسطيني خاصة بعدا اضافيا . فالى جانب كون ذلك الشعب جزءا من الامة العربية ، وبالتالي مستهدفا في العدوان ، اسوة بغيره من شعوبها ، فقد شكلت ارضه الوطنية الرقعة الجغرافية التي قامت عليها القاعدة انطلاقا من ملاءمة الرقعة لبناء القاعدة ، سواء من الناحية الاستراتيجية ام لناحية علاقة التراث اليهودي بها . وهذا الواقع يسبغ على النضال الفلسطيني ضد الكيان طابعا خاصا . ويعطيه موقعا متميزا . بالمقابل ، فان هذا البعد الاضائي للتناقض ، وهذا الموقع المتميز للنضال الفلسطيني ضد الكيان ، قد يقود الى فهم خاطيء لما يسمى « جوهر الصراع » في المنطقة ، باعتباره ينحصر في استيلاء المشروع الصهيوني على ارض الشعب الفلسطيني وتشريده ، وبالتالي فان انتهاء الصراع مع العدو يتوقف على حل لمسألة الفلسطينيين . ومع ذلك ، فان اي صراع يخوضه الشعب الفلسطيني ضد الكيان ، حتى وان انطلق من مواقع اقليمية ، يبقى موضوعيا ، وبالمحصلة ، نضالا قوميا . والقيادة الصهيونية تعي ذلك جيدا . ومن هنا اصرارها على تغييب الشعب الفلسطيني ، بدءا بالتغيب المادي ، ومرورا بالتغيب الحضاري ، وانتهاء في التغيب السياسي ، مع كل ما رافق ذلك من تشويه لتاريخ ذلك الشعب ونضاله . ومن هنا ايضا العمل الصهيوني اللؤوب على تذويب الشعب الفلسطيني ، وحل مشاكل افراده ، عن طريق اطراف عربية ومن خلالها . والمهم في نظر تلك القيادة الا يقوم كيان سياسي فلسطيني ينازع القاعدة على الرقعة الجغرافية التي تقوم عليها . ولذلك فهي تحاول كما يبدو واضحا من مسار مفاوضات التسوية ، حشر الاطراف المعنية ، بمن فيها الشريك الاكبر في المشروع الصهيوني ، في مأزق الخيار بين الخدمات التي يؤديها الكيان للمصالح الامبريالية ، وهي التي تسميها مجازا امه ، وبين اقامة دولة فلسطينية ، تدعى انها ستكون على حساب « امن الكيان » ، وقاعدة لانطلاق مضاد لتلك المصالح ، بما فيها وجود الكيان نفسه .

#### □ اميركا « البلد الام » ( المركز ) للكيان الاستيطاني

في جوهرها علاقة اسرائيل باميركا هي علاقة كيان استيطاني ، ب « البلد الام » الامبريالي ( المركز ) بشكل عام . ولكن لاسرائيل فرادة تنبع في الاساس من فرادة الحركة الصهيونية ، وعن الدور الذي اوكل للكيان ، وبالتالي لطبيعة الشراكة في اقامته ، والخصوصية التي يتميز بها عن اترابه من الكيانات الاستيطانية - جنوب افريقيا وروديسيا . وعندما تتضارب وجهات النظر بين القيادة في المركز ، والوكالة في الكيان ، يوصف ذلك بانه خلاف بين حكومة « س » وادارة « ص » وليس بين دولتين منفصلتين - الولايات المتحدة واسرائيل . ومثل هذا الخلاف يحسم في العادة داخل المؤسسة الحاكمة في المركز ، ومن خلال تفاعل اجنحتها . وعندما يحتمل الخلاف يصار الى التفاضل امام « الرأي العام الاميركي » ، والذي تصنعه مراكز القوى . في المركز ، وبالتالي فانه يعكس موازين القوى بينها . ولعله امر ذو دلالة ، ان يحمل رئيس

حكومة اسرائيل خلفه ، اذا حصل مع الرئيس الاميركي ، الى واشنطن ، ليظه هناك ، من خلال توازنات الادارة الاميركية ذاتها ، او تناقضات المؤسسة الحاكمة ككل . فالعلاقة بين الطرفين عضوية ، وهما يشكلان بالاساس وحدة متكاملة رغم التمايز الظاهري .

ولكن اسرائيل ليست مستعمرة بالعنى الكلاسيكي للكلمة ، اذ انها ليست بالاساس مشروعاً اقتصادياً رأسمالياً ، وانما قاعدة عسكرية متقدمة مما يضيف على علاقتها بالبلد الام طبيعة خاصة . هذا طبعا الى جانب الشق الصهيوني اليهودي من المشروع ، والذي ضمن اطار هامشه الصغير نسبياً ، يسعى الى اعطاء الكيان طابع « الدولة القومية » القائمة على الفكرة الصهيونية . وهذه في اساسها « قومية ثقافية » لا تخلو من عنصرية وغيبية . ومن اطراف هذا الشق ، سواء عن اليمين ام اليسار ، ترتفع عادة اصوات تنادي بتوسيع هامش الاستقلالية عن البلد الام ، أما التيار العام في الكيان ، وهو صاحب الحل والعقد فيه ، فيعي تماماً تبعيته للمركز ويقدر ما يترتب عليها .

واسرائيل جزء من النظام الامبريالي الاميركي ، وركن اساسي في استراتيجية الرأسمالية الاميركية العالمية . وهي ضمن ذلك النظام اشد ارتباطاً باكثر اجنحته رجعية وعدوانية – المجمع الصناعي الحربي . ولكن للاحتكارات النفطية مصلحة كبيرة فيها . وفي حين تصدر في اسرائيل ، واهياناً بشكل مكثف ، انتقادات لوزارة الخارجية الاميركية ، وتنديد بارتباطها ، او ارتباط « المستشرقين » فيها ، باحتكارات النفط ، فانه نادراً ما يوجه نقد للمجمع الصناعي الحربي ، او الى البنتاغون والالة العسكرية الاميركية . وبالعكس فان علاقات اسرائيل بالالة العسكرية الاميركية ، وكذلك بالصناعة العسكرية ، اقوى ما تكون . وكثيراً ما تستفيد بعض الشركات الاميركية لانتاج الاسلحة من تأييد اسرائيل لها في طلبها دعماً مالياً فيدرالياً لانتاج الاسلحة المتطورة والمكلفة ( طائرات ف – ١٨ مثلاً ) . ونظراً لارتباط القاعدة بالعسكرتارية الاميركية ، فقد تطورت فيها المؤسسة العسكرية بشكل يفوق جميع المؤسسات الاخرى واصبح الجيش ، بفعل ارتباطه بالعسكرتارية الاميركية ، المؤسسة الاكثر اهمية في الكيان – فهو الجيش الذي يعتبر اعلى من الدولة واعز .

وحتى على صعيد اقتصاد الكيان ، تبرز الصناعة العسكرية التي هي مغامرة مشتركة بين الكيان والبلد الام ، يسهم فيها هذا الاخير بالقسط الاوفر من الرأسمال والتكنولوجيا . وهذه المغامرة هي من زاوية نظر اسرائيل اقتصادية بالاساس ، لانها تنزود بالسلح من البلد الام اصلاً ، وتصدر الجزء الاكبر مما تنتج الى الخارج ، وجيش نيكارغوا مثلاً مزود ببنادق « جليل » الاسرائيلية الحديثة الصنع ، بينما يستعمل الجيش الاسرائيلي الرشاشات الاميركية . وكذلك الامر بالنسبة الى الطائرات والدبابات . ومن زاوية نظر اميركا ، فالمغامرة سياسية اصلاً ، واقتصادية فرعا . وعن طريق اسرائيل تؤمن واشنطن السلح والعتاد للانتظمة الفاشية التي تدعمها سرا ، وتتحاشى الاحراج في تأييدها العلني .

وهذه الشبكة الواسعة من العلاقات ، بتشعباتها الكثيرة اخذت تحاك منذ الحرب العالمية الاولى ، ولكنها اكتسبت دفعا قويا اثناء الحرب العالمية الثانية ، مما انعكس في « مؤتمر بلتمور » ( ١٩٤٢ ) ، حيث نقل مركز النشاط الصهيوني الى الولايات المتحدة ، بدلا من بريطانيا . وتنامت هذه العلاقة لدى قيام الكيان وبعده ، وازدهرت بعد حرب حزيران ( يونيو ) ١٩٦٧ ، وتصاعدت بشكل بارز اثناء حرب تشرين وبعدها . واليوم هي في ثروتها ، حيث يدور

الكلام ، وبشكل مكشوف ، عن قيام حلف بين الولايات المتحدة وكل من اسرائيل ومصر ، في اعقاب « معاهدة السلام المصرية - الاسرائيلية »

والكيان الصهيوني يخدم الاهداف الاستراتيجية للامبريالية الاميركية في المنطقة والعالم بشكل صارخ الواضح . ومن هنا كثرة ترداد القول ، وعلى لسان صانعي السياسة الاميركية ، بان « امن اسرائيل هو جزء من المصلحة القومية الاميركية » . ومن هنا ايضا الحرص الكبير على الحفاظ على قوة اسرائيل العسكرية ، ومنه مقولة ان اسرائيل ، حتى تستطيع الدخول في « التسوية السلمية » لا بد من اغداق بالدعم العسكري والمادي عليها « كي تطمئن نفسها الى امنها وسلامته » . وهكذا حصلت المفارقة بان تحولت اسرائيل الى ترسانة ضخمة ، وهي تفاوض على « تسوية سلمية » .

وعلى الاقل ، فان الكيان يخدم مصالح الامبريالية الاميركية في الامور التالية : ١ ) يشكل قاعدة متقدمة للعدوان على الامة العربية وحركة جماهيرها ، لابقائها متخلفة ومفتتة . ٢ ) يشكل قوة ومركزا لاي عمل عسكري ، قد تقوم به اميركا في المنطقة . ٣ ) يهيء الظروف اللازمة لاستمرار الاستغلال الاميركي لموارد الثروة العربية ، خاصة النفط ، وتأمين طرق نقله الى الغرب . وذلك عن طريق :

١ ) حماية الرجعيات العربية ب ) التصدي للحركة الثورية العربية . ج ) دعم الفئات الانعزالية ، وتحريك الاقليات الدينية ولاثنية . د ) الدخول في محاور سياسية للحفاظ على المصالح الامبريالية في المنطقة . ٤ ) يوفر على البلد الام مؤونة دعم النظم الفاشية والعنصرية في العالم . اذ يقوم هو ، نيابة عنها ، بتزويد تلك النظم بالسلاح والخبرة في التصدي للحركات الثورية ضدها ، كما في افريقيا ، واميركا اللاتينية ، وكذلك في الشرق الاوسط . ٥ ) يسهم بشكل فعال في اعمال التجسس لصالح اميركا ، خاصة في دول الكتلة الشرقية ، كما يلعب دورا بارزا في الحملات الاعلامية التي تديرها واشنطن ضد دول المنظومة الاشتراكية ، وخاصة ضد الاتحاد السوفياتي .

#### □ مع الانسجام الاستراتيجي الكامل هناك تناقضات ثانوية

ان الانسجام الكامل في الاستراتيجية الامبريالية للولايات المتحدة ، لا يلغي وجود تناقضات ثانوية ، او خلافات تكتيكية ، تنبع اساسا من تطلعات الهامش اليهودي في المشروع الصهيوني ، واحيانا من التناقضات بين مراكز القوى داخل البلد الام ، والتي تتفاوت درجة تطابق مصالحها مع الكيان ككل ، او مع تيارات مختلفة داخله . فكثر ما يلاحظ تحالف ، اشد وثوقا او اقل ، بين هذا الجناح او ذاك من مراكز القوى ، السياسية او الاقتصادية ، في البلد الام ، وبين هذا التيار الصهيوني او ذاك في الكيان . وفي هذا المجال يلعب اللوبي الصهيوني الاميركي دورا واضحا . فهو يستطيع ان يحور اتجاهها معينا في السياسة الاميركية ، او الاسرائيلية ، فقط عندما يستطيع ان يقدم البديل الذي يتبناه جناح مضاد في المؤسسة الحاكمة الاميركية . ولكنه لا يستطيع ، وهذه مسألة شاذة ان يطرح موضوعا يتناقض ومجمل السياسة الاميركية في المنطقة - فهو لا يستطيع ان يطرح موضوعا مقاطعة النفط العربية مثلا ، او الدفاع عن احتلال اسرائيل ، ولحسابها ، بعض منابع النفط العربي ، وكذلك لا يستطيع الدفاع عن سياسة اسرائيلية ترمي الى توجيه الاوضاع في لبنان مثلا ، بشكل يتعارض تماما مع السياسة الاميركية . وقد ثبت ذلك في الحرب اللبنانية . ولكنه يملك هامش المناورة في تحركاته

في الجنوب اللبناني مثلا ، او في العمليات العسكرية التي يقوم بها ضد قواعد الثورة الفلسطينية ومخيماتها . وهذا الهامش من حرية الحركة ، او الاستقلالية ، يزداد اتساعا وضيقا تبعا لموازنين القوى داخل المؤسسة الحاكمة في اميركا ، او تبعا لقدرة الكيان وحلفائه على انتهاز الظروف المواتية في الوضع الاميركي المعين ، كفترة انتخابات الرئاسة مثلا ، او فترة ازمة يمر بها النظام الاميركي ، سياسية كانت ام اقتصادية ام اجتماعية .

والكيان الصهيوني يريد مثلا ، الاحتفاظ بموقعه المتميز في الاستراتيجية الاميركية ، ولا يرغب في ان يناقسه عليه احد ، خاصة من الدول العربية المتهافئة على ذلك ، وهذا الموقع هو بالفعل عنصر اساسي جدا في ما يسمى « أمن الكيان القومي » والخصوصية التي يتمتع بها الكيان . ومصطلحه الحيوية فيها ، تلميحان عليه التفاني في النود عنهما ، لانه ينطلق من منطق انه اذا « زال المسبب زال السبب » فاذا ضاعت تلك الخصوصية وتساوى في الموقع مع الاخرين ، فقد عنصرنا اساسيا من مقوماته ، وربما تدهور الوضع الى مبرر وجوده كاملا . وحيثما نسمع اصوات في الكيان ترفع شعار المشاركة مع الولايات المتحدة ، ولو يحجم صغير . وهذا الكلام زاد بعد حرب حزيران ( يونيو ) ١٩٦٧ ، خاصة على لسان بعض جنرالات الجيش ، انطلاقا من القناعة بقوة اسرائيل الذاتية ، وحاجة الولايات المتحدة الحيوية اليها . ولكن هذا الاندفاع قد فتر بعد حرب تشرين . وفي « مفاوضات التسوية » ، اثناء حكم حزب العمال ، كان الخط الحاكم لسياسة الحكومة ( حكومتي مئيرورابين ) هو التنسيق المسبق مع الادارة الاميركية ، قبل الاقدام على اية خطوة ، اما في حكومة بيغن فقد اختلف الوضع ، واخذ ينطلق من تقدير لموازنين القوى داخل المؤسسة الحاكمة الاميركية . وانطلاقا من تنسيق مع بعض اجنحتها ، التي قد تكون داخل الحكم او خارجه . ومن هنا شعار « رفض الاملاءات الاميركية » الذي رفعه بيغن ، وسار فيه الى حد الصدام مع ادارة كارتر . ولم يتورع عن فتح معركة معها ، سواء في اميركا ( مسألة البيان السوفياتي - الاميركي المشترك ) ، ام في اسرائيل ، عندما ادعى ان ادارة كارتر تريد اسقاطه واستبداله برئيس حكومة آخريكون اكثر طواعية لاملاءاتها . ولقد نجح بيغن بفضل قوة موقعه في المؤسسة الاميركية الحاكمة ، فانجز ما اراد من المفاوضات مع مصر .

والكيان بطبيعة الحال ، يحاول جاهدا ان يكون ارتباط « عرب اميركا » بواشنطن من خلاله . فهو يسعى لأن يصبح المركز الاقليمي والوكيل الاول للبلد الام في المنطقة تمر عبره جميع المعاملات مع واشنطن ، وهو بدوره يوزع الوكالات الاقليمية القانونية ، وفي كتاب صدر في اسرائيل ، وعن حكومتها ، بعنوان « اسرائيل في العام الفين » اشارة واضحة الى تطلعات الكيان لان يصبح هذا المركز الاقليمي للحركة الاقتصادية بين المنطقة عامة والغرب الرأسمالي خاصة اميركا . ولكن لبعض الاطراف العربية تطلعات مماثلة ، وتدعمها الى حد ما بعض الاجنحة في المؤسسة الاميركية ، وان لم يكن هذا الدعم . بحجم التطلعات . ففي اثناء المفاوضات مع مصر مثلا ، كثر الكلام في اسرائيل ، بان السادات انما يريد من خطوته في المبادرة ومن التسوية عامة ، ان يناقش اسرائيل على موقعها في واشنطن . وكان ذلك احد اهم اسباب تصلب اسرائيل في المفاوضات ، وتغنتها في تحديد تفاصيل العلاقة المثثة الاطراف ، والتي كثيرا ما وصفتها الادارة الاميركية بانها مسائل هامشية ، في حين ردت حكومة بيغن بانها على العكس ، مسائل حيوية جدا لها . وهذا بالفعل تقديم صحيح . وعلى سبيل المثال فقط

تجدد الإشارة الى القول الذي تردد كثيرا في مسار المفاوضات من ان المشاكل الجوهرية قد تم الاتفاق عليها ، وان الخلافات هي امور تفصيلية او شكلية واحيانا وصفت بانها مسألة صياغات كلامية فقط . والواقع ان اسرائيل اردت ان يدخل السادات الى شبكة العلاقات المثثة الاطراف - واشنطن - القاهرة - اسرائيل - ليس كشريك متكافئ مع اسرائيل ، وانما دونها ، فكان لها ما اردت . واذا كانت اسرائيل قد فعلت كل ذلك بالسادات ، رغم ثقله العربي ، وموقعه الافريقي ، ناهيك عن ثقافته على الارتباط بالاستراتيجية الاميركية ، وبالتالي عدائه للاتحاد السوفياتي ، واستعداده للتخلي عن تضامنه مع العرب ، فماذا سيكون نهجها ازاء الاطراف العربية التي لا تملك مثل هذه المقومات وليست النية لسلوك نهج السادات او القدرة على ذلك ، خاصة اذا كان الكلام عن تسوية للصراع ، تكون سلمية ، ومن خلال المفاوضات وبرعاية واشنطن .

ولا تخلو العلاقة بين اسرائيل وواشنطن من خلاف حول مبرود الخدمات التي تقدمها الاولى للثانية ، من فائض القيمة الذي تجنيه الثانية من المنطقة العربية ، نتيجة لنشاط الاولى . وطبيعي ان تسعى اسرائيل الى زيادة حجم هذا المبرود ، وان تثور خلافات حول الموضوع ، كما يحدث بين بور اقتصادية في النظام الرأسمالي الواحد . فزيادة الدعم الاميركي لاسرائيل او تقليصه في الميزانية الاميركية ، لا يختلف كثيرا عن معالجة الموضوع نفسه ازاء الشركات الاميركية الكبرى ، والمتعاقدة مع الحكومة الفدرالية لانتاج اسلحة متطورة وكما تتنافس هذه الشركات بينها على قضم اكبر شريحة ممكنة من الميزانية المخصصة لها ، هكذا تصارع اسرائيل ، ومن خلال اجهزة المؤسسة ذاتها ، على نهش الجزء الاكبر مما تسميه الادارة الاميركية « المساعدات الخارجية » والاكيد انها تصيب نجاحا كبيرا في هذا المضمار ، كما يتضح من نصيبها الوافر في تلك « المساعدات » اذ يصل احيانا الى النصف واكثر ، خاصة في السنوات الاخيرة .

وللكيان موقف خاص من الشعب الفلسطيني ومن حركته الوطنية ، بغض النظر عن التوجهات السياسية للطرفين ، او للتيارات الرئيسية فيهما . وهذا الموقف الاسرائيلي لا يتطابق بالضرورة ويشكل مطلق على الاقل نظريا ، مع موقف البلد الام . فواشنطن لا ترى بنفس الخطورة قيام كيان سياسي للفلسطينيين كما تراه اسرائيل خاصة اذا كان ذلك الكيان الفلسطيني من طبيعة معينة . وواشنطن لا تتمن مسألة الاستيطان الصهيوني في الاراضي المحتلة عام ١٩٦٧ ، بنفس الحيوية التي يثمنها الكيان لامنه وبقائه . وكذلك فهناك خلاف اليوم بين واشنطن واسرائيل حول طبيعة « الادارة المدنية الذاتية » التي طرحت في « كامب ديفيد » والظاهر ان هناك خلافا ايضا حول مسألة مستقبل القدس . وكذلك بالنسبة الى التسوية مع الاردن ، وربما الى الوضع في لبنان ، والاهم بالفعل هو الموقف من الشعب الفلسطيني ولكن اسرائيل ، ومن خلال مفاوضات التسوية ، وعلى خلفية التطورات السياسية في المنطقة ، وبالتالي التوجهات الاميركية المستجدة فيها ، قد دفعت الاطراف المفاوضة ، مصر وواشنطن خاصة بعد توقيع المعاهدة وفي اعقاب انهيار حكم الشاه في ايران ، واختلال ميزان القوى في المنطقة ، الى مأزق الخيار بين مصالح تلك الاطراف في اسرائيل قوية ، قادرة على تنفيذ المهام الملوية منها في اطار الاستراتيجية الجديدة لواشنطن في المنطقة ، وبين مبدأ « احقاق الحقوق المشروعة للشعب الفلسطيني » كما كانت مطروحة في بداية « مفاوضات التسوية » .

وكان طبيعياً ان تقبل الولايات المتحدة ، ومعها مصر الى حد ما ، بالخيار الاول ، مما انعكس في كلمة بريجنسكي « وداعاً لمنظمة التحرير الفلسطينية » ، وهذا وضع سيستمر ما دامت « التسوية » الراهنة هي السائدة .

#### □ انجازات اسرائيل في « التسوية » تخدم مصالح اميركا

لقد حصلت خلافات بين اسرائيل وواشنطن على مسار مفاوضات «التسوية» ولكنها كانت بالاساس تدور حول تحديد معالم هذه المحطة على طريق تطويع العالم العربي لاملءات « كامب ديفيد » والواقع ان هذه الخلافات قد حسمت وفقاً للنظرة الاسرائيلية لما يجب ان تكون عليه الاستراتيجية الامبريالية الاميركية ، وبما يضمن بطبيعة الحال ، افضل النتائج للمهام اليهودي مع المشروع الصهيوني . وهذه النظرة تحظى بدعم وتأييد مراكز قوى ضخمة في الرأسمالية الاميركية . ومن هنا كانت قدرة الكيان على الصمود في وجه ادارة كارتر ، عندما قدرت حكومة بيغن ان واشنطن قد شطت عن نهجها التقليدي . وليس ادل على ذلك من الموقف المتصلب الذي ابداه بيغن اثناء زيارة كارتر الى كل من اسرائيل ومصر ، والتي انتهت بالاتفاق على توقيع المعاهدة ، لما قدمه السادات من تنازلات . وهناك دلائل كثيرة تشير الى ان بيغن ظل يعمل على افشال زيارة كارتر حتى اللحظة الاخيرة ، وربما كان ذلك جزءاً من خطة مدروسة ، قد يكون شارك فيها بعض اطراف المؤسسة الاميركية ، لافشال كارتر ، وبالتالي تقليص حظه في الولاية الثانية للرئاسة الاميركية .

لا خلاف كبير على ان ما تم التوقيع عليه في «المعاهدة المصرية - الاسرائيلية» ليس سلماً ، ولا هو تسوية عادلة وشاملة ، ولا حل للنزاع في المنطقة على اساس القرار ٢٤٢ ، وانما هونوة حلف جديد ، ذي طابع هجومي عدواني . ولاخلاف كبير في ان الدبلوماسية الاميركية قد حققت في المفاوضات على « التسوية السلمية » اكثر مما كانت تراهن عليه بكثير ، فالتسوية التي سارت المفاوضات تحت يافطتها ، انتهت الى معاهدة ، هي اقرب ما تكون الى الحلف . وهذا الانجاز الضخم يعود الى التصلب الاسرائيلي ، والى استعداد الصراع على ما تعتبره حكومة اسرائيل حيويها لها ، ولبلد الام في آن معا . ولا شك في ان قدرة اسرائيل على انجاز ذلك انما تعتمد اصلاً على فاعليتها في العمل داخل مراكز القوى في النظام الاميركي ، والى التأييد الذي يحظى به خطها لدى تلك القوى . وبيغن لم يكن يصارع ادارة كارتر من اسرائيل ، واستناداً الى مراكز القوى هناك ، وانما كان ينقل الصراع دائماً الى واشنطن ، ويخوضه على ارضية كارتر ، وبالتعاون مع مراكز قوى في واشنطن ومراكز القوى هذه ليست اللوبي اليهودي في الولايات المتحدة فحسب وانما تتعداه الى شبكة واسعة من الحلفاء المحليين .

ونظرة الى الانجازات الاسرائيلية في مفاوضات « التسوية » تكفي للدلالة على أنها جميعاً تخدم مصالح اميركا ، الى جانب المكاسب التي احرزتها هي لذاتها . وفيما يلي قائمة ليست كاملة لتلك الانجازات :

- ١) حورت المفاوضات على تسوية سلمية الى مفاوضات على بناء نواة حلف جديد في المنطقة ، هدفه الاساسي الحفاظ على المصالح الاميركية فيها .
- ٢ - استبدلت مشروع روجرز المتواضع بمشروع كيسنجر الطموح .

٣ - أخرجت المفاوضات من مؤتمر جنيف الى مؤتمر « كامب ديفيد » ومن ارضية قرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ ، إلى ارضية مقررات « كامب ديفيد » .

٤ - ضربت التضامن العربي ، واستأثرت بالسادات معزولا . فدخل هذا الى الحلف شريكاً ضعيفاً ، بعد أن كان طرفاً أساسياً وقوياً في التضامن العربي ، والنزاع في المنطقة عامة .

٥ - وكذلك ، بانجازها المعاهدة ضمن شروطها وظروفها ، أضعفت اسرائيل موقع السعودية في العالم العربي ، وكذلك موقع الأردن في واشنطن .

٦ - أخرجت الاتحاد السوفياتي من مفاوضات التسوية .

٧ - مهدت الطريق لعودة أمريكا العسكرية الى المنطقة ، خاصة الى المناطق المحيطة بالجزيرة العربية ، وخاصة الى سيناء ، وكذلك الى المطارات والموانئ المصرية والاسرائيلية .

٨ - وعلاوة على كل ذلك ، مررت مشروعها للادارة المدنية الذاتية ، وهو ما ترى فيه مصلحتها الصهيونية اليهودية على حساب الشعب الفلسطيني .

□ بعد المعاهدة - الحلف ازاء « الحقوق المشروعة » للشعب الفلسطيني .

بعد المعاهدة يلاحظ ما يلي :

١ - عزلت مصر عربياً ، واتجهت افريقياً ، مع دلائل واضحة على توجه جاء نحو توثيق العلاقة مع اسرائيل .

٢ - تحولت اسرائيل من « حاملة طائرات » الى قاعدة عسكرية لها غور استراتيجي في حليفها المصري ، وبذلك اصبحت أقدر على الفعل في المشرق العربي ، في اطار تنفيذ اهداف الحلف .

٣ - نشطت الولايات المتحدة في انجاز مشروعها لتجسيد قرارات « كامب ديفيد » .

٤ - واذا نجح الحلف الجديد ، فالظاهر أن الولايات المتحدة ستتولى بنفسها « حفظ الأمن » في الجزيرة العربية ، وفي البحر العربي الى الجنوب منها ، وستحاول ان تضرب حول الجزيرة طوقاً ، يشكل خط الدفاع الأول ، تتولى كل من مصر واسرائيل مهام كبيرة في اطاره . وفي هذه المجال ستلعب اسرائيل دوراً أساسياً .

ومقابل ذلك الدور العام ، تطالب اسرائيل اطراف الحلف الأخرى ، اطلاق يدها في معالجة القضية الفلسطينية ، أو مساعدتها على تجسيد خطها في هذا المجال . وهي تتذرع بحجة قوية ، تقول انه إذا كان مطلوباً منها القيام بدور فعال في الحلف ، مما يتطلب أن تبقى قوية ، فكيف ينسجم ذلك مع اقامة دولة فلسطينية الى جانبها ، تكون بمثابة قنبلة موقوتة تحتها ؟ في هذه « التسوية » ، نجحت اسرائيل في المساومة على شقها الامبريالي مقابل اليهودي الخاص ، فكان الأول هو الأرجح - أي انها طرحت خدماتها في الحلف الجديد مقابل مصلحتها الذاتية على الصعيد الفلسطيني ، فكان لها ما أرادت . إذ ازاء تقدير موقعها في الحلف ، سلمت لها

الاطراف الأخرى بما تريد كحل للمسألة الفلسطينية . وفي اطار مثل هذه « التسوية » لا مجال لغير مثل هذا الحل .

ولو افترضنا جدلا ، وليس من مبرر لذلك ، وانما هو حسم للجدل أو تحاشيا له ، ان ادارة كارتر ، لأمر ما ، تبنت قرارات المجلس الوطني الفلسطيني ، ومضت الى تجسيدها من خلال مفاوضات التسوية ، فهل تستطيع ذلك ؟ في تقديري ، ضمن المعطيات الراهنة ، أن الجواب هو لا . واذا افترضنا ان ادارة كارتر اصررت على موقفها ، بغض النظر عن جميع العقبات ، فانه لن يكون باستطاعتها تحقيق إرادتها قبل منتصف عام ١٩٨١ ، نظراً لأنها ستخوض معركة انتخابية في العام ١٩٨٠ ، وكذلك الحكومة الاسرائيلية في العام ١٩٨١ . واذا افترضنا ان ادارة كارتر خاضت معركة شرسة مع حكومة بيغن ، فان ذلك سيضعف كلا منهما سياسياً ، وتبقى الالة العسكرية الاسرائيلية لتعوض عن العجز السياسي لحكومة بيغن . ولماذا هذا الافتراض ؟ الجواب انه قطع لكل المراهنات على واشنطن من خلال « التسوية السلمية » . والظاهر أن جميع الدلائل تشير الى عكس ذلك . فأي اعتراف بمنظمة التحرير الفلسطينية ، في حالة حصوله ، لن يكون إلا على أساس قرارات « كامب ديفيد » ، وليس قرار مجلس الأمن ٢٤٢ ، الذي ألغته « المعاهدة المصرية - الاسرائيلية » ، بتجاوزها اياه . والأكيد أن الكيان الصهيوني في هذه المرحلة من تطوره ، ليس فقط انه لا يريد حلا للمسألة الفلسطينية ، يقوم على أساس الاعتراف بـ « الحقوق المشروعة » للشعب الفلسطيني ، وانما هو عاجز ، بسبب توازن القوى داخله ، عن اتخاذ القرار الحاسم على هذا الصعيد . واذا فرض عليه اتخاذ مثل هذا القرار ، فان ذلك لن يتم دون كسر ظهر الكيان ، الذي تنقصه ، في هذه المرحلة ، المرونة اللازمة للتعامل مع المسألة الفلسطينية ، والسؤال ، هل من ادارة امريكية ، تستطيع من خلال « تسوية سلمية » ، أن تعتمد حلاً من شأنه تحطيم الكيان الصهيوني ، أو حتى تحجيمه ؟ يبقى اذن ، طريق آخر للوصول الى مثل هذا الهدف ، يعتمد فرض مثل هذا الحل من خلال مسار مغاير لـ « التسوية السلمية » ، يبدأ بتخليص القرار العربي والفلسطيني من ارهاب التسوية ، والاتلاق للتصدي لها ، وحشد القوى للصمود في وجه اطرافها ، ومن ثم الهجوم عليها لانهاؤها ، وخلق ارضية صلبة لمسار تسوية حقيقية ، ينطلق من موازين قوى مختلفة ، تفرض حلاً عادلاً وشاملاً للنزاع العربي - الاسرائيلي .

## التعامل مع أميركا الأخرى

في أعقاب النجاحات التي حققها الصهاينة ، بدعم من الدول الغربية ، في خلق دولة يهودية في الشرق الأوسط سنة ١٩٤٨ ، نظرت الدول العربية المستقلة سياسياً آنذاك ، تحت مظلة جامعة الدول العربية ، إلى النجاح الصهيوني على أنه منبثق ، جزئياً على الأقل ، من جهاز إعلامي متفوق في الغرب ، وأوردت تلك الدول الحجة القائلة انه بما أن القضية العربية هي عادلة ، فمن الضروري فقط نشر المعلومات في الغرب حول « الحقائق الفعلية » المتعلقة بالنزاع الفلسطيني – الصهيوني ومن ثم ستؤدي هذه « الحقائق الفعلية » الى تغير في سياسات الدول الغربية التي كانت معادية لوجهة النظر العربية . ومن هذا التفكير جاء خلق دائرة الاعلام العربي ضمن الجامعة العربية وتأسيس مكاتب المعلومات العربية في العديد من بلدان الغرب . وفي الولايات المتحدة توقف عدد هذه المكاتب ونوعية موظفيها على الموازنة السنوية التي تخصصها لها الجامعة ، وعلى الاعتبارات السياسية في تعيين كبار الموظفين ، ويوجه عام كانت نشاطات المكاتب ، خلال العقود الثلاثة لوجود ستة أو سبعة من مثل هذه المكاتب في جميع أنحاء الولايات المتحدة ، تقتصر على التوزيع المتقطع لمنشورات باللغة الانكليزية حول العالم العربي وثقافته وتاريخه ، وحول القضية الفلسطينية . وبالإضافة إلى ذلك كان موظفو المكاتب يتكلمون أمام جماهير المدارس والكنائس ورجال الأعمال والأندية الاجتماعية ويحيون عن استعلامات وأسئلة حول العالم العربي أو فلسطين كانت ترد الى المكاتب من حين إلى آخر . ويمكن إثارة الشك حول جدية هذا الجهد الاعلامي بالإشارة إلى ممارسات مثل تعيين رجل اعمال عربي كمدير جزئي لمكتب الاعلام العربي في إحدى مدن الغرب الأوسط الأميركي الرئيسية أو ، في حال مكتب آخر ، تعيين مدير لا يتقاضى أجراً ويعمل في إحدى الجامعات المجاورة . وفي إحدى الحالات الأخرى صرف أحد رؤساء المكاتب الفرعية الأكثر كفاءة مهنية من منصبه عندما أساءت منشورات أرسلت بالبريد من مكتبه الى إحدى الدول الأعضاء في الجامعة العربية

ولم تحاول أية دولة من الدول الأعضاء في الجامعة العربية ، في أي وقت خلال الفترة اللاحقة لخلق إسرائيل ، ان تقوم بتحليل في العمق للمجتمع الأميركي وكيف توزع السلطة أو تتخذ القرارات فيما يتعلق باستعمالات السلطة في مجتمع مصنع معقد ومتعدد الجماعات . ومن

الناحية الأخرى فهم الصهيينة فهما حسنا ديناميكية الحياة السياسية في الولايات المتحدة والطريقة التي قد يتفاعلون فيها مع الجماعات والمصالح المختلفة ، وذلك لأنهم كانوا منخرطين بنشاط منذ فترة طويلة في الغرب ولأن لديهم مؤسسات تمثيلية قوية على صعيدي الجالية والطائفة وفي الحقلين الاجتماعي والسياسي . وفهمت القيادة الصهيونية في الولايات المتحدة ضرورة إقامة تحالفات مع جماعات المصالح المختلفة التي لها صلة بالسياسة الخارجية الأمريكية . وكان جوهر هذا التحالف هو انه قائم بين مصالح النخبة الحاكمة في الولايات المتحدة والأهداف الصهيونية . وقد أشار مؤتمر بيلتمور BILTMORE الذي انعقد في العام ١٩٤٢ ، والذي سمي هكذا نسبة الى فندق بيلتمور في مدينة نيويورك حيث أقيم المؤتمر ، إلى انتقال الصهيونية من تحت الرعاية الامبريالية البريطانية انها أخذة في البروز بوصفها القوة العالمية المسيطرة من الحرب العالمية الثانية ، وابتداء الصهيينة حملة تستهدف قطاعات متنوعة من الحياة الأمريكية المنظمة عن طريق استعمال أفكار مختلفة .

فبالنسبة إلى حركة العمال والحركة الديموقراطية الاشتراكية كانت الصهيونية حركة ريادية ومساواتية EGALITARIAN لاعادة اليهود إلى الأرض . وبالنسبة الى المتدينين المحافظين والكنائس ، كانت الصهيونية تحقيقاً لوعده الله .

وبالنسبة الى الاميركيين الليبراليين كانت الصهيونية عقاباً على الذنب الغربي الجماعي المرتبط بقتل اليهود في أوروبا من قبل النازيين . واخيراً ، وهو الأمر الأهم ستقف الصهيونية كمركز قومي عسكرياً ومتقدم للمصالح الامبريالية الغربية ضد « القبائل » في البلدان المتخلفة في الشرق الأوسط ، التي ستتحدى اكيداً الاستعمار الغربي أولاً ، ثم الاستعمار الجديد . منذ بروز الأنظمة القومية في عدة دول عربية بعد العام ١٩٤٨ ، استمر نقاش ضمن هذه الأنظمة حول ما إذا كان يجب أن تحاول التعامل مع الولايات المتحدة أم لا . وهناك اليوم في العالم العربي هؤلاء الذين يقولون « الى الجحيم بالأميركيين والى الجحيم بالولايات المتحدة » ، في حين أن هناك آخرين يقولون بحذر يجب ان نتعامل مع الأميركيين أو يجب ان نتعامل مع الولايات المتحدة .

هذان هما الموقفان المتناقضان اللذان كثيراً ما يسمعهما المرء في الشرق الأوسط حتى اليوم . وهذان الموقفان ، بالنسبة الى رجل مثلي ولد وترعرع وتقف في الولايات المتحدة ، وملتزم التزاماً حميماً بمسائل تحرير فلسطين والعدالة الاجتماعية في العالم العربي ، يثيران أسئلة يجب ان يجيب عنها كل من هو معني بهذه المشكلات . ولا يجب الاجابة عنها بالنظر إلى الحقيقة الموضوعية للقوة الأمريكية الاقتصادية والعسكرية والسياسية في العالم اليوم ، فحسب ، بل أيضاً لأن الجواب ضروري للنشاط السياسي الصحيح والفعال وذي المبادئ في سياق المجتمع الاميركي حول تورطه لا في الشرق الأوسط فقط بل في جميع انحاء العالم .

السؤال الأول الذي ينبغي الاجابة عنه هو ما إذا كنا نساوي الاميركيين بحكومة الولايات المتحدة عندما نقول أن الولايات المتحدة جائرة بالنسبة الى حقوق ومصالح الشعوب في الشرق الأوسط . واعتقد ان معظم العرب لن يقولوا أن كل اميركي هو مسؤول عن سياسة حكومته أو يشارك فيها . وثمة تفهم بأن السياسات الأمريكية في الخارج لا تعكس بالضرورة مصالح أو

رغبات أو مشاعر الكثيرين من الأميركيين .

والسؤال الثاني الذي يجب الاجابة عنه هو : « عندما تتعامل مع الولايات المتحدة ، فمع من أنت تتعامل ؟ » بالطبع هناك علاقات من حكومة إلى حكومة عبر أقتنية دبلوماسية منتظمة وهذا هو ما عناه معظم العرب عندما قالوا أن على العرب أن يتعاملوا مع الولايات المتحدة . ويفترض هذا ، بالطبع ، ان السياسة الخارجية الاميركية هي نتاج نخبة اميركية ولهذا فان المرء يتعامل مع هذه الطبقة ضمن المجتمع الاميركي في حل النزاعات بين الطريقة التي تنظر بها حكومة عربية الى مصالحها القومية والطريقة التي تنظر بها النخبة الحاكمة في الولايات المتحدة إلى المصلحة القومية الأميركية .

والأمر الذي تريد ان تثبته هذه الدراسة هو ان الحكومات أو الحركات السياسية أو التحريرية في العالم العربي لم تفهم ، إلا بطريقة محدودة جداً ، تعقيد المجتمع الأميركي وتناقضاته وديالكتيكاته وهي بالتالي لم تكن قادرة على الافادة من مصدر حقيقي جداً للدعم الطبيعي لبرامجها أو أهدافها . وإذا وافقنا على أن المواطن الأميركي ليس بالضرورة مرادفاً للحكومة الأميركية ، فعلياً من ثم أن نسال إذا كان لذلك الفرد أي تأثير على عملية اتخاذ القرارات في المجتمع الأميركي .

لقد صارت الولايات المتحدة مجتمعاً صناعياً بيروقراطياً تميزه منظمات رسمية واسعة النطاق . وتلعب السياسة ، ولا سيما السياسة الخارجية دوراً غير مهم في مصلحة المواطن المتوسط . وليس للأفراد أي وجود مستقل عن انتسابهم لاحدى الجماعات ، كما ان مواقفهم وسلوكهم تحدد الجماعات التي يرتبطون بها ، والجماعة تقرر بدورها ، وتعزز مواقفهم وسلوكهم . ولا يستطيع المواطن المتوسط أن يكون له تأثير إلا في المجتمع الأكبر كعضو في جماعة أو جمعية من نوع ما .

وهكذا نلاحظ ان لدى الولايات المتحدة الألوف من الجماعات والجمعيات المختلفة التي تسعى الى دعم المصالح الخاصة لاعضائها ، سواء كانت هذه الجماعات والجمعيات دينية أو اجتماعية أو ثقافية أو إثنية أو سياسية أو اقتصادية . وتسمى هذه جماعات المصالح « الخاصة » . وشعرت الطبقات الحاكمة التقليدية التي تدعي انها تمثل المصلحة الأميركية « العامة » ، بقلق متزايد ازاء نفوذ ونشاطات جماعات المصلحة الخاصة هذه . واللوبي الموالي لاسرائيل في الولايات المتحدة هو أحد جماعات المصلحة الخاصة هذه .

وبما أن النظام الاجتماعي - الاقتصادي الأميركي يركز على الرأسمالية فان أهم الجماعات هي تلك التي تعكس المصالح الاقتصادية ، وهذه الجماعات هي التي كان لها تأثير مسيطر على صياغة وتحديد وتنفيذ السياسة الداخلية والخارجية الأميركية . وبالنظر الى الفرق الشاسع في الموارد المتوفرة لجماعات المصلحة الاقتصادية و « جماعات المصلحة الخاصة » ولأن محك السياسة الأميركية هو المحافظة على نظامها الاقتصادي ، فان جماعات المصالح الاقتصادية هي مختلفة نوعياً بحيث انها توصف كمصالح عامة وليس كمصالح خاصة . وتتنافس جماعات المصالح الخاصة أحياناً فيما بينها وأحياناً تقيم تحالفات فيما بينها لجهة الضغط من أجل مطالبها على النخبة الحاكمة . وتسعى السلطة الى الاشراف على المحافظة

على اهتمامها الأولي وتعمل كحكم ومصالح لهذه المطالب والمصالح التي تتبناها جمهرة الجماعات العنصرية والدينية والاجتماعية والاثنية والمهنية ، وتعمل نخبة السلطة هذه عبر خطوط الاحزاب السياسية الرئيسية ولها جناح ليبرالي ، وعناصر محافظة وعناصر تقف بين الاثنين .

وإذا كان المجتمع الاميركي يتألف من جماعات مختلفة عديدة تضغط من أجل مطالبها على النخبة الحاكمة ، وهي المطالب التي اما ترفضها النخبة الحاكمة أو تقبلها أو تقولها بطريقة تنسجم مع المصالح الاقتصادية التي هي اساس اسنادها الثابت ، فكيف ينظم هذا في نطاق النظام السياسي ؟ إن نظام الحزبين الموجود في الولايات المتحدة هو نظام يمثل القطاعات المختلفة للمجتمع لكن هناك اتفاقاً على المقدمات المنطقية الأساسية في الطريقة التي ينظم بها المجتمع . فرئاسة الجمهورية والسلطة التنفيذية للحكومة الاميركية ، التي يسيطر عليها رئيس الجمهورية ويديرها ، هما النظير السياسي لتركيز السلطة الاقتصادية في الشركات الكبيرة والمؤسسات المالية . والكونغرس منظم بحيث يمثل المصالح الاقليمية . وقام رجال الكونغرس بوظيفتهم الى حد كبير بوصفهم ممثلين لبنى السلطة المحلية أو المصالح الخاصة .

في السياسة الخارجية ، ولنحو ٢٠ سنة في الولايات المتحدة من العام ١٩٥٠ وحتى أواسط الستينات ، كان هناك اجماع سياسي وطني على الخطوط العريضة للسياسة الخارجية . وكان ذلك الاجماع يدعى BIPARTISANISM يعني انه ايما حزب من الحزبين فاز برئاسة الجمهورية ، فان الحزب الآخر سيؤيده في السياسة الخارجية . ومع بروز الولايات المتحدة في الفترة اللاحقة للحرب العالمية الثانية بوصفها القوة العالمية الرئيسية واندماج الاتحاد السوفياتي واوربا الشرقية تحت المبادئ الاقتصادية والسياسية لماركس وانجلز ، اعتبرت الولايات المتحدة أن محك سياستها الخارجية هو احتواء الشيوعية .

وصارت سياسة احتواء الشيوعية هذه ، التي دعا إليها اولاً جورج ف . كينان حملة صليبية في عهد ايزنهاور ودالس لخلق تحالفات عسكرية تحيط بالاتحاد السوفياتي والصين ، ولتطوير اسلحة نووية حرارية متقدمة .

ولما واجه جون ف . كندي خطراً متزايداً تثيره الاسلحة النووية ، وحقيقة ان التحالفات العسكرية الاميركية لم تمنع حركات التحرر الوطني من تهديد حليفات الولايات المتحدة ، أخذ ينمي قدرة اميركية على خوض حروب محدودة في البلدان النامية . وكانت الحرب الفيتنامية محك قدرة نخبة السلطة في الولايات المتحدة على خوض حرب غير نووية محدودة من أجل المحافظة على المصالح الاقتصادية الاميركية ضد حركة « عصابات » جماهيرية شعبية ومنظمة . وكانت نتائج الحرب حاسمة تماماً . فان التورط الاميركي في جنوب شرق آسيا وتأثير ذلك التورط على المجتمع الاميركي ، اضافة الى صراع الحقوق المدنية السوداء في الولايات المتحدة وفضيحة ووترغيت ، كان لها جميعاً تأثير على المجتمع الاميركي عميق كأي حدث آخر في الفترة اللاحقة للحرب العالمية الثانية .

لن اتناول بالبحث إلا تأثير هذه الاحداث الثلاثة ( وأحدها حركة اجتماعية ، والآخر حرب استعمارية جديدة ، والثالث خلع شخص انتخب لأعلى منصب في الحكومة ) على امكانيات

وضع برنامج عربي فعال للتفاعل مع القوى الشعبية في الولايات المتحدة .

كانت الحرب الفيتنامية أول حرب استعمارية لأمريكا وانطوى خوضها على ثمن مادي وبشري ومعنوي وسياسي باهظ بالنسبة الى الولايات المتحدة . وقبل أن تنتهي الحرب على حساب البرامج والاحتياجات الاجتماعية الداخلية ، كان ثلاثة ملايين رجل وامرأة اميركيين قد خدموا عسكرياً في الفيتنام . وأحدثت الحرب ، إلى جانب ما سمي بفضيحة ووترغيت ، فقدان ثقة هائل لدى الشعب الاميركي من نظام الحكم وقيم المجتمع . وطوال فترة الحرب نشأت في الولايات المتحدة حركة كبيرة وان تكن غير منظمة ضد الحرب ، وفي أوج تلك الحركة زحف نصف مليون شخص على واشنطن للتظاهر ضد الحرب وطراً ارتفاع في المنحى الراديكالي والعنف السياسي بين الطلاب في امريكا .

وفي حين أن حركة السلام في الولايات المتحدة سبقت تورط امريكا في الفيتنام ، فقد نمت الى حجم هائل لأنه كان يصار الى ارسال الشبان الاميركيين الى الخارج ليموتوا أو ليصيروا مقعدين ، وذلك دعماً لسياسة كان يمكن تحملها في ظروف أخرى . ولا بد من التشديد هنا على أن النمو السريع في حجم الحركة المناهضة للحرب بحيث تحولت الى حركة يشارك فيها الكثيرون من الاميركيين المنتمين الى مجموعات أعمار مختلفة ، وخلفيات اجتماعية – اقتصادية مختلفة ، وديانات وخلفيات دينية مختلفة . يمكن رده الى فقدان الأرواح الاميركية في الخارج في حرب لم ينظر اليها على انها تعزز اية قيم اميركية معبر عنها . وهذا التمزيق لحياة الملايين من الاميركيين هو الذي كان العامل الحاسم . ولم يكن التأثير الاقتصادي للحرب على حرمان الاميركيين الخدمات الداخلية التي يحتاجونها سوى عامل ذي اهمية ثانوية لم يكن بوسعها ، في حد ذاته ، أن يبني الحركة المناهضة للحرب .

في أواخر الخمسينات وأوائل الستينات كانت هناك ادلة متزايدة على أن تجارب القنابل النووية تلوث الجو، وكان استراتيجيون امثال هنري كيسنجر وهيرمان كاهن يحثون على درس استخدام الأسلحة النووية رداً على أي خطر تقريباً يهدد المصالح الاميركية المفترضة . كذلك خلال هذه الفترة كان عدد كبير من الطلبة ومهنيي الطبقة الوسطى قلقين من أن الولايات المتحدة تنتهج سياسات من المرجح أن تورط الولايات المتحدة في حرب رئيسية . وانتعشت الحركة المناهضة للحرب نتيجة لتصعيد الحرب في الفيتنام ، وانتشرت في الجامعات في جميع انحاء البلاد حركة « تعليمية » انطوت على حلقات دراسية طويلة كانت تدوم احياناً ٢٤ ساعة و احياناً طيلة عطلة نهاية الاسبوع . وكانت هذه الحركة حملة تثقيفية واعلامية كبرى حول الحرب انتشرت في جميع انحاء الولايات المتحدة ووضعت الأساس لخلق جماعة نواة مطلعة من منظمي الحركة المناهضة للحرب .

من المهم التعريف بجماعات النوى التي استطاعت ان تبني ائتلافات واسعة تمثل العمال والجماعات الدينية والجماعات المهنية وجماعات الطلبة والسياسيين الخ . وفي قلب الحركة كان دعاة السلام التقليديون ، الذين عارضوا الحرب كحرب ، والاشتراكيون على اختلاف ألوانهم .

هاتان الجماعتان النواتان كان اعضاؤهما المنظمين الأساسيين الذين استطاعوا أن

يخرجوا الألواف الى الشوارع وينسقوا نشاطات على نطاق الأمة كلها ضد الحرب . واستطاعوا ان يجتذبوا الملايين من الاميركيين الذين لم يكونوا سياسيين او الذين كان لهم مستوى متدن من الفهم السياسي . وعن طريق هذه الحركة تمت ركلة RADICALIZED اعداد كبيرة من خريجي وطلبة الجامعات الذين صاروا يشكون في التنظيم الاساسي للمجتمع الاميركي .

لا شك هناك في ان هذه الحركة المناهضة للحرب كان لها تأثير عميق على المجتمع الاميركي . واستطاعت ان تستغل انشغاقاً ضمن نخبة السلطة فيما يتعلق بتورط الولايات المتحدة في الفيتنام . وكان الخوف من تعبئة معارضة واسعة الانتشار عاملاً رئيسياً في القرار الذي اتخذته الكونغرس الاميركي عدم السماح بالمزيد من التورط في الفيتنام . وأخيراً فان التأييد العام للمركب العسكري - الصناعي انخفض الى حد كبير ، كما ان الكونغرس يمعن النظر أكثر حالياً في المخصصات المالية العسكرية .

هذه العناصر المناهضة للحرب ، بالنظر الى فهمها الواضح لسياسة التورط الاميركي في الخارج هي حليقات طبيعية لنضالات شعوب العالم الثالث في كل مكان ، ولا سيما النضال الفلسطيني ، لانها لا تسمح للشعور الغربي بالذنب بأن يغشي الرؤية السياسية الواضحة .

في أغلب الأحيان كان الاميركيون السود والاميركيون المكسيكيون والهنود الاميركيون واليورتيوريكيون وأعضاء الاقليات العنصرية والاثنية الاخرى يستثنون من فوائد الازدهار الاميركي اللاحق للحرب . وهذه الاقليات ، التي تؤلف نحو ٤٠ بالمئة من مجموع سكان الولايات المتحدة ، أخذت بالنمو في القوة والنفوذ السياسيين بالنظر الى النضالات التي خاضتها في مجتمعاتها وفي المجتمع الأكبر . فلدى الولايات المتحدة ، على سبيل المثال ، احدى اكبر مجموعات السكان الناطقين بالاسبانية في العالم .

وقد نظم الممثلون السود المنتخبون في الكونغرس مؤتمراً اسود يضم نحو ١٦ عضواً يعملون معاً على القضايا التي تؤثر على السود في الولايات المتحدة . وهذه الاقليات فرض عليها القيام بأخط الأعمال ( حيث لا تجد عملاً على الاطلاق ) ، وأرغمت على العيش في مناطق غير مرغوب فيها من المدن الاميركية ، ويقدم لها أسوأ الخدمات العامة في حقول مثل التربية والصحة العامة . وأطلقت هذه الأوضاع حركات اجتماعية في الولايات المتحدة لتغييرها . وكان الاميركيون السود ، بوصفهم اكبر جماعة اقلية في طليعة هذا النضال ، الذي انطوى على اضرابات اعتصام ، وتظاهرات احتجاج ، واجتماعات حاشدة ، وتسجيل المقترعين ، والانتخابات ومعارك قضائية الخ .

وطور الكثيرون من هؤلاء السود ، عن طريق التعرض للثقافة الافريقية ، ونضالات التحرير الافريقية ، وأوضاعهم هم الموضوعية والمنطوية على الظلم الفاضح ، منظورات عالم ثالث واعية وغير واعية ، ووعياً مناهضاً للاستعمار وتأييداً لنضالات التحرير .

مثال ذلك ان المحافظ الأسود لمدينة ديترويت ، خامس اكبر منطقة مدينة في الولايات المتحدة ، لدى عودته من رحلة الى الشرق الأوسط في العام ١٩٧٨ مع وزير الخارجية الاميركية سايروس فانس ، كان فيها الأسود الوحيد بين ٤٠ أميركياً خاصاً دعوا إلى مرافقته ، قال في رد على سؤال عما إذا كان يؤيد الارهاب :

« إن موقفني هو أنه بنفس الطريقة التي يحتاج فيها اليهود الى وطن فان الفلسطينيين يحتاجون إلى وطن » .

وتحدث يونغ الى المراسلين بعد المؤتمر فقال انه لا يعتقد ان الاعتراف الاسرائيلي بمنظمة التحرير الفلسطينية يجب ان يكون شرطاً لتسوية في الشرق الأوسط .

إلا أن المحافظ اعترض على خطاب القى في الكنيست . برلمان اسرائيل ، ندد فيه مونديل بالتكتيكات الارهابية لمنظمة التحرير الفلسطينية .

وقال يونغ ان « الارهاب هو تكتيك تستخدمه الشعوب المضطهدة من وقت لآخر » .

وقال يونغ ان رئيس الوزراء الاسرائيلي مناحيم بيغن هو ارهابي سابق . « كان قائداً للارهابيين . كان قائداً للارغون ، التي كانت الموازي اليهودي لمنظمة التحرير الفلسطينية في تلك الأيام » .

وأضاف يونغ : « كان أشهر اعمال بيغن الارهابية نسف فندق الملك داود » . ولدى سؤاله عما إذا كان الارهاب تكتيكا شرعياً يحق للشعوب المضطهدة ان تستخدمه ، اجاب يونغ اولاً : « لم أقل ذلك » . ولكنه ، بعد التفكير لحظة ، غير جوابه قائلاً : « أقول نعم » . وأضاف يونغ : « ماذا عساكم تفعلون ؟ » وقال : « اعتقد أن أي تكتيكي هو شرعي عندما تكون قدم شخص ما موضوعة على عنقك » وأضاف انه إذا لم تستطع جماعة مضطهدة ان تواجه عدوها « في العسن ، فانها ستحاول أنذاك ان تأتي من ورائه » .

كانت هذه لغة خطيرة وقوية جداً من احدى اهم الشخصيات السياسية في الحزب الديمقراطي وبقينا أهم شخصية سياسية سوداء في الولايات المتحدة اليوم . وتأتي فطنته السياسية المزوجة بالشعور الانساني من خلفيته كعضو في اقلية مضطهدة في الولايات المتحدة ، وقد شق طريقه الى منصب القيادة العليا .

كان السود في الولايات المتحدة بعض اوائل التجمعات الاجتماعية التي أعربت عن دعمها للفلسطينيين . ولذلك فان برنامجاً لزيارات تقوم بها جماعات من الزعماء السود وغيرهم من قيادات الاقليات الى الشرق الأوسط ، من أجل التفاعل مع قادة هذه المنطقة حول جمهرة من القضايا ، ومن أجل الاعراب عن تأييد حقيقي لاهتمامهم ونضالاتهم ، هو برنامج من المحتم أن يزيد التفهم والدعم المستند الى مبادئ للحقوق الفلسطينية . وتاماماً كما سافر قادة الحركة المناهضة للحرب تلبية لدعوة الى جنوب شرق آسيا خلال خوض الولايات المتحدة الحرب هناك ، كذلك ايضاً يجب ان تقوم وقود مختارة من الاشخاص ذوي النواثر الانتخابية في الولايات المتحدة بزيارات الى مخيمات الفلسطينيين والمنظمات الجماهيرية الشعبية على أساس متواصل .

لقد قامت هندية اميركية ، هي أيضاً عضو في « اللجنة الدولية لمجلس الكنائس الوطني » بالسفر الى لبنان في ربيع العام ١٩٧٨ كعضو في وفد من الاميركيين الذين يمثلون جميع مراتب الحياة ، وقد نظمت تلك الزيارة ورعتها « جمعية خريجي الجامعات الأميركية

العرب « . سافرت الى جنوب لبنان بعد فترة قصيرة من الاحتلال الاسرائيلي والتقطت قطعاً من وحدات القنابل العنقودية المضادة للأشخاص والاميركية الصنع ، وكان الاسرائيليون قد استخدموها ضد القرويين في الجنوب . وقد نشرت النيويورك تايمز تقريراً عما حدث بعد عودتها الى الولايات المتحدة في اجتماع لمجلس الكنائس الوطني ، وهو ائتلاف ديني اميركي قوي : فاز اقرار المحتوي على صيغة كلام اقوى . وتضمن قسماً من البديل المقترح يدعو الولايات المتحدة الى القيام بما يلي :

« التوقف عن تزويد أي بلد بأسلحة مضادة للأشخاص .

نشر قائمة بالبلدان التي زودت بهذه الأسلحة والمحدويات ، إذا كان ثمة محدويات ، التي وضعت على استخدامها من قبل البلدان التي تلقتها .

الكشف علناً عن أن أي استخدام لمثل هذه الاسلحة يخرق الشروط التي بموجبها زودت بها البلدان الأخرى .

الغاء أية طلبات بارزة لانتاج « القنبلة العنقودية » 72 - C. B. U. وأسلحة مماثلة .

في النقاش حول القرار ، عرضت زعيمة هندية اميركية من كاليفورنيا ، هي جوان بوردمان ، غلاف قنبلة عنقودية قالت أنها التقطته في زيارة اخيرة إلى لبنان الجنوبي .

وقالت أنها رأت الدمار الذي انتجته القنبلة ، وجعلت من المتعذر على اللبنانيين الوصول الى بساتين البرتقال ومناطق اخرى .

القرار الأصلي قدمه زعيم هندي اميركي ، هو يوجين كروفورد من شيكاغو وضغط بعض انصار اسرائيل من أجل قرار بديل وضعت مسودته لجنة إسناد المجلس ، وهو يخفف الاشارات إلى اسرائيل . إلا أن مؤيدي القرار الأصلي ، بمن فيهم الممثلون الارثوذكس الذين لهم صلات بالمسيحيين في لبنان حالوا دون ذلك .

وكانت هذه ضربة قوية بالنسبة للقوى الموالية لاسرائيل في الولايات المتحدة لأنها أظهرت أن العناصر الهندية الاميركية الاصلية بالاضافة الى تجمعات دينية مسيحية مهمة كانت قادرة ومستعدة للتكلم بصراحة حول قضايا الشرق الأوسط بطريقة تجد القوى الموالية لاسرائيل انها مضرة بمصالحها .

وعاد اميركي مكسيكي ، هو أيضاً عضو في هذا الوفد ، الى الاودية الزراعية بولاية تكساس حيث يرأس حركة عمال زراعيين مكسيكيين وكتب مقالات لصحيفتهم وتحدث عن التضامن مع الاخوة والاخوات الفلسطينيين وشبه النضال الفلسطيني بنضال المكسيكيين في جنوب غرب الولايات المتحدة من أجل المعاملة المنصفة .

هذه الاقلية الوطنية المناضلة هي الحليفات الطبيعية لنضالات الشعوب العربية . كما ان صحافيين ليبراليين ، من مجلة تقدمية مهمة صغيرة تقرأ على نطاق واسع بين رجال الفكر الليبراليين ، عادت إلى الولايات المتحدة بعدما كانوا جزءاً من الوفد نفسه ، ووصفا النزاع في

لبنان بأنه ليس نزاعاً دينياً ، كما يصور أحيانا كثيرة في وسائل الاعلام الاميركية ، بل هو نزاع اجتماعي وسياسي . وهناك الكثيرون من أمثال هؤلاء الاميركيين الليبراليين والتقدميين الذين يصيرون ، لدى اطلاعهم على الحقائق الفعلية ، مستعدين لكتابة التقارير حولها كما يرونها ، وهم يؤلفون تجمع إسناد او قطاعاً ضمن المجتمع الاميركي .

لقد كان ما يسمى فضيحة ووترغيت ، إذا نظرنا اليها في منظور تاريخي ، محاولة قام بها الجناح الليبرالي الاميركي من نخبة السلطة لانتزاع السلطة من الجناح المحافظ وتجديد المؤسسات السياسية الاميركية بعد الهزيمة في الفيتنام . وبالنظر الى ما كشف النقاب عنه من الفساد المالي والسياسي في الولايات المتحدة خلال فضيحة ووترغيت ، فان ثقة الاكثية الساحقة من الاميركيين في المؤسسات السياسية قد تضاعلت الى النقطة التي أخذ معها الناس يشكون في بعض المقدمات المنطقية التي قبلوا بها سابقاً حول الولايات المتحدة . وجاء جيمي كارتر الى الحكم استناداً الى برنامج سياسة خارجية ينطوي على اهتمام عميق بحقوق الانسان في الخارج واعتبر كارتر ومستشاروه استخدام حقوق الانسان هذا أداة يستطيع بها أن يتقدم على طول هذين استراتيجيين رئيسيين في الوقت ذاته : اولاً ، كانت قضية حقوق الانسان عنصراً لا يتمنى في المساعدة لاعادة حاسة الهدف والايمان الذي يحمله الشعب الاميركي بمجمعه وحكومته بعدما اصابته الفيتنام ووترغيت بصدمة قوية . ثانياً ، كانت قضية حقوق الانسان اداة اضافية يجب ان تستخدم في المعارك الايديولوجية بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي .

كان كثيرون من الناشطين سياسياً في الولايات المتحدة يدعون منذ سنوات الى احترام لحقوق الانسان . ولم تمتنع الولايات المتحدة عن توقيع وابرام اتفاقيات حقوق انسان دولية مهمة فحسب ولكنها كانت تدعم بعض الدكتاتوريات الاكثر استبداداً في العالم . وعندما أخذ جيمي كارتر يتكلم عن حقوق الانسان ، أصبنا بصدمة وفوجئنا وأدركنا على حين غرة ان قيام رئيس جمهورية الولايات المتحدة يجعل قضية حقوق الانسان شعبية إنما يفتح أبواباً عديدة . أولاً انه سيجعل الكثير من المؤسسات الاميركية الرئيسية ( وسائل الاعلام ، التربية ، جماعات اصحاب المهن الخ ) ذا حساسية لقضية حقوق الانسان . فهذه المؤسسات ، كوسائل الاعلام ، أحياناً تنظر الى رئيس الجمهورية لتستوحي منه الموقف الذي يجب ان تتخذه . وباختصار رأينا ان دائرة انتخابية لحقوق الانسان أخذة في التطور وانه من الممكن ربط تلك الدائرة بقضية حقوق الانسان الفلسطينية وتم اطلاق حملة حقوق الانسان الفلسطينية في ربيع العام ١٩٧٨ مع فكرة الاتصال بالأشخاص والمنظمات الذين يحتلون مركزاً ما ضمن القوى الموازية في الولايات المتحدة . فالقادة السابقون لحركة السلام ، ورجال الدين والمنظمات الاشتراكية وتجمعات اصحاب المهن ، وزعماء العمال والتربويون جميع هؤلاء وغيرهم اعتبروا جزءاً من الجمهور المستهدف من أجل المصادقة على حملة حقوق الانسان ومن أجل نشر الحملة بين ابناء دوائرهم الانتخابية . واستخدمت أساليب كثيرة لاختراق الحواجز التقليدية التي بنيت وفرضت على النشاط الموالي للفلسطينيين في الولايات المتحدة . ومثل هذا النشاط على أساس منظم ومتواصل يخلق المناخ الذي تتم فيه التغييرات في السياسة الاميركية ، وذلك عن طريق خلق بيئة قبول بالمفاهيم والأفكار التي كانت سابقاً ممنوعة كاختيارات قابلة للحياة

بالنسبة الى صانعي القرارات . وهذا النوع من الاتصال بالقوى والمنظمات الاميركية الشعبية يركز على الفهم الجوهرى ان المجتمع الاميركي ، كجميع المجتمعات ، له حياة سياسية ولا يمكن معاملته كمجرد كتلة غير مميزة ولا شكل لها .

وأظهر اختبار اخير مع منظمة مؤلفة من ٧٠٠٠ محام وطالب حقوق وعامل قانوني تقدمي ، وهي منظمة منخرطة في الكثير من القضايا القانونية والسياسية الاميركية الداخلية والدولية ، إن العمل مع القوى التقدمية والشعبية ، لا لرفع مستوى وعي اعضائها الافراد حول قضايا الشرق الأوسط فحسب ، بل أيضاً للحصول على دعم ومصادقة تنظيميين ليس ممكناً فحسب ولكنه ضروري جداً . وفي حال « نقابة المحامين الوطنيين » ، التي تصف نفسها كنقابة محامين راديكالية بديلة وقد دافعت عن الناشطين في الحركة المناهضة للحرب ، والمناضلين من أجل استقلال بورتوريكو والثوريين السود ، طرحت قضية الشرق الأوسط أمامها في عدة مناسبات مختلفة . وبالنظر الى وجود عدد كبير من الاعضاء ذوي الخلفية اليسارية اليهودية ، فان الميل الأول كان الى تجنب معالجة القضية على الادلاق لأنها لم تكن مركزية بالنسبة الى عمل نقابة المحامين . ثم طرح في العام ١٩٧٤ قرار سياسي يدعو المنظمة الى المصادقة على الحق الفلسطيني في تقرير المصير ، وعلى اعتراف الولايات المتحدة بمنظمة التحرير الفلسطينية بوصفها الممثلة الشرعية الوحيدة للفلسطينيين والى التنديد بانتهاك حقوق الانسان الفلسطينية . ونوقش القرار ووضع على جدول الاعمال على أساس ان المنظمة لم تكن مطلعة اطلاقاً كافيأ على عناصر النزاع لتبني موقف سياسي . وأدى النقاش ضمن المنظمة اخيراً ، في العام ١٩٧٥ ، إلى تبني نقابة العمال قراراً يدعو فروعها الخمسة والسبعين في جميع انحاء الولايات المتحدة لدراسة نزاع الشرق الأوسط . وحددت الخطوط الهادية حول القضايا التي يجب درسها كما يلي :

- (١) هل يوجد لدى الشعب الفلسطيني حق في تقرير المصير ؟
- (٢) هل يخوض الشعب الفلسطيني نضالاً من أجل التحرير الوطني ؟
- (٣) هل يوجد لدى الشعب اليهودي حق في تقرير المصير في الشرق الأوسط ؟
- (٤) هل يجب ان توجد اسرائيل كدولة يهودية ؟
- (٥) هل يجب ان يكون للفلسطينيين حق في العودة الى بيوتهم وأراضيهم ؟
- (٦) هل كان تأسيس الدولة اليهودية في الشرق الأوسط استجابة شرعية لاضطهاد اليهود في أوروبا ؟
- (٧) ماذا كان دور الطبقات الحاكمة الاميركية والبريطانية والفرنسية في تشجيع قيام اسرائيل وفي تأسيسها ؟
- (٨) إلى أي حد ، إذا كان هناك من حد ، أثرت العنصرية ضد اليهود والعرب في قدرة اليسار الاميركي على الوصول الى موقف ذي مبادئ فيما يتعلق بالنزاع الفلسطيني - الاسرائيلي ؟

٩) بأية طرق تعمل اسرائيل ويعرض الدول العربية كعملاء للامبريالية الغربية في الشرق الأوسط ؟

كذلك دعا القرار الى الدفاع عن الفلسطينيين والعرب في الولايات المتحدة ضد الاضطهاد القانوني لنشاطاتهم السياسية ، وإلى نشر دراسات حول انتهاكات الحقوق الانسانية للفلسطينيين والاسرائيليين التقدميين ، وإلى ارسال بعثة استقصاء حقائق الى الشرق الأوسط .

ونتيجة لقرار الدراسة ، قامت المنظمة بنشاطات في فروعها في جميع انحاء البلاد . وتم اعداد منشورات هداية للدراسة ، وعرضت افلام ، وأقيمت مناقشات وحلقات دراسية . وبسبب الحرب الاهلية اللبنانية ارجى تنظيم بعثة استقصاء الحقائق حتى صيف ١٩٧٧ . وفي تموز من العام ١٩٧٧ ، أمضى ١٠ اعضاء من المنظمة ، من خلفيات مختلفة ، ثلاثة اسابيع مكثفة في السفر في لبنان والأردن واسرائيل والاراضي المحتلة . وقور عودتهم عقد مؤتمر صحافي في مدينة نيويورك لشجب انتهاكات حقوق الانسان التي وجدها الوفد في الضفة الغربية وغزة . ونشرت المعلومات على نطاق واسع . ونتيجة للمؤتمر الصحافي حدث الكثير من الجدل ضمن المنظمة وخارجها . وفي مؤتمر وطني لاحق عقد في آب ( اغسطس ) من العام ١٩٧٧ ، قدم اعضاء الوفد للمنظمة قراراتين ليصار الى التصويت عليهما . تعلق القرار الأول بالقضايا السياسية للنزاع وتعلق الثاني بانتهاكات حقوق الانسان . واستغرق النقاش الداخلي عدة أشهر وبرز قراران قويان يدعمان النضال الفلسطيني وحق تقرير المصير ، ويشجبان انتهاكات حقوق الانسان . والأمر المهم الى الحد نفسه هو ان الوفد اعد تقريراً من ١٤٢ صفحة حول الأوضاع في الضفة الغربية وغزة وهذا التقرير هو الدراسة الأكثر شمولاً التي وضعت حتى هذا التاريخ وقد لقيت توزيعاً وانتهاهاً على نطاق واسع . إلا أن الأمر الذي لا بد من فهمه في العمل مع المنظمات الاميركية التي تقف ، في الجوهر ، موقفاً ودياً من النضالات المناهضة للامبريالية في جميع انحاء العالم ، هو ان العلاقات معها يجب ان تكون اخوية وعميقة ومستمرة ، وليس محاولة لاستغلال تأييدها . ففي كثير جداً من الأحيان لم تكن العلاقات متبادلة ، او لم تنطو على تفاعل شعبي ومتفهم حول مشكلات محددة او متبادلة .

إن احدى الحكومات العربية التي سعت الى خلق تفاعل مع الشعب الاميركي انما فعلت ذلك على أساس الاميركيين الافراد اوكمحاولة لتأمين الدعم لقضيتها عن طريق اشخاص شهيرين في الولايات المتحدة لم يبرزوا بفضل انجازاتهم ولم يكن لهم تاريخ سياسي بتأييد النضالات التقدمية . وقد استطاعت وسائل الاعلام الاميركية ان تدمر هذه الجهود تدميراً كاملاً . وتنبثق هذه المشكلات من انعدام الاطلاع الكافي على المجتمع الاميركي والنظام الاميركي والحياة السياسية للولايات المتحدة . وإلى ذلك تنشأ هذه المشكلات من الاعتماد على أفراد ( بصفتهم صلة الوصل الاميركية ) نلاحظ ان نشاطهم هو ليس مع القوى الشعبية في الولايات المتحدة ، ولا مع منظماتها الجماهيرية ونضالاتها لانهااء الحرب والتمييز وشخصياتها التي برزت بفضل اسهامها في حقول العمل المهني او القضايا الاجتماعية المهمة في الولايات المتحدة اليوم . وبالطبع لا يمكن فصل النضال من أجل العدالة للفلسطينيين في الشرق الأوسط عن النضالات من أجل العدالة في أي مكان من العالم . وهناك مثل هذه النضالات في الولايات المتحدة اليوم .

## الرأي العام الأمريكي والمسألة الفلسطينية

أعتزم في هذه الدراسة تقديم معلومات جمعت من استطلاعات للرأي العام في الولايات المتحدة وتركزت بنوع خاص على المسألة الفلسطينية . ولكن بما ان الفلسطينيين هم ايضا جزء من العالم العربي فان الموقف الاميركي الأساسي من العرب يعرض على انه ينطبق كذلك على الفلسطينيين . وبالإضافة الى معلومات الرأي العام ، يجدر بنا ان نستكشف المناخ العام للرأي في الولايات المتحدة فيما يتعلق بفلسطين والقضايا العربية ، وان نقترح سبلا من شأنها ان تيسر حدوث تغير نحو الأفضل .

### المواقف الاميركية من فلسطين والفلسطينيين

من المؤسف ان نلاحظ ان قسما كبيرا من الشعب الاميركي كان يكن ويظهر مشاعر ومواقف عنصرية ولا سامية . وهذه المشاعر والمواقف كانت في الثلاثينات معادية لليهود ، بينما هي في السبعينات تميل الى ان تكون معادية للعرب . وهكذا اظهرت عدة دراسات اجريت في الثلاثينات والاربعينات ، ان نحو ثلث الجمهور الاميركي كان ينسب صفات مميزة خاصة ويغیضة اخلاقيا الى اليهود ، مثال ذلك انهم « مختلفون » او انهم يزاولون « وسائل تجارية مختلفة » . وفي الواقع قبل ١,٢٪ في احد الاستطلاعات بالفكرة القائلة « اننا يجب ان ننتهج سياسة ابعاد اليهود عن هذا البلد الى وطن جديد ما بأسرع ما يمكن فعل ذلك بلا وحشية » (١) .

ولكن بعد تأسيس دولة اسرائيل اخذت المواقف من اليهود تتغير نحو الأفضل ، بينما اصيبت صورة العرب بين الاميركيين بتغير نحو الأسوأ . وتم دعم هذا التغير بالوثائق على نحو واضح في الدراسات المختلفة لوسائل الاعلام في الولايات المتحدة ، خصوصا في تغطية الاخبار من الشرق الأوسط وحوله (٢) . ولكن للأسف لا توجد سوى بضع دراسات قليلة حول صورة العرب او الفلسطينيين بين الاميركيين . وفي السبعينات قمت انا باستطلاعين لتقدير الصور العالقة في اذهان معلمي الدراسات الاجتماعية ومواد تاريخ العالم وطلبتهم في المدارس الثانوية فيما يتعلق بشعوب الشرق الأوسط ، بمن فيهم الفلسطينيون . والنتائج من دراسة العام

١٩٧٤ التي شملت معلمين في ولايات نيويورك وبنسلفانيا وإنديانا وكانساس وكولورادو وكاليفورنيا هي كما يلي :

يميل المعلمون الى رؤية الفلسطينيين كلاجئين في حين ينظر الطلاب اليهم كفدائيين . وبوجه عام يبدو المعلمون اكثر تفهما لمحنة الفلسطينيين ويميلون الى ان يكونوا اكثر تعاطفا مع قضيتهم مما يتصورون ان طلبتهم متفهمون لهم ومتعاطفون معهم . وفي حين ان الكثيرين ممن اجابوا عن الاسئلة ، وان لم يكن معظمهم ، اشاروا الى الفلسطينيين بمجرد انهم « لاجئون » او ضحايا ظروف ، فان البعض حدد المسؤولية لتشردهم وشقائهم . والامثلة التالية توضح الاجابات التي لا تحدد من هو الملموم للجريمة الموصوفة: ضحايا نزاع شرق اوسطي ، أكباش محرقة مسلوبون ومظلومون ، مشردون ، ومنبوذون ، الاقرباء الفقراء ، مهجرون ، جماعة سلب منها وطنها بالخداخ ، وقعوا اسرى في الوسط ، قوم مطرودون ، قوم منسيون الخ . ولم يتحاش بضعة مجيبين « تسمية المجرم » في المناسبة الفلسطينية فحسب ولكنهم بدوا منزعجين لأن الفلسطينيين لم يواجهوا الحقائق ، مثال ذلك : « ضحايا تاريخ تعساء يرفضون أن ان يكونوا واقعيين » . الا ان بعض الآخرين اظهر اهتماما وانحى باللائمة بشكل محدد على بلد او جماعة من الناس من أجل محنة الفلسطينيين ، كما تين الامثلة التالية : ضحايا الدولة اليهودية ، ضحايا الامبريالية ، ضحايا التصلب العربي - الاسرائيلي ، ضحايا الامم المتحدة ... « ضحايا حل مفروض لمشكلة اوروبية » .

وكوحدات قتال او فدائيين ، جاء التفكير في الفلسطينيين في نطاق العبارات التالية ، بين عبارات اخرى : عنف ، اراهابيون ، مختطفو طائرات ، حرب ، عسكرية ، فتح ، ايلول الأسود ، جيش التحرير الفلسطيني ، ثوري ، ومغاوير . ووصفهم آخرون كـ « جماعات ارامية غير عقلانية » ، « جماعات اراهابيين في الوطن اليهودي يعارضون الاسرائيليين » ، او اشاروا الى « فظائع فدائيين راديكاليين تتناول الالعاب الاولمبية وخطف الطائرات واعمال الخطف » . وهذه الصورة للفلسطينيين « كلاجئين وارهابين » تولد العطف والتفهم لدى بعض المجيبين ، والاشمئزاز لدى البعض الآخر . والجماعة الثانية ، الأصغر عددا نسبيا ، تظهر عداءها وكراهيتها للفلسطينيين في ملاحظات مثل : جبناء ، ثوار ، يساريون وغانغسترز شيوعيون ، متطرفون ، مشرومتاعب ، يسببون المتاعب للولايات المتحدة ، رجال ارياء جدا ، متعصبون ، « غير عقلاء ، عنيفون ، مضللون » ، عديمو الرحمة ، اغبياء ، رجال مجانين ، يطعنون في الظهر ، « جماعة مصطنعة يحافظ عليها من أجل غايات دعاوية » او مجرد « جماعة لاقائدة منها من الناس » . بيد ان نسبة مئوية اكبر من المجيبين ، ولا سيما بين المعلمين الذين يعربون عن آرائهم الخاصة ( بدل اظهار آراء الطلبة ) شعرت بعطف أكبر على الفلسطينيين واعربت عن الحاجة الى حل مشكلتهم . مثال ذلك انهم اشاروا الى الفلسطينيين كقوم « غير مرغوب فيهم ، غير محبوبين وغير معتنى بهم » ، ويساء فهمهم الى اقصى حد و « يهملهم الجميع » . و اشاروا الى « الموت واليأس والاستغلال » ، والاعدالة ، والمناساة ، و « بعض الشفقة على مشكلتهم » ، واعتقدوا ان الفلسطينيين « يريدون حياة بسيطة » و « يستحقون معاملة افضل » . وقال مجيب آخر ان الفلسطينيين « اشخاص مهجرون ، وغضبهم له ما يبرره ، ومشكلتهم يجب ان تحل قبل ان يكون هناك سلام في الشرق الاوسط » .

وجدير بالذكر ان مجيبين قليلين نسبيا اشاروا الى التاريخ القديم لفلسطين ، و الى الكتاب المقدس او الأرض المقدسة . الا أن الأمر الأهم هو ان قلة ضئيلة من المجيبين ذكرت لب المشكلة ، وهي النزاع الفلسطيني – الصهيوني – الاسرائيلي بعبارات مباشرة وواضحة . اذن فان الصفة الأكثر بروزا بالنسبة لهؤلاء المعلمين وطلبتهم هي انهم قوم لاجئون او مشردون يستخدمون وسائل عنيفة للانتقام او لاستعادة وطنهم<sup>(٣)</sup> .

وربما كان أفضل مثل موضح للصور الاميركية عن كل من العرب والاسرائيليين ، وهو مثل يظهر الفرق بجلاء ، يأتي من مسح جرى في العام ١٩٧٥ استجابة لسؤال يدرج عدة كلمات ايجابية وسلبية ويسأل : « هل كل كلمة تنطبق على العرب اكثر أم على الاسرائيليين اكثر ؟ » وربط نحو ٤٠٪ او نسبة اعلى كلمات : مسالم ، صادق ، نكبي ، « كالاميركيين » ، و « وودي » بالاسرائيليين ، في حين ان نفس النسبة المثوية من المجيبين تقريبا اعتبرت العرب متأخرين ، متخلفين ، جشعين ، متعجرفين ، وبرابرة<sup>(٤)</sup> .

عندما نركز بنوع خاص على المسألة الفلسطينية ، فان الاكتشاف البارز الذي يطالعنا هو<sup>(٥)</sup> :

**مركزية المسألة اليهودية واسرائيل بالنسبة الى الوكالات المختلفة التي تقوم الرأي العام .** وفي الوقت ذاته يبدو ان هناك جهلا تاما تقريبا ، او اهمالا مقصودا ، لصير الفلسطينيين العرب . وعندما يبحث المرء عن « فلسطين » او « العرب في فلسطين » في الفهرست ، على سبيل المثال ، فانه يحال الى « اليهود : الاستعمار » و الى اسرائيل . وليس هذا مجرد ان فلسطين لم يعد لها وجود كبلد في العام ١٩٤٨ . والامثلة التالية توضح الى حد كاف اهتمام الاميركيين الكلي باليهود واسرائيل وانعدام الاهتمام الموازي بالفلسطينيين العرب – وهو موقف جرد الفلسطينيين من الصفات الانسانية والغى عنهم صفة الشعب . في كانون الأول ( ديسمبر ) العام ١٩٤٤ ، طرحت نورك NORC السؤال التالي : « هل تعتقد انه يجب اعطاء اليهود فرصة خاصة للاستيطان في فلسطين بعد الحرب ، ام تعتقد انه يجب اعطاء جميع الناس الفرصة نفسها للاستيطان هناك ؟ »<sup>(٦)</sup> .

تجدد الملاحظة إلى انه كان يجري بحث « اليهود » بالنسبة الى آخرين ( نفترض انهم اوروبيون ) ممن قد يعطون فرصة خاصة للاستيطان في فلسطين – متجاهلين حقيقة ان فلسطين كانت أهلة بالسكان ومتجاهلين هؤلاء السكان الفلسطينيين العرب . وحتى عندما يؤتى على نكر الفلسطينيين ، فان احتياجاتهم ورغباتهم لا تعلن بشكل ايجابي بل فقط بالنسبة الى اعدائهم ، كما في السؤال التالي الذي طرحته نورك في العام ١٩٤٤ : « هناك ما يزيد على مليون عربي وما يزيد على نصف مليون يهودي في فلسطين . فهل تعتقد انه ينبغي على البريطانيين ، الذين يسيطرون على فلسطين ، ان يفعلوا ما يطلبه بعض اليهود ويقيموا دولة يهودية هناك ، ام هل يجب ان يفعلوا ما يطلبه بعض العرب فلا يقيموا دولة يهودية ؟ »<sup>(٧)</sup> .

ان مركزية المشكلة اليهودية واضحة ايضا في السؤال الذي طرحته نورك في العام ١٩٤٨ حول رفع الحظر عن بيع الأسلحة الى اليهود والعرب . وللذين اعتقدوا انه ينبغي رفع الحظر ( ١٠٪ ) ، وجه سؤال تابع : « هل يجب ان نبيع كلا الجانبين أم اليهود فقط ؟ »<sup>(٨)</sup> كلك ،

قبل ذلك ببضعة اشهر ، وفي رد على السؤال : « هل لك ان تخبرني اية جماعة من الناس كانت تواجه المتاعب في فلسطين مؤخرا » ؟ بلغ عدد الاميركيين الذين سموا اليهود ( او الصهاينة ) ضعفي عدد الاميركيين الذين سموا العرب ( او المحمديين ) تقريبا<sup>(٩)</sup> . والى ذلك طرحت غالوب في العام ١٩٦٨ السؤال : « ماذا تعتبر انه السبب الرئيسي للمشكلة بين الاسرائيليين والعرب » ؟ وكانت الاجابات<sup>(١٠)</sup> :

٢٢٪	العداوة القديمة
١٦٪	الحقوق الاقليمية
٥٪	العرب يدعون ان اليهود اخنوا اراضيهم
٤٪	الشيوعية
٤٪	اسباب اقتصادية
٣٪	اسباب سياسية
١٠٪	اسباب متنوعة
٤١٪	لا رأي
* ١٠٥٪	

وهكذا استمر الفلسطينيون في ان يكونوا « شيئا غير موجود » بقدر ما يتعلق الامر بالاميركيين . ويتضح الجهل بالفلسطينيين ويقضيتهم في نتائج سؤال طرحته غالوب في احد استطلاعاتها في العام ١٩٤٦ : « استنادا الى ما سمعت او قرأت ، لماذا لا يسمح البريطانيون بدخول المزيد من اليهود الى فلسطين »<sup>(١١)</sup> ؟ - وهو سؤال يحدد ايضا مركزية المسألة اليهودية .

٥٪	البريطانيون يريدون الاحتفاظ بالسيطرة
١٥٪	يخافون استثارة العرب
٤٪	لاسترضاء العرب وحماية مصالحهم في الهند ومصر والجزيرة العربية
٥٪	لا متسع في فلسطين
١٠٪	متحيزون ضد اليهود ، يخشون ان يصيروا دولة رئيسية
٤٪	يثيرون الكثير من المتاعب في فلسطين
١٪	يخشون ان يحصل العرب على المساعدة من روسيا
١٪	اسباب متنوعة
٥٤٪	لا جواب
١٠٠٪	

وجدير بالملاحظة فعلا ان الفلسطينيين العرب الذين سكنوا البلاد منذ قرون ، والذين كانوا يؤلفون اكثر من ٩٠٪ من السكان في العام ١٩١٧ ، والذين كانوا يؤلفون ثلثي السكان في وقت

\* اعطى البعض اكثر من جواب واحد .

الاستطلاع ، والذين كانوا ينشدون الاستقلال عن بريطانيا ، لم يتركوا اي تأثير على وعي الاميركيين الا في اجوبة الـ ٥٪ الذين قالوا ان « لا متسع في فلسطين » . ويبدو ان ما « سمعه او قرأه » الاميركيون قد اسقط من الحساب ايضا اهمية الفلسطينيين العرب .

فليس من المفاجيء ، اذن ، انه عندما سئل الاميركيون حول « السماح لليهود بالاستيطان في فلسطين » ، كان رد الاكثية الساحقة ( ٧٦٪ ) ايجابيا (١٢) . وكانت هذه هي الحال سواء صيغ السؤال بعبارات عامة ، او حدد الدخول بمئة الف يهودي ، كما اوصي في تقرير اللجنة الانكلو اميركية (١٣) . وتنفي الملاحظة ان الجمهور الاميركي اظهر الكثير من « السخاء » في دعمه الحماسي والقوي للاستيطان اليهودي في فلسطين ، وهي بلد اجنبي لا يعرف عنه الشيء الكثير ويبدو انه لا يهتم كثيرا بشعبه . ولم يكن ثمة تلميح الى ان مثل هذا القرار يجب ان يترك للفلسطينيين انفسهم . وفي اية حال عندما سئل الجمهور الاميركي في العام ١٩٤٢ : « هل يجب ان نسمح لعدد اكبر من المنفيين اليهود من المانيا بالمجيء الى الولايات المتحدة للعيش فيها » ؟ ، فانه لم يظهر لا سخاء ولا إحسانا اذ اجاب ٧٧٪ بالنفي (١٤) . وكذلك في العام ١٩٤٦ استهجت النسبة المثوية نفسها تقريبا ( ٧٢٪ ) خطة الرئيس هاري س . ترومان الطلب من الكونغرس السماح لعدد اكبر من اليهود واللاجئين الاوروبيين الآخرين بدخول الولايات المتحدة مما كان مسموحا به بموجب القانون (١٥) .

وفي حين ان التأييد لدخول اليهود الى فلسطين وللاستيطان اليهودي هناك كان قويا بين الاميركيين ، فان مسألة تقسيم فلسطين الى دولتين ، واحدة عربية واخرى يهودية ، لم تلاق موافقة ساحقة . وفي شباط ( فبراير ) من العام ١٩٤٨ لم يوافق على التقسيم الا ٣٨٪ ، واستنكره ١٩٪ ، وكانت البقية إما غير مطلعة على الموضوع ( ٢٨٪ ) او غير مقررة ( ١٥٪ ) (١٦) . وايضا بين « مقتطف نموذجي قومي من رؤساء تحرير الصحف » فضل ٤٤٪ ديموقراطية علمانية للجميع ، واختار ٣٠٪ التقسيم (١٧) . والى ذلك اخذ التأييد للتقسيم يتفتت فيما تحولت الحال في فلسطين الى العنف . وفي اية حال عندما قدمت للمجيبين اختيارات اخرى ( مثل « جربوا حلا آخر » ) ، كما حدث في حزيران ( يونيو ) من العام ١٩٤٨ ، لم يفضل التقسيم آنذاك سوى ٢٦٪ (١٨) .

وبعد تأسيس دولة اسرائيل ، لم تعد فلسطين بلدا معترفا به نوليا . وفي الواقع كانت ثمة محاولة اكيدة من جانب اسرائيل واصدقائها وايضا من جانب بعض الانظمة العربية لالغاء تسميتي فلسطين او فلسطينيين . وبدلا من ذلك صارت عبارات مثل قطاع غزة ، والضفة الغربية، و « اللاجئ العرب » واسرائيل، البدائل لاغراض مختلفة . واضحت المسألة الفلسطينية النزاع العربي - الاسرائيلي ، خصوصا بعدما خاض « العرب » الحرب ضد اسرائيل في الخامس عشر من ايار ( مايو ) من العام ١٩٤٨ .

في العام ١٩٦٤ ، وأنداك فقط حسبما اعلم ، طرح سؤال حول معاملة « اللاجئ العرب » في فلسطين . والأمر المفاجيء هو ان اقل من ٩٪ اعتقدوا انهم كانوا يعاملون معاملة حسنة جدا ( ١٦٪ ) او حسنة نوعا ما ( ٧٠،٢٪ ) . واعتقد ١٥٪ على وجه التقريب ان « اللاجئ العرب » يعاملون معاملة سيئة نوعا ما ( ١١،٩٪ ) او سيئة جدا ( ٣٠٪ ) . اما البقية فلم تجب او لم تقرأ حول الوضع (١٩) .

ولكن منذ حرب ١٩٦٧ صار السؤال حول ماذا يجب فعله بالأراضي الشاسعة التي احتلها الاسرائيليون سؤالاً ملحا بعض الشيء . وفي اول الامر لم يؤت على ذكر الفلسطينيين او دولة فلسطينية . وكان السؤال يصاغ عادة على النحو التالي : « ماذا تعتقد انه يجب فعله - هل يجب ان يطلب من اسرائيل ان تعيد جميع هذه الأراضي المحتلة ، أم الاحتفاظ بها ، أم الاحتفاظ ببعضها » ؟ وحتى بعد فترة اقل من شهر على حرب ١٩٦٧ ، فضل ٢٤٪ من الاميركيين جعل اسرائيل تحتفظ بجميع الأراضي المحتلة ، واعتقد ٤٩٪ ان اسرائيل يجب ان تحتفظ ببعض الأراضي ، وقال ١٥٪ فقط ان على اسرائيل ان تعيد جميع الاراضي المحتلة (٢٠) . واطهر استطلاعاً هاريس في العام ١٩٧٠ والعام ١٩٧٤ تمنعا من جانب الجمهور الاميركي عن رؤية اسرائيل تعيد الاراضي التي احتلتها في العام ١٩٦٧ (٢١) . ولكن عندما عرضت اختيارات مختلفة ، كما في استطلاعات غالوب الثلاثة في العام ١٩٧٧ ، فضل ٤٣ - ٥٠٪ اعادة جميع الاراضي المحتلة او جزء منها ، فيما لم يعرب ٣٠ - ٢٢٪ عن اي رأي (٢٢) .

في اعقاب رحلة السادات الدراماتيكية الى القدس في تشرين الثاني ( نوفمبر ) من العام ١٩٧٧ ، كانت ثمة تكهنات متزايدة حول تسوية سلمية ومصير الفلسطينيين . الجدول رقم ١ يظهر نتائج ثلاثة استطلاعات اجريت جميعها في العام ١٩٧٨ وتتناول اجابات الجمهور الاميركي عن ثلاث خطط مقترحة من اجل « حل » فلسطيني ، خصوصا لمنطقة الضفة

## الجدول رقم ١

خطط من اجل حل فلسطيني

كانون (يناير) ٢٠-٢٣، ١٩٧٨	أذار (مارس) ٣١ - نيسان (ابريل) ١٩٧٨، ٢	نيسان (ابريل) ٢٩ - ايار (مايو) ١٩٧٨، ١	
٢٤٪	٢٢٪	٢٢٪	الخطة ١ : يجب أن تكون لهم بولة مستقلة منفصلة ، على الضفة الغربية من نهر الأردن في المنطقة التي كانت سابقا للأردن ولكنها محتلة الآن من اسرائيل .
٢٢	٢٥	١٧	الخطة ب : يجب ان تكون لهم بولة على الضفة الغربية من نهر الأردن لا تكون مستقلة تماما بل مرتبطة مع الأردن .
٣٠	٢٢	٢٢	الخطة ج : يجب ان يستمروا في العيش كما يفعلون الآن في اسرائيل وفي الدول العربية الاخرى
٢٤	٢١	٢٩	لا يعرفون
١٠٠٪	١٠٠٪	١٠٠٪	

الغربية . ففي استطلاع نيسان - ايار ( ابريل - مايو ) اختار ٣٢٪ دولة مستقلة للضفة الغربية ، واختار ١٧٪ دولة مرتبطة بالأردن . وكذلك من اصل الـ ٧٧٪ من الاميركيين الذين قرأوا عن منظمة التحرير الفلسطينية او سمعوا بها ، اعتقد ١٤٪ فقط ان المنظمة تمثل « وجهة نظر اكثرية فلسطينية » ، في حين ان ٦٣٪ لم يعتقدوا ذلك (٢٢) . ويكلام آخر مال الجمهور الى ان يعكس رأي الادارة ووسائل الاعلام في الولايات المتحدة .

### صياغة كلمات الاسئلة

وكما سبق لنا الاشارة اظهرت الاستطلاعات تحيزا اكيدا ضد الفلسطينيين العرب ولصحة اليهود او الاسرائيليين . ونود الآن ان ندعم هذه الحقيقة بالوثائق على نحو اكمل . بادىء ذي بدء نلاحظ ان جميع وكالات الاستطلاع تقريبا طرحت من الاسئلة الوثيقة الصلة باليهود واسرائيل عددا اكبر بكثير من الاسئلة الوثيقة الصلة بالفلسطينيين العرب . وهكذا فان اسئلة عديدة عالجت مشكلات اضطهاد اليهود ، واعادة اسكانهم ، وهجرتهم الى فلسطين ، وادخالهم الى الولايات المتحدة ، وخلق دولة يهودية ، واحتياجات اسرائيل الامنية ، والمساعدة الاميركية ( الكمية والنوعية ) ، الخ . وفي المقابل فان الاستطلاعات لم تستكشف ولم تبحث الفلسطينيين العرب ومشكلاتهم ، اذا كانت ثمة مشكلات .

الشكل الآخر من اشكال التحيز هو في صياغة الاسئلة (٢٤) . فقد تعمل مؤسسة الاستطلاع على قيادة المجيبين في اتجاه معين عن طريق تزويدهم بمعلومات لمصلحة احد الجانبين . وهكذا في العام ١٩٤٦ سئل الجمهور : « كما تذكرون ، فان تقرير اللجنة الانكلو - اميركية ( توصي بادخال مئة الف يهودي آخر الى فلسطين على الرغم من احتجاجات العرب هناك . وقد قال الرئيس ترومان انه يعتقد ان هذا يجب ان يحدث . وتقول انكلترا الآن ان على الولايات المتحدة ان تساعد في المحافظة على النظام في فلسطين اذا انلعت الاضطرابات بين اليهود والعرب . هل تعتقد اننا يجب ان نساعد في المحافظة على النظام هناك ، ام هل يجب ان نبقي خارجا » (٢٥) ؟ ويأتي مثل آخر من هاريس اند اسوشيتيس : « كما تعلمون احتلت اسرائيل جميع القدس ، ولكنها فتحت المدينة امام جميع الناس الذين يرغبون في زيارة ذلك المكان ، بما فيه جميع المعابد الدينية . هل تعتقد انه يجب ان يسمح لاسرائيل بالاحتفاظ بالقدس ، ام هل تعتقد ان المدينة يجب ان تصير مدينة دولية » (٢٦) ؟ .

احد التكتيكات التحيزية الأخرى هو ترتيب ورق اللعب ضد احد الفريقين . وفي كثير من الاحيان انتزاع العطف على الفريق المفضل في الوقت ذاته . ونجد احد الامثلة الجيدة على ذلك في الجملة التالية التي سأل بها استطلاع هاريس المجيبين اذا كانوا يميلون الى الموافقة او عدم الموافقة عليها : « اذا بدا كأن الروس والعرب سيستولون على اسرائيل ، سيكون على الولايات المتحدة ان تفعل كل شيء لانقاذ اسرائيل ، بما فيه خوض الحرب » (٢٧) . وثمة سؤال آخر من هذا النوع طرحه احد استطلاعات هاريس : « الروس يريدون ان تندد الامم المتحدة باسرائيل بوصفها المعتدي في حرب الشرق الاوسط وجعل اسرائيل تدفع للدول العربية تعويضات عن الاضرار في الحرب . هل توافق او لا توافق على مثل هذا العمل من قبل الامم المتحدة » (٢٨) ؟

واحد اساليب التحيز الأخرى هو استخدام كلمات مختلفة لاسئلة يقصد بها ان تكون

متشابهة أو يزعم انها متشابهة. ففي العام ١٩٦٧، مثلا ، تجنّب هاريس اند اسوشييتس سؤال الجمهور « من تشعر انه بدأ الحرب الأخيرة في الشرق الأوسط – العرب ام الاسرائيليون » ؟ ومع هذا كانت هذه هي الصيغة نفسها التي استخدمت في تشرين الأول ( اكتوبر ) ١٩٧٢ . ولكن في العام ١٩٦٧ سأل هاريس الشعب الاميركي « ما اذا كان يميل الى الموافقة او عدم الموافقة على ان العرب ارادوا ان يبدأوا الحرب ؟ ان اسرائيل ارادت ان تبدأ الحرب » . وهكذا بدلا من تأمين نتائج من شأنها ان تظهر ان اسرائيل بدأت الحرب ، فان المعلومات ستعكس الموقف الاميركي من الفرقاء – وهو موقف سبق ان كان مناهضا للعرب بقوة ومواليا لاسرائيل بقوة .

واحد الاجراءات الأخرى التي قد تؤثر على المجيبين هو الترتيب او المكان الذي تظهر فيه الاسئلة . وهكذا سئل الاميركيون في استطلاع لهاريس اجري في تشرين الأول ( اكتوبر ) من العام ١٩٧٢ ما اذا كانوا يميلون الى الموافقة او عدم الموافقة على عدة اقوال اظهرت العطف على اسرائيل او ربطت « العرب » بروسيا ، فضلا عن الجملة التالية : « اذا خضعنا لقيود العرب على النفط الآن ، فاننا سرعان ما سنجد ان العرب يملون على الولايات المتحدة الكثير من سياستها الخارجية ، وهذا مضر » . وبعد ذلك قدمت للمجيبين الجملة التالية : « اننا نحتاج الى النفط العربي من اجل النقص في بنزيننا هنا في الداخل ، ولذا يجدر بنا ان نجد طرقا لسايرة العرب ، حتى ولو عنى ذلك دعم اسرائيل الى حد اقل » (٢٩) . وانه معقول ظاهريا على الأقل ان الجمل السابقة قد تكون خفضت التأييد للجملة الأخيرة .

#### مصادر التأييد الفلسطيني والاسرائيلي

لا شك في ان العطف والتأييد الاميركيين للاسرائيليين ووجهة النظر الاسرائيلية يفوقان بكثير اي عطف او تفهم للفلسطينيين وحالتهم . ومع هذا فان الوضع ليس ميؤسا منه كليا كما انه من غير المحتمل ان يبقى دائما لا متوازنا . ولكي نعرف اية اجراءات يحتمل ان تكون فعالة في تغيير آراء الناس ، نحتاج اولا الى معرفة مواقف الجماعات المختلفة بين السكان الاميركيين من المسألة الفلسطينية . وللأسف هناك معلومات قليلة جدا حول هذا الموضوع . ومع هذا تشير المعلومات المتوفرة الى الاستنتاجات التالية .

اولا وقبل كل شيء نلاحظ ان الدين هو اقوى وافضل متنبئ عن المواقف حول المسألة الفلسطينية . وهكذا نجد ان الاميركيين اليهود ( بصرف النظر عما اذا كانوا او لم يكونوا اعضاء في منظمات صهيونية ) هم الى حد بعيد اشد انصار دولة اسرائيل . وهذه هي الحال سواء كان السؤال يتعلق بالعطف العام او الملامة او القدس او الاراضي المحتلة او المعونة العسكرية الاميركية بما فيها ارسال قوات عسكرية ، او مجرد موقف ايجابي من دولة اسرائيل (٣٠) . وفي الواقع فان الاكتشاف الاكثر اثارة للازعاج هو ان اليهود الاميركيين على ما يبدو لا يربطون انفسهم بقوة وبصورة ايجابية مع اسرائيل فحسب ، ولكنهم ايضا وفي الوقت ذاته ينظرون الى الفلسطينيين والعرب نظرة سلبية وبطريقة عنصرية ، كما يظهر بوضوح في الجدول رقم (٣١) . وفي كل حالة تقريبا نجد ان الاميركيين اليهود بوجه عام يحتمل ان يربطوا الصفات الايجابية باسرائيل والصفات السلبية بالعرب اكثر من غير اليهود بمرتبة .

الجدول رقم ٢

« هل تنطبق كل كلمة على العرب أكثر أم على الإسرائيليين أكثر » ؟

الانتماء الديني	الكلمة	على إسرائيل أكثر	على العرب أكثر	على الأثنين بصورة متساوية	لا تنطبق على أي منهما	لا أعرف
بروتستانتني كاثوليك يهودي غيره لا انتماء	مسالم	٣٩٪	٧٪	٩	٣٤٪	٢٢٪
		٣	٧	٩	٢٧	١٨
		٦٧	١	٨	٨	١
		٣٧	٧	٨	٢٣	١٦
بروتستانتني كاثوليك يهودي غيره لا انتماء	صالح	٣٨	١٣	١٤	٧٨	٢١
		٢٧	٥٪	١٢	١١٧٪	٢٨
		١٨	٦	٨	٢٢	٢٢
		٢٩	١	١٢	١٣	٢٨
بروتستانتني كاثوليك يهودي غيره لا انتماء	لذي	٣٦٪	٨٪	١٧٪	٦٪	٣٢٪
		٣٠	١٠	٢٦	١٧	٦١
		٧٨	١	١٧	١	١٨
		٤٣	١١	٢٥	١	١٨
بروتستانتني		٤٩٪	٥٪	٨٪	١٧٪	٢٣٪
		٢٢	٥	٢٨	٥	٢٠

الانتماء الديني	الكلمة	على اسرائيل اكثر	على العرب اكثر	بصورة متساوية	لا تنطبق على اي منهما	لا اعرف
كاثوليكي	* كالايمريكين *	٤٨	٥	٩	٢٠	١٨
يهودي		٧٨	—	٥	١٢	٦
غيره		١٥	٧	٣١	٧	٢٢
لا انتماء		٥٥	٢	٦	٣١	٢٢
بروتستانتى	وادي	٣٤	٥	٣١	١١	٢٥
كاثوليكي		٤٦	٧	١٥	١١	٢١
يهودي		٧٨	٣	١٢	٥	١
غيره		٥٢	٢	١٧	٧	٢١
لا انتماء		٢٩	٩	١٦	١٢	٣٤
بروتستانتى	متنفر	٦١	٣٣	٧	٣١	٢٠
كاثوليكي		٢١	٦٣	٨	٧١	٢٠
يهودي		٢	٦٧	١	١٠	١
غيره		٩	٧٣	٧	٣١	٢٣
لا انتماء		٢	٥٠	٩	١١	٢٥
بروتستانتى	متنفر	٩	٣٣	١٠	٧	٢٢
كاثوليكي		١١	٤٧	١٠	٢١	٢٠
يهودي		٢	٣٧	٥	٦	—
غيره		٩	٧٣	١٠	٦	٢٢
لا انتماء		٧	٤٥	١٠	٧	١٢
بروتستانتى	فقير	٣٢	٦٢	١١	٠١	٠١
كاثوليكي		١١	٨٥	٦	٦١	٣
يهودي		٢٠	٦١	٧	٨١	٠١
غيره		٢٢	٦٢	٦	٣١	٥٨



الجدول رقم ٢ يظهر أيضا ان الاميركيين غير المنتسبين كأعضاء الى اية كنيسة مؤسسة ، والى حد اقل ، هؤلاء الذين ينتمون الى كنائس اصغر حجما او اقل تأسيسا : LESS ESTABLISHED يحتمل الى درجة اقل ان يعتبروا اسرائيل اكثر تفوقا بكثير على العرب . ومن الناحية الأخرى يفضل البروتستانت والكاثوليك اسرائيل على العرب في نسب مئوية متساوية تقريبا في هذا المسح . الا ان ادلة اخرى تظهر ان البروتستانت اكثر موالاة لاسرائيل بعض الشيء من الكاثوليك (٣٢) .

العوامل الأخرى المؤثرة على المواقف من الفلسطينيين العرب والاسرائيليين هي السن والعنصر والتربية والدخل والمهنة . ونلاحظ بوجه عام ان الاميركيين الأكبر سنا ( فوق الخامسة والثلاثين من العمر ) ، والبيض ، والأفضل ثقافة ، وذوي الدخل الأعلى واصحاب المهن هم اكثر موالاة للاسرائيليين من الشبان ، وغير البيض ( السود ، والناطقون باللغة الاسبانية ، والمتحدرون من اصل اميركي الخ ) . والاقل ثقافة والمتخلفين اقتصاديا (٣٣) .

وتختلف التفسيرات حول الاسباب التي تجعل بعض الجماعات تؤيد اسرائيل الى حد اقل من الجماعات الأخرى . حتى وان كان غير البيض وحدهم يقتربون مجرد اقتراء من موقف متوازن او حيادي ازاء العرب / الفلسطينيين والاسرائيليين ، فان ردة الفعل الأولى بين الغربيين وعلماء الاجتماع الغربيين هي اختبار ما اذا كانت جماعات غير ملتزمة كليا وعلى نحو متين باسرائيل واراتها هي معادية لليهود ام لا . بيد ان مثل هذه الجماعات في الواقع ليست غير معادية لليهود فحسب ، بل على العكس من ذلك ، تشير الأدلة الى ان الشعب الاميركي ، ولا سيما البيض الافضل ثقافة ، والأعلى منزلة بينهم ، قد يكونون معادين للعرب (٣٤) وبالفعل فانهم كثيرا ما يكونون متحيزين في هذا الاتجاه ولكنهم لا يعون هذا التحيز . وهذا ما اكتشفناه بالفعل ارتكازا على نتيجة الحلقة الدراسية حول وسائل الاتصال بين الشرق والغرب التي رعتها مؤسسة فورد ( بيت مري ، لبنان ١٩٧٢ ) ، وعلى مسح لعلمي المدارس الثانوية في ست ولايات اميركية (٣٥) .

### خلاصة واستنتاجات

اول واهم اكتشاف لهذه الدراسة هو انعدام الحساسية من جانب الشعب الاميركي ( فضلا عن وكالات الاستطلاع ) نحو الاهتمامات العربية ، وخصوصا الفلسطينية . وعدم الحساسية هذا هو مؤشر الى التحيز ويحاذي العنصرية . وقد يكون ان القائمين بالاستطلاعات ، ان لم يكن الاميركيين بوجه عام ، هم متحيزون ولكنهم لا يعون تحيزهم (٣٦) . وقد يفسر هذا الاستخفاف بالفلسطينيين في الطريقة التي تطرح بها وكالات الاستطلاع الاسئلة .

وهكذا فان الاسئلة الموجهة الى الجمهور الاميركي تهمل بصورة كلية تقريبا الفلسطينيين كشعب وتبنى الاسئلة احيانا بطريقة تكون لمصلحة الاسرائيليين . وعندما يؤتى على نكر الفلسطينيين في اسئلة الاستطلاعات ، لا تتلقى احتياجاتهم ورغباتهم الكثير من العطف او التأييد . وتغيرت هذه الحال بشكل طفيف منذ العام ١٩٧٢ فيما أخذت « فلسطين » و « الفلسطينيين » تبرزان كقضيتين جديرتين بالبحث .

إذا كان العرب والعالم العربي والفلسطينيون هامشيين ، بقدر ما يتعلق الأمر بالوعي الأميركي ، فإن العكس هو الصحيح بالنسبة إلى المواقف الأميركية من اليهود وإسرائيل . ولم تتغير مركزية مسألة اليهود وإسرائيل منذ الثلاثينات . وفي أول الأمر كانت القضية تتعلق باليهود الأميركيين ومعاملتهم وما إذا كانوا قد استحقوا مثل هذه المعاملة أو تصرفوا على نحو يفضي إليها . ثم تحول التركيز إلى إعادة التوطين ، وإلى وطن يهودي ودولة يهودية في فلسطين . وبعد قيام دولة إسرائيل صار الاهتمام الأولي هو أمن الدولة وشعبها - وكيف تستطيع الولايات المتحدة أن تساعد . واشتملت الأشكال المختلفة المقترحة للمساعدة على مواد ومعونة اقتصادية واعتدة عسكرية والتزام باريسال قوات للدفاع عن الدولة اليهودية . وبعد العام ١٩٦٧ كثيراً ما كانت مسألة الأراضي المحتلة تصنف أو تنزل إلى المقام الثاني وراء الاهتمام بأمن إسرائيل ، وبعد العام ١٩٧٣ فقط ، كما لاحظنا سابقاً ، كانت هناك بداية بحث يتعلق بكيان فلسطين له شكل ما ويرتكز على جميع أو بعض أجزاء قطاع غزة والضفة الغربية - وقد أعرب نحو نصف الشعب الأميركي عن تأييده لهذا الكيان . إلا أن الأسئلة المتعلقة بأمن إسرائيل استمرت في السيطرة .

وفي حين أن المواقف الأميركية من إسرائيل هي وظيفة من وظائف العلاقات الأميركية - الإسرائيلية ، فإن لدى إسرائيل ومؤيديها ، وخصوصاً الصهاينة في الولايات المتحدة ، بعض القدرة على التلاعب بالرأي الأميركي . ويمكن فعل هذا ، وقد تم فعله حقاً ، بواسطة وسائل الإعلام . وفي حين أنه ليس من السهل عادة إثبات وجود صلة بين ما يقرأه الشعب الأميركي أو يستمع إليه ، أو يراه على التلفزيون أو في الأفلام السينمائية ، وعواطفه نحو العرب والإسرائيليين ، فقد لوحظ وجود علاقة أكيدة في حالتين مهمتين على الأقل . وهكذا اكتشف في دراسة « لردة فعل الجمهور إزاء محاكمة « إيخمان » أن أكثر من ٣٠٪ من الجمهور الأميركي قالوا أنهم نتيجة للتعرض للدعاية المرافقة لمحاكمة إيخمان وتفاصيل تلك المحاكمة صاروا أكثر عطفاً على إسرائيل واليهود (٣٧) . وكذلك في مسح أجراه المعهد الأميركي للرأي العام ( غالب ) بين الثامن والعشرين من نيسان ( أبريل ) والأول من أيار ( مايو ) ١٩٧٨ ، سئل المحييون بالتحديد إذا كانوا قد شاهدوا كل أو أجزاء من المسلسل ذي الأجزاء الأربعة الذي أذاعته شركة الإذاعة الوطنية ( إن بي سي ) بعنوان « المحرقة » « HOLOCAUST » ، وهو البرنامج الذي يصور محنة اليهود في أوروبا إبان الاحتلال النازي في الحرب العالمية الثانية . ووفقاً لما جاء في تقرير غالب :

بين الأميركيين الواعين للحالة في الشرق الأوسط الذين شاهدوا « المحرقة » ، لوحظ أن العواطف موالية لإسرائيل إلى حد أكبر بكثير مما هي بين الذين لم يشاهدوا البرنامج . ويتوزع خاص ، بين الذين شاهدوا جزءاً واحداً على الأقل من البرنامج الخاص المؤلف من أربعة أجزاء ، يقف ٥٠ بالمائة إلى جانب إسرائيل وتسعة بالمائة إلى جانب الدول العربية . وبين الذين لم يشاهدوا أي جزء من البرنامج نجد أن الأرقام المقارنة هي ٣٩ بالمائة و ١١ بالمائة (٣٨) .

لا يترجم العطف على إسرائيل بصورة أوتوماتيكية إلى التزام أميركي بالمعونة أو التورط . والأميركيون بوجه عام متمنعون جداً عن رؤية القوات الأميركية ترسل إلى الشرق الأوسط . وفي أقصى الحالات ستوافق فئات صغيرة على مساعدة اقتصادية أو عسكرية إلى الفرقاء

الاصدقاء ، وبخاصة اسرائيل . والتفضيل الاكيد هو للبقاء خارج النزاع – الا اذا كانت المصالح الاميركية الحيوية مهددة بالخطر .

وكان مناخ الرأي العام ، وخصوصا بين الجمهور المطلع ، مواليا بصورة غالبية للاسرائيليين منذ تأسيس دولة اسرائيل في العام ١٩٤٨ (٣٩) . ولهذا السبب وبالنظر الى وجود جماعة كبيرة موالية لاسرائيل ، فان كتابة اية تقارير موضوعية ، ناهيك بان تكون موالية للفلسطينيين ، تصير مثار جدل . والنتيجة هي القاء الشك على صحة التقرير . والى ذلك ، تقدم هذه الحالة فرصة امام الموالين لاسرائيل لعرض وجهة نظرهم مرة اخرى – ووجهة النظر هذه تتلقى قبولا اكبر واسهل لأنها بالضبط مألوفة اكثر .

ان المواقف اليهودية الاميركية ( وليست الصهيونية فقط ) من العرب والنزاع العربي – الاسرائيلي والفلسطيني ، هي متميزة ومتطرفة جدا . وتنعكس هذه المواقف ، مباشرة او مداورة ، في نشاطاتهم وكتاباتهم . وكثيرة هي نتائج المشاعر اليهودية القوية حول قضايا الشرق الأوسط ، وجميعها معادية للفلسطينيين والعرب بعامة . وبين هذه النتائج : ميل الى تحاشي انتقاد اسرائيل او الصهاينة خشية توجيه الاتهام باللاسامية ، اي بالمشاعر المعادية لليهود ، وتكوين آراء ايجابية حيال اسرائيل والاسرائيليين وآراء سلبية حيال الفلسطينيين ، وتمنع عن استخدام اشخاص من خلفيات فلسطينية او عربية لاجتناب اثاره « الجدل » والاستعداد للقبول بوجهة النظر الاسرائيلية لأنها شائعة وتقدم نسبة اقل من اوجاع رأس لناصريها .

ومع هذا فالوضع ليس ميؤسا منه كليا . وفي الواقع فان الاحداث الاخيرة ، كبروز الفلسطينيين من جديد كقوة مهمة على مسرح الشرق الأوسط ، وحربي العام ١٩٦٧ والعام ١٩٧٣ ونتائجهما ، قد احدثت بعض التغييرات في آراء راسمي السياسة الاميركية والشعب . وكردة فعل لهذه الاحداث الى حد ما ، صارت الجالية العربية – الاميركية اكثر فعالية ونشاطا واكثر وعيا لاحتياجاتها وامكانياتها . وابتدأت مراكز دراسات الشرق الأوسط وبرامج الحكومة الاميركية الاتحادية تمويل وترعى برامج « امتدادية » « OUTREACH » وعيادات لمعلمي المدارس الثانوية لتفحص وتصحيح المفاهيم الخاطئة او المقولبات STEREOTYPES عن شعوب الشرق الأوسط ، بما فيها الفلسطينيون (٤٠) . وقد منحت الشركات الخاصة ومعاهد الابحاث الأموال لاجراء المزيد من الدراسات عن العالم العربي والافلام حول العرب – الاميركيين (٤١) . وحتى وسائل الاعلام حسنت الى حد ما تغطيتها لاحداث الشرق الأوسط وشعوبه ، بما فيها الفلسطينيون (٤٢) . وهذه التغييرات ليست كبيرة ولا هي كافية – الا انها ليست غير ذات أهمية كليا .

ولذا فان استنتاجنا هو ان الرأي العام حول الشرق الأوسط أخذ في التغير – ولكن ببطء بالغ . وتؤثر فيه العلاقات الاميركية مع الانظمة في المنطقة وكيف تنظر الادارة الحاكمة الى الحالة . وفيما صار الفلسطينيون عاملا مهما في الشرق الأوسط وصارت الأهمية الاستراتيجية للعالم العربي بالنسبة الى الولايات المتحدة اكثر وضوحا ، برزت الدعوة الى مقاربة اميركية اكثر « توازنا » . واذا كانت ادارة كارتر ( او اية ادارة في المستقبل ) جادة حول تسوية شاملة

للشرق الأوسط ( واية تسوية كهذه غير ممكنة دون الفلسطينيين ) ، فالحاجة تدعو انن الى القيام . بمحاولة واضحة لادخال الشعب الفلسطيني في وعي الشعب الاميركي . كما تدعو الحاجة الى الاعتراف بمركزية فلسطين والفلسطينيين بغية توليد التأييد من اجل حل مقبول وعادل .

### توصيات

العلاقات العامة لن تكسب الحرب ضد الامبريالية او الغرب او الولايات المتحدة . وفي النهاية ندرک ان المعلومات والمعركة على عقول البشر هي انوات ينبغي استخدامها كجزء من العملية الدبلوماسية - ولكنها انوات في غاية الاهمية . ولا يزال الاسرائيليون وانصارهم الذين يملكون في الواقع جميع الامتيازات في الولايات المتحدة يعملون باجتهاد اكثر من اية جماعة اخرى لعرض وجهة نظرهم وحجب وجهة نظر خصومهم . ويحتاج الفلسطينيون الى ان يعملوا باجتهاد اكبر بكثير ضد ارجحية اكبر بكثير . ولا يمكن قمر حملة معلومات عامة فعالة حقا على بضعة غربيين مختارين عند المستويات العليا من الحكومة وبوائر الاعمال والجامعات والصحافة الخ . فحتى لو تم إقناع هؤلاء إقناعا تاما بعدالة القضية العربية ، فان كلماتهم ستكون لها رنة جوفاء بالنسبة الى جمهور معظمه غير مصدق في الغرب . وسيكون لتأثيرهم حد ادنى .

(١) اذا ما تدعو اليه الحاجة هو مسح دقيق للجمهور الغربي وسيكولوجيته . ولا يكفي ان نصنف الناس اصدقاء واعداء ، ( فذلك في الواقع يؤدي الى عكس النتيجة المرجوة ) . بل يجب ان يقرر المسح كيف تقف العناصر المختلفة للجمهور الغربي حول جميع الوجوه المهمة للعالم الغربي والمسألة الفلسطينية . ثم من الضروري ان نقرر على نحو صحيح وبنيق لماذا يحمل الغربيون مثل هذه الآراء . وأنداك فقط سيكون في مقدور الفلسطينيين ان يعرفوا كيف يعملون على تغيير المواقف التي يجنون انها معادية او غير متعاطفة .

ان ما عرضناه في هذه الدراسة هو مجرد استكتش لتوضيح اية آراء حملها الجمهور الاميركي حول القضايا المختلفة المؤثرة في الفلسطينيين . ولكن حتى في هذا المسح القصير كان واضحا انه يمكن ، الى حد ما ، التلاعب في الآراء . ولذلك تدعو الحاجة الى وضع تقارير اكثر صحة ودقة ، واكل تحيزا ، عن الآراء ، ربما تقوم به منظمة استطلاع خاصة .

(٢) تنظر اقوام من ثقافات مختلفة الى المشكلات ( وحلها الممكن ) بصورة مختلفة . وبما ان الفكرة هي كسب الغربيين الى الجانب الفلسطيني ، فان على الفلسطينيين ان يحاولوا رؤية المشكلة من منظور الغرب ثم ان يعرضوا حججا مقنعة من اجل التغيير . وبكلام آخر ، اذا كان الفلسطينيون يأملون في التأثير حقا على الغرب ، فان عليهم ان يتكلموا لغته . ومن المهم جدا ان يكون مستشار للعلاقات العامة حسن الاطلاع حول الغرب متورطا بنشاط في عملية صنع القرارات على مستوى عال بغية تقديم الزاد المتعلق بالتأثير الممكن للقرارات المتوقعة على الحكومات الغربية وجماهير المستمعين اليها . وهذا ضروري كذلك في حالات يصار فيها الى اجراء مقابلات موجهة نحو الجماهير الغربية مع قادة منظمة التحرير الفلسطينية في الصحف ، او خصوصا على الراديو والتلفزيون .

(٢) يجب القبول بالادعاءات الغربية باصدق والموضوعية على انها صحيحة . فهي بالفعل صحيحة . وما ينبغي الاشارة اليه هو كيف ان تلك الآراء متحيزية ( دون ادراك ) وكيف صارت متحيزة . ولكن يجب فعل ذلك بلطف ودون اي تلميح الى ان المتعاطفين مع اسرائيل قد خدعتهم الدعاوة الموالية للصهيونية .

(٤) يجب ان يوضع التشديد على انتاج صورة ايجابية لشعب مفعم بالحياة . وتدعو الحاجة الى هذا الامر بنوع خاص في حالة الفلسطينيين . ويكلام آخر ليس الفلسطينيون مجرد اوحى في الاغلب « اعداء لاسرائيل » . ويجب تجنب الرثاء للذات . فالعالم الخارجي يجب ان يعرف الفلسطينيين كبشر .

## الحواشي

(١) للامثلة انظر :

(Syracuse University, ph.d. Dissertation, 1961); Hazel Erskine, «The Polls: Western Partisanship in the Middle East», *Public Opinion Quarterly* Vol. XXXIII, No. 4 (Winter, 1969-70), p.p. 627-40; Karen Cedzo, «The Arab Stereo Type and the Mass Media: An Emphasis on Film», Paper Delivered at the Association of Arab American University Graduates Meeting in Cleveland, Ohio, October 25-27, 1974; and the Following Articles by Michael W. Sulciman: -An Evaluation of Middle East News Coverage in Seven American Newsmagazines, July — December, 1956» (University of Wisconsin, M. A. Thesis, 1961); «American Mass Media and the June Conflict», In Ibrahim Abu-Lughd, (Ed.), *The Arab — Israeli Confrontation of June 1967; An Arab Perspective* (Evanston, ill.: Northwestern University Press, 1970), p.p. 138-154; and «National Stereotypes as Weapons in the Arab — Israeli Conflict», *Journal of Palestine Studies*, Vol., III, No. 3 (Spring 1974), p.p. 109-121.

انظر ايضا الدراسات الممتازة المختلفة الموجودة في

Baha Abu Laban and Faith T. Zeady, Eds., *Arabs In America: Myths and Realities* (Wilmette, ill: Medina University Press International, 1975).

(3) Michael W. Sulciman, *American Images*

Hadley Cantril, (Ed.), *Public Opinion, 1935- 1946* (Princeton, NJ: Princeton University Press, 1951), pp. 381-385; Hazel Gaudet Erskine, «The Polls: Religious Prejudice, Part I», *Public Opinion Quarterly*, Vol. 29, No. 3 (Fall 1965), p.p. 486-496; And Hazel Gaudet Erskine, «The Polls: Religious Prejudice, Part II: Antisemitism», *Public Opinion Quarterly*, Vol 29, No. 4 (Winter 1965-66), p.p. 649-664.

(٢) اظهرت دراسات عديدة تحزب الاميركيين حول النزاع الفلسطيني - الاسرائيلي : في عواطفهم ومواقفهم ورواياتهم وتقاريرهم الصحفية واغلامهم السينمائية ومن اجل بعض هذه الدراسات والمراجع ، انظر .

Janice Terry, «A Content Analysis of American Newspapers», In Abdccn Jabara and Jonice Terry, (Eds.), *The Arab World: From Nationalism To Revolution* (Wilmette, ill Medina University Press International, 1971), p.p. 94-113; «Domestic Communications : Aspects of The Middle East Crisis, A Special Report», (Washington, April-July, 1967); Leslie Farmer, «All We Know is What We Read In the Papers», *Middle East Newsletter* (February, 1968), p.p. 1-5; M.E. Batroukha, «The Editorial Attitudes of the *New York Times* And The *Christian Science Monitor* Toward The Arab-Israeli Dispute (January 1, 1955- June 30, 1956),

الامر . . . و ١٢٪ لم يكن لهم رأي . . .

(19) Src California, November 1964.

(20) Gallup Poll Of July 9, 1967.

قال ١٢٪ « لا اعرف »

(٢١) سئل المجيبيون فقط ما اذا كانوا يميلون الى الموافقة او عدم الموافقة على القول بأن « على اسرائيل ان تعيد الاراضي التي كسبتها من حرب ١٩٦٧ . ( ١٩٧٠ ) او ان « على الولايات المتحدة الا تضغط على اسرائيل لاعادة جميع الاراضي العربية التي حصلت عليها في حرب الشرق الاوسط العام ١٩٦٧ . ( ١٩٧٤ ) . ولم يوافق ٤٢٪ على الجملة الاولى ، ووافق ٥٦٪ على الجملة الثانية . انظر ايضا

Louis Harris, «Oil or Israel?», *New York Times Magazine*, April 6, 1975, p.p. 21-22, 34-35.

(22) *The Gallup Opinion Index* (Henceforth Referred To As *G. O. I.*) April, 1978, Report No. 153); p. 12.

(23) *Ibid.*, p. 12; *Ibid.*, July, 1978 (Report No. 156), p. 9; *Ibid.*, September, 1978 (Report No. 158), p. 3.

في اوائل ١٩٧٥ اعتبر ٢٥٪ من الشعب الاميركي ياسر عرفات الزعيم المعترف به للفلسطينيين - بعدما كانت النسبة المثوية ١٩٪ قبل ذلك بستة اشهر . انظر

Harris, *Op. Cit.*, p. 22.

(٢٤) جرى بصورة مقتضية بحث مشكلة صياغة كلمات الاسئلة وكيف تميل الاجابات حول قضايا الشرق الاوسط الى الاختلاف وفقاً لشكل السؤال في :

Scymour Martin Lipset and William Schneider, «Polls For The White House, and the Rest of U.S.», *Encounter*, Vol. XLIX, No. 5 (November, 1977), p.p. 24-34. See Also George F. Bishop *Et. Al.*, «Effects of Question Wording and Format on Political Attitude Consistency», *Public Opinion Quarterly*, Vol. 42, No. 1, (Spring 1978), p.p. 81-92.

ان تأثير المستجوب على المجيبين ، خصوصاً عندما تطرح اسئلة حساسة ، قد درس دراسة جيدة . ومن أجل مصادره تلخص نتائج الدراسات التي تظهر تحيز المستجوب انظر

Hadley Cantril, *Gauging Public Opinion* (Princeton, N.J.: Princeton University Press, 1944); Herbert H. Hyman et, al., *In Interviewing in Social Research* (Chicago, University of Chicago Press, 1975); Seymour Sudman And Norman

*of Middles East Peoples: Impact of the High School* (N. Y., Middle East Studies Association of North America, 1977), p.p. 45-46. The Results of The 1972 Study Were Reported in Michael W. Suleiman, «The Middle East in American High School Curricula: Akansas Case Study», *Middle East Studies Association Bulletin*, Vol. 8, No. 2 (May 1974); p.p. 8-19.

(4) *The Cambridge Report*, Vol. 4 (Summer 1975); p. 180.

(٥) انظر :

Cantril, *Op. Cit.*, p.p. XVI; George H. Gallup, *The Gallup Poll: Public Opinion 1935-1971*, Vol. 3 (New York, Random House, 1972), p. 2365.

(6) Cantril, *Op. Cit.*, p. 385.

(7) *Ibid.*, p. 385.

(8) The Quarter's Polls, *Public Opinion Quarterly*, Vol. 12 (Fall 1948), p. 551.

(9) Norc Poll of October 1, 1947, *Public Opinion Quarterly*, Vol. II (Winter 1947-48); p. 654.

سمى اليهود او الصهاينة ٧٥٪ ( تحت سن الحادية والعشرين ) و ٨٢٪ ( في سنة الحادية والعشرين وما فوق ) : وسمى العرب او المحمديين ٤٠٪ و ٤٥٪ على التوالي .

(10) Gallup Poll of June 26 - July 1, 1968. See George Gallup, *Op. Cit.*, p. 2149.

(11) Cantril, *Op. Cit.*, p. 387.

(12) Gallup Poll Of Decembers, 1945. *Ibid.*, p. 386.

(13) Gallup Poll of May 15, 1946, *Ibid.*, p. 386.

(14) Cantril, *Op. Cit.*, p. 383.

(15) *Ibid.*, p. 387.

(16) Norc Poll of July 1, 1948. «The Quarter's Polls», *Public Opinion Quarterly*, Vol. 12 (Fall, 1948), p. 550.

(17) Norc Poll of November, 1947. «The Quarter's Polls», *Public Opinion Quarterly*, Vol. 12 (Spring 1948); p. 160.

(18) Fortune Poll of June, 1948. «The Quarter's Polls», *Public Opinion Quarterly*, Vol. 12 (Fall 1948), p. 550.

٣١٪ ارادوا تجربة حلول اخرى . . . ٢١٪ لم يفكروا في

and Social Psychology, Vol. 41, No. 2 (April 1946), p.p. 136-44.

جرى بحث مسألة تلويث المعلومات نتيجة لتعريف الاسم لدى معالجة استطلاعات الشرق الأوسط من قبل

Suleiman, «American Images», *Op. Cit.*, p.p. 32-42.

(25) Norc Poll of May 1946, *Cantril Op. Cit.*, p. 386.

(٢٦) طرح السؤال نفسه في تموز ( يوليو ) وإيلول ( سبتمبر ) ١٩٦٧ . وفي حين أن ٧٠ بالمئة من الجمهور الأمريكي اختاروا أن يصار إلى جعل القدس « مدينة دولية » في تموز ، فإن ٢٣٪ فقط كانوا يحملون ذلك الرأي في أيلول وازداد هؤلاء الذين اختاروا السيطرة الاسرائيلية من ١٠٪ إلى ٤٢٪ في غضون شهرين . والف الذين قالوا انهم « غير متأكدين » ٢٠٪ و ٢٤٪ من العينات على التوالي .

(27) *The Harris Survey Yearbook of Public Opinion, 1970* (Henceforth Referred to as *Harris Yearbook, 1970*) (New York, Louis Harris and Associates, Inc., 1971), p. 100.

(28) Harris Poll of July 10, 1967.

(29) *Harris Yearbook, 1973, Op. Cit.*, p. 249.

رفض الجملة ٥٠٪ ( مقابل ٢٦٪ قبلوا بها ) في صيف ١٩٧٤ . رفض الجملة ٦١٪ وقبل بها ٢٣٪ . في حين كانت النسبتان المئويتان في كانون الثاني ( يناير ) ١٩٧٥ ، ٦٨٪ إلى ٢٠٪ . انظر

Harris, *Op. Cit.*, p. 34.

(٣٠) أن عدد المجيبين اليهود في عينة قومية هو عادة اصغر من ان يمكن اعتباره ممثلاً لتفكير الأميركيين اليهود . ونتيجة لذلك نادراً ما يكتب عنه . إلا أن لا شك هناك حول قوة المشاعر اليهودية الأميركية فيما يتعلق بإسرائيل . انظر

Seymour Martin Lipset and William Schneider, «Carter us. Israel: What the Polls Reveal», *Commentary*, Vol. 64, No. 5 (Nov., 1977); p.p. 21-29; and Shanto Iyengar and Michael W. Suleiman, «Trends In Public Support for Egypt and Israel, 1956-1978», (Mimeographed), 1979.

(٣١) الجدول مبني من عدة جداول في

*The Cambridge Report, Op. Cit.*, p.p. 182-194.

(32) See Iyengar and Suleiman, *Op. Cit.*, Table 3; Lipset and Schneider, «Carter us. Israel», p. 27. See also Carlo Caldarola, «Fundamentalist Christianity: Israel and the Second Coming», in

M. Bradburn, *Response Effects In Surveys* (Chicago Ill.: Aldine Publishing Company, 1974); and Eugene J. Webb, D. J. Cambell, R. D. Schwartz, L. Sechrest, *Inobtrusive Measures*, (Chicago, ill.: Rand McNally and Company, 1971).

من أجل دراسات تظهر تأثير عنصر المستجوب عندما تطرح أسئلة عنصرية انظر

K. R. Athey, J. E. Coleman, A. P. Reitman, and J. Tang, «Two Experiments Showing the Effect of the Interviewer's Racial Background on Responses To Questionnaires Concerning Racial Issues», *Journal of Applied Psychology*, Vol. 44, No. 4, (August, 1960), p.p. 244-46; E. C. Bryant, I. Gardner, Jr., and M. Goldman, «Responses on Racial Attitudes as Affected by Interviewers of Different Ethnic Groups», *Journal of Social Psychology*, Vol. 70, 1st Half, (October, 1966), p.p. 95-100; and Howard Schuman and Jean M. Converse, «The Effects of Black and White Interviewers on Black Responses In 1968», *Public Opinion Quarterly*, Vol. 35, No. 1, (Spring, 1971), p.p. 44-68.

تردد دراسات تظهر تأثيرات سن المستجوب وجنسه واعتباره في

J. S. Ehrlic and D. Riesman, «Age and Authority in the Interview», *Public Opinion Quarterly*, Vol. 25, No. 1, (Spring, 1961) p.p. 39-56.

انظر ان الطبقة الاجتماعية للمستجوب ملوثة في

Daniel Katz, «Do Interviewers Bias Poll Results?», *Public Opinion Quarterly*, Vol. 6, No. 2, (Summer, 1942) p.p. 248-68; David Riesman, «Orbits of Tolerance, Interviewers, and Elites», *Public Opinion Quarterly*, Vol. 20, No. 1, (Spring 1956), p.p. 49-73; and G. E. Lenski and J. C. Leggett, «Caste, Class, and Deference in the Research Interview», *American Journal of Sociology*, Vol. 65, No. 5, (March 1960), p.p. 463-67.

انظر تأثير دين المستجوب في

Duane Robinson and Sylvia Rohde, «Two Experiments with an Anti-Semitism Poll», *Journal of Abnormal*

Eichmann Trial», *Public Opinion Quarterly*, Vol. 28, No. 1 (Spring 1964) p.p. 91-103.

(38) *G. O. I.*, September, 1978 (Report No. 158) p. 1.

(٣٩) انظر

Erskine, *Western Partisanship in The Middle East*.

(٤٠) انظر مثلا الدراستين الصادتين عن

The Middle East Studies Association: Suleiman, *American Images*, *Op. Cit.*, and William J. Griswold, *The Image of the Middle East In Secondary School Text Books* (New York, N. Y.: Middle East Studies Association, 1975).

(٤١) شركة موبيل اويل ، مثلا . رعت نشر

John R. Hayes, Ed., *The Genius of Arab Civilization* (New York, N. Y., New York University Press, 1975),

وانتاج الشريط السينمائي المؤلف من ٤ اجزاء والذي يحمل نفس العنوان . كما انها رعت ( مع تمويل سابق من وزارة الصحة والتربية والرفاه ) انتاج الفيلم الذي يستغرق عرضه ٣٠ دقيقة بعنوان « رحلة الى الغرب » وهو فيلم وثائقي حول الاميركيين - العرب .

(٤٢) بالاضافة الى كتابات سبق ذكرها ، بما فيها كتابات سليمان . انظر

Janice Monti Belkaoui, «Images of Arabs and Israelis in the Prestige Press, 1966-74» *Journalism Quarterly*, Vol. 55, No. 4 (Winter 1978), p.p. 732-38, 799.

(٤٣) إن أهمية الاستطلاعات وتقييم الرأي العام الاميركي هي واضحة بالنسبة الى الاسرائيليين وانصارهم إذ أنهم يقيسون باستمرار عاطفة الشعب حول قضايا بارزة بالنسبة لاسرائيل والاسرائيليين . وفي الواقع جرى اخيرا الاعراب علنا عن القلق من ان الرئيس كارتر كان يعتمد اكثر من اللازم على السيد بات كاندل CADDELL ووكالته للاستطلاع في اتخاذ القرارات السياسية المتعلقة بالشرق الاوسط . انظر

Lipset and Schneider, «Polls for the White House».

Abu-Laban and Zedei, *Op. Cit.*, p.p. 171-183.

(٣٢) إلا أن الأفضل ثقافة اخذوا يعتقدون « بالنوايا الحسنة » لانور السادات اكثر مما يعتقدون « بالنوايا الحسنة » لناحيم بيغن في العام ١٩٧٨ . انظر

Seymour Martin Lipset, «The Polls on the Middle East», *Middle East Review*, Vol. 11, No. 1, (Fall, 1978), p.p. 24-30.

(٣٤) انظر

Iyengar and Suleiman, *Op. Cit.*, p.p. 15-16.

35 Suleiman, *American Images*, p. 53.

(٣٦) يقدم لويس هاريس مقالا عن الكتابة التي تظهر عاطفة موالية لاسرائيل . ممزوجة مع ملاحظات معادية للعرب ومعادية للفلسطينيين من قبل احدى مؤسسات الاستطلاع القومية . قبعد ان يلمنن هاريس الجالية اليهودية الاميركية عن التأييد الاميركي ( شعبا وقادة ) . يسعى الى التقليل من شأن التأييد الاميركي كزعيم للفلسطينيين ( ٣٥٪ ) عن طريق تشويه سمعة عرفات كـ « مقتد » واطهار الاحتقار لجميع الزعماء العرب كما في الملاحظات التالية : « ان الاسباب التي تجعل الناس يعتقدون ان عرفات يجب ان يكون له مقعد في جنيف هي ممتعة وتعكس سخوية اساسية حول السياسة العالمية . انها سخوية واسعة الانتشار الى حد صار معها من الصعب العثور على اكثر من الاميركيين المستعدين لشجب المعتدين . وينظر الى رئيس منظمة التحرير الفلسطينية على انه ليس اذنى مرتبة بكثير من العديد من الشخصيات الاخرى التي قد تخصص لها مقاعد في جنيف . والى ذلك صار الاميركيون معتادين على رؤية وزير الخارجية كسينجر يعقد جلسات مقاضات ودية مع جميع انواع الزعماء المعادين سابقا : بريجنيف . ماو ، الفيتناميين الشماليين وكل لون من ألوان الحكام العرب . فلم لا يجلس عرفات في مؤتمر جنيف ، كما يقول هذا للتفكير ، حتى ولو كانت اعمال ارباب منظمة التحرير الفلسطينية جديرة بالاحتقار ؟ » انظر

Harris, *Op. Cit.*, p.p. 22, 34.

(٣٧) قال ٦١٪ انه لم يحدث أي تغيير ، بينما صار ٧ - ٨٪ اكثر عطفًا على المانيا والمان . انظر

Irving Crespi, «Public Reaction to the

## حسني حدّاد

### الصهيونية المسيحية في أمريكا العامل الديني في سياسة أمريكا الشرق أوسطية

كثيراً ما يستغرب مراقبو السياسة الاميركية في الشرق الأوسط شدة التزام السياسة الاميركيين والرأي العام الاميركي بدعم اسرائيل معنوياً ومادياً .

وقد درج اكثرهم على القاء اللوم في ذلك ، على النفوذ الكبير الذي يمارسه اليهود على الرأي العام ، وعلى ضغط المنظمات الصهيونية على المؤسسات الحكومية الاميركية . ويضاف الى ذلك قوة اللوبي الاسرائيلي في واشنطن ، وتحيز الصحافة ووسائل الاذاعة نحو اسرائيل كتأثير أصحاب الأعمال اليهود عليها . وتلام كذلك قوة اليهود الانتخابية خاصة ، في الولايات المهمة مثل نيويورك وكاليفورنيا ، بالتأثير على آراء الشيوخ والنواب في الكونغرس ، وعلى حكام الولايات ، وعلى رئيس الجمهورية بالذات .

ولكننا نرى نقصاً في هذا التفسير لملاسات ، هذه العلاقة غير العادية بين اميركا واسرائيل . فان تقييم تأثير اللوبي الاسرائيلي وقوة اليهود الانتخابية ، وكذلك تقدير قوة النفوذ الصهيوني على الصحافة والراديو والسينما ، لا بد أن فيه شيئاً من المبالغة ، فلا يمكن لهذه التأثيرات ، مهما كانت فعاليتها ، ان توضح عمق واتساع هذا الالتزام الشديد تجاه اسرائيل على الصعيدين الرسمي والشعبي في الولايات المتحدة ، او أن تفسر لنا هذا الاستعداد التام عند الحكومة لاتخاذ قرارات سريعة جداً لمساعدة اسرائيل ودعمها عند الحاجة . حتى في المناطق التي لا وجود لقوة انتخابية يهودية فيها ، نرى النواب ورجال السياسة يتسابقون على مديح اسرائيل ، والوعود بتقديم المساعدات لها ، دون ان تكون هناك حاجة سياسة واضحة لذلك . وفي بيانات الاحزاب السياسية الاميركية نوع من التنافس على اتخاذ مقررات من شأنها ان تظهر اسرائيل وكأنها جزء من اميركا ، بينما تهمل هذه المقررات بلداناً اخرى ابناؤها يتواجدون أكثر من اليهود في اميركا .

رئيس جمهورية نيكاراغوا ، سوموزا كان يحاول في مقابلة تلفزيونية في شهر نيسان الماضي ، اقناع الرأي العام الاميركي بصداقته لبلادهم ، وفي سبيل ذلك اكد ، دون ان تكون هناك حاجة ظاهرة لذلك ، انه كان دائماً يدعم اسرائيل في اروقة الأمم المتحدة ، وهكذا فان

صداقته لإسرائيل هي عربون على ولائه للولايات المتحدة وإن الوقت والجهد الذي صرفه كسنجر ، وكارتر بعده ، في التدخل الشخصي لاجراء وانجاح مفاوضات السلام بين إسرائيل ومصر لإكبر دليل على أن إسرائيل لها منزلة خاصة عالية ، ليس في مجال السياسة الخارجية الأمريكية فقط ، بل في شعور وعواطف الشعب الأمريكي .

من يراقب مدى اهتمام الصحافة ووسائل الاذاعة باخبار إسرائيل ، وبالتحيز الواضح ، كميًا وكيفياً في ايراد الاخبار والمقالات والصور عن إسرائيل ، يرى انه لا يمكن ان يكون هذا التحيز نتيجة أو صادر من فوق . فالمسؤولون عن الصحافة والاذاعة ، كالسياسيين واصحاب الأعمال ، يتصرفون اعلامياً وسياسياً تحت تأثير ما يعرفونه من الآراء والمعتقدات الشائعة عند الزبائن - أي عامة الشعب . والايمان بأن « الزبون دائماً على حق » موجود عند التجار والسياسيين واصحاب الصحف والاذاعات في امريكا .

واننا نرى ان الحكومة الأمريكية تسعى بين الحين والآخر الى تغيير مجرى الرأي العام حيال بعض متطلبات السياسة الخارجية وهناك بعض الأمثلة : معاهدة قناة باناما ، معاهدة السالت مع الاتحاد السوفييتي ، الاعتراف بالصين ، الخ ... ولكننا نادراً ما سمعنا بمحاولة لتغيير اتجاهات الرأي العام الأمريكي حيال إسرائيل ، إلا عندما حاول الرئيس كارتر ، في السنة الأولى من رئاسته ، ان يتخذ موقفاً « جديداً » يدعمه لفكرة الوطن الفلسطيني ، ثم بقبوله بمشاركة الاتحاد السوفييتي في السعي لايجاد حل لمشاكل الشرق الأوسط . وكان ان اضطر كارتر على التراجع عن مواقفه هذه ، وراح يتطرف في سياسة معاكسة . وسبب ذلك ان الرأي العام لم يستجب له ، فقد قرن هذا الرأي العام شعوره المعادي للاتحاد السوفييتي بانحيازه نحو إسرائيل .

ولذلك نقول ان شعور الانحياز لدى الجمهور الأمريكي لإسرائيل وضد العرب هو عامل هام في توجيه السياسة الأمريكية الخارجية بشأن النزاع العربي الإسرائيلي . وهذه الدراسة تفترض ان هذه النزعة العامة هي مبدئياً نتيجة لعقيدة دينية شديدة وعميقة غير مبنية على أساس علمي ، أو على تغيير اقتصادي أو سياسي ، أو على معرفة مداخلات وملابسات السياسة الخارجية .

ستعنى هذه الدراسة بالأسس الدينية اللاهوتية - الحضارية التي بني عليها هذا الشعور المتحيز . وستتناول بالبحث هذا التحيز عند العامة ، وعند رجال الدين واللاهوتيين الذين يبحثون في موضوع إسرائيل من ناحية دينية غيبية . وسنقتصر في بحثنا هذا على اتباع المذهب البروتستنتي - الانجيلي - في شقيه : الليبرالي والمحافظ . فان المذاهب البروتستنتية في امريكا - وهي كثيرة التشعب - تمثل الاكثرية الغالبة لهذا الشعب وفيها تكمن أكثر مصادر النفوذ السياسي . أما الكاثوليك واليهود فلم تتعرض لهم هنا فقط لضيق المكان ، ولا بد من متابعة دراسة هذه الظاهرة التحيزية عندهم في مكان آخر .

لقد انتجت جذور هذه النزعة المتميزة لإسرائيل ، تأثيرات لا شعورية احياناً وشعورية احياناً اخرى نراها متغلغلة في الوعظ والجمعيات الدينية والمجلات والنشرات الكنسية والدينية ، وعند عامة اعضاء الكنائس ويتضح لنا ان هذه النزعة مع دعمها الواضح لإسرائيل

لا تجنح لحبة اليهود كأشخاص . ولكن ذلك لا يؤثر مطلقاً على الدعم الذي تلقاه هذه المؤسسات البروتستانتية من المنظمات الصهيونية في أمريكا ومن إسرائيل بالذات .

وسنتعرض في هذه الدراسة للبحث في تأثير النزعة الاسرائيلية عند البروتستانت على السياسة الامريكية وذلك بتبيان القوة العددية والمالية والدعائية الموجودة عند هؤلاء الذين اطلقنا عليهم اسم « المسيحيين الصهيونيين » . وقد وجدنا ان هذه القوة ، هي في ازدياد ، خاصة خلال السنوات التي اعقبت حربي ١٩٦٧ - ١٩٧٣ . فان التقدم البطيء نحو شيء من التفهم للقضية الفلسطينية عند بعض المفكرين بعد حرب ١٩٧٣ ، يتضاعل امام ازدياد عدد « الانجيليين » والمسيحيين الصهيونيين خلال الفترة نفسها .

### الصهيونية المسيحية في امريكا

الصلة بين دولة اسرائيل المعاصرة واسرائيل التوراة هو حجر الزاوية في صرح هذا الدعم الشديد عند المسيحيين لاسرائيل . وبما ان ذلك الوصل هو فكرة صهيونية في الأساس ، لذلك نطلق على هذا الدعم - الذي بني على الاعتقاد بالتوراة عند المسيحيين - اسم الصهيونية المسيحية .

والصهيونية عند المسيحيين لا توجد عند البروتستانت المتعصبين للحرف التوراتي Fundamentalits فقط ، بل اننا نجد ذلك في الآراء والكتابات الدينية والسياسية عند المشيخيين ، واللوثريين ، والاسقفيين والكاثوليك . ويأتي هذا الدعم الفكري للصهيونية بشكل مواعظ في الكنائس وفي التدريس في مدارس الأحد ، ونجده في المجلات الدينية ، وفي النشرات التي توزع مجاناً ، وفي اعلانات غالية الثمن في الصحف الواسعة الانتشار . ثم نجد به بصورة مكثفة في برامج خاصة على شاشة التلفزيون وفي الراديو - وازداد عدد هذه البرامج سنوياً ، وهي تدعو إلى مساعدة اسرائيل ودعمها معنوياً واقتصادياً ، احياناً بالتلميح والايحاء ، وأحياناً بصراحة ووضوح - « لا بداء الحب لليهود ولدولة اسرائيل » . أما البرامج السياحية التي يفهم بها أعضاء الكنائس لاسرائيل فهي أكثر من ان تحصى . وتتباين مظاهر هذا الدعم لاسرائيل من دعوة واضحة لحب اسرائيل وكره العرب ، ( خاصة لصادقتهم للاتحاد السوفياتي ) إلى دراسات مثقفة لاهوتية تعنى بتفسير المغزى الديني لعودة شعب الله المختار إلى الأرض الموعودة ، ولاهمية تلك العودة للبرهان على صدق التوراة ، وعلى اكتمال الزمان وعودة المسيح » .

ومع أننا نرى بعض الاعتدال « المسيحي » في آراء بعض المفكرين البروتستانت والكاثوليك بما يتعلق باسرائيل ، وبابداء الشفقة على اللاجئين الفلسطينيين ، ولكن النزعة التوراتية في تفسير عودة اسرائيل كتتممة للوعد الالهي ولتكملة التاريخ تتغلب على ذلك عند أكثرهم الأسس اللاهوتية للصهيونية المسيحية

إن مراجعة سريعة لنماذج من التفكير التوراتي واللاهوتي عند المسيحيين الصهيونيين في مجال الفلسفة الدينية أو في مجال الايمان بالنبؤات وتطبيقها على الأحداث الجارية ، تكفي للدلالة على مدى تغلغل هذه النزعة الصهيونية ضمن الكنيسة المسيحية في أمريكا .

ونبدأ بنبذة من تفكير لاهوتي معتدل عن مقام إسرائيل في الخطة التاريخية الالهية ، وعن اهمية ذلك في تسيير سياسة الدولة الاميركية تجاه الدولة اليهودية . يقول العالم اللاهوتي اللوثري ريتشارد نويهاوس في كتابه « الايمان المسيحي وسياسة الدولة » ما يلي :<sup>(١)</sup>

«إن الولايات المتحدة لديها مسؤولية فريدة نحو إسرائيل . فالكنائس عليها أن تحتج على بعض اعمال إسرائيل السياسية ، وأن تشجب بعض التصرفات غير العادلة التي صاحبت اقامة دولة إسرائيل ، وأن تعترف بالظلم الذي لحق بالفلسطينيين وغيرهم ممن اسيء معاملتهم ظلما من قبل إسرائيل والعرب على السواء »

وهكذا أراح المؤلف ضميره المسيحي في اطار هذه العبارة القصيرة بالاعتراف بالظلم اللاحق بالفلسطينيين ، ولكنه ينتقل سريعا إلى قلب الموضوع فيقول :

« ولكن يجب ألا تخامرنا الشكوك في حق إسرائيل التام بالحياة ، وبقوة ودوام التزام الولايات المتحدة بدعم هذا الحق . ونأمل أن تتزايد ضماناتنا لبقاء ورخاء إسرائيل ، وأن تشترك معنا بذلك دول اخرى . ولكن اذا اقتضى الأمر ، فعلينا أن نقف وحدنا الى جانب إسرائيل » . هذا التصريح المعبر عنه بصيغة نهائية غير قابلة للشك - لا بد أنه يستند الى تفكير ديني - لاهوتي . فتشكيل الفكرة الصهيونية ضمن نطاق لاهوتي توراتي هو ما يعطيها الصيغة الايمانية التي تتمكن من تخطي القضايا الانسانية ، كالعدل والظلم ، بنظرة عابرة سطحية ، ولا تقبل بالتركيز الا على المسائل الالهية .

يتابع المؤلف القول :

« إن هذا التفكير بشأن إسرائيل يقوم على العلاقة المتينة بين الكنيسة المسيحية والدين اليهودي الحي . وهذه العلاقة ستبقى سرا لاهوتيا ، كما كانت خلال تاريخ حافل بالمآسي . ضمن هذه الصلة الوثيقة نجد حكم الله واضحا بدءا من بيت الايمان ( في سلالة ابراهيم ) » .

وهكذا فان دعم إسرائيل من قبل اميركا يتقدم على مسائل حقوق الانسان والاعتبارات السياسية والاجتماعية والاقتصادية في الحياة العادية . بعد أن وضع الأسس اللاهوتية ( السرية ) للمسيحية الصهيونية ، ينتقل المؤلف إلى حديث عقدة الذنب عند المسيحيين - التي هي من مقومات العمل الصهيوني .

« إن الكنائس اللوثرية مطلوب منها أن تعالج معالجة خاصة موضوع هذا الحكم الالهي ، لمسؤولياتها في المحرقة الاوربية ( تحت الحكم النازي ) » .

هنا يجمع المؤلف بين عقديتي ذنب، تتعلق الأولى بمسيحيته والثانية بكونه المانيا .

ولا بد أن يعتمد البحث في مركز إسرائيل الديني على الاعتقاد بأن إسرائيل لها علاقة عضوية لا تقبل الشك باليهود أينما وجدوا وبالدين اليهودي ، وعلى ان إسرائيل واليهود يشكلان كيانا متواصلا خلال اكثر من ألفي سنة عبر التاريخ . ولا يشك المؤلف بذلك اطلاقا ، إذ يقول

« من الضروري أن ندرك الفارق بين إسرائيل والدين اليهودي ، ولكن علينا أن نعترف بناستحالة الفصل بينهما . الكثير من المسيحيين واليهود يعتقدون أن بقاء الدين اليهودي حيا قد

يتعلق مباشرة ببقاء دولة اسرائيل . وقد يحتج بعض المسيحيين على هذا الربط بين الاثنين ، ولكننا لا نتمكن من المجازفة باحتمال عدم صحة هذه النظرية .

اهتمام نويمان البالغ ببقاء اسرائيل وبقاء الدين اليهودي حياً يأتي من معتقد مسيحي واسع الانتشار ويقول بأن اليهود ، وهم شعب الله المختار ، لهم نور مركزي اساسي في خطة الله التاريخية سيبقى الى أن تتم الازمنة ويأتي المسيح .

ومع أن نويمان ينتمي الى كنيسة غير محافظة وحرفية Furdamentalit فاننا نجد في قوله هذا ، حضوراً للفلسفة الاخروية ( وسنعود الى هذه الفلسفة فيما بعد ) مع انه يبدي بعض الشك في مدى صحة هذه الاعتبارات ، إلا أنه لا يريد المجازفة ، فيلتزم بها .

ولكننا نجد لاهوتيين كثيرين آخرين ، ممن يمكن تسميتهم بليبراليين ( أي انهم لا يعتقدون بعصمة وحرفية التوراة ) لا يخامرهم الشك ، ولو قليلاً ، بصفة اسرائيل التوراتية الدينية . من أهم اللاهوتيين المسيحيين الامريكيين في فترة الحرب العالمية الثانية وما بعدها مباشرة ( أي خلال اشتداد الصراع للاستيلاء على فلسطين من قبل الصهيونيين ) راينهولد نيبور ، وقد اهتم في بداية نشاطه الفكري بالتحليل الاجتماعي ، ويظهر انه تأثر كثيراً بماركس . ولكنه انتقل بعد ذلك الى تفكير اكثر لاهوتية تحت تأثير كتابات كسيركفار ومارتن بوير ثم التزم بالمنظور التوراتي ، أي ان مفهومه عن تناقضات أسرار وجود الانسان التاريخي تتمركز على مقولات توراتية أسطورية<sup>(٢)</sup> ونجد في تفكيره عن الصهيونية واسرائيل عاملاً آخر قد يكون عقدة الذنب المسيحية – الالمانية مما قاده الى الانتقال من التفكير الصهيوني الى النشاط الصهيوني .

فالتفكير الصهيوني المسيحي عند نيبور ( كما هو في الواقع عند الصهيونية العالمية ) يقف على أسس توراتية . ففي مقال كتبه لمجلة Nation ، خلال الحرب العالمية الثانية<sup>(٣)</sup> دافع بشدة عن حق اليهود في الاستيطان في فلسطين ، لكون هذا الحق هو حق جماعي . ويهاجم المفكرين الليبراليين العصريين « لأن لديهم افتراضات وتوهمات فردية وكونية » تمنعهم من تفهم « مقتضيات الحياة الجماعية عند الانسان » .

وهكذا فإن « نزعة الحياة الجماعية » عند اليهود هي أساساً حق تاريخي واضح . وإذا لم يكن ذلك فالحاصل هو انقراض جماعي . فالارادة الجماعية عند اليهود ، تفترض تعبيراً جغرافياً ، أي مواطناً يهودياً . ومع أن نيبور يوبخ الصهيونيين لبعض ما اقترفوه من أعمال العنف ، إلا أنه لا يرى في ذلك مبرراً حتى للشك البسيط في حقهم في الأرض الفلسطينية<sup>(٤)</sup> . أما الحق الجماعي للفلسطينيين فلم يكن وارداً في البحث ، وربما كان السبب في ذلك توراتياً أيضاً – إذ أن الفلسطينيين – وهم كنعانيو التوراة – قد كتبت عليهم الهجرة .

في مثل هذا التفكير تخل واضح عن تعاليم المسيح التي تدعو إلى العدل ومحبة الفرد الانساني ، وفيه انكار للمثل الموجودة في العهد الجديد والرجوع إلى فلسفة العهد القديم التي تؤكد على اخضاع كل القيم الانسانية لامتيازات خاصة بهيئة جماعية قبلية عنصرية معينة .

### نشاطات المسيحيين الصهيونيين

في عام ١٩٤٢ نشطت الهيئات الصهيونية في اميركا في تعبئة قوى بعض رجال الدين المسيحيين لخدمة هدفهم الأكبر وذلك بعد مقررات بلمتور في العام نفسه - وهو اقامة الدولة اليهودية في فلسطين . وقد وجدوا الكثيرين من رجال الدين مستعدين لتقديم خدمات في ذلك السبيل ، ومنهم لاهوتيون لهم سمعتهم الفكرية . راينهولد نيبور ، ومعهم آخرون ، وأسسوا جمعية لهذه الغاية : المجمع المسيحي لفلسطين .

وكان هدف المجمع ، تركيز نظار الهيئات الدينية المسيحية في اميركا على دور فلسطين الحيوي كملجأ وحيد لانقاذ اليهود المشردين . وضم هذا المجمع ، بالإضافة الى نيبور رجال دين وعلم مشهورين مثل جون هولمز<sup>(٥)</sup> بول تلك ، اللاهوتي المعروف ، ودانيال بولنغ محرر مجلة الكريستشان هرلد ، ووليم البرايت عالم الآثار المشهور<sup>(٦)</sup>

ولد المجمع المسيحي لفلسطين في اجتماع ضم سبعين من رجال الدين البروتستانت في لجنة دعيت باسم «لجنة قادة الفكر المسيحيين، القسس والرعايا، لتسهيل هجرة اليهود الى فلسطين». ويعد عامين من تأسيس المجمع وصل عدد اعضائه الى ١٢٠٠ ، أكثرهم من القسس البروتستانت ، وذلك بعد تلقي دعم مالي كبير من الهيئات الصهيونية في اميركا .

كارل فوس ، أمين عام المجمع ، حدد مسؤولياته بأنها « طلب المعونة من رجال الدين في كنائسهم لتهيئة وتأهيل رعاياهم للعمل على انجاح هذه القضايا [الصهيونية] المتعلقة بفلسطين » ثم عدد أربعة أهداف لأعضاء المجمع هي أولاً : قبول مبدأ كون القضية اليهودية هي قضية مسيحية ، ثانياً : شرعية وعد بلفور ، ثالثاً : معارضة الكتاب الأبيض البريطاني (١٩٣٩) ، ورابعاً : البحث في تنمية فلسطين بما يفيد اليهود والعرب فيها<sup>(٧)</sup> .

إن هذه القضايا المدنية والسياسية في أساسها ، تصبح قضايا مهمة لرجال الدين وللكنائس لسبب مبديهي ، هو علاقة فلسطين والأحداث التي تجري فيها بالتوراة . وهذه العلاقة المتينة بين الصهيونية والمسيحية المائلة للصهيونية تتأتى عن الأسس الثابتة للصهيونية في التوراة<sup>(٨)</sup> .

ولذلك فإن المسألة اليهودية ( وهي انذاك تأسيس دولة يهودية في فلسطين ) أصبحت بالتالي مسألة مسيحية . أما بعد تأسيس اسرائيل فقد تقدم هذا التحالف الصهيوني - المسيحي خطوة اخرى . فقد أصبحت دولة اسرائيل مسؤولة مسيحية لانها ، حسب تفسيرهم هي تتمة للوعد التوراتي<sup>(٩)</sup> .

وفي سنة ١٩٤٦ ، اندمج المجمع المسيحي لفلسطين مع مؤسسة مسيحية اخرى تخضع للصهيونية ، وهي اللجنة الاميركية لفلسطين ، وهذه الأخيرة كانت قد تأسست في سنة ١٩٣٢ ك لجنة مدنية لدعم الأهداف الصهيونية . ودعيت المؤسسة الجديدة الموحدة باسم اللجنة الاميركية المسيحية لفلسطين وكان عدد اعضائها عند الدمج أكثر من ثلاثة آلاف رجل دين ، أكثرهم من البروتستانت ، ولها أكثر من مئة فرع في انحاء الولايات المتحدة . أما مجموع الاعضاء في هذه المؤسسة فقد وصل الى أكثر من ١٥ الف شخص من اصحاب النفوذ .

في عام ١٩٤٣ - ٤٥ تسلمت هاتان الجمعيتان من/ المجمع الاميركي الصهيوني American Zioint Emergency conceil معونة مالية قدرها ٧٢ ألف دولار سنوياً . وفي عام ١٩٤٧ - ٤٨ ، بلغت هذه المعونة ١٥٠ ألف دولار . وقد ناشد المجمع الصهيوني فروعه المحلية بتقديم مزيد من المعونات المعنوية والمالية لهاتين المؤسستين المسيحيتين. ورداً على التهم التي وردت من بعض الجهات ضد مثل هذا الربط المادي بين المؤسسة المسيحية والصهيونية الاميركية ، قال مدير الجمعية بصراحة ، « إننا لا نتمكن أبداً من ايجاد الدعم الكافي بين المسيحيين لاهداف ومشاريع الجمعيات الصهيونية بدون هذه المعونة المالية ... ان المسيحيين الذين يهتمون بالمشاكل الاجتماعية ، لا بد ان يشاركوا بالشعور العميق بالذنب للمصائب والويلات التي الحقت بالشعب اليهودي . وقد حان الوقت ، للقيام بشيء لمعالجة الداء الأخلاقي المتأصل في جسم ما يدعى بالحضارة المسيحية » (١٠) .

قبل تأسيس الدولة اليهودية ، لا بد أن بعض المؤيدين للصهيونية بين المسيحيين في اميركا لم يدركوا أنذاك تماماً عظم المحنة التي كان يلاقيها الشعب الفلسطيني . والبعض الآخر كان قد تأثر تأثراً شديداً بعقدة الذنب امام ما لاقاه اليهود من النازيين في المانيا ، فلم يبق عندهم متسع للشعور بالذنب نحو الفلسطينيين .

ولكن المثقفين ، كنيبور ، كانوا على شيء من المعرفة بالظلم اللاحق بعرب فلسطين . ولكنه تمكن من ايجاد مبررات ، وحاول سد هذه الثغرة الاخلاقية ، باقتراح مشاريع لتخفيف العبء . وجد أن على اميركا ان تساعد على توطين اللاجئين الفلسطينيين في الدول العربية المجاورة ، وبالإضافة إلى ذلك ، عليها أن تساعد في قيام اتحاد او وحدة عربية « للتعويض عن فقدان فلسطين » (١١) .

وهناك تبرير أخر لهذا التفاوت الاخلاقي جاءنا في خطاب القاه رالف هارلو - استاذ الدين في كلية سمث - في الاجتماع التأسيسي للجنة المسيحية الاميركية لفلسطين ، قال فيه : « إن اعطاء فلسطين للصهيونيين لهو اقل ظلماً من أي حل أخر للمسألة الفلسطينية ، لأن الدول العربية المجاورة لفلسطين تتلطف على التزايد السكاني » .

ولكننا نرى ان الصهيونيين استغلوا في ذلك الوقت ، وفي الدرجة الاولى ، هذا الشعور الكبير بالذنب عند المسيحيين ، ولا يقابل ذلك شعور مماثل نحو المسلمين أو نحو العرب ، أو الفلسطينيين .

قال رئيس اللجنة المذكورة في مقال في مجلة المسيحية والمعضلات في عام ١٩٤٣ ، ان « ايجاد ملجأ للملايين من اليهود المشردين » في فلسطين لا يعني ان في ذلك دعماً « للقومية اليهودية » بل هو بالحري ، « الجواب القاطع على معضلة مسيحية » هي معضلة اللاسامية . وتابع بقول ان « موقفنا هذا لا يعني اننا صهاينة - بروتستانت بل هو حل لمشكلة ، ليست يهودية بالاساس ، بل مسيحية » (١٢) .

في هذه الفقرات نجد المبدأ الاساسي للصهيونية المسيحية . وفي تفكير الصهيونيين البرونستانتين بعض التناقض فيما يتعلق بالقضية الفلسطينية - هل هي مركز اهتمام يهودي

اولا ام مسيحي . فهناك من ركزوا على احتياجات اليهود وهناك من غالوا في شعورهم بالذنب - ولكن في الحالتين لم يحظ الفلسطينيون بأي اهتمام من أية جهة ، ولم يرد نكر الاسلام اطلاقاً ضمن نطاق هذا التحالف اليهودي - المسيحي الذي يتجاوب مع ما يسمى بالحضارة اليهودية - المسيحية (Judaeo- Christian) .

### المسيحيون الصهيونيون والدولة اليهودية

بعد صدور قرار بليمور سنة ١٩٤٢ ثم قرار المؤتمر الاميركي اليهودي عام ١٩٤٢ بالمطالبة بالدولة اليهودية كهدف واحد للصهيونية ، انتقل المجمع المسيحي لفلسطين (CCP) واللجنة الاميركية لفلسطين (A PC) من المطالبة بمعونة اللاجئين اليهود وتوطينهم في فلسطين الى دعم الدولة اليهودية . وكان المؤتمر الوطني المسيحي المنعقد في مدينة واشنطن عام ١٩٤٦ ، قد عمل لتوحيد هاتين المؤسستين في جمعية واحدة - تجاوباً مع هذه السياسة الجديدة - دعيت باسم اللجنة الاميركية المسيحية لفلسطين (ACPC) - وقد جرى نكرها سابقاً . وقام المؤتمر المذكور بجهود كبيرة للضغط على اعضاء الكونغرس الاميركي الذين كانوا يبحثون في قضايا الشرق الأوسط آنذاك ، وذلك لتدعيم اهداف الصهيونية ومطالبها .

ولكن بالرغم من التحول السياسي فان هذه اللجنة التي خدمت أهداف الصهيونية العالمية بامانة قبل تأسيس دولة اسرائيل عام ١٩٤٨ ، بدأت تفقد أهميتها نظراً لتغير التشديد في الحركة الصهيونية من اهتمام انساني الى نشر فكرة اسرائيل كحقيقة سياسية . ثم أن فترة ما بعد الحرب العالمية الثانية في أميركا أدت للحرب الباردة ، والهستيريا المكارثية المعادية للشيوعية . وفي هذه الفترة تحمس الواعظون ، خاصة « الحرفيون » منهم في التشديد بالشيوعية وخطارها من على منابر الكنائس . وبينما كانت اسرائيل في فترة أمان نسبي بعد انتصارها في حرب الـ ٤٨ ، كان « جنود المسيح » يدافعون بشدة عن « اسرائيل الجديدة في العالم الجديد » ضد الخطر الزاحف من ياجوج وماجوج .

وأخيراً ، في عام ١٩٥٠ ، انكشف امر اللجنة المسيحية لفلسطين في كونها واجبة للحركة الصهيونية وانقضى امرها ، بعد أن أمضت وقتاً طويلاً في محاولة اقناع اعضاء الكنائس بحق اسرائيل المعنوي والتوراتي في أرض فلسطين . ولم يتوقف نشاط الصهيونيين بين الكنائس المسيحية بعد انفراط عقد الجمعية ، فلا تزال هناك جبهات كنسية عديدة تعمل لدعم معنوياً ومادياً ودينيّاً . ويظهر لنا ان أكثر هذا الدعم المسيحي للصهيونية يأتي عن اقتناع مسيحي وليس بضغط صهيوني . هذا الاقتناع المسيحي يأتي بالدرجة الأولى عن اعتناق الكثيرين من المسيحيين البروتستانت ( وغير البروتستانت أيضاً ) فلسفة الحرفية التوراتية ، وتطبيق النصوص التوراتية على احداث التاريخ .

هذه النزعة التوراتية التي انتشرت انتشاراً واسعاً خاصة في بريطانيا واميركا تتميز ، بنظرنا من ناحية قوتها وعمقها ، على عقدة الذنب تجاه اليهود ، وعلى المبدأ الاخلاقي المسيحي ، العدالة المسيحية . وقد تمكن الصهيونيون من استغلال عقدة الذنب عند المسيحية وخاصة اثناء الاضطهاد النازي وفي فترة ما بعد الحرب مباشرة . أما بعد تأسيس اسرائيل ، ووجود معضلة اللاجئين الفلسطينيين ، فقد حول الصهيونيون ، ومن لف لفهم من الصهيونيين

المسيحيين ، جهودهم من استغلال عقدة الذنب كدافع لدعم اسرائيل ، الى الاستغلال التوراتي ، أي في التأكيد على الاختيار الالهي لاسرائيل ، ومكان اسرائيل الجذري في سياق التاريخ التوراتي . وهذه النظرية التوراتية هي أساس مذهب الانجيليين الاميركيين .

في انهمالك الاميركيين بالحرب الباردة ، وبسلامة اسرائيل كدولة مضمونة ، ظهر أن نشاط المسيحيين الصهيونيين قد خف . ولكن الهجوم الثلاثي على مصر سنة ١٩٥٦ أثار الاهتمام من جديد ، ووضع الصهيونيين موضع الدفاع عن هجوم اسرائيل على مصر . وكان أساس هذا الدفاع يقوم على أن مصر وناصر بالذات ، في حلف مع السوفيات ، وان اسرائيل تدافع عن وجودها ضد العرب والروس المتحالفين ، ولذلك تقف في وجه التوسع الشيوعي في الشرق الأوسط .

وهنا نرى ان نيبور قد عاد الى نشاطه في حمل راية اسرائيل . ومع انه لم يوافق مبدئياً على الهجوم على مصر من قبل الدول الثلاث ، الا انه كان غاضباً حسب قوله على « جمود اميركا الأخلاقي » ويرر موقف الدول الثلاث بكونها قد فقدت ثققتها « بمقدرة اميركا او بميلها الى الدفاع عن حقوقهم ضد تهديد الديكتاتور المصري لهم بدعم من روسيا » وأضاف انه من ضعف الايمان ان تقوم اميركا بمساعدة العرب على حساب اسرائيل لأن « الشيوعيين قد استولوا على قلب ناصر بواسطة تقديم الأسلحة الحديثة اليه »<sup>(١٤)</sup> ومع انه لم يقل ذلك علناً ، إلا ان نيبور كان توراتياً في ربطه التحالف الروسي العربي بالعمل الشيطاني الموجه ضد اسرائيل - فقد ذكر المعتقدون بالنبؤات التوراتية مراراً أن هذا التحالف لا بد أنه واقع .  
هرمجدون تقترب

كان عام ١٩٦٧ نقطة تحول في نشاط المسيحيين الصهيونيين في اميركا فالهوس بالخطر الشيوعي الذي كان سائداً في الخمسينات من توسع الشيوعية العالمية خفت حدته في الستينات . وبدت حرب الأيام الستة ، وكأنها حادثة اسطورية بين قوى الشر وقوى الخير . والنزعة الالفية عند البروتستانت المتحفظين ( وبعض الكاثوليك أيضاً ) وجدت حدثاً مهماً في تلك الحرب ، التي ظهرت وكأنها معركة على طريق هرمجدون ، المعركة في نهاية العالم . وفي البداية ، اهتم أكثر الصهيونيين وانصارهم بسلامة اسرائيل ، لأن ابواق الدعاية الصهيونية صورت الحرب وكأنها دفاع اسرائيل الصغيرة عن حياتها ضد التجمع العربي . وهذا الخطر الموهوم على وجود اسرائيل ، اصبح عند هؤلاء « الالفين التوراتيين » تأكيداً على صحة معتقدتهم بتهديد اسرائيل بالزوال ، كان تهديداً لصحة التوراة لديهم ، ويضع وجود الله ذاته على المحك .

بعض المنظمات والمؤسسات المسيحية ، مثل المجلس الوطني للكنايس (NCC) والمؤتمر الوطني للأساقفة الكاثوليك ، بدت وكأنها تقف على الحياد . ولكن أصوات كثيرة ، خارج النطاق الانجيلي ( أي من البروتستانت الليبراليين ) ارتفعت عند ذلك بدعم اسرائيل وبالتنديد « بالمسيحيين الصادقين » أي الذين لم يلتزموا بالتحزب لصالح اسرائيل .

ويمثل هذا الفريق احد تلامذة نيبور ، وهو روي ايكارت الذي يعد من اقوى اصوات المسيحيين الصهيونيين في فترة حرب الأيام الستة . وايكارت هو محرر « مجلة الاكاديمية الاميركية للأديان » ، وأستاذ علوم الدين في جامعة ليهاي . وقد هاجم بشدة ما دعاه بصمت

الكنائس خلال محنة اسرائيل ومحاوله العرب اباده اليهود متهماً المسيحيين الذين لم يقفوا علناً الى جانب اسرائيل « بأخلاقية ضبابية » وأعلن ان « العرب مخطئون في محاولتهم افناء الدولة اليهودية . هذه السياسة ليست مجرد خطأ جزئي يمكن مقاومته جزئياً ، بل انها مخطئة كلياً ولذلك فمن الواجب محاربتها بدون هوادة » (١٥) .

وأكد بالتالي أن صمت البروتستانت والكاثوليك « عند محاولة النازيين افناء اليهود » قد تجدد في حزيران ١٩٦٧ (١٦) .

وهذا الاتهام الصارخ للمسيحيين الذين لم يعلنوا انضمامهم الى جبهة اسرائيل ، تحول ، عند السيد ايكارت ، كما تحول عند الصهيونيين ، الى اتهام شامل للكنيسة المسيحية ، إذ قال ان « اللاسامية عند المسيحيين » مردها الى « داء اصاب المسيحية ، هو قلة احساس جماعي ، مرده الى قرون عديدة من تعاليم الكنيسة في كره اليهود » (١٧) .

ومع ذلك ، فان رجال الدين الذي اتهموا بالصمت خلال ازمة ١٩٦٧ ، لم يكونوا بالواقع اعداء لاسرائيل . وهؤلاء الذين نددوا بالتوسع الاسرائيلي ، وبالمعاملة القاسية للفلسطينيين لم يترددوا أبداً في التأكيد على وجوب ابقاء اسرائيل ، وعلى حق اسرائيل في فلسطين ، وكل ما في الأمر ان موقفهم كان متأثراً بالظلم الذي لحق بالعرب من جراء هذه الحرب . ولكن غضب ايكارت ، ومحاوله استاذة نييور بتبرير الهجوم الاسرائيلي بقوله ان « دولة مهددة بالاختناق لا بد ان تستعمل قبضات يدها » (١٨) . لا يمكن تفسيره إلا برده الى « التزام ايماني » باسرائيل يتطلب اخلاصاً تاماً . ولا يمكن بالتالي التساؤل عن صحة هذه « الحقيقة الكاملة » ، فان هذا التساؤل يدخل في باب الكفر ، ولا يخضع للشكوك الفكرية . ان هذا الالتزام الايماني ، هو الذي يفسر ، في القاموس الاميركي الديني - السياسي ، الى ما يدعى الالتزام الاخلاقي الى جانب اسرائيل .

يتركز العهد القديم حول فكرة اسرائيل : اسرائيل الدولة واسرائيل الشعب ، ويدور حول مركزية اسرائيل في التاريخ الالهي . والعهد الجديد ، خاصة رسائل بولس الرسول ، تزودنا ببعض النصوص التي تؤكد على اختيار الله لاسرائيل - الدولة والشعب - ولكنه يضيف أن هذا الاختيار بعد مجيء المسيح ، قد توسع لكي يضم الأمم . يقول بولس في اصول رسائله ان اسرائيل هي كشجرة الزيتون الاصلية ، وان الأمم ( أي غير اليهود ) الذين قبلوا المسيح هم اغصان طعمت على الشجرة الاصلية . ( رومية ١١ : ٢٤ ) . وعلى ذلك فان المسيحيين ، لا بد لهم ان يعالجوا قضية اسرائيل لأن تلك القضية تدخل في صلب ايمانهم . واذا حاول المسيحي رفض الاعتراف بأهمية اسرائيل ، فعليه عند ذلك ان يقوم بجهد لاهوتي كبير لكي يؤيد هذا الرفض . ومن ناحية اخرى ، فان القبول بأهمية اسرائيل ، هو تأكيد لصحة وحرفية نصوص التوراة . وعلى كل حال فان اسرائيل مركز اهتمام كبير عند المسيحيين الاميركيين ( وغير الاميركيين ) ويفوق هذا الاهتمام أي اهتمام أخر لنوع اخرى . ولا بد لنا من القول أن هذه العقيدة المسيحية اصبحت واقعا عندما قرر الصهاينة إطلاق اسم « اسرائيل » على دولتهم .

وهكذا فان وجود اسرائيل الحديثة يطرح سؤالاً مسيحياً ويتطلب كذلك موقفاً مسيحياً . فان المجمع العالمي الثاني للكنائس المسيحية ، الذي انعقد في افانستون سنة ١٩٥٤ ، صرف

وقتاً طويلاً وجهداً كبيراً في بحث مسألة الدولة اليهودية وعلاقتها بالكنيسة . وقد تواجد في المؤتمر عدد من المسيحيين العرب وغيرهم من بلدان آسيا وأفريقيا ، الذين عارضوا بشدة ان يصدر المؤتمر قراراً بشأن اسرائيل . وهكذا فان المؤتمر قرر لذلك ان يبقى صامتاً صامتاً رسمياً . أما القرارات التي قدمت بهذا الشأن فهي تبين بوضوح مدى استعداد بعض رجال الدين المسيحيين لتبني قضية اسرائيل باعتبارها قضيتهم . وقدمت اللجنة التي كانت تبحث في علاقة الكنيسة باليهود تقريراً للمجمع يقول : (١٩) « إن الرجاء المسيحي ( بالمجيء الثاني ) لا يمكن بحثه عبر فصله عن رجاء اسرائيل ، الذي نراه بوضوح فقط في كتب العهد القديم ، بل في ما نراه من عون الهي دائم للشعب اليهودي ، فان بقاء الكنيس لليهودي ، وبقاء الشاهد اليهودي لاله ابراهيم بعد الفين من السنين على تواجد الكنيسة المسيحية لأمر يتحدى الكنيسة لجابته . فالكنيسة لا تتمكن من الراحة قبل ان يقبل شعب الله المختار المسيح كملك » .

وبما أن المؤتمر قرر أن لا يصدر بلاغاً رسمياً ، فقد قامت مجموعة من الأساقفة باصدار بلاغ الاقلية : يقول : (٢٠) « إننا نؤمن ان الله اختار اسرائيل لكي يتابع خلاصه للبشرية ... ومهما كان موقفنا ، فلا نتمكن من نكران اننا اغصان قد تطعمت على الشجرة القيمة التي هي اسرائيل ولذلك فان شعب العهد الجديد لا يمكن ان ينفصل عن شعب العهد القديم ... إن انتظارنا مجيء المسيح الثاني ، يعني املنا القريب في اعتناق الشعب اليهودي للمسيحية ، وفي محبتنا الكاملة لهذا الشعب المختار من الله .

في هذا البلاغ نجد الأساس اللاهوتي التوراتي الذي يبني عليه المسيحيون المحافظون في امريكا ايمانهم بعلاقة اسرائيل بالكنيسة : هو هذا الربط بين العهد الجديد والعهد القديم ، وأهمية وجود اسرائيل كسابقة لريح اليهود في كنيسة المسيح ، كل ذلك لكي يمهد الطريق لمجيء المسيح الثاني .

### سياسة الاخريات

بعض اللاهوتيين ، والمفكرين المسيحيين ، وبعض المجالات الدينية مثل Christion Century يخاطبون المثقفين المسيحيين . وفي معالجتهم للقضية الفلسطينية نجد اختلافاً في الاراء، في النظر الى الامر من زوايا مختلفة. اما الدعم لاسرائيل الذي نجده عند المسيحيين المحافظين ، الذي يعتقدون بالرؤيا والنبؤات .والذين يؤمنون بالألفية ، وغيرهم ممن ينتمون الى طوائف متعددة ( نسميهم عامة بالانجيليين ) ان هذا الدعم شامل ودغمائي . الدغمائية فيه تعتمد على ايمان بأن نصوص التوراة بما فيها العهد القديم ، تحتوي على كل الحقيقة بما يتعلق بهذه المشكلة ، وبكل المشاكل الأخرى .

وكما نجد أن بعض المتزمتين المسيحيين في امريكا يرفضون قطعاً نظرية التطور الدرايدنية ويجاهدون في سبيل منعها من الظهور في الكتب المدرسية ، كذلك نجدهم يؤكدون على دغمائية صحة وعد الله لاسرائيل في التوراة . ونقطة الوصل هنا هي في اقناعهم ان دولة اسرائيل الحديثة هي امتداد أو إعادة لاسرائيل التوراتية . فمع هذا الاقتناع بتلك الصلة لا يبقى عائق في سبيل اعتناقهم مبدأ المسيحية الصهيونية . هذه المسيحية الصهيونية لها قانون ايمانها . وهو يتلخص بالنقاط التالية .

**أولاً :** كل مسيحي مخلص يجب ان يؤمن بمجيء المسيح الثاني ، وينتظر ذلك المجيء بأمل ان يحصل قبل وفاته .

**ثانياً :** ان تأسيس دولة اسرائيل هو اشارة الهية وآية تشير الى ان المجيء الثاني سيحصل قريباً ، فكل الاشارات تؤيد ذلك وترجع إلى نصوص توراتية في العهدين القديم والجديد .

**ثالثاً :** وبناء على ذلك فان كل عون اقتصادي ، أو معنوي ، أو حربي لاسرائيل هو في سبيل الخير ، لأن ذلك يؤيد ويسرع في قدوم المسيح .

**رابعاً :** وبالتالي فان كل من هو ضد اسرائيل فهو ضد المسيحية وضد الله بالذات .

هذه الفرضيات الأساسية للصهيونية المترسخة في النظرة الانجيلية الحرفية ، نراها واضحة عياناً في اعلان نشرته الجرائد الاميركية في طول البلاد وعرضها ، وضع من قبل اكثر من مئة كنيسة ، اكثرها من المذهب المعمداني . وهذا الاعلان هو واحد من عدة اعلانات مشابهة تهدف الى التأثير في اتجاه السياسة الاميركية والرأي العام الاميركي ، خاصة بعد ان اعلن الرئيس كارتر في السنة الأولى من رئاسته ، انه يؤيد مبدأ الوطن الفلسطيني ، وايضاً بعد اصدار البيان الاميركي - السوفييتي المشترك في عام ١٩٧٧ . ونص الاعلان هذا يعطي فكرة عن روح اكثر هذه الاعلانات وعن اتجاهها الحرفي المسيحي ( عن جريدة شيكاغو تريبيون ١٠ تموز ١٩٧٦ ) .

« إذا أردت ان تعلم في أي مرحلة من مراحل التاريخ نحن الآن فانظر الى الشعب اليهودي . إن اليهود هم ساعة الله وشعب النبوة . ان ساعة التاريخ الأزلية في دقاتها المتواصلة تذكرنا ان هذا الشعب بقي وسيبقى الى الأبد ، بينما قامت شعوب وانقرضت . وذلك كذلك لأن ارادة الله شاءته ، ولأن الله وعد به ، ولأن الله خطط له ، منذ زمان سحيق .

« إن الله قطع عهداً مع ابراهيم ، ووعد به بجزء كبير من أرض الشرق الأوسط كميراث له ولنسله من بعده . هذا العهد لم يكن مشروطاً ، كمحبة الله لهذا الشعب . « وهذا هو التاريخ اليوم . وفي استمرار اليهود في العودة الى الأرض الموعودة بالآلاف تكملة وتنمية للنبؤات التوراتية . وكما هو التاريخ اليوم ، فهو غداً . في استمرار الخطوات نحو اهم الاحداث على الاطلاق ، عودة المسيح الى الأرض .

« وبما ان اليهود هم شعب النبوة ، لذلك هم أيضاً شعب الأرض . ونحن الذين نؤمن بالله ويوعده ، نؤيد تأييداً كاملاً شعب وأرض اسرائيل ، في البقاء لأن ذلك هو وعد الله ، وهبة الله ، وقضاء الله .

« لذلك فان اي شخص كان ، وأي مجموعة من الدول التي تعارض هذا الحق الالهي ، لا تحارب اسرائيل فقط ، بل تحارب الله والتاريخ بالذات » .

تكمُن أهمية هذه الوثيقة في كونها أولاً تمثل تضامناً وتأييداً مطلقاً لمذهبياً لاسرائيل ، وثانياً ، انها تعبر عن رأي مجموعة كبيرة من المسيحيين في امريكا .

إنها تؤكد أولاً ان تأييد إسرائيل ليس أمراً اختيارياً ، أو مبنياً على اعتبارات اخلاقية انسانية ، أو حتى على اعتبارات سياسية ، بل انه قضاء إلهي . ولذلك فان معارضة إسرائيل خطيئة مميّنة . والكنائس المعمدانية وغيرها التي وقعت على هذا الاعلان منتشرة في جميع انحاء اميركا ، شمالها وشرقها وغربها وجنوبها ، وهذه الكنائس تضم عدداً كبيراً من الأعضاء مجموعة لكنائس المعمدانية الجنوبية ( وهناك كنائس معمدانية اخرى كثيرة ) هي اكبر المذاهب الانجيلية في اميركا باعتبار عدد الاعضاء ، الذي يصل الى ١٢ مليون عضواً ( الكنائس المعمدانية جميعها تبلغ ضعف هذا العدد ) .

ولا بد وان الصهاينة في اميركا يقدرّون هذا الدعم الانجيلي المسيحي اكبر التقدير ، ولا بد أنهم يعبرون عن ذلك بالدعم المالي . ولكن الصهيونية تعترض بشدة على مبدأ الانجيليين القائل بأن على اليهود ان يقبلوا يسوع المسيح قبل ان يتم مجيئه الثاني . وينظرون بكثير من الاستياء إلى انتشار مذهب المسيحيين اليهود ، أي اليهود الذين اعتنقوا الاعتقاد بأن يسوع هو المسيح دون ان يتخلوا عن يهوديتهم ولكن الصهاينة يعلمون ان هذه المضايقات هامشية نسبة الى العوائد الجمّة التي تتأتى عن المعتقدات الدينية الانجيلية التي تدفعهم نحو دعم اسرائيل .

اما نشاطات الانجيليين في حقل اسراؤيل فانها تترجم في اميركا بالتأييد الشعبي لاسرائيل ، وبالتالي في الانتخابات على المستوى المحلي والفيدرالي . ومع انهم قد يحصلون على مساعدات مالية ، علنية أو خفية ، من المنظمات الصهيونية قد تكون بشكل اعلانات في المجالات الانجيلية أو في برامج الراديو والتلفزيون التابعة لهم ، إلا أن هذه الحملة الواسعة لتأييد اسرائيل ، حسب معلوماتنا الراهنة ، تمول من تبرعات اعضاء الكنائس ، ومن المدفوعات الى برامج التلفزيون والراديو .

اجسج اعلان نولة اسرائيل في ١٩٤٨ ، وحربا ٦٧ و٧٣ ، أكثر من أي حدث تاريخي منذ اعلان استقلال اميركا ، نار النبوات التوراتية في معتقدات المسيحيين المحافظين . ولهؤلاء الذين يعنيهم قدوم المسيح الثاني أكثر من أي أمر آخر ، أدت هذه الاحداث المتعلقة باسرائيل الى ترسيخ ايمانهم بالنبوات التوراتية وهذه المعتقدات الالفية المتشددة ، هي اقدم من استيطان اميركا . وكان المؤمنون بها يوماً يرصدون الاحداث التاريخية التي تتوافق مع قراءتهم للتوراة .

وجاءت الحرب الباردة بعد الحرب العالمية الثانية ، ومعها موجة كراهية السوفيات في الأربعينات والخمسينات فجعل منها الانجيليون قضية توراتية ، وتلى ذلك الاهتمام الشديد باسرائيل في الستينات والسبعينات ، فدمج الانجيليون هذين التيارين – كراهية السوفيات ومحبة اسرائيل – في تفسير توراتي موحد . فعندهم ان الدلائل على قدوم المسيح هي في قيام اتحاد بين روسيا والدول العربية في محاربة الدولة المفضلة عند الله .

وتلعب مدينة القدس دوراً مهماً في آمال الصهيونيين والانجيليين – الصهيونيين على السواء . فالقدس عند الطرفين – وان كان ذلك لاسباب مختلفة – هي محور دراما قدوم المسيح الجغرافي والتاريخي . فهي عند الاتجيين عاصمة العالم في نولة الالف سنة تحت حكم المسيح ، بعد انتصاره على قوى المسيح الدجال في معركة هرمجدون ( ويقولون انها مجدد في

فلسطين ) . والنبؤات التوراتية تشير بصراحة - كما يزعمون ، إلى ان الهيكل اليهودي لا بد ان يكون قائماً قبل المجيء ، والهيكل يجب ان يقوم على أرض الحرم الشريف بدون شك . ولذلك فان المسجد الأقصى وفيه الصخرة لا بد لهما من الزوال لكي يفسح المجال للهيكل .

وأكثر الحرفيين التوراتيين ، وكذلك بعض الصهيونيين - يصفون ثقتهم بأن الله الأب ، وقوى الطبيعة الأم ، سيتعاونان في ازالة المسجدين ، اما بواسطة هزة ارضية او نار . وقد حاول مسيحي حر في من استراليا ، اسمه مايكل روهان ، ان يمد يد المعونة في استعجال قدوم المسيح ، فحاول احراق المسجد الأقصى سنة ١٩٦٩ .

نجد المعتقدات الحرفية الانجيلية المتصلة بالنزاع العربي - الاسرائيلي ، في كثير من الكتب ، وخاصة في السنوات الاخيرة . وفي كتاب لوليم سمث يدعى « النزاع الاسرائيلي - العربي والتوراة » ، الذي ظهر بعد حرب ١٩٦٧ ويعد « فتح » القدس نجد مثالا على هذه المعتقدات يخصص المؤلف اكثر فصول كتابه لتوضيح ان اسرائيل هي نفس اسرائيل التوراة ، ويذكر النصوص التي تؤيد ذلك . ولا يأتي على ذكر العرب إلا في الفصل السادس إذ يقول انهم - أي العرب - هم اعداء الخير والبر ، لأنهم اعداء اسرائيل . ويصل المؤلف الى هذه النتيجة لأنه يؤكد على ان العرب هم الانوميون المذكورون في التوراة كأعداء لبني اسرائيل ، ولذلك فان العرب مكتوب عليهم ان « يكرهوا اسرائيل عبر القرون ، كرها لا هوادة فيه » (٢١) .

#### حكاية الأخويات الصهيونية

المنشورات الصادرة عن الانجيليين الحرفيين لاستهلاك العامة ، والتي تعني بشؤون النبؤات والعصر الالفي واسرائيل ، كثيرة جداً . المقالات في المجلات ، الأعلام ، القصص والروايات ، والكتب التي تشرح لاهوت النبؤات بانتشارها الواسع بين اعضاء الكنائس ، تصبح اداة للعمل السياسي .

أكثر هذه الكتب انتشاراً ، وأكثرها تضامناً مع اسرائيل ، هو كتاب « الأرض الكبيرة المتوفاة » . لهال لندسي . وقد ظهر هذا الكتاب عام ١٩٧٠ ، وطبع منذ ذلك الوقت أوائل ١٩٧٩ تسعة وستين طبعة ، أي أكثر من عشرة ملايين نسخة . هذا النجاح المنقطع النظير أدى إلى عدد كبير من الكتب المقلدة ، والتي تتماهى في تفسير التوراة بما يؤيد مزاعم اسرائيل ، وكذلك أدى إلى كتابة روايات بهذا الشأن ، وأفلام سينمائية ، وقد نشر المؤلف بعد ذلك أربعة كتيبات لاقت كلها انتشاراً واسعاً وهي ليست سوى اعادة مع تحوير بسيط في صلب الموضوع . وكذلك ظهر شريط سينمائي عن « الأرض المرحومة » ، يدعو إليه ، ويلقي حواراً ، الممثل المشهور ورسون ولز ، وشاهد هذا الشريط ملايين من الناس في انحاء العالم .

لا يأتي لندسي بنظريات جديدة في حقل النبؤات التوراتية في كتابه ، ولكنه يربط الأحداث الحاضرة ربطاً « وثيقاً » بالنصوص الكتابية ، ويحدد أسماء « الممثلين » الحاليين الذين تشير اليهم تلك النصوص صراحة . ويجعل من « اعادة » اسرائيل في الأرض المقدسة ، اهم أحداث التاريخ الحديث ، لأن ذلك يؤكد على أن الوقت قد قرب لمجيء المسيح .

يقول لندسي ان الاتحاد السوفياتي هو جوج ( وماجوج ) المذكور في نبؤة حرقيال ( ٢٨ :

١٨ ) كعدو لاسرائيل . ثم في الفصل السادس Sheik to Sheik ، يؤكد على أن العرب ، بقيادة مصر ، هم ما تشير اليه التوراة باسم ( ملك الجنوب ) الذي يعاهد (ملك الشمال ) - ( أي جوج وماجوج روسيا ) للقيام بحرب شاملة ضد دولة اسرائيل المستعادة . وهاتان القوتان ، سينضم اليهما ( سفر الرؤيا ، ١٦ : ١٢ ) « الملوك الذين هم من مشرق الشمس » وذلك يعني الصين ، الذين يزحفون على اسرائيل بعد ان تقطع جيوشهم نهر الفرات الذي يحققه لهم الملاك السادس . وهؤلاء الملوك الشرقيون سيفنون ثلث سكان الأرض بالنار والدخان والكبريت ، التي يعتبرها المؤلف اشارة للأسلحة النووية . ويتابع لندي فيقول ان « الأمم العشرة » المذكورة في الرؤيا ، هي اشارة الى دول السوق المشتركة الأوروبية ، وسيحكم هذه الأمم شخص قوي ، هو الوحش ، أو المسيح الدجال الذي « عدده ستمائة وستة وستون » ( رؤيا ١٣ : ١٨ ) هذا المسيح الدجال يجعل من « اورشليم » عاصمته ، ولذلك فسيكون الخصم الأول للمسيح القادم . اما دور الولايات المتحدة في هذه النبؤات فليس واضحا تماما ، ولكن كحليفة وعضد لاسرائيل ، لا بد انها ستحصل على الخلاص .

وفي الروايات ذات النزعة الالفية السعيدة نجد جرعة كبيرة من هذا العنف الرؤيوي مع شيء من الرومانسية . ومن هذه الروايات « لقد رأوا القدوم الثاني : رواية متفجرة حول نهاية العالم » لنوغ كلارك ( هارفست هاوس ١٩٧٩ ) وهي مثال على مستوى الكتابة المنخفض وعلى تكاثر المعلومات الخاطئة التي تحتوي عليها هذه الروايات الاخرى .

أما الكاتب فهو ايضا صاحب برنامج تلفزيوني ذي شعبية واسعة يدعى « برنامج النبؤة المدهشة » والذي يذيع معلومات مماثلة . اما جهله المطبق عن العرب والفلسطينيين فلا يزيد عليه سوى تعصبه ضدهم ، مع انه زار اسرائيل ومنطقة الشرق الأوسط أكثر من مرة . وكمثال على المسيحيين الاشرار الذين يكرهون اليهود ولا يتبعون تعاليم التوراة ، ورد في الرواية اسم ادولف هتلر ويأسر عرفات ( كذا ) (ص ٣٦) وعن « المخربين الفلسطينيين المتعطشين لسفك الدم » يقول « يمكنك ان تعرف بسهولة اعضاء منظمة التحرير الفلسطينية من لباسهم وهو الرداء الأبيض والعمامة السوداء » ( ص ٧١ ) . ويقول أيضا أن في مدينة القدس القديمة « مناظر غريبة واصوات صادرة عن الجمال والعرب والحمير » ( ص ١٢٧ ) . ومثل هذه المعلومات تنتشر في أرجاء الرواية بالاضافة الى نصوص توراتية متعددة .

وتنص حبكة الرواية على ان امريكا ستجتاز دمار هرمجدون بسلام لأنها « وعظت الانجيل اكثر من اية دولة اخرى ... وكانت صديقة لليهود لفترة طويلة ( ص ٢٠٩ ) . وفي نهاية العالم يختفي معظم البشر بعد هرمجدون و « الوحيدون الباقون في جميع الشعوب هم اولئك الذين لم يتلقوا دمغة المسيح الدجال ولم يؤنوا الجنس اليهودي اطلاقا » ( ص ٢٣٤ ) .

ويضاف إلى قوة الكتب وتأثيرها قوة الاذاعة والتلفزيون ، والتي توسع بشكل كبير مجال التبشير الانجيلي باسرائيل . إن بيبي غراهام مثال جيد على الجيل الجديد من الوعاظ الانجيليين الذين يستخدمون أساليب فعالة من معالم الاستعراض (Show-business) للوصول الى المزيد من النفوس والجيوب . وتسمى هذه الأساليب الاستعراضية الدينية « بالكنيسة الالكترونية » أو « بالديانة في الأوقات المناسبة » (Prime-time religion) ، وهي وسائل فعالة جداً من أجل

جمع الأموال . ومثال على ذلك فان كنيسة الله ، وهي احدى اقدم الكنائس الالكترونية ، تجمع ٦٥ مليون دولار سنوياً من الوعظ في الراديو والتلفزيون ، كما تجمع « شبكة الاذاعة المسيحية » ٢٥ مليون دولار ، ورابطة بيبي غراهام الانجيلية تحصل على ٢٨ مليون دولار و « نادي المجد للرب » ٢٥ مليون دولار الخ<sup>(٢٢)</sup> وهناك على الأقل ٢٥ محطة تكاد تكون مكرسة للبرامج الدينية اليوم ، وتكاد جميعها تمثل وجهة النظر الانجيلية وتؤمن بعلاقة النبوة التوراتية باسرائيل وتدعو إلى الصهيونية المسيحية . وبالإضافة إلى التلفزيون يوجد عدد كبير جداً من محطات الراديو المنتشرة في جميع انحاء الولايات المتحدة الاميركية ، تنشر الدعاية التوراتية الصهيونية ، وتجمع الأموال .

كما ان الاعلانات المؤيدة لاسرائيل ، كالاعلان الذي ذكرناه سابقاً ، والتي تكلف مئات الآلاف من الدولارات ، ترعاها الجماعات الانجيلية وتبث من خلالها آراءها المناهضة الى اسرائيل بصراحة . يضاف الى ذلك المؤتمرات الكثيرة لدعم الدولة اليهودية التي تقوم بها المنظمات الانجيلية مثل « المؤتمر العالمي من أجل سلام القدس » الذي عقد في القدس عام ١٩٧٨ والذي قام بتنظيمه شخصيات شهيرة في دنيا الانجيلية الصهيونية مثل دوغلاس يونغ واسرائيل كارمونا . ووزعت جماعة تدعى « الانجيليون المتحدون من أجل صهيون » والتي نشأت في مدينة فيلادلفيا أثناء انعقاد مؤتمر عن النبؤات عام ١٩٧٦ ، جوائز على الذين ساهموا في مناصرة اسرائيل . فاز بيبي غراهام « بجائزة الاديان المشتركة » التي قدمتها « اللجنة اليهودية الاميركية » وذلك بسبب « مساهمته في تدعيم حقوق الانسان ، ونصرة اسرائيل ، ومحاربة اللسامية ، وتنمية الوثائق بين اليهود والانجيليين » . وبدأت جماعة تنسق من أجل الدعم المسيحي لاسرائيل في خريف ١٩٧٨ تحت اسم « رابطة المسيحيين الدولية من أجل اسرائيل » في ولاية واشنطن<sup>(٢٣)</sup> .

وقد انتج بيبي غراهام ( ولعله أشهر انجيلي ، وقد يشاركه الآن في شهرته جيمي كارتر ) اكثر الافلام الدينية فعالية كدعاية لصالح اسرائيل . الفيلم الذي يدعى « ارضه » ( أي ارض المسيح ) شاهده اكثر من ١٥ مليون في اميركا وحدها . وهو عرض ديني مصور لمشاهد الأرض المقدسة ، ولكنه يحتوي على اشارات صريحة الى الأهمية التاريخية والدينية لعودة الشعب المختار الى أرضه الموعودة ، وإلى الانتجازات العظيمة لدولة اسرائيل الحديثة . وتقول دعاية الفيلم ان « بعث دولة اسرائيل هو أعظم حدث توراتي في القرن العشرين ... »

ويتهم ناقدوا هذه النشاطات الانجيلية بأنها تحمل « صهيونية سانجة » مشيرين إلى أن المنظمات الصهيونية واسرائيل تدعم اعمالهم هذه مالياً . ولا شك أن هناك حول الدعم الصهيوني المعنوي والسياسي والحالي لمعظم هذه النشاطات ، بعضها يأتي بصورة اعلانات في مجلات انجيلية ، أو دفعات مباشرة لنشر اعلانات سياسية باهظة التكاليف في الصحف الكبرى الاميركية ، أو اعداد رحلات الى اسرائيل لجماعات انجيلية . لكن الحقيقة باقية وهي ان الانجيليين ينشرون مبادئ ومعتقدات سياسية ودينية يؤمنون بها ، وكما كان الأمر مع اللجنة المسيحية لفلسطين في الاربعينات ، كذلك هو مع الجماعات الانجيلية في السبعينات وهو ان اسرائيل الصهيونية تستخدم توراتية الانجيليين والمسيحيين عامة لغاياتها الخاصة . ان

الصهيونية اليهودية قد تكون القابلة المولدة لبعض هذه الجمعيات ، ولكنها ليست الوالدة . إن الصهيونية المسيحية التوراتية هي الثمرة الناضجة في دعم اسرائيل ، والتي استفادت منها الصهيونية اليهودية دون ان تزرعها أو تتعهدا .

### مدى قوة الانجيليين

نطلق اسم الانجيليين ( وهو اصطلاح غير محدد تماما ) على المسيحيين المحافظين من العصميين (Fundamentalist) والالفبيين (millenarians) وغيرهم من المؤمنين بحرفية التوراة ، وهم منتشرون بين الكثير من الفئات البروتستانتية وبين الكاثوليك أيضاً . وفي تقرير لمؤسسة غالوب ( الدين في امريكا ١٩٧٧ - ١٩٧٨ ) (٢٤) يحددون على انهم « تحولوا الى المولودين من جديد » والذين « يقبلون المسيح كمخلص شخصي ويؤمنون ان للتوراة سلطة على كل المبادئ » ، ويشعرون بحاجة ملحة لنشر الايمان ، وبكلمة اخرى هم ممثلون بأهمية ايمانهم .

وأشار استفتاء غالوب الى ان عددهم يتزايد باستمرار وكذلك نشاطاتهم . ويمكن اعتبار تأييدهم لاسرائيل امراً مضموناً نظراً لتمسكهم الصارم بحرفية التوراة ولسبب تأكيدهم الكبير على النبؤات وبما انهم قد توصلوا إلى الاعتقاد بأن اسرائيل حالياً هي امتداد لاسرائيل وجعلها قضية دينية مهمة . وازدياد هذا الدعم لاسرائيل بسبب تزايد اعداد الانجيليين يفوق جداً في تأثيره على السياسة الاميركية على تأثير الليبراليين الدينيين وبعض المثقفين الذين افصحوا عن بعض الشك في الالتزام الأدبي الاميركي حيال الدولة اليهودية .

وقد أظهر استفتاء غالوب - مع اعترافه ان الأرقام قد تكون أقل من الحقيقة - ان حوالي ٢٨ بالمائة من الاميركيين أي ٤٠ مليون انسان راشد ، هم من الانجيليين وان معظمهم يسكن في الجنوب في الولايات المتحدة المتوسطة . كما أشارت إلى أن أكثر الانجيليين هم ناخبون مستقلون ، وبالتالي فان لهم تأثيراً كبيراً على السياسة المعلنة من قبل الحزبين الرئيسيين في الولايات المتحدة ومعظم الانجيليين هم من أعضاء الكنيسة المعمدانية التي ينتمي إليها جيمي كارتر (٢٥) . ولكنها تسللت الى معظم الطوائف البروتستانتية وقد اشار الاستفتاء ان ٢٠ بالمائة من الكاثوليك الراشدين ( أي ثمانية ملايين شخص ) وصفوا أنفسهم بأنهم انجيليون .

هذه الروح الانجيلية ليست حديثة في امريكا ، فقد نشأت في أوروبا منذ نشوء البروتستانتية، خاصة الفلسفة الكلفينية فيها . وفي زمان حرب الاستقلال الاميركي كانت المواقف الدينية تشبه الولايات المتحدة بشعب اسرائيل الذي يسعى لدخول الأرض الموعودة . ويقول راي ابرامز ان سبب معظم نجاح الخطابات المؤيدة للحرب العالمية الأولى التي القاها رجال الدين في امريكا الى انطباقها على المذهب الالفي (٢٦) . وقد حركت هذه الروح نفسها الكثير من الوعاظ لتقديم عظات حماسية دعماً للصهيونية وللهجرة اليهودية الى فلسطين في الثلاثينات وفي الأربعينات ، ولتسخير الحرب الباردة في عظات ملتزمة مضادة للشيوعية في الخمسينات ولتأييد الحرب الاميركية في فيتنام في الستينات ، وللعودة بحماس متجدد الى دعم اسرائيل خاصة بعد حرب ١٩٧٣ .

إن الحركة الانجيلية في امريكا في ازدياد ، فعدد الانجيليين ونفوذهم السياسي ونشاطاتهم

المؤيدة لاسرائيل كلها تتزايد . وبما ان التزام اميركا الأدبي والديني تجاه اسرائيل يقوم الى حد كبير على أساس انجيلي توراتي ، فلن يكون من السهل التأثير على هذا التيار بواسطة تزايد الاهمية المالية والسياسية للعالم العربي .

ويؤمن الانجيليون بأن معتقداتهم يجب ان تترجم الى نشاط عملي . وتشرح الفقرة التالية كيف يجب ان يؤدي الايمان التوراتي باختيار اسرائيل الالهي الى عمل سياسي لصالح الدولة اليهودية(٢٧) !

إن وعد الاله الأبدي لابراهيم ابي اليهود القائل « وسابارك من يباركك وألعن من يلعنك » ينطوي على عمل اما مع أو ضد اليهود . إن تأييد دولة اسرائيل هو التزام بالانجيل كما هو عمل انساني . وهو وسيلة لموسى يشهد فيها المسيحي لصالح اليهودي في هذا العصر الذي يعمل الله فيه من جديد خلال اسرائيل في موطنها التاريخي . ويقول هارولد دارت ( مدير اللجنة الاميركية المسيحية في اسرائيل ، وهي منظمة تشجع السياحة المسيحية في اسرائيل والاشتراك في اعادة تشجيرها واصلاح الأراضي فيها ، انه لو ظهر توراتياً ان اعادة دولة اسرائيل ينطبق على رغبة الله وارادته ، فلن يستطيع الانجيلي المسيحي الا ان يتخذ موقفاً مؤيداً لهذه الاعادة ، بل بالحري يصبح ذلك واجباً عليه .

هذا النشاط المتأتي عن معتقدات الانجيليين يميزهم عن معظم الليبراليين المسيحيين الذين قد يكتفون بالنشاطات الفكرية ، كالتحدث والكتابة لصالح أي جانب من النزاع العربي - الاسرائيلي ، فان برامج الجماعات الانجيلية تدعو الى دراسة العبرية ، والمساهمة بالأعمال التمويلية في اسرائيل ، والتبشير بين اليهود ، بالاضافة الى السياحة واصلاح الأراضي . ومحاولة الانجيليين جلب اليهود الى المسيحية بغضب الصهيونيين خاصة ، ولكن هؤلاء يعرفون ان تساهلهم في هذه النقطة هو ثمن بخس للخدمات الكثيرة الاخرى التي يتقلونها .

في عدد من المجلة الانجيلية « كرستشن لايف » ، وهو عدد كرس تقريباً لاسرائيل ( أب ١٩٧٨ ) توجد قائمة بالنشاطات التي يجب على المؤمنين ان يفكروا بها جدياً .

- ١ - انضم إلى ، أو شكل ، جماعة مؤيدة لاسرائيل .
- ٢ - تعرف على الشرق الأوسط بواسطة الكتابة الى وزارة الاعلام الاسرائيلية ، والقنصليات الاسرائيلية ، والكنس المحلية ( العناوين مرفقة ) .
- ٣ - اشتر سندتات اسرائيلية .
- ٤ - اكتب رسائل الى رؤساء تحرير الصحف والمجلات بالتأييد لاسرائيل .
- ٥ - اشتر منتوجات اسرائيلية ( القائمة المرفقة تضم برتقال يافا ) .
- ٦ - سافر الى اسرائيل .
- ٧ - تعلم العبرية
- ٨ - تعرف الى الكنس اليهودية واعضاء الطائفة .
- ٩ - صل من أجل سلام القدس .

إن هذه التوصيات تشكل نموذجاً على ما تقدمه برامج الاذاعة والتلفزيون التي تعنى

بالدراسات التوراتية والتنبؤات من وجهة نظر الانجيليين . ومن الواضح ان لا وجود للفلسطينيين في تفكيرهم وفي شعورهم .

### الديانة المدنية في اميركا

لقد استكشفنا حتى الآن الموقف الديني من المسألة العربية - الاسرائيلية من وجهات نظر مجموعتين من البروتستانت الاميركيين . الليبراليون ينظرون الى المشكلة من زاوية لاهوتية وتوراتية ولكنهم يدركون المآزق الذي يعود إليه اعطاء اسرائيل رخصة كاملة غير محددة . ويتساءلون في كثير من الاحيان عن حقوق اللاجئين والموقوفين الفلسطينيين . ورغم ان بعضهم قبل الاريعينات لم يكن يؤيد الهدف الصهيوني في اقامة دولة يهودية ، بل كان يفضل وطناً ثقافياً روحياً لليهود في فلسطين ، الا انهم بعد ان اصبحت اسرائيل حقيقة ، تحولوا ، الى القليل النادر منهم ، الى فكرة ان اسرائيل موجودة لتبقى .

أما موقف المحافظين أو الانجيليين من المسألة فهو قائم فقط على أساس تفسير حرفي للنصوص التوراتية مع تأكيد خاص على المناظر التنبؤية والرؤيوية . ان صهيونيتهم توراتية صرفه ومباشرة ، واهتمامهم باسرائيل هو اهتمام أخروي يتعلق بنهاية العالم وقدوم المسيح .

ولكلا الفريقين تأثير معين على الجهاز الانتخابي في الولايات المتحدة . ولكنهم بالإضافة الى ذلك ، يؤثرون على المجتمع الاميركي تأثيراً اعمق اذ يشكلون جواً ثقافياً تاريخياً معيناً بواسطة المؤسسات التوراتية الدينية المنتشرة انتشاراً واسعاً .

عن التأثير الديني على الحياة الاميركية ، قال شنيدر « ان الدين يمتزج بالتعليم ، بالطب ، بالسياسة ، بالاعمال ، بالفنون ، ولا يوجد شيء ينجو من قبضته وان جميع الجهود التي تبذل لعزل ناحية من نواحي الحياة عن الكنيسة ونفوذها قد ذهبت هباءً ، كما حدث للجهود لتحديد نفوذ الحكومة أو العلوم . فعن طريق الدين يمكن القيام بكل شيء ، ولا ينجو امر ما من اهتمام الاكليروس . لقد مضت الأيام التي كان فيها خلاص النفوس عملاً مميزاً قائماً بذاته . ان فصل الدين عن الدولة لا يفصل الدين عن السياسة كما ان فصل المدرسة عن المسرح لا يفصل التعليم عن الفن (٢٨) .

يقول روبرت بيلا « ان فصل الكنيسة عن الدولة في اميركا لم ينزع البعد الديني عن الحقل السياسي » (٢٩) . ونرى نحن ان ذلك لم يحد من البعد السياسي في الحقل الديني . ان الموقف الاميركي من اسرائيل هو نموذج واضح لما ينتجه هذا الاختلاط بين الدين والسياسة في اميركا خاصة فيما يتعلق بالسياسة الخارجية الاميركية .

ويقترح بيلا ان هذا التعاضد بين المؤسسات الدينية والسياسية في الولايات المتحدة رغم الاعتراف بمبدأ فصل الكنيسة عن الدولة ، أدى إلى وجود نوع من « الدين الشعبي » ، أي انفعالية دينية باطنة تعطي معنى كونياً لنشاط الشعب الجماعي . وهذا هو « الدين المدني » في اميركا وهو دين الكيان السياسي الذي يستخدم اسلوباً خطابياً دينياً ومديناً معاً قائماً على تراث مشترك بين المذاهب الاميركية الثلاثة : البروتستانتية والكاثوليكية واليهودية (٣٠) . ان حكومة الولايات المتحدة والهيئات الدينية المنظمة في اميركا قد دخلت في ميثاق محدد عملي للغاية

تتبع جنوره من تفهم للدور الذي تلعبه الخطابية العامة في عقول المواطنين وعن العامل المسكن الذي يمكن ان يكون للخطابات الرسمية على حياتهم « (٣١) .

ويقول هيربرغ ان هناك ثلاثة مكونات أو معتقدات أساسية في الحياة الاميركية .  
« وتتداخل هذه المعتقدات في صلب البيانات والتصريحات الدينية التي يلقيها رؤساء الولايات المتحدة » وكذلك القادة السياسيون والزعماء المدنيون بالضرورة .

« هذه المعتقدات تضم الايمان بالله ، الايمان بالدين ، والايمان بنظام الايمان الثلاثة » (٣٢) .

وهكذا فانه يجب على السياسيين والزعماء المدنيين في اميركا ان يستخدموا رموزاً خطابية تستقى عادة من مورد الكتب الدينية، ولكي يصار الى ابعاد هذا النظام الديني - الثلاثي عن الاصابة بالتوتر فقد تحدد هذا المورد الديني في كتاب يتفق عليه الجميع ، وهو العهد القديم من التوراة ، والذي يدور في غالبته حول تاريخ اسرائيل ، ومستقبلها ، وقانون اخلاقها . كلمة « اسرائيل » ليست مجرد مصطلح سياسي ، بل انها اضافة الى ذلك رمز خطابي سياسي ذو فعالية كبيرة. ان سياسي اميركا الذين ينتمون بالضرورة الى هذه الديانة المدنية ، لا بد انهم يستعملون هذا الرمز الخطابي لتدعيم مطامعهم السياسية .

من الواضح اذا ان جنور الدين في اميركا عبرانية . « شروحه وضعت في قوالب عبرانية مثل الشعب المختار ، الامة المفضلة، العبودية في مصر ، الأرض الموعودة . كما ان توقعاتها للالف السعيد وجدت تعبيراً لها في خيال الانبياء العبريين الخصب » (٣٣) . وكما كان في عهد المستوطنين الأوائل ، كذلك هو في الوقت الحاضر عند عدد كبير من مسيحيي اميركا ، نجد ان اميركا تشكل في نظرهم « اسرائيل جديدة » كأرض ممثلة باحساس عارم بالقدرية الدينية أو القدرية الواضحة (Manifest Destiny) . وهكذا فان ديانة اميركا المدنية هي في أكثر اعتباراتها ديانة توراتية وقد يفسر لنا ذلك المبدأ الظاهر في السياسة الاميركية الشرق أوسطية والذي يضع « اسرائيل اولاً » .

ولا يوجد لدينا تفسير آخر أكثر اقناعاً لهذا التأكيد الذي يريده دوما ساسة اميركا وبعض عامتها على أن التزام الولايات المتحدة بدعم اسرائيل هو التزام ادبي - اخلاقي . مع اننا نشعر بأن تركيب اسرائيل العرقي والديني يجب ان يعمل ضد هذا « الالتزام الأدبي » من جانب الولايات المتحدة التي تدعو دوماً الى المساواة والحقوق الانسانية ، دون اعتبارات دينية أو عرقية . ولكن المقاييس التوراتية التي يؤمن بها المتدينون في اميركا ، وفعالية استعمال الرموز الخطابية التوراتية في العمل السياسي ، تأتي قبل كل الاعتبارات الاخرى في حياة اميركا السياسية .

ان اصطلاح « الالتزام الأدبي أو الأخلاقي » (moral Commitment) يستعمل فقط بالنسبة لاسرائيل ليس لأية دولة اخرى غيرها . ان الولايات المتحدة قد تقيم علاقات خاصة ( مع السعودية مثلا ) أو علاقات صداقة متينة مع الدول الاخرى ولكن هذه العلاقات لم تكن قط علاقات أدبية أو اخلاقية . اما مع اسرائيل فالاتصال يجري في المجال الاخلاقي « والادبي » كما ذكر الرئيس كارتر ذات مرة .

إن هذه الاصطلاحات ( أدبي ، أدبي ، اسرائيل ) كلها بالواقع رموز خطابية (Rhetorical Symbols) تستعمل لسد الفجوة بين المجالين الديني والسياسي في الكيان الاميركي . ومنذ ان قرر الصهاينة اطلاق اسم « اسرائيل » على الدولة اليهودية ، حققوا ضربة ناجحة فورية في العلاقات العامة ، ونالوا مكسباً فورياً ضمن النظام الاميركي الديني – السياسي . ولهذا الاسم كونه « رمزاً دينياً خطابياً » تأثير ظاهر وله أيضاً تأثير عفوي لا شعوري (Subliminal) يشكل عنصراً مهماً في ممالئة الرأي العام الاميركي والنظام الاميركي لاسرائيل .

### خلاصة

تساءلت كراسية انجيلية « ماذا ستفعل امريكا لو وصلت الامور الى « إما اسرائيل أو النفط » ؟

إن الاجابة بسيطة. امريكا تود ان تحتفظ بالاثنين ان جوهر السياسة الاميركية في الشرق الاوسط في السبعينات وسبب اتفاقات كامب ديفيد هو موازنة هذين الاتجاهين اللذين يبدوان متناقضين : التزام تام باسرائيل وحاجة ملحة الى النفط العربي .

إن الذين يدرسون الشؤون الاميركية من بيننا من وجهة نظر سياسية واقتصادية بأقل قدر من المنطق العلماني ، لا يستطيعون ان يدركوا تماماً لماذا تذهب امريكا الى حافة الحرب – أو إلى جحيم الحرب ان لزم الأمر – للحفاظ على اسرائيل والنفط. ان المفتاح الى سياسة امريكا الشرق اوسطية واقامة هذا التوازن مع كونه خطراً وباهظ التكاليف . ولو فرض العرب على امريكا ان تختار بأن يمنعوا عنها النفط ، هل ستتخلى امريكا عن اسرائيل او تذهب الى الحرب لانتزاع النفط من أيدي العرب ؟ وهل العرب مستعدون للمجازفة بتجربة الأمر ؟

لماذا تعادي الولايات المتحدة دولة كبرى بسبب اساءة معاملتها المزعومة لمواطنيها اليهود ؟ ولماذا تحتل اسرائيل هذه الاهمية لدى الولايات المتحدة رغم انها احد اثقل الاعباء التي يحملها دافعوا الضرائب الاميركيين ؟

إن الاجابة على هذه الأسئلة لا توجد ببساطة في الامبريالية والرأسمالية وأصوات الناخبين اليهود ، أو خدمات اسرائيل العظيمة لأمريكا ورغم انه لا يمكن انكار اهمية بعض هذه العوامل ، إلا أن الجواب يظل غير مرض دون الأخذ بعين الاعتبار العامل الديني ، ودون اعطاء هذا العامل الاهمية التي يستحق .

(2) Cf. Langdon Gilkey, «Sources of Protestant Theology in America», in McLaughlin and Bellah, *Religion in America*, Houghton Mifflin, New York, 1968, p. 155.

(1) Richard John Neuhaus, *Christian Faith and Public Policy, Thinking and Acting in the Courage of Uncertainty*. Augsburg Publishing House, Minneapolis, 1977, p. 90.

ويلارد ج. اوكستويي، الذي يتخذ موقفا اكثر ميلا الى العرب .

- (17) *New York Times*, July 13, 1967.
- (18) *Christianity and Crisis*, June 26, 1967, pp. 141-42.
- (19) *International Review of Missions*, 44 (1955), p. 199.
- (20) *Collection of Statements Made by the World Council of Churches and Representative Bodies of its Member Churches*, (Geneva, World Council of Churches, July 1964), p. 15.
- (21) Wilbur M. Smith, *Israeli-Arab Conflict and the Bible*, Glendale, Ca. 1967.
- (22) See John Mariani, «Television Evangelism' Milking the Flock», in *Saturday Review*, February 3, 1979, pp. 22-25.
- (23) *Eternity*, January 1978, p. 8.
- (24) Princeton Religious Research Center, *Religion in America 1977-78*.
- (25) *Ibid. Also Christianity Today*, January 27, 1978, p. 550.
- (26) Roderick P. Hart, *The Political Pulpit*, Purdue University Press, Lafayette, Ind., 1977, p. 85.
- (27) *Christian Life* August 1978, p. 30.
- (28) Herbert Schneider, *Religion in Twentieth Century America* Harvard University Press, Cambridge, Mass. 1952, p. 58.
- (28) Robert N. Bellah, «Civil Religion in America», in *Daedalus*, Winter 1967, p. 3.
- (30) Bellah's article referred to above created a new concept (Civil Religion) which became the subject of much debate among writers on religious and social topics.
- (31) Hart, *The Political Pulpit*, p. 46.
- (32) Will Herberg, «Religion in a Secularized Society: the New Shape of Religion in America», in *The Sociology of*

(3) *The Nation*, February 21, 1942, pp. 214-16.

(4) Hertzfel Fishman, *American Protestantism and a Jewish State*, Wayne State University Press, Detroit, 1973, pp. 68 ff.

(٥) كان جون هينز هولز عضوا بارزا في منظمة بروتستانتيّة مؤيدة للصهيونية سابقة ( في الثلاثينات ) وهي الاتحاد المؤيد لفلسطين ، وكان الصهيانية يمولونه ويديره أمين سر تنفيذي يهودي ، هو اهورن ب . الياس . وكان هولز ، وهو بروتستانتي غير منتمي الى فئة معينة . مؤيدا للاستيطان الصهيوني في فلسطين منذ ١٩٢٩ . وكان المشروع الصهيوني في فلسطين بالنسبة له « فرصة لليهود لبناء مجتمع مثالي ليس فقط لانفسهم بل للعالم اجمع » . جون هولز ، « صهيون ، رومانسية ومغامرة » ، في بروبالستان هيرالد ، ١ ، ١٩٣٢ ، ص ٢

(6) Hertzfel Fishman, *American Protestantism*, p. 72-73.

(7) Carl H. Voss, «Christian Ministers Speak Out», in *New Palestine*, March 31, 1944, pp. 339-40. Cf. Fishman, *Ibid*, p. 73.

(8) See H. S. Haddad, «The Biblical Bases of Zionist Colonialism» in *Journal of Palestine Studies*, Vol. III, No. 4, pp. 97-113.

(9) Fishman, *Ibid*.

(10) Carl H. Voss, «Christians and Zionism in the United States», in *Palestine Year Book* (1946), 497, 500.

(11) Fishman, *Ibid.*, p. 74.

(12) *Christianity and Crisis*, June 28, 1943, pp. 3-4.

(13) *U. S. Department of State, Hearings*, p. 101, quoted by Fishman, *Ibid*. p. 79.

(14) *Christianity and Crisis*, November 26, 1956, p. 158.

(15) A. Roy Eckardt, «Again, Silence in the Churches», in *Christian Century*, July 26, 1967, p. 973.

(١٦) انظر ايضا في نفس العدد من ذي كريستيان سينشوروي، ليفيد بوليش ، لماذا زالت اوامم اليهود الامريكيين. الذي يكرر نفس فكرة مقالة ايكارت، «اسحق واسماعيل»: ١٩٦٧ . من ن. بروس ماكلير د. الذي يتخذ موقفا وسطا، والمسيحيون وازمة الشرق الاوسط من

(33) Winthrop Hudson, *Religion in America*, 2nd ed., New York, Scribner's Sons, 1973, p. 112.

*Religion: An Anthology*, ed. by Richard D. Knudten New York, Meredith, 1967, p. 475.

صدر حديثاً عن مركز الأبحاث

اليوميات الفلسطينية  
المجلد العشرون

من ١٩٧٤/٧/١ إلى ١٩٧٤/١٢/٣١

يعرض هذا المجلد ، في ١٠٢٨ صفحة ، وقائع القضية

الفلسطينية تفصيلاً ، يوماً إثر يوم ، وما يتصل بها عربياً ، وعالمياً .

يطلب من قسم التوزيع  
ص.ب ١٦٩١

## العنف الثوري الفلسطيني كعامل في السياسة الشرق أوسطية للولايات المتحدة

ظهرت خلال العقد الحالي كمية كبيرة من الأدبيات في الولايات المتحدة ، حول العنف الثوري الفلسطيني، تدمغه بـ « الارهاب » ، نتيجة للتزايد المطرد في العمليات الفدائية ، داخل فلسطين المحتلة وخارجها . وإن رهطاً من الأمريكيين ، من المتكسبين الأكاديميين والارتزاقيين الجامعيين ، تحول بين ليلة وضحاها الى خبراء في شؤون « الارهاب » ، وهروا الى مختلف الوكالات الحكومية والشركات الخاصة ، للحصول على المنح الدراسية التي تعطى للأبحاث . ولهذا ، يندر أن يجد المرء لدى هؤلاء ، أي اعتراف بأن العمليات الفدائية تشكل جزءاً أساسياً من العنف الثوري المشروع ، وانها تمثل بالفعل جانباً واحداً من استراتيجيات كفاح الشعب الفلسطيني من أجل تحرره الوطني .

وفي بعض الأحيان ، يلجأ الأكاديمي أو الصحافي عند الكتابة في الموضوع ، الى الإشارة المبطنة والمبهمة الى العنف ، كجانب مشروع من جوانب الكفاح ، وذلك باقتباس القول المعروف : « الارهابي في نظر البعض ، مقاتل من أجل الحرية في نظر البعض الآخر » . فالفهم الأمريكي العام ، سواء في وسائط الاعلام ، والمطبوعات الجامعية ، وفي السجلات الحكومية الرسمية ، يتناول العمليات الفلسطينية على أنها « إرهاب » وكفى ، بصرف النظر عن الدوافع والأهداف . وفي المقابل ، نجد صورة العنف الاسرائيلي على انه « انتقامي » ، وصورة القائمين به على أنهم « مغاوير » .

ينظر الفلسطينيون ومعظم العرب الى هذه العمليات الموجهة ضد إسرائيل ( وحلفائها ) باعتبارها عنفاً ثورياً ، وكنصر أساسى من الكفاح المتكامل العناصر ضد الكولونيالية الاستيطانية الصهيونية . والفلسطينيون كشعب مستعمر ومنفي ، يعون كفاحهم ، باعتباره في جوهره ، مماثلاً للكفاح الذي خاضه الشعبان الجزائري والفييتنامي ، تحقيقاً للتحرر الوطني . لكن هذا لا يعني أنهم غير منتهيين لمخاطر استخدام العنف وعواقبه . ولعل فرانتز قانون في كتابه « معذبو الأرض » يقدم أفضل تعبير عن هذا الجانب المهم من الحاجة الاضطرارية الى عنف كهذا : انه يرى الى المنبوذين في المجتمع ، الذين هم فوق مستوى

الاحسان ، لكنهم ليسوا دون مستوى الاصلاح ، على انه يمكن « تخليصهم » أو إنقاذهم ، وذلك من خلال انخراطهم في العنف الثوري . فإزالة الاستعمار تأتي بعد « مجابهة حاسمة وعسيرة بين الفريقين » ، وهي مجابهة من شأنها تحويل « الشيء » المستعمر ( بفتح الميم ) الى « إنسان » . إن حافز التدمير الذاتي ، العميق ، يستنفد في حقل العمل :

« العنف وحده ، العنف الذي ينجزه شعب ، العنف الواعي والمنظم من جانب قادته ، هو الذي يجعل من الممكن لكتل الجماهير أن تفهم الحقائق الاجتماعية ، وهو الذي يقدم لها المفتاح ... والعنف على مستوى الأفراد يمثل قوة مطهرة ... ( انه ) يعتق « ابن البلد » من مركب الدونية والقنوط والتواكل : ويحرره من الشعور بالخوف ، ويعيد له احترامه لذاته » (١) .

لا ريب في ان فانون سيتفق مع الرأي القائل إن العنف الفلسطيني ، المنظم والموجه نحو تحقيق أهداف معينة في سياق الاستراتيجية العامة للحركة ، يمكن تصنيفه كعنف ثوري . ومع ذلك ، فالعنف الذي يفتقر الى الغايات السياسية ، أو يتناقض واستراتيجية التحرر الوطني للشعب الفلسطيني ، ينبغي تصنيفه إرهاباً . وأنه لأمر يتجاوز مجال هذه المقالة ، السعي الى وضع معيار نظري للتمييز بين الارهاب والعنف الثوري ، وهو موضوع واسع وشائك يتطلب قدراً هائلاً من البحث والنقاش . وجل مبتغاي في هذا المقام ، هو الاكتفاء بالإشارة المجردة الى التباين الحاصل بين النظرتين الفلسطينية والأمريكية إلى كيفية فهم وتناول موضوع أعمال العنف الفلسطينية .

تكمن خطورة النظرة الأمريكية الى العنف الفلسطيني في أنها ترسم سياسة أمريكية عامة إزاء مثل هذا العنف . وما تتوخى طرحه هذه المقالة ، هو أن العنف الثوري الفلسطيني يمثل متغيراً بارزاً يؤثر على السياسة الأمريكية إزاء الفلسطينيين ، وإزاء الشرق الأوسط كله سواء بسواء . وقبل الغوص في الموضوع ، يحسن بنا أن نلم بصعود العمليات الفلسطينية ، وبأتماطها ومساراتها ، وبسياسة الولايات المتحدة واستجاباتها واهتماماتها في هذا النطاق .

### أ - صعود العنف الثوري الفلسطيني

تعتبر منظمات المقاومة الفلسطينية « العلاقة الخاصة » بين الولايات المتحدة وإسرائيل ، مسئولة جزئياً على الأقل عن استمرار تشتت الشعب الفلسطيني واغترابه عن موطنه . وترتب على ذلك ، أن المواطنين الأمريكيين والممتلكات الأمريكية ، كثيراً ما أصبحوا أهدافاً لعمليات فلسطينية فدائية .

ولقد سجل الثالث والعشرون من يوليو (تموز) من العام ١٩٦٨ ، ظهور أول عملية فلسطينية على النطاق الدولي ، إذ إختطفت الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين طائرة تابعة لشركة إعال ، واقتادتها الى الجزائر . ولقد شقت هذه العملية الطريق أمام سياسة جديدة قوامها ضرب الأهداف الاسرائيلية أينما كانت . وتمخض عن هذه السياسة الجديدة كذلك ، التوجه الى ضرب أهداف لدول معروفة بمساندة إسرائيل .

ونقدم فيما يلي قائمة مختارة لعمليات قام بها الفدائيون الفلسطينيون . وسنحدد من قام بكل عملية ، كلما أمكن ذلك . أما علامات الاستفهام التي سنستخدمها أحياناً ، فهي دلالة على العمليات التي لم يتحمل مسؤوليتها أحد ، أو تلك التي تحملها طرف باسم مستعار .

قائمة بالعمليات الفدائية الفلسطينية : تموز ( يوليو ) ١٩٦٨ - آذار ( مارس ) ١٩٧٨

الموقع	الهدف	القاعل	التاريخ
روما الى الجزائر	اختطاف طائرة إعمال ( اسرائيلية )	الجهة الشعبية لتحرير فلسطين ( قبل انشقاق القيادة العامة عنها )	٢٢ تموز ١٩٦٨
اينبا	طائرة إعمال ( اسرائيلية ) قنابل يدوية ، وإطلاق نار	الجهة الشعبية لتحرير فلسطين	٢٦ كانون الاول ١٩٦٨
نورديخ	طائرة إعمال ( اسرائيلية ) رشاشات	الجهة الشعبية لتحرير فلسطين	١٨ شباط ١٩٦٩
الحولان	التابلين ( الولايات المتحدة ) تفجير	الجهة الشعبية لتحرير فلسطين	١٩٦٩ أيار
لندن	متجران يحملهما يهود ( الصهيونية ) إطلاق نار وتفجير	الجهة الشعبية لتحرير فلسطين	١٨ تموز ١٩٦٩
لندن	زيم ( شركة ملاحية اسرائيلية ) تفجير	الجهة الشعبية لتحرير فلسطين	٢٥ أيار ١٩٦٩
باريس الى سوريا	تي بليسو . أي ( الولايات المتحدة ) اختطاف طائرة وتدميرها	الجهة الشعبية لتحرير فلسطين وأمريكويون لاتيفيين	٢٩ أيار ١٩٦٩
بروكسل	مكتب إعمال ( اسرائيلي ) تفجير	اشبال الجهة الشعبية لتحرير فلسطين	٩ ايلول ١٩٦٩
بون	السفارة الاسرائيلية ، تفجير	اشبال الجهة الشعبية لتحرير فلسطين	٩ ايلول ١٩٦٩
لاهاي	السفارة الاسرائيلية ، تفجير	اشبال الجهة الشعبية لتحرير فلسطين	٩ ايلول ١٩٦٩
لندن	التارلين ، الزمراني ( الولايات المتحدة ) صواريخ	الجهة الشعبية لتحرير فلسطين	تشرين الاول ١٩٦٩
اينبا	مكتب إعمال ( اسرائيلي ) ، تفجير	جهة النضال الشعبي	٢٧ تشرين الثاني ١٩٦٩

التاريخ	الفاعل	الهدف	الواقع
١٠ شباط ١٩٧٠	الجهة الشعبية الديمقراطية لتحرير فلسطين (الجهة الشعبية لتحرير فلسطين) المنظمة العربية لتحرير فلسطين (٢)	باسم الشركة المال واستراحة (اسرائيل) - قتال يمنية	ميونيخ
٢٠ شباط ١٩٧٠	الجهة الشعبية لتحرير فلسطين - القيادة العامة	الخطوط الجوية السويسرية (سويسرا واسرائيل) تفجير في الهواء	زيوريخ
٢٠ شباط ١٩٧٠	الجهة الشعبية لتحرير فلسطين - القيادة العامة	الخطوط الجوية الامريكية (النمسا واسرائيل) تفجير في الهواء	فراנקفورت
٢٥ نيسان ١٩٧٠	جماعة ما	مكتب العمال (اسرائيل) تفجير	استانبول
٤ ايار ١٩٧٠	فتح	السفارة الاسرائيلية ، اطلاق نار	جالاغواي
٧ حزيران ١٩٧٠	جماعة ما	انتحاف موظف امريكي ليوم واحد	عمان
٧ حزيران ١٩٧٠	جماعة ما	محاولة انتحاف موظف امريكي	عمان
١ حزيران ١٩٧٠	الجهة الشعبية لتحرير فلسطين	فندق رومان	عمان

بيروت الى القاهرة	الخطوط الازبلية ( اليونان ، اخطاف	جبهة الشمال الشعبي	١٩٧٠ تموز ٢٢
اوروبا الى القاهرة	بان اميكان (الولايات المتحدة) اخطاف	الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين	١٩٧٠ ايلول ٥
امستردام الى لندن	اخطاف طائرة لشركة المال ( اسرائيل )	الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين وامريكويون لاتينيون	١٩٧٠ ايلول ٥
فراكفورت الى الازرن	اخطاف ( الولايات المتحدة ) اخطاف	الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين	١٩٧٠ ايلول ٥
نيورنخ الى الازرن	الخطوط الجوية السويسرية ( سويسرا ) اخطاف طائرة	الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين	١٩٧٠ ايلول ٥
البحرين الى الازرن	الخطوط الجوية البريطانية	الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين	١٩٧٠ ايلول ٩
الازرن	القبايلن (الولايات المتحدة والازرن) تفجير	جماعة ما	١٩٧١ نيسان ٢
البحر الاصفر (اليمن الجنوبي)	ثلاثة لبيعية (اسرائيل/البحر والسمودية) صاروخ	الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين	١٩٧١ حزيران ١٤
مدريد	طائرة عالية ( الازرن ) تفجير	فتح ( لم تعلن التنبى )	١٩٧١ آب ٢٤
الى ليبيا	طائرة عالية (الازرن) اخطاف طائرة	شخص من فتح	١٩٧١ ايلول ٨

الوقوع	المسوق	الفاعل	التاريخ
الأردن	التبليين ( الولايات المتحدة ، السعودية ، الأردن ) الأردن ( تفجير	جماعة ما	٩ أيلول ١٩٧٨
الأردن	التبليين ( الولايات المتحدة ، السعودية ، الأردن ) الأردن ( تفجير	جماعة ما	١٥ أيلول ١٩٧٨
بيروت	طائرة عالية ( الأردن ) تفجير ، لا أضرار ، قتل الضمن	جماعة ما	٧ تشرين الأول ١٩٧٨
الأردن	التبليين ( الولايات المتحدة - الأردن ) تفجير	جماعة ما	٢٤ تشرين الأول ١٩٧٨
عمان	فندق انتركونتيننتال ( الأردن - الولايات المتحدة ) أربع قتيل	جماعة ما	١٠ تشرين الثاني ١٩٧٨
القاهرة	ومفي التل ( الأردن ) اغتيال	منظمة الجول الأسود	٢٨ تشرين الثاني ١٩٧٨
لندن	زبد الرفاعي (الأردن) محاولة اغتيال، إصابة بجروح باستخدام رشاش	منظمة الجول الأسود	١٥ كانون الأول ١٩٧٨
جنيف	السفير الأردني - طرود علوية ، ثلاث إصابات	منظمة الجول الأسود - حركة التحرير الوطني الأردنية	١٦ كانون الأول ١٩٧٨

موزلدا	محطة ضخ الغاز (موزلدا، إسرائيل)	تخريب	منظمة إيول الأسود	٨ شباط ١٩٧٢
هابورج	محطة توليد الكهرباء (إسرائيل، ألمانيا)	تخريب	منظمة إيول الأسود	٨ شباط ١٩٧٢
تيرولهي اليمين الجنوبي	طائرة لوفتهانزا (ألمانيا) معجم	الجهة الشعبية لتحرير فلسطين ومنظمة ضحايا الاحتلال الصهيوني	٢٢ شباط ١٩٧٢	
فيينا اول تل ابيب	طائرة سايبرا (إسرائيل) الطائرة	منظمة إيول الأسود	٨ ايار ١٩٧٢	
تل ابيب	مطار اللد (إسرائيل) اختطاف طائرة	الجهة الشعبية لتحرير فلسطين والجيش الأحمر الياباني	٣٠ ايار ١٩٧٢	
	خزانات النفط (ألمانيا، فرنسا، تركيا، إيطاليا إسرائيل) تخريب	منظمة إيول الأسود	٥ آب ١٩٧٢	
روما	طائرة إلمال (إسرائيل) تخريب -	منظمة الشباب القومي العربي لتحرير فلسطين (؟)، منظمة إيول الأسود (؟)	١٦ آب ١٩٧٢	
مونتيج	العرق الأجنبي الإسرائيلي (اختطاف)	منظمة إيول الأسود	٥ ايلول ١٩٧٢	

الموقع	الهدف	الفاعل	التاريخ
لندن ، روما ، جنيف ، باريس (عل امتداد العالم)	موظفون اسرائيليون ومصالح يهودية- طرد يهودية	منظمة ايلول الاسود	١٩٧٢ ليرول - تشرين الثاني
الجزائر	السفارة الايانية ( ألمانيا )	جماعة ما ( طلبة فلسطينيون )	٦ تشرين الأول ١٩٧٢
بيروت ال يوغسلافيا ال ليبيا	لوفتهانزا ( ألمانيا ) اختطاف طائرة	منظمة الشهاب القومي العربي لتحرير فلسطين (٩) منظمة ايلول الاسود (٩)	٢٩ تشرين الأول ١٩٧٢
بيروت	سفارة الولايات المتحدة - مورايخ	منظمة ايلول الاسود (٩)	٣٠ كانون الأول ١٩٧٢
بانجوك	السفارة الاسرائيلية - رهائن	منظمة ايلول الاسود / على طه	٢٨ كانون الأول ١٩٧٢
باريس	وكالة الهجرة اليهودية (الصهيونية) تفجير	منظمة ايلول الاسود	٨ كانون الثاني ١٩٧٢
السعودية	التايلان (السعودية، الازرن، الولايات المتحدة)	الجيش الجمهوري الازرنى - قوات العقاب	٢١ كانون الثاني ١٩٧٢
الذخوليم	السفارة السعودية وموظفون امريكيون ولاحككون ولاحككون رهائن	منظمة ايلول الاسود	١ آذار ١٩٧٢
بيروت	سفينة يونانية (السياسة الاسرائيلية) تفجير	منظمة ايلول الاسود	٤ آذار ١٩٧٢
قيروص	السفير الاسرائيلي ، طائرة المال - تفجير	منظمة الشهاب القومي العربي لتحرير فلسطين	٩ نيسان ١٩٧٢

لبنان	التيلين ( الولايات المتحدة ) تفجير	جماعة ما	١٤ نيسان ١٩٧٢
لبنان	التيلين (الولايات المتحدة) تفجير ، لا لبنان انصرار	جماعة ما	١٦ نيسان ١٩٧٢
بيروت	قتل السفير الأمريكي	جماعة ما	٢ ايار ١٩٧٢
اثينا	مكتب العمال ( اسرائيل ) هجوم ، اثينا إخفاق ، فندق ، رهائن	منظمة ضحايا الاحتلال الصهيوني / فودي	١٩ تموز ١٩٧٢
سوريا	الخطوط الجوية اليابانية ، اختطاف وتدمير مولنا الى دبي ال طائرة يابانية	منظمة ابناء الاراضي المحتلة ( شهداء الكرمل ) - الجيش الأحمر وأمريكوز لاتينيون ( الجبهة الشعبية ؟ ) حاد ؟	٢٠ تموز ١٩٧٢
اليونان	مطار (السيحة الاسرائيلية) اليونان (تي ، بطيخ ، إي تل ابيب) هجوم	منظمة ليلول الأسود (٥) الفترة الانتحارية السابعة	٥ آب ١٩٧٢
الرياض	السفارة السعودية ( رهائن ) اختطاف موظفين بارس، الكويت / السعودية ( الاردن ، السعودية ) الرياض	فتح والجبهة الشعبية لتحرير فلسطين	٥ ايلول ١٩٧٢
برلين الغربية	الجناح الاسرائيلي في معرض	منظمة ليلول الأسود (٥)	١١ ايلول ١٩٧٢

٦٤ :

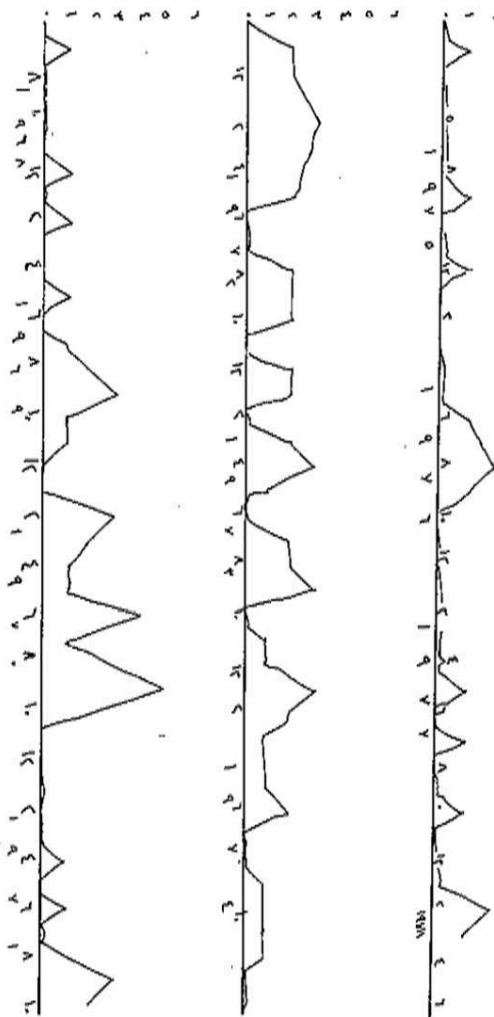
الموقع	الهدف	القاعل	التاريخ
النمسا	قطار من روسيسا ( رهاغن - اسرائيل والنمسا )	فهدر الثورة الفلسطينية	٢٨ ايلول ١٩٧٢
بيروت الى دمشق الى قبرص الى ليبيا الى مالطا الى سوي	الخطوط الجوية الهولندية (فرنسا ، الهجره اليهودية ) اختلاف	منظمة الشباب القومي العربي تحرير فلسطين	٢٥ تشرين الثاني ١٩٧٢
روما الى اثينا	( ايطاليا ، الولايات المتحدة ، مؤتمر السلام ) عائسة لشركة بان اميركان ، وكابي ، مبارات تاريخية وتنجير قنابل ... لوفتهانزا ( اليونان ) هجوم	جماعة فقور	١٧ كانون الاول ١٩٧٢
لندن	مجوم ( الصهيونية البريطانية )	الجهة الشعبية لتحرير فلسطين	١ كانون الثاني ١٩٧٤
لندن	بنك اسرائيل - تفجير	الجهة الشعبية لتحرير فلسطين	٢٥ كانون الثاني ١٩٧٤
ستغافورة	مصفاة شركة شل ( هولندا ) تفجير	الجهة الشعبية والجيش الاحمر ومنظمة ابناء الاراضي المحتلة	٢١ كانون الثاني ١٩٧٤
الكويت	السفارة اليابانية - رهاغن	الجهة الشعبية والجيش الاحمر ومنظمة ابناء الاراضي المحتلة	٦ شباط ١٩٧٤

باكستان	انخفاف	الوزير -	ناقل جيوماتريكية -	جماعة غفور	١٩٧٤
			بحري - وهائن		٣ شباط ١٩٧٤
					٤ ايار ١٩٧٤
			طائرة بريطانية (بريطانيا والولايات المتحدة)	منظمة الشباب القومي العربي لتحرير	
			بيروت الى هونغ	فلسطين	
			انخفاف الطائرة		
اسرائيل	اسرائيل	اسرائيل	اسرائيل	الجهة الشعبية - القيادة العامة	١٩٧٤ نيسان ١١
اسرائيل	اسرائيل	اسرائيل	اسرائيل	الجهة الديمقراطية لتحرير فلسطين	١٥ ايار ١٩٧٤
اسرائيل	اسرائيل	اسرائيل	اسرائيل	الجهة الشعبية - القيادة العامة	١٣ حزيران ١٩٧٤
اسرائيل	اسرائيل	اسرائيل	اسرائيل	فتح	٢٤ حزيران ١٩٧٤
باروس	قتل شخصين باروسيين ، وامصابة ٢١ شخصا	لم يعلن تبنيها احد	في مستودع اودية		١٥ ايلول ١٩٧٤
عميت في	طائرة بريطانية من دبي - انخفاف	القانون الفلسطينيون	عميت في		٢١ تشرين الثاني ١٩٧٤
طرابلس الغرب	ومقتل شخص واحد				
ياص ساجي	( الحج الى الارض المقدسة ) - اصابة	القانون الفلسطينيون	ياص ساجي		٢٣ كانون الاول ١٩٧٤
للمعززة	شخص واحد		للمعززة		

الموقع	الهدف	الفاعل	التاريخ
تل أبيب	سنة جرحى - ١٨ قتيلا ، فلق سافوي	فتح	٦ آذار ١٩٧٥
السفارة المصرية في مدريد	اختطف خمس رهائن الى الجزائر - الاخراج عنهم	القائدون الفلسطينيون	١٦ ايلول ١٩٧٥
قرب تل أبيب	تاكه للاكيوس والسيط - ٢٠ رهينة	فتح	٢ كانون الاول ١٩٧٥
القاهرة	( مصر ) بونينغ ٧٢٧ ، ٩٧ راكب وستة ملايين	ثلاثة قذائف عرب ( قائد لبي )	٢٢ آب ١٩٧٦
تل أبيب	مقاتلة للاخطوط الفرنسية - ٢٥٧ رهينة	الجهة الشعبية وراكبائون الان	٧٨ حزيران ١٩٧٦
استانبول	طائرة العمل (سرايلية) بونينغ ٧٠٧	الجهة الشعبية لتحرير فلسطين	١٢ آب ١٩٧٦
نيس ، استورام	الخطوط الجوية الهولندية و ٨٢ راكبا	القائدون الفلسطينيون	٥ ايلول ١٩٧٦
القدس	متجورات	فتح	٢٩ ايار ١٩٧٧
الكويت	الخطوط الجوية الكويتية	جامعة ما	١ تموز ١٩٧٧

توكيا - دبي	لوفتهانزا - بوينغ ٢٢٧	الجهة الشعبية لتحرير فلسطين	١٥ تشرين الاول ١٩٧٧
أوروبا	حقن البرتقال الاسرائيلي بالسodium	جماعة ما	١٧ شباط ١٩٧٨
قبرص	اغتيال يوسف السباعي (صحافي مصري)	جماعة ما	١٩ شباط ١٩٧٨
حيفا - طريق تل ابيب (٢١)	باص اسرائيلي	فتح	١٢ آذار ١٩٧٨

ملاحظة : لقد تزايدت العمليات والهجمات داخل فلسطين المحتلة بعد العام ١٩٧٤ . ولم تورد منها في القائمة أعلاه سوى تلك التي استهدفت التأثير على النشاطات السياسية خارج اسرائيل ، كملفرضات السلام مثلا . ومن الجلي ان العمليات الفدائية تقلصت بصورة ملموسة في العام ١٩٧٦ نتيجة للانقسام الفلسطيني في الحرب الأهلية في لبنان .



يتبين من فحص القائمة والرسم البياني ، تزايد العنف ، كاستجابة للظروف والغايات السياسية . من ذلك :

**أعمال إثبات الوجود التي تستهدف نيل الاعتراف بالحركة كلها أو بجماعة معينة منها ،**  
كالجبهة الشعبية لتحرير فلسطين ، والجبهة الديمقراطية لتحرير فلسطين ، ومنظمة ايلول الأسود . ولقد لوحظ التزايد في مثل هذا النشاط بين حزيران وايلول ١٩٧٠ ، ردا على مبادرة روجرز لوقف اطلاق النار على قناة السويس . لقد شعرت الحركة الفلسطينية بخطر العزلة ، وارتأت أن الحكومات العربية قد أذعنّت تماما للمبادرة الأمريكية . وانتهت العملية الغربية لاختطاف الطائرات الأربع في ايلول ، بالحرب بين قوات الفدائيين وبين قوات الحسين في الأردن . على أنه يمكن النظر الى النشاطات الفدائية في تلك الفترة من خلال غاية أخرى : الدفاع عن الحركة بالقيام بأعمال استهدفت التشويش على مبادرات السلام . فمبادرات السلام بدا أنها كانت تهدد بنسف الهدف الفلسطيني المهم ، وهو حق تقرير المصير .

والغرض الثالث يتصل بالتنافس الداخلي بين المنظمات . فجماعات فلسطينية عديدة أصغر حجماً تحركت لتثبت قدرتها - عمليا - على تبني أهداف معينة . كما ان تلك الأعمال أدت الى تدعيم العلنية ، وتعزيز الشرعية ، وتنسيق الجهود المبذولة لتجنيد أعضاء جدد . وان الكثير من عمليات الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين يمكن تصنيفه في هذا الباب .

وكان هناك هدف رابع ، هو معاقبة البلدان والجماعات والأشخاص بسبب مواقف وسياسات معادية ( للعرب والقضية الفلسطينية ) . ونذكر من هذا النوع عملية اغتيال رئيس الوزراء الأردني وصفي التل في القاهرة . كما يمكن أن ندرج في هذه الفئة إرسال الطرود البريدية الملقومة الى الرسميين الاسرائيليين والى أنصار إسرائيل وراء البحار .

هناك صلة وثيقة بين نمط العمليات الفدائية وبين المبادرات السلمية . فلقد كان الرد على المبادرات السلمية الأمريكية عادة ، تصعيدا دراماتيكيا في أعمال العنف . ويبدل الرسم البياني على تزايد العمليات ردا على المبادرة الأمريكية لوقف إطلاق النار في حزيران ١٩٧٠ ، وردا على تمديد وقف إطلاق النار غاما آخر ، وردا على محادثات التسوية المؤقتة . وفي المرحلة اللاحقة ، أي تزايد العمليات من تموز ١٩٧٢ الى أيار ١٩٧٣ ، يتمشى هذا التزايد مع طرد السادات للمستشارين السوفيات ، الأمر الذي أدى في حينه الى التكهن باحتمال عقد اتفاقية سرية بين مصر والولايات المتحدة ، بعد انتهاء الانتخابات الرئاسية الأمريكية .

أما ما حدث في ١٧ كانون الأول ١٩٧٣ من إلقاء القنابل واستخدام الرشاشات ضد طائرة بان أميركان في مطار روما ، وكذلك تكرار الهجمات بين كانون الثاني ونيسان من العام ١٩٧٠ ، فيتوافق وجهود كيسنجر من أجل فك الارتباط . على أي حال ، فمنذ أمر عرفات بوقف العمليات خارج فلسطين المحتلة ، تدنى عدد العمليات بصورة كبيرة . ولقد اتخذ عرفات ذلك القرار كبادرة حسن نية من جانب منظمة التحرير الفلسطينية ، وكان يأمل أن يتلقى دعوة للمشاركة في مؤتمر جنيف للسلام . كما ينبغي أن نسجل ان عرفات وافق على عملية اختطاف باص سياحي اسرائيلي على طريق حيفا - تل أبيب في ١٩٧٨ ، وهي العملية التي قتل فيها ٢٦ إسرائيلياً وأمريكياً واحد ، والتي استخدمتها اسرائيل ذريعة لغزو جنوب لبنان . وما كان

يثوخاه عرفات من المصادقة على هذه العملية هو نفس مبادرة السادات للسلام ، أو على الأقل كشف « طبيعتها الحقيقية » .

ويتضح بسهولة من مراجعة قائمة العمليات الفدائية التي قام بها الفلسطينيون منذ ١٩٦٨ ، أن إسرائيل كانت الطرف المستهدف بمعظم العمليات . وكان الأردن الثاني . واحتلت الولايات المتحدة المرتبة الثالثة .

### ب - جهود الولايات المتحدة لمكافحة العنف الفلسطيني

نظرت الولايات المتحدة بكثير من القلق الى تصاعد موجة « الارهاب » و « الارهاب المضاد » التي أعقبت حرب ١٩٦٧ العربية - الاسرائيلية . فتلقت الظاهرة جعلت السلم في المنطقة مزعزعا للغاية . ولقد وقف ناظر الخارجية الأمريكية دين راسك ، في مؤتمره الصحافي في الثالث من كانون الثاني ١٩٦٩ ليقر بالمخاطر ، وليحث الفريقين على ضبط النفس :

« إننا ندعو الحكومات العربية الى ان تدرك ان عليها القيام بأقصى ما تستطيع لضبط النشاط الارهابي . وندعو إسرائيل الى التسليم بأن سياسة الانتقام المفرط لن ينتج عنها السلام الذي ترغب فيه بالتأكيد » (٣) .

ولم يلق نداء راسك اكرثا . فعملية الاختطاف الجوي الفلسطينية الأولى التي استهدفت طائرة إلعال في ٢٢ تموز ١٩٦٨ ، سرعان ما لحقتها عمليات . واستهدف بعض هذه العمليات الطائرات الأمريكية ، وكانت المطارات مسارح هذه العمليات ، حيث السياح الأمريكيون أبدا حاضرون ! وشجبت الولايات المتحدة أعمال اختطاف الطائرات ، وادانتها باعتبارها أفعالا إرهابية وغير مشروعة ولا يمكن قبولها . وبهذا بدأت مرحلة من المجابهة بين الولايات المتحدة وبين منظمة التحرير الفلسطينية . وأطلقت الولايات المتحدة على مختطفي الطائرات نعت « مجرمين دوليين » . كما انضمت الى ركب مستنكري الارهاب الإسرائيلي تحت عنوان « الانتقام » . وكانت أولى الطائرات الأمريكية التي اختطفت خارج نصف الكرة الغربي ، طائرة تي . دبليو . إي التي اقتادها أعضاء الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين في ٢٩ آب ١٩٦٩ . وكانت وجهة الطائرة تل أبيب ، مع توقف في أثينا . لكنها أرغمت على الهبوط في دمشق حيث قام الفدائيون بتفجير الطائرة بعد إخلائها من الركاب . ووصف ناظر الخارجية روجرز العملية بأنها « قرصنة جوية » (٤) .

وردا على هجمات المنظمات الفلسطينية على الأهداف الأمريكية والاسرائيلية ، سعى الكونجرس الأمريكي الى قطع المساهمة المالية الأمريكية في ميزانية الاونروا ، للضغط على اللاجئين الفلسطينيين كيما لا ينضموا الى « كفاح التحرير » . وأضيف الى قانون المساعدات الخارجية الأمريكية للعام ١٩٦٩ مقطع يتعلق بهذا الشأن :

« لا ينبغي أن يتاح الحصول على أي قسط من المساهمة المالية للولايات المتحدة في ميزانية الاونروا ، لأي لاجيء يتلقى تدريباً عسكرياً كعضو في ما يسمى بجيش التحرير الفلسطيني أو في أية منظمة أخرى من منظمات الغوار ، أو شارك في أي من أعمال الارهاب »

« ... وأنه لمن الأساسي توجيه ضغوط مستمرة على موظفي الأمم المتحدة الذين يقيمون

اتصالات مع تلك المنظمة ، والى أولئك المسؤولين مباشرة عن ادارتها ، للحؤول دون استخدام ميزانية الوكالة لتعزيز النشاطات العسكرية أو الإرهابية ، في أية صورة من الصور . « (٥)

ومع أن الولايات المتحدة اقتطعت مبلغاً بسيطاً من قيمة مساهمتها في ميزانية الأونروا ، فإنها كانت بعملها هذا تنطلق من الاعتقاد بوجود قيام الدول الأخرى بزيادة أنصبتها في أعباء الأونروا المالية . على أن المقطع المشار اليه أنفاً والذي أضيف الى قانون المساعدات الخارجية ، لم يوضع قط موضع التطبيق ، لأن الإدارة ( الأمريكية ) شعرت بأنه قد يكون ذا تأثير شامل على زعزعة الموقف ، والإضرار بمصالح الولايات المتحدة في النهاية .

تنظر جماعات منظمة التحرير الفلسطينية الى الولايات المتحدة على أنها التصير الرئيسي لاسرائيل ، والتي لولاها ما كان بوسع اسرائيل مواصلة احتلال الأراضي العربية « وانتهاكاتها الفاضحة للحقوق الانسانية والمدنية للفلسطينيين » . وبناء عليه ، شعرت بأن الولايات المتحدة ينبغي أن تكون هدفاً مشروعاً لعملياتها الفدائية . وجرى فعلاً توجيه المزيد من العمليات نحو ضرب المصالح الأمريكية . فكانت هناك هجمات على الدبلوماسيين الأمريكيين ، مثلما كانت هناك هجمات على المصالح الاقتصادية الأمريكية . في آذار ١٩٧٣ ، قتلت منظمة ايلول الأسود سفير الولايات المتحدة في السودان ، كليو نويل ، والقائم بالأعمال كيرتس مور ، بعد أخذهما رهينتين من حفلة في السفارة السعودية في الخرطوم . وفي ذلك الحين ، عندما كانت الولايات المتحدة تتصرف خلال أقدية غير مباشرة ، وجهت إنذاراً جاداً الى منظمة التحرير الفلسطينية : « إبتعدوا عن دبلوماسيينا ، وإلا ! » . لقد هددوا برد سريع . (٦)

وكانت الفترة التالية لوقف إطلاق النار على الجبهة المصرية - الاسرائيلية الذي تم تحقيقه بإشراف أميركي في صيف العام ١٩٧٠ ، فترة مجابهة شديدة بين الولايات المتحدة والفلسطينيين . وقرر فدائيو الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين القيام بخطوة عنيفة ، في ظل الخشية من تجاهل مستقبلهم في أية تسوية سلمية ، والخوف من سحق الحركة ( الفلسطينية ) . وترجمت هذه المخاوف بصورة صارخة الى سلسلة من عمليات الاختطاف الجوي في أوائل ايلول ١٩٧٠ . ولقد أنزلت الطائرات المختطفة في مهبط جوي قليل الاستعمال في الصحراء الأردنية قرب عمان ، وعلى متونها مئات الرهائن .

كشفت هذه الأحداث عن القدرة التي تمتعت بها منظمة التحرير الفلسطينية ، قدرتها على هز المنطقة ، وإفقادها استقرارها ، بل وقدرتها على تشكيل خطر لجر القوى الكبرى الى معمة النزاع . ولقد شهد ذلك المهبط الصحراوي فصول الدراما المثيرة ، قبل أيام قليلة فقط من اندلاع نيران الحرب القصيرة نتائج مدمرة بالنسبة للفلسطينيين : فالفدائيون تم إخراجهم من المدن تطبيقاً لاتفاق بين حسين والحكومات العربية ، وقتل الآلاف من الفلسطينيين ، ومعظمهم من المدنيين العزل ، بأيدي قوات البادية الموالية للملك .

وأدى اختطاف الجبهة الشعبية للطائرات الأربع بين ٥ و ٩ ايلول الى انفجار شعور معاد للفدائيين في اوساط رجال الكونجرس الأميركي ، الذين وصفوا منقذي العملية بأنهم نفر من « المعتوهين والمجانين » الذين « يغتصبون » معاني الكلمات إذ يصفون أنفسهم بأنهم مناضلون من أجل التحرير . وكان الوصف السائد للعملية أنها « عديمة الانسانية وعمل

حيواني » ، هذا على الرغم من أن الرهائن نكروا فيما بعد أن مختطفهم عاملوهم بطريقة متحضرة وتبعث على الإعجاب . ومما قاله الشيخ لونج من لوزيانا إنه إذا كان الأردن يفتقر الى حكومة ، فإن على الأمم الأخرى أن تهب لتنشئ حكومة لشعب ذلك البلد ، ريثما يصبح قادراً على إقامة حكومة بنفسه . وأضاف انه ينبغي إبلاغ الأردن بأن من واجبه احتجاز الخارجين على القانون ومعاقبتهم ، وإذا قتل الارهابيون أي شخص ، فلا بد من قتلهم جميعاً « وشنقهم من أعقابهم ... » (٧)

في الفترة السابقة للحرب الأهلية الأردنية وخلالها ، كانت هناك خشية عظيمة في واشنطن وتل أبيب على الملك حسين ، الصديق الصدوق للولايات المتحدة ، والزعيم العربي المعتدل ، الخشية من أن يطاح به، ويستبدل بنظام راديكالي حليف للفلسطينيين وسواهم من العرب الراديكاليين . ولقد أمارت أحد المراسلين اللثام ، في مقالة نشرتها له نيويورك تايمز ، عن المدى الذي بلغت التحضيرات الأمريكية - الاسرائيلية من أجل القيام بعمل عسكري مشترك في الأزمة الأردنية ، فيما لو أصبح الملك حسين عاجزاً عن السيطرة على الوضع بنفسه .

وتمثل سيناريو تلك الخطة في هجوم اسرائيلي على القوات السورية التي كانت قد دخلت الأردن دعماً للفلسطينيين ، إذا ما بدا أن جيش الملك عاجز عن التصدي لها . وفي هذه الحالة ، كان على الولايات المتحدة أن تحرك أسطولها السادس ووحدات عسكرية أخرى لحماية مؤخرة جناحي إسرائيل من أية هجمات مصرية أو سوفياتية تنطلق من منطقة قناة السويس .

ولقد تولى الرئيس نيكسون شخصياً قيادة النشاط الدبلوماسي والعسكري الكثيف ، بينما كانت الأزمة تقترب من نروتها . لكن خطط التدخل في حال وقوع اختراق عراقي أو سوري جدي وخطير للأردن ، لم يقيض لها أن توضع موضع التطبيق أبداً . فالمائتان والخمسون دبابة لجيش التحرير الفلسطيني، التي كانت تحت السيطرة السورية، أجبرت على الانسحاب بضغط من حافظ الأسد قائد سلاح الجو السوري ووزير الدفاع آنئذ . (٨) ومع ذلك ، تحركت القوات الاسرائيلية واقتربت من خط الحدود السورية - الأردنية ، فيما أمر الرئيس نيكسون وحدات عسكرية في فورث براج في المانيا الغربية ، وفي الأسطول السادس، بأن تكون في أعلى درجات الاستنفار .

وفي الثاني عشر من تشرين الأول ١٩٧٠ عرض عرفات رئيس اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية على الصحافيين في عمان ، فوارغ لعدائف تحمل علامات عبرية ، واتهم الأمريكيين والاسرائيليين بالتورط في الحرب . لكن اتهاماته نفيت بالدليع .

ولقد استشاط غضب الولايات المتحدة ، وبلغ ذعرها مداه ، إبان الهجمة التي قامت بها منظمة ايلول الأسود السرية ، على الرياضيين الاسرائيليين في قرية الألعاب الأولمبية في ميونيخ . وطالب الفدائيون يومئذ بالافراج عن مائتي أسير فلسطيني في السجون الاسرائيلية مقابل إطلاق الأحد عشر رياضياً إسرائيلياً . ورفضت اسرائيل الطلب . وقامت كل من المانيا واسرائيل بوضع خطة مشتركة لقتل الفدائيين وتحرير الرهائن . لكن الخطة منيت بالافراق ، ولاقى الأحد عشر رياضياً اسرائيلياً حتفهم ، سوية مع خمسة من الفدائيين .

وفي ظل الخوف من احتمال حدوث عمل مماثل في الولايات المتحدة نفسها ، تحركت إدارة

نيكسون لشن حملة لمكافحة الارهاب على صعيدين : ١ - برنامج لخطوات وقائية داخل الولايات المتحدة . و ٢ - خطوات لمحاربة الارهاب على المستوى الدولي ، بالتعاون مع أمم أخرى .

#### أ - الخطوات والجهود الداخلية

في ايلول ١٩٧٢ أصدر الرئيس نيكسون أمراً تنفيذياً بتأليف لجنة وزارية مهمتها درس الوسائل الناجعة من أجل منع الارهاب في داخل الولايات المتحدة وخارجها . وتولى ناظر الخارجية رئاسة اللجنة ، التي ضمت في عضويتها بالإضافة الى عدد اخر من الوزراء ، كلامن مدير وكالة المخابرات المركزية ، ومدير مكتب التحقيقات الاتحادي ، ومجموعة من مساعدي الرئيس لشؤون الأمن القومي والشؤون الداخلية . وتبنت اللجنة عدة خطوات ، وأقرت عدة إجراءات لتحسين سبل مكافحة الارهاب سواء في داخل الولايات المتحدة وخارجها . ومن الخطوات التي لجأت اليها اللجنة :

١ - الأمر الى وكالة المخابرات المركزية باجراء فحص أمني يتناول كل شخص عربي مسافر الى الولايات المتحدة . وعمم ناظر الخارجية روجرز ثلاث برقيات وجهها الى جميع المكاتب الدبلوماسية الأمريكية في الخارج ، في الثامن ، والثامن عشر ، والعشرين من ايلول ١٩٧٢ ، يحدد فيها تفاصيل الفحص الأمني المطلوب : البرقية الأولى المعروفة باسم « عملية باولدر » أرسلت بعد ثلاثة أيام من الهجوم الفدائي على القرية الألبانية في ميونيخ . وطلبت الى السفارة الأمريكية القيام بعملية غريبة لجميع العرب وسواهم من الذين قد تكون لهم صلة بمنظمات الارهاب .. على غرار الوطنيين في فرنسا والمانيا وأمريكا اللاتينية . أما البرقية الثانية فأمرت باجراء غريبة وتدقيق في شأن كل عربي يطلب أي نوع من سمات الدخول ، وأينما كان في العالم ، ويتحضر قائمة يومية بطالبي التأشيرات من العرب ، وتقديم القائمة يومياً الى الخارجية الأمريكية ، وتضمينها معلومات وافية عن كل شخص .

ولقد واجهت الخطوات والاجراءات الأمنية السالفة الذكر ، مصاعب فورية عند التطبيق ، إذ لم يكن هناك أحد يعلم ما هو تحديد أو تعريف « العربي » . ففي أمريكا اللاتينية وحدها زهاء ٥٠ ألفاً من العرب الناطقين بالاسبانية الذين يعرفون باسم « توركوس » ، من الذين ولدوا ، أو ولد أبائهم وأمهاتهم في بلدان الشرق الأوسط ، لكنهم يعيشون الآن في المكسيك وهايتي وجمهورية الدومينيكان والاكوادور. ولتوضيح هذه الفوضى، بعث روجرز بالبرقية الثالثة معرفاً « العربي » بعبارة عرقي ، بأنه كل عربي ولد ، أو ولد أبواه في البلدان التالية ، بغض النظر عن جنسيته الحالية أو موطن إقامته : الجزائر ، البحرين ، مصر ، العراق ، إسرائيل ، الأردن ، الكويت ، لبنان ، ليبيا ، موريتانيا ، المغرب ، عمان ، قطر ، العربية السعودية ، السودان ، سوريا ، تونس ، الإمارات المتصالحة ، اليمن ، والإمارات العربية المتحدة .

وأدت عملية إخضاع جميع الزائرين للفحص الأمني من جانب واشنطن ، الى خلق صعوبة أخرى تمثلت في تأخير طالبي التأشيرات عدة أسابيع أو أشهر . ونتج عن هذا تضرر من جانب أولئك العرب الذين كانوا من أصدقاء المصالح الأمريكية ، ناهيك عن أولئك الذين كانوا أعضاء

في جماعات خاصة أو عائلات . وبعد أن قدم أحد الأمراء السعوديين شكوى الى وزارة الخارجية ، احتجاجاً على تأخير حصوله على تأشيرة دخول الى الولايات المتحدة ، بعث ناظر الخارجية روجرز ببرقية أخيرة في أوائل تشرين الأول ، لتعديل « عملية باولدر » ، وذلك بتحويل السفارات الأمريكية صلاحية إعطاء التأشيرات مباشرة الى طالبها « من المعروفين لديها شخصياً والمرضي عنهم » .<sup>(٩)</sup>

٢ - الأمر باجراء فحوص أمنية خاصة للبريد الوارد من مناطق مشتبها بها .

٣ - التشدد في تطبيق البرنامج الخاص بمكافحة اختطاف الطائرات ، وذلك بتضمينه خطة للتدقيق في جميع ركاب الطائرات ، وتفتيش كل الحقائق والأمتعة المحمولة بالأيدي ، على الخطوط الأمريكية .

٤ - مضاعفة الجهد في التنصت على المخابرات الهاتفية .

٥ - عملية مسح شاملة على نطاق الأمة للتحقيق في النشاط السياسي للعرب عموماً وللفلسطينيين خصوصاً ، يقوم بها مكتب التحقيقات الاتحادي ومسئولو شؤون الهجرة .

لقد ترتب على وضع هذا البرنامج موضع التطبيق ، الكثير من التعسف وسوء الاستخدام والتهويل والازعاج . وكثيراً ما قام رجال الأمن بتهديد الأشخاص بالترحيل أو الحجز إذا لم يظهروا استعداداً للتعاون . ويمكن لنا أن نورد قائمة طويلة بالحالات التي أسيء فيها استخدام البرنامج ، لكننا نكتفي بتسجيل بعض الأمثلة . فرجال الأمن يطرقون الباب في منزل أي شخص موضع تحقيق ، في أية ساعة من ساعات النهار أو الليل ، ويرفضون إعطاء أي إشعار مسبق . ولقد قال أحدهم لشخص فلسطيني في منطقة واشنطن ، إنه يقوم بهذه الزيارة ، « لمجرد التأكد من وجوده في المنزل » .

وقال سام زوتي رئيس مكتب الهجرة في نيويورك ، للدكتور سامي البنا أستاذ الهندسة في جامعة كولومبيا ، « إن الأجانب مجرد زائرين ، وانهم مثل الأطفال ليس من حقهم الكلام » . وفي تعبير يصور خواطره الدفينة ، قارن المسئول الأمريكي العقوبات التي « يوزعها » ، بتلك التي كان يمكن للدكتور البنا أن يواجهها في الخارج . ومضى قائلاً : « ينبغي أن أنكرك بأنه في بلدان معينة في العالم ، عندما يعبر شخص ما عن آراء مخالفة ، يؤتى به الى الجدار وتطلق عليه النار . أما نحن في هذا البلد فلا نفعل ذلك . أما إذا كان لدي شخص قدر ، فاني أقلبه على حضني وأضربه على مؤخرته ! »<sup>(١٠)</sup>

وفي بروكلين ، نيويورك ، اقتحم رجال المباحث الاتحاديون نادياً عربياً ، واندفعوا الى غرفة تزين جدرانها صور فلسطينية فأزالوها عن الجدران . وقال أحدهم لصاحب النادي متوعداً : « إننا لانحب أن نرى مثل هذه الملصقات هنا » . وتعرضت نوادي التجمعات العربية في كثير من أنحاء الولايات المتحدة لمثل ذلك ، وحيث عومل أعضاؤها بفظاظة وتهديد . وأدى هذا الى استنكاف الأعضاء عن ارتياد النوادي مما أدى الى إقفالها .<sup>(١١)</sup>

خلال الشهرين الأولين من تطبيق البرنامج المذكور وحملة التدقيق والتحقيقات ، جرى ترحيل ١٢٥ طالباً عربياً ، وفي معظم الحالات ، بطريقة غير لائقة . كما ألقى القبض على ٧٠

طالباً ، أفرج عنهم فيما بعد مع تبرئتهم من جميع التهم .(١٢)

لقد استعرت في العام ١٩٧٤ حرب إرهابية سرية ضارية في أوروبا والشرق الأوسط بين رجال منظمة التحرير الفلسطينية وبين رجال الموساد ( المخابرات الاسرائيلية ) . واشتملت تلك الحرب على أعمال اغتيال ورسائل ملغومة . ومخافة أن ينتقل إليها ميدان الحرب الارهابية ، شنت الولايات المتحدة حملة أخرى من التحقيقات في أوساط الفلسطينيين . لكنها كانت هذه المرة أكثر تحفظاً ، وأقل علنية .

ولعل مرد ذلك التحفظ في إجراءات الحملة الجديدة ، حقيقة أن خطر الارهاب ، الذي كان وراء الامر التنفيذي في العام ١٩٧٢ ، والذي تسبب في انتهاك الحقوق الدستورية لكثير من الفلسطينيين ، لم يتجسد فعلاً ولم يتحقق على الأرض . وبناء عليه صدر الأمر الى مكتب التحقيقات الاتحادي ، في حملة ١٩٧٤ ، بإجراء التحقيقات دون انتهاك القانون . وتبقى الحقيقة المهمة وهي أن الولايات المتحدة لم تصبح ميداناً لحرب الارهاب والارهاب المضاد الفلسطينية - الاسرائيلية ، مع العلم أن الاجراءات الخاصة التي سنتها لمكافحة الارهاب لم يكن لها شأن يذكر في هذه الحقيقة .

#### ب - الجهود الدولية :

وفي هذا الميدان تحركت الولايات المتحدة بغية دفع الأمم المتحدة الى اتخاذ اجراء على المستوى الدولي لمكافحة الارهاب . ففي ايلول ١٩٧٢ ، وزعت الولايات المتحدة مسودة لاتفاقية دولية لمنع أعمال الارهاب الدولي والمعاقبة عليها . وتتألف الاتفاقية من ١٦ مادة ، وتوصيات وحديثيات . ودعت المسودة الدول الأعضاء الى محاكمة أو تسليم أي شخص يرتكب عملاً إجرامياً ، أو ايداء جسدياً بالغاً ، أو اختطاف في دولة أجنبية أو ضد شخص أجنبي ، في نية « الاضرار بمصالح دولة أو منظمة دولية ، أو بقصد تحقيق تنازلات من دولة أو منظمة دولية » . هذه كانت الجرائم الوحيدة التي دعت المسودة الى المعاقبة عليها أو تسليم الفاعلين . أما باقي موادها فلقد أسهبت في وصف التزامات كل دولة تجاه الدول الأخرى حيال تصرفات رعاياها . وبموجب المسودة ينبغي على كل دولة أن تعاقب على الجرائم بعقوبات مشددة : وأن تلاحق عملية المقاضاة خارجاً إذ كان الفاعل قد هرب أو أن الفعلة ارتكبت في الخارج : وأن تلجأ الى التوقيف الاحتياطي اذا كان ذلك لازماً للتثبت من حضور الفاعل وبقائه مستعداً للمحاكمة أو للتسليم : وأن ترفض استخدام ترابها الاقليمي ملجأ للفاعلين : وأن تسن قوانين وتتخذ إجراءات للحيلولة دون ارتكاب مثل هذه الجرائم ، بما في ذلك تبادل المعلومات والبيانات حول الخطط والأنشطة والحركات الارهابية .(١٣)

وفي خطابه أمام الجمعية العامة للأمم المتحدة في الخامس والعشرين من ايلول ١٩٧٢ ، دعا ناظر الخارجية الأمريكية روجرز ، الأمم المتحدة ، الى القيام بعمل على عدة جبهات للتغلب على الارهاب الدولي . وبالإضافة الى مسودة المعاهدة السالفة الذكر بشأن العقوبات والمحاكمات ، اقترح روجرز معاهدين نوليتين أخريين بخصوص الارهاب : معاهدة تنص على تعليق جميع الخدمات الجوية المتجهة الى بلدان أخفقت في معاقبة أو تسليم خاطفين ، أو مخربين ، للطيران المدني . ومعاهدة غيرها تطالب بمحاكمة أو تسليم الأشخاص الذين

يرتكبون أعمال القتل أو الايذاء أو الاختطاف ، ضد المدنيين الأبرياء ، في بلد أجنبي ، بهدف نيل تنازلات من دولة ما أو من منظمة دولية . (١٤)

ولقد أنزعجت نول العالم الثالث من مبادرات الولايات المتحدة ضد الارهاب ، لشعورها بأن تلك المبادرات مكرسة لخدمة أولئك الموجودين في سدة السلطة . وكان من رأي هذه الدول أن ما ترمي اليه خطة الولايات المتحدة حقاً ، هذا اذا أخذت بها الأمم المتحدة وأقرتها ، إنما هو عرقلة حروب التحرر الوطني . ومن هذا المنطلق تقدمت الجزائر بصيغة أخذت في الاعتبار هموم أمم العالم الثالث . ودعت الصيغة الجزائرية الى دراسة الارهاب ، أكدت حق الشعب في تحرير ذاته من الحكم الأجنبي . وجاء في فقرتها الثالثة :

( إن الجمعية العامة ) تعيد تأكيد الحق الثابت لجميع الشعوب الرازحة تحت حكم أنظمة استعمارية وعنصرية وجميع أشكال الهيمنة الأجنبية ، وتؤيد شرعية كفاحها ... (١٥)

ولقد فاز مشروع القرار الجزائري عند التصويت عليه في الجمعية العامة ، ونال ٧٦ صوتاً مقابل ٢٤ . المهم أن الولايات المتحدة اقتضت ضد هذا القرار ، لشعورها بأنه لا يدين الارهاب ، ويأمن المطلوب أعمال لا دراسات .

ومع أن جهودات الولايات المتحدة أخفقت في الجمعية العامة في كسب التأييد الكافي للمعاهدة التي اقترحتها لمكافحة الارهاب في ١٩٧٢ ، فإنها نجحت في العام التالي ، وذلك بمساندة خطوة أكثر اعتدالاً . ففي كانون الأول ١٩٧٢ تبنت الجمعية العامة اتفاقية لحماية الدبلوماسيين ، نصت على محاكمة أو تسليم الأشخاص الذين يهاجمون أو يختطفون الدبلوماسيين ، وموظفي الحكومات الأجنبية ، أو المنظمات الدولية . (١٦)

الواقع أن جهود الولايات المتحدة لمكافحة الارهاب لم تقتصر على منظمة التحرير الفلسطينية وعملياتها . أجل ، فالولايات المتحدة تزعمت الحملة باتجاه جهد عالمي لحصر الارهاب ، لأسباب عديدة . فلو كانت الولايات المتحدة أبرز هدف واضح للارهاب الدولي ، ولها أكبر عدد من البعثات الدبلوماسية على امتداد العالم قاطبة ، والشركات الأمريكية تنشط في العديد من البلدان ، وأرتحال الأمريكيين الى الخارج يفوق أي شعب آخر . زد على ذلك كله أن الولايات المتحدة تتكبد خسائر من أي تمزق يصيب النظام العالمي الراهن . ثم ان للولايات المتحدة مصلحة مفهومة في صيانة الاستقرار السياسي لأصدقائها وحلفائها . ومن هنا ، فإن الصعود الأخير للارهاب الأوروبي ، في ايطاليا وهولندا والمانيا ، كان هماً ثقيلاً على قلب الحكومة الأمريكية .

إن سياسة الحكومة الأمريكية حيال الارهاب الدولي هي الرد بحزم وصلابة على أعمال الارهاب . انها لا تدفع فدية عند وقوع الاختطاف ، وتقاوم شتى أنواع الابتزاز ، وتحبذ اتخاذ أشد الاجراءات الممكنة ضد أولئك الذين يرتكبون أعمالاً ارهابية . (١٧) وهذا الرد - الموقف يزيد من الاجراءات الوقائية المتخذة ، بغية إحباط الارهاب . ويتضمن هذا عقد اتفاقات ثنائية مثل الاتفاقية الأمريكية - الكويتية المضادة للاختطاف الجوي ، كما يشتمل على اتفاقات متعددة الأطراف ، كالاتفاقية المضادة للاختطاف الجوي المعقود في ١٦ تموز ١٩٧٨ إبان

انعقاد قمة بون الاقتصادية التي شارك فيها السبعة الكبار من الدول الصناعية خارج العالم الشيوعي ، وهي بريطانيا وكندا وفرنسا والمانيا الغربية وإيطاليا واليابان والولايات المتحدة . (١٨)

وثمة اتفاقية سارية المفعول بين الولايات المتحدة وإسرائيل ، يجري بموجبها جمع وتبادل المعلومات حول الأشخاص الذين يعتقد بأنهم قد يكونون إرهابيين محتملين . وفي هذا الصدد صرح رفائيل روتشتاين مؤلف كتاب « الفدائيون : مغاوير ضد إسرائيل » ، والذي يحتفظ بصلات وثيقة بالمسؤولين الاسرائيليين ، بعد عودته من زيارة لإسرائيل في ١٩٧٦ ، بأن « الموساد تتمتع بتعاون كامل من جانب وكالة المخابرات المركزية الأمريكية ومكتب التحقيقات الاتحادي » . وأضاف روتشتاين نقلا عن الاسرائيليين ، « ان الولايات المتحدة أبدت مبادرة عظيمة في متابعة ونقل المعلومات الاستخبارية ، وفي تنسيق التقنيات المضادة للإرهاب » . وفي المقابل يتلقى مكتب التحقيقات الاتحادي ، وربما وكالة المخابرات المركزية كذلك ، معلومات من الاسرائيليين ، الأمر الذي جرى توكيده خلال سماع إفادات في لجنة مجلس الشيوخ ، وذلك حين طلب الشيخ جيمس أبو رزق ( ديمقراطي ، داكوتا الجنوبية ) معلومات من مكتب التحقيقات الاتحادي تتعلق بتقارير لتلك الوكالة تزود إسرائيل بمعلومات عن نشاطات سامي اسماعيل في هذا البلد ( الولايات المتحدة ) . (١٩) وكانت شهادة مندوب مكتب التحقيقات الاتحادي أن « المكتب » تلقى من الاسرائيليين معلومات بأكثر مما زودهم . (٢٠)

يبدو أن الولايات المتحدة قد تقبلت الأمر الواقع بشأن أعمال العنف الفلسطينية وأعمال إسرائيل الانتقامية . ومع ذلك تعتقد الحكومة الأمريكية بوجود احتواء هذه المسألة . وفي هذه الأثناء تواصل شجبتها لأعمال العنف كافة .

#### تأثيرات العنف الثوري الفلسطيني على سياسة الولايات المتحدة الشرق أوسطية

لقد عبر صانعو السياسة الأمريكية منذ الخمسينات عن خشيتهم من احتمال اندلاع العنف الفلسطيني ، وخصوصاً من جانب أولئك الفلسطينيين الذين يزرعون تحت العذاب في مخيمات اللاجئين . وشعرت الحكومة الأمريكية بأن مثل هذا الاحتمال سيكون له تأثير عميق على الاستقرار السياسي والاقتصادي وعلى الأمن في المنطقة . وثمة تقرير للجنة الفرعية للشرق الأدنى وأفريقيا التابعة للجنة مجلس الشيوخ الخاصة بالعلاقات الخارجية ، تاريخه ٢٤ تموز ١٩٥٢ ، يعبر عن قلق الولايات المتحدة من احتمال تحول اللاجئين الفلسطينيين الى قوة ثورية ، وتأثيرات ذلك على مصالح الولايات المتحدة :

« إن للولايات المتحدة مصلحة في أن تفعل ما تستطيع للمساعدة في حل مشكلة اللاجئين ، بسبب علاقتها المباشرة بالاستقرار الاقتصادي والسياسي وبالأمن في الشرق الأدنى . ولن تغتبط الولايات المتحدة بمشاهدة النظام الداخلي واستقلال بلدان الشرق الأدنى ، تتهددهما الفوضى الاقتصادية ، والتسلل الشيوعي ، أو الاشتباكات العسكرية . ان فقدان النظام وما ينتج عنه من احتمال تجدد الأعمال العدائية في هذا الجزء من العالم ، كفيل بتهديد المصلحة الأمنية للولايات المتحدة وللعالم الحر عامة . »

وهكذا فان السياسة الأمريكية تجاه اللاجئين كانت معنية أساساً بالحيلولة دون انطلاق

العنف الثوري الفلسطيني . وكان هذا بالذات وراء المساهمة المالية الكبيرة للولايات المتحدة في ميزانية الأونروا ، خلال العقود الثلاثة الأخيرة . كما رعت الولايات المتحدة عروضا كثيرة قدمت للاجئين في سبيل إعادة توطينهم ودمجهم في العالم العربي ، في مجهود جل غايته إجهاض نمو الحركة الثورية الفلسطينية . فهذا النمو مع استخدام العنف الثوري كان أمرا وعته المصالح الأمريكية في المنطقة . وفي هذا السياق ، رسمت الولايات المتحدة سياسة للمجابهة مع الثورة الفلسطينية غداة انطلاقتها ، كما رسمت في أعقاب ذلك سياسة لاحتوائها . لقد خلق العنف الثوري الفلسطيني هموما لا تعد ولا تحصى للولايات المتحدة ، وهي هموم تؤثر بلا ريب وبكل قوة في اعتبارات السياسة الأمريكية . وتتضمن مصادر القلق الأمريكي نشوء الاحتمالات المتعددة التالية التي تترتب على الكفاح الثوري : (١) ان تصعيد العنف الثوري الفلسطيني والهجمات الاسرائيلية قد يجبر سوريا ، وربما العراق ، الى ساحة الوغى ، مما يزيد من احتمال نشوب حرب عربية - اسرائيلية أخرى قد تتسبب في مجابهة أمريكية - سوفياتية . (٢) احتمال آخر هو شحن الجماهير العربية بتيار الكفاح ضد اسرائيل وحلفائها ، الأمر الذي سيعيق خطط التسوية الأمريكية . وقد تتولد عن هذا هجمات تشن على المصالح الأمريكية في العالم العربي بما في ذلك زعزعة النشاطات التجارية الأمريكية وتدفق النفط الى الولايات المتحدة وحلفائها . (٣) وأبعد من ذلك كله أن العنف الثوري يهدد بنسف الوضع القائم ، ويقوض الأنظمة العربية الصديقة للولايات المتحدة والمؤهلة لعقد تسويات توفيقية مع اسرائيل . هذه الاحتمالات كافة تشكل خطرا داهما على إدامة المصالح الأمريكية وهيمنتها على المنطقة .

لامراء في ان هذه الهموم ومصادر القلق تفعل فعلها في تحديد مسار السياسة الأمريكية في الشرق الأوسط ، وعند رسم الاستراتيجية والمخططات . وتتجلى هذه السياسة في كلا الاتجاهين : الجهود المبذولة للتوفيق ، وعلى المستوى نفسه المحاولات المبذولة لاجتثاث مصدر العنف الثوري ، وبالتحديد منظمة التحرير الفلسطينية . الجانب الأخير من السياسة الأمريكية تجلى تماما في الدور الأمريكي في محاولة تدمير الحركة الفلسطينية ، وذلك بالهجمة الضارية على الفلسطينيين في الأردن عام ١٩٧٠ وفي لبنان عامي ١٩٧٥ - ١٩٧٦ .

في المقابلات مع رجال الاعلام ، يصر الرسميون الأمريكيون البارزون في وزارة الخارجية ، على أن العنف الفلسطيني ليس له أي تأثير مباشر أو غير مباشر من أي نوع على سياسة الولايات المتحدة الشرق أوسطية أو تجاه السياسة الفلسطينية . لكن هذا غير صحيح . فالحقائق تكشف أن العنف الثوري الفلسطيني يلعب دورا بارزا في مسار السياسة الأمريكية . وتكفي نظرة أخرى الى الرسم البياني السابق الذكر والخاص بالعمليات الفدائية الفلسطينية ، ملاحظة التلازم بين تزايد العنف الثوري الفلسطيني وبين التغيرات في السياسة الأمريكية ، على امتداد السنوات العشر الأخيرة . وإني لا أزعم أن العنف الثوري الفلسطيني كان المتغير الوحيد المؤثر على ذلك التغيير ، بل إنه كان عنصرا ملحوظا في ذلك المسار . ففي ١٩٦٨ ، في الفترة التي سبقت صعود العمليات الفدائية الفلسطينية ، كانت نظرة الولايات المتحدة الى الفلسطينيين ببساطة أنهم لاجئون عرب . لكن بعد التزايد في العنف الثوري في ١٩٦٩ و ١٩٧٠ ، بدأت الولايات المتحدة بالاقترار بأن للفلسطينيين وجودا سياسيا . وبالمثل انطلق الحديث عن المصالح في ١٩٧١ و ١٩٧٢ ، والمصالح الفلسطينية المشروعة في ١٩٧٣ - ١٩٧٤ ، والحقوق

الفلسطينية في ١٩٧٥ - ١٩٧٦ ، وفي ١٩٧٧ استخدمت الحكومة الأمريكية مصطلحات الحقوق المشروعة للشعب الفلسطيني ، والحاجة الى وطن قومي للفلسطينيين . إن لكل من هذه المصطلحات مضامينه السياسية المحددة . ومع أن الرسم البياني لا يدل على تزايد في العمليات الفلسطينية في ١٩٧٥ - ١٩٧٧ ، فإن الكفاح الفلسطيني المتصاعد في لبنان خلال تلك الفترة ، أحدث مع ذلك تغيراً آخر في السياسة الأمريكية .

#### خاتمة

كان للعنف الثوري الفلسطيني تأثير لا حد له على الشعب الفلسطيني والعربي ، وخصوصاً غداة الهزيمة التي لحقت بالجيش العربي في حرب ١٩٦٧ . لقد أصبح الفدائي رمزا للنهوض والكرامة والشرف . وهكذا فإن دعم الجماهير العربية للثورة الفلسطينية عزز الاعتقاد بأن الجماهير العربية هي الخزان الاحتياطي الذي تغرف منه الثورة الفلسطينية في كفاحها الطويل الأمد من أجل تحرير فلسطين . وإن سياسات الحكومات العربية حيال النزاع مع الصهيونية ، تدرك مساندة شعوبها للكفاح الثوري ضد الكولونيالية الاستيطانية الصهيونية . ويمكن لنا أن نتبين كذلك أن الأحداث التي وقعت منذ ١٩٦٧ كان لها تأثير على مساندة الجماهير العربية للكفاح الفلسطيني ، كما ونوعاً وكثافة . ومع ذلك ما زال بوسع المرء أن يقول باطمئنان إن العنف الثوري ضد الاحتلال الصهيوني وحلفائه ، ما زال يتلقى مباركة الجماهير العربية ودعمها . وإن العمليات الفدائية ذات الطابع الاستثنائي في مستوى إثارته وبتولتها ، كعملية دلال المغربي ، تمتلك تأثيراً خاصاً وفعالاً . وفي الوقت نفسه لا يجوز افتراض أن الدعم الجماهيري حقيقة مسلم بها ومحتمة الحدوث . فما لم تتبع العمليات ( المستهدفة لاستقطاب الدعم العربي ) بحملة سياسية وبتقنية بغية رفع مستوى الوعي ، وتوثيق العرى بالحركات الجماهيرية العربية الأخرى ، فإنها - أي العمليات - سوف تفقد في النهاية مفعولها ، بل وقل تأتي بعكس النتائج المرجاة . ولا ينبغي أن نغفل أن الخصم سوف يستغل بطريقة انتهازية كل موقف لصالحه هو . على أنه لا توجد دراسة قياسية لمدى تأثير العنف الثوري الفلسطيني على مساندة الجماهير العربية ، الأمر الذي سيؤثر بالنتيجة على تأييد الحكومات العربية للنضال الفلسطيني ، على افتراض أن السياسة الحكومية ليست انعكاساً لدعم الجماهير في هذه المنطقة . وفي النهاية يجري استخدام هذا من جانب الحكومة العربية الخاصة للتأثير على سياسة الولايات المتحدة في الشرق الأوسط . وإن فعالية ذلك التأثير تتوقف نسبياً على طبيعة العلاقة التي تربط تلك الحكومة بالولايات المتحدة، وكذلك على المدى الذي ترغب في أن تمضي إليه في استخدام قوتها الممكنة أو نفوذها . بكلمات أخرى ، العنف الثوري مقترناً ببرنامج للتوعية السياسية للجماهير العربية ، سيكون له تأثير كبير ، وإن كان غير مباشر ، على سياسة الولايات المتحدة الشرق أوسطية .

وكثيراً ما يقال في الولايات المتحدة أن العمليات الفلسطينية تثمر عكس غايتها ، وأنها تضر كثيراً بصورة الفلسطينيين في الولايات المتحدة ، كما أنها تضعف التأييد العام لقضيتهم . وهذا ليس صحيحاً تماماً ! ففي حين أن العنف لن يكسب أية مساندة أو تعاطف مع منظمة التحرير الفلسطينية أو الشعب الفلسطيني ، فإنه مع ذلك يحيي في الذهن العام باستمرار فكرة أنه لا بد من عمل شيء في القضية الفلسطينية . ومن الناحية الجوهرية يتحول هذا بطريقة غير

مباشرة الى تأييد ايجابي للقضية الفلسطينية . هذه الناحية السيكولوجية نفسها تستعملها العقلية التجارية الأمريكية : فوكالات الاعلان اكتشفت أن أشد مزايا السلعة تأثيراً هي تلك التي تسر الجمهور أو على العكس تماماً تلك التي تثير غضبه ! ومن الناحية الجوهرية مرة أخرى ، وعلى الرغم من غضب الجمهور الأمريكي من العمليات الفلسطينية ، فإن هذه العمليات سوف تقنعه في النهاية بأن السلام غير ممكن بدون الفلسطينيين .

ويصر المسؤولون الأمريكيون على أن « الارهاب مرفوض كلياً » ، وغير مقبول كوسيلة للتأثير السياسي ، وأكثر من ذلك انه اذا كانت القيادة الفلسطينية تأمل في أن تبو كقيادة « مسؤولة » ، فإن من واجبها وقف هذه العمليات . واذا طرح عليهم السؤال ، انه اذا كان الأمر كذلك ، ماذا سيكون رد الولايات المتحدة إذا أوقف الفلسطينيون الآن جميع أعمال العنف ؟ وجواب هؤلاء المسؤولين هو بكل بساطة أن الأمر لن يغير سياسة الولايات المتحدة ، لكنه مع ذلك سيؤدي الى تحسين الجو ، ويساعد الولايات المتحدة في « إقناع » اسرائيل بتقديم « تنازلات » في المسألة الفلسطينية وفي مفاوضات الحكم الذاتي . وبكلمات أخرى ، ان الولايات المتحدة لن تفعل شيئاً ، وأكثر من ذلك تأمل أن تشق القيادة الفلسطينية بالعبة المعروفة ، لعبة المعتدلين والمتطرفين . زد على ذلك أن المسؤولين الأمريكيين يصرون على أن من واجب الفلسطينيين الاعتراف بقرار الأمم المتحدة الرقم ٢٤٢ كشرط مسبق لقيام الولايات المتحدة بمحاورتهم واجراء محادثات مباشرة معهم ، وهي محادثات لن ينتج عنها في اعتقادي أي شيء مطلقاً . ومع ذلك يجادل هؤلاء المسؤولون بقولهم إن وقف العمليات الفلسطينية ، واعتراف منظمة التحرير الفلسطينية بالقرار ٢٤٢ ، سوف يخلقنا ضغطاً « أخلاقياً » كبيراً على اسرائيل ، وسوف يقودان الى تحسين الجوبقوة لصالح الفلسطينيين ! ولكم يبدو غريباً في هذا المقام حشرهم لكلمة « أخلاقي » في مضمار الحديث عن سياسة الولايات المتحدة في الشرق الأوسط . فاذا ما تركنا جانباً الحديث عن مدى « أخلاقية » نولة الاستيطان الكولونيالية ، فإن سياسة الولايات المتحدة في الشرق الأوسط لم تبن قط على المبادئ الخلقية ، والحقيقة على العكس تماماً ، فسلوك الولايات المتحدة في المنطقة العربية ، على امتداد سنوات العقود الأربعة الأخيرة ، يدل بكل جلاء على أن سياستها قامت على النفعية السياسية وحماية مصالحها الخاصة . وهذه المصالح سوف تبقى موضع تهديد طالما استمر العنف الثوري الفلسطيني .

### الحواشي

- (١) فرانز فانون ، معذبو الأرض .  
 (٢) بول إي . جريديني ووليم ي . هازن ، الحركة الفلسطينية في السياسة ، ( كتب لكسنجتون ، انوارد هيث وشركاه ، لكسنجتون ، ١٩٧٦ ) ، ص ٧٧ - ٨١ .  
 (٣) أراب ريبورت اند ريكورد ، ١٩٦٨ - ١٩٧٨ ، ونيويورك تايمز ، ١٩٧٤ - ١٩٧٨ . إن العمليات الاسرائيلية الانتقامية تبلغ على الأقل ضعفي عدد العمليات الفلسطينية . تتضمن القائمة جميع الهجمات الفلسطينية ضد إسرائيل بدءاً من أيار ١٩٧٤ . وذلك عندما قررت حركة فتح إنهاء عملياتها الدولية وزيادة عملياتها داخل إسرائيل .
- (٤) نشره وزارة الخارجية ، المجلد ٦٠ ، الرقم ١٥٤٢ ( ٢٠ كانون الثاني ١٩٦٩ ) ، ص ٢٤ .  
 (٥) المصدر نفسه ، المجلد ٦١ ، الرقم ١٥٧٧ ( ١٥ أيلول ١٩٦٩ ) ، ص ٤٦ .  
 (٦) تعديل قانون المساعدات الخارجية للعام ١٩٦٩ ، في ٦ تشرين الثاني ١٩٦٩ ، المقطع ٤٠١٥ ، ص ٤٥ - ٤٦ .  
 (٧) ومنذ ذلك الحين لم يتعرض أي دبلوماسي أمريكي لهجوم مادي من جانب منظمة التحرير الفلسطينية . إن اغتيال سفير الولايات المتحدة فرانسيس ي . مولي والمستشار الاقتصادي روبرت أو . ويرنج في بيروت ، لبنان ، في السادس عشر من

الأمريكيين ، ديترويت ، ميتشيغان ، كانون الأول ١٩٧٢ ، ص ٣

(١٣) « عالم بلا عنف » ، بيان لناظر الخارجية روجرز أمام الجمعية العامة للأمم المتحدة في ٢٥ ايلول ١٩٧٢ ، نشرة وزارة الخارجية ، ٦٧ ، ١٧٢٨ ( ١٦ تشرين الأول ١٩٧٢ ) ص ٤٢٥ - ٤٣٤

(١٤) المصدر نفسه ،

(١٥) وثائق الأمم المتحدة /القرار ٢٠٣٤ (٢٧) كانون الأول ١٩٧٢ .

(١٦) « مقترب الحكومة الأمريكية إزاء الارهاب : مقترب عالمي » ، خطاب للسفير لويس هوفاكركر في نيو اورليانز ، لويزيانا ، في ٢٨ شباط ١٩٧٤ . نشرة وزارة الخارجية ، ٧٠ ، ١٨١٢ ( في ١٨ آذار ١٩٧٤ ) ص ٢٧٥ - ٢٧٦

(١٧) إفادات حول الارهاب الدولي ، في المرجع المشار اليه ، ص ١١

(١٨) ينظر الى هذه الاتفاقية على أنها أسمى إجراء اتخذ حتى الآن لمكافحة اختطاف الطائرات . أنها تنص على وقف الخدمات الجوية التجارية من وإلى أي بلد يمنح ملجأ لمختطفى الطائرات . واشنطن بوست ، ١٨ تموز ١٩٧٨ ، ص ١١٩

(١٩) سامي اسماعيل مواطن أمريكي بالولادة ومن أصل فلسطيني . ألقى القبض عليه في إسرائيل في كانون الأول الماضي بينما كان في طريقه لزيارة والده المقيم في الضفة الغربية ، والذي كان على فراش الموت . ولقد اقتيد فيما بعد إلى المحكمة بتهم تلقي تدريب عسكري في ليبيا ، والانتماء إلى الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين . لقد أقر بزيارة ليبيا ، لكنه أنكر تلقي أي نوع من التدريب العسكري ، كما نفى أن يكون عضواً في الجبهة الشعبية . وقال ان الاعتراف الذي وقع عليه أخذ منه « تحست التعذيب » . لقد أدين سامي اسماعيل ، وحكم عليه بالسجن لمدة ١٥ شهراً . فأنارت قضيته قدراً عظيماً من الاهتمام الاعلامي في الولايات المتحدة . أنظر ذي واشنطن ستار ، ٢٧ حزيران ١٩٧٨ ، ونيويورك تايمز ، ١٥ حزيران ١٩٧٨ .

(٢٠) ذي واشنطن بوست ، ٢٠ آذار ١٩٧٨ ، ص ١

حزيران ١٩٧٦ ، في خضم الحرب الأهلية اللبنانية ، نسب إلى فصيل لبناني رأبكيالي صغير . ولقد عبرت منظمة التحرير الفلسطينية عن استعدادها للبحث عن الجناة ومعاقبتهم . أنظر « اغتيال الدبلوماسيين الأمريكيين في بيروت ، لبنان . » ، شهادة أمام اللجنة الفرعية للتحقيقات التابعة للجنة العلاقات الدولية . مجلس النواب ، الكونجرس ٩٤ ، الدورة الثانية ، ٢٧ تموز ١٩٧٦ . ( مكتب الطباعة الحكومي الأمريكي ، واشنطن ، دي . سي . ١٩٧٦ )

(٧) محاضر الكونجرس الأمريكي ، الكونجرس ٩١ ، الدورة الثانية ، ١٩٧٠ . ( ١٦ ، في ١١ ايلول ١٩٧٠ ، ١٥٢٢٤ ) .

(٨) نيويورك تايمز ، ٨ تشرين الأول ١٩٧٠ ، الصفحة الأولى .

(٩) رالف . ستافينس ، « الانزعاج العالمي من الفلسطينيين » ( مخطوطة غير منشورة - معهد الدراسات السياسية ، واشنطن دي . سي . أيار ١٩٧٦ ) ، ص ١٤ - ١٩

(١٠) المصدر نفسه ، ص ٢٤

(١١) المصدر نفسه ، ص ٢٧ وبين الأماكن التي أفلقت عبر الولايات المتحدة « البيت الفلسطيني » ، وهو جمعية أكاديمية ثقافية أنشئت أصلاً في جامعة جورج واشنطن في ١٩٧٠ . ثم انتقلت في وقت لاحق إلى غرفة في جادة كونكتيكت في واشنطن . وكانت عضوية « البيت » مفتوحة للجمهور قاطبة ، واقتصرت نشاطاته على المحاضرات والندوات حول شؤون الشرق الأوسط ، وبعض النشاطات الثقافية . لقد أخضع العديد من أعضاء « البيت الفلسطيني » للاستجواب من جانب مكتب التحقيقات الاتحادي . وفي إحدى الحوادث ، خلال زيارة قام بها رجال المكتب المذكور « للبيت » ، تولى السيد أنيس قاسم أحد مؤسسي « البيت » ، شرح أهداف « البيت » الأساسية بأنها ممارسة الحرية الأكاديمية . ورد عليه أحدهم ، واسمه جرانت ، قائلاً : « نحن لا نتدخل في الحرية الأكاديمية . لكننا بكل بساطة مهتمون بالأبعاد السياسية لتلك الحرية الأكاديمية » .

(١٢) نشرة الخريجين الجامعيين العرب -

## الاستراتيجية الأمريكية الراهنة والقضية الفلسطينية

ان المنطقة العربية مقدمة على مزيد من الصراع والقتال ، لأن الامبريالية الامريكية تخطط بكل وضوح للسيطرة على المنطقة واستغلال طاقاتها المادية والبشرية ، ولذلك لا بد من دراسة الاستراتيجية الامريكية الراهنة لمعرفة وسائل مواجهتها والتغلب عليها .

تعتمد السياسة الامريكية الراهنة تجاه المنطقة العربية على استراتيجية جديدة اساسها استخدام القوة الامريكية في المنطقة . ولقد أكد مساعد وزير الخارجية الامريكية هارولد ساندرز في تقريره السنوي امام الكونجرس الامريكي عام ١٩٧٨ ثم عام ١٩٧٩ بأن « الشرق الاوسط اصبح أهم منطقة في العالم بالنسبة للمصالح الامريكية الحيوية والمتشعبة . « بالاضافة الى كونها ملتقى الطرق الاستراتيجية والجسر الارضي بين اوربيا وأسيا واقريقيا ، فهي ايضا هامة لضمان أمن اسرائيل ، ولأنها شريان الحياة لدول حلف الناتو ، ولدعم الدول العربية الرئيسية « المعتدلة » ولضمان البترول والتجارة<sup>(١)</sup> . وبذلك بلورت الحكومة الامريكية استراتيجية جديدة تعتمد على التدخل المباشر في المنطقة في عصر جديد أسماه وزير الخارجية الامريكية سايرس فانس « بعصر التعاون السلمي » والذي بدأ حسب قوله منذ توقيع معاهدة السلام بين مصر واسرائيل<sup>(٢)</sup> .

### قاعدتا العسكرية الامريكية الجديدة ، مصر واسرائيل

تعتمد هذه الاستراتيجية الجديدة على ركيزتين اساسيتين في المنطقة الاولى اسرائيل والتي لا بد من دعمها لتبقى القوة العسكرية في المنطقة ، والثانية الدول العربية « المعتدلة » والتي لا بد من تقويتها وتطويرها لتقف ضد القوى المتطرفة « الراديكالية » في المنطقة . ولقد أكد هارولد ساندرز بأنه لا بد من تعاون سلمي بين اسرائيل وجيرانها وكذلك دعم امريكي عسكري مستمر لتحقيق وضمان « عصر التعاون السلمي » في المنطقة<sup>(٣)</sup> .

وتعتبر مصر السادات الركيزة الاساسية في المعسكر العربي المعتدل . فبالدعم العسكري

والمالي الأمريكي تصبح مصر قاعدة عسكرية أمريكية لضمان « الأمن والسلام » في المنطقة . ولقد ذكر الرئيس الأمريكي جيمي كارتر بأن معاهدة السلام ستمكن مصر من استخدام خمسة ألوية مصرية كانت في الماضي تواجه القوات الاسرائيلية في سيناء ، لضمان السلام في المنطقة ومساعدة أية دولة في المنطقة تهدد بالعدوان (٤) .

ونذكر المراقبون العسكريون بأن الحكومة الأمريكية تساهم في تطوير هذه القوات لتصبح قوات وحدات مظلية وكوماندوز ، سريعة التحرك عن طريق طائرات النقل الحربية الأمريكية (٥) . كما ذكرت تقارير أخرى بأن أمريكا أصبحت شريكة السادات في تطوير أسلحته العسكرية وانها تساهم حالياً في بناء أجهزته الدفاعية (٦) . كما صرح المتحدث باسم وزارة الخارجية الأمريكية بأن الحكومة الأمريكية ستقوم بدفع ثمن الأسلحة التي ستشتريها مصر من الصين الشعبية ، وكذلك تحت أمريكا حلفاءها على تقديم الأسلحة المتطورة لمصر . وأكد وزير الخارجية سايرس فانس في بيانه أمام لجنة الشؤون الخارجية بأن المساعدات الأمريكية لمصر وإسرائيل والتي تقدر بحوالي ٤ ونصف بليون دولار هي لمواجهة احتياجاتها الأمنية الضرورية (٧) . وأما السادات فلقد أشار صراحة في لقاءاته مع أعضاء الكونجرس الأمريكي بعد توقيع معاهدة السلام بأنه يحتاج الدعم العسكري الأمريكي لمواجهة خطر التغلغل السوفيتي في أفريقيا وخاصة في ليبيا وتشاد واليمن الجنوبي (٨) . وبالإضافة لمصر تعمل الحكومة الأمريكية على دعم الملكة السعودية باعتبارها ركيزة أساسية في المعسكر العربي المعتدل . ولقد أكد ذلك وزير الخارجية فانس في بيانه أمام الكونجرس الأمريكي وذكر بأن السعودية تلعب دوراً أساسياً في دعم الحل السلمي وفي مواجهة خطر الدول المتطرفة وخاصة العراق . وأكد ضرورة استمرار الدعم العسكري الأمريكي للسعودية لتتمكن من مواجهة خطر العدوان من اليمن الجنوبي (٩) .

وأما الركيزة الأساسية الأخرى إسرائيل ، فأصبحت مرتبطة بأمريكا في معاهدة عسكرية بناء لاتفاقية التفاهم الأمريكي - الإسرائيلي التي صدرت بعد توقيع الاتفاقية المصرية - الإسرائيلية . وبناء لهذه المعاهدة تتعهد أمريكا بالتدخل العسكري المباشر لحماية إسرائيل من أي عدوان أو منعها من استخدام المرات المائة .

كما تتعهد بتقديم الدعم العسكري في حالة الطوارئ ، وفرض العقوبات والقيود على أية دولة تدعم العدوان على إسرائيل (١٠) . وبذلك تؤكد الاتفاقية ما صرح به رئيس وزراء إسرائيل مناحيم بيغن بأن إسرائيل هي القاعدة الأساسية لحماية المصالح الأمريكية ، ومصالح « العالم الحر » في منطقة الشرق الأوسط . وذكر أمام أعضاء الكونجرس الأمريكي بأن الاتحاد السوفيتي يهدد المنطقة ، وأن « إسرائيل هي الحليف الحقيقي والقوى الذي يستطيع حماية الحرية » (١١) وكان بيغن قد أشار مراراً إلى استعداد إسرائيل لإنشاء قواعد عسكرية بحرية للأسطول السادس الأمريكي خاصة في ميناء حيفا . وبذلك لم يكن من قبيل الصدفة أن يزور الأسطول السادس ميناء حيفا وأن يقوم بيغن وجميع أعضاء وزارته وكبار العسكريين الإسرائيليين بالمشاركة في مناورة عسكرية قامت بها القوات البحرية الأمريكية (١٢) .

وأكد المسؤولون الأمريكيون التزامهم الأكيد بدعم إسرائيل عسكرياً واقتصادياً . وأشار

الرئيس جيمي كارتر الى التزام حكومته بدعم اسرائيل باعتبارها حليفا لأمريكا ، وتقديم المساعدات لها لتبقى القوة الرئيسية في المنطقة<sup>(١٣)</sup> . وكرر وزير الخارجية فانس هذا التعهد عندما صرح أمام لجنة العلاقات الخارجية بالكونجرس بأن « البرامج العسكرية الأمريكية ستمكن اسرائيل من الاستمرار في تطوير اجهزتها العسكرية لمواجهة الاخطار التي تهدد أمنها في المنطقة »<sup>(١٤)</sup> . وكان فانس قد أكد عام ١٩٧٨ بأن اسرائيل عسكريا اقوى من أي وقت مضى ، وأنه يجب دعم تفوقها العسكري في المنطقة وذلك بتقديم الاجهزة والمعدات والطائرات الأمريكية الحديثة لها<sup>(١٥)</sup> . وقد بدأت أمريكا بدعم مشاريع صناعة الاسلحة المتطورة في اسرائيل ، وعقدت معها عدة اتفاقيات في هذا المجال ، منها مشروع صنع الزوارق البحرية العسكرية ، وصنع الاجهزة الالكترونية لطائرات ف - ١٦ . كما وافق الرئيس كارتر على تقديم الدعم المالي لمشروع اسرائيلي لصنع الدبابات الاسرائيلية «Chariot» .

وفي الكونجرس الأمريكي ، حيث يتمركز النفوذ الصهيوني يطالب معظم اعضاء الكونجرس وخاصة اعضاء لجان الشؤون الخارجية بالدعم الأمريكي المطلق وغير المحدود لاسرائيل . ويردد هؤلاء الطلبات الصهيونية التي تركز على زيادة الدعم العسكري والاقتصادي لاسرائيل لتمكنها من حماية حدودها وتطوير اجهزتها الدفاعية ، ولتقوم بدورها الاستراتيجي في مواجهة خطر العدوان السوفييتي<sup>(١٦)</sup> . ويدعو السناتور كليفارد كيس الى المزيد من الدعم الأمريكي لاسرائيل باعتبارها قاعدة هامة لحلف الناتو . ويؤكد كيس « بأن اسرائيل هي التي تجعل موقف الدول الغربية قويا في المنطقة . وهي اعظم قاعدة عسكرية لنا في المنطقة . وان حلف الناتو والجيبة الجنوبية لاوروپا تعتمد بشكل اساسي على اسرائيل »<sup>(١٧)</sup> .

ويدعو كل من السناتور جاكوب جافيتس والسناتور رتشارد ستون الى عدم الضغط على اسرائيل وتقديم المزيد من المساعدات المالية والعسكرية لها لتمكن من القيام بدورها في مواجهة الخطر اليساري في المنطقة . ويطالب اعضاء الكونجرس الرئيس كارتر بعدم انتقاد اسرائيل وعدم الضغط عليها لتقديم التنازلات فيما يتعلق بالضفة الغربية وغزة . ويؤكد السناتور بوب باكوود « يجب ان يكون شعار أمريكا عدم تخلي اسرائيل عن شبر واحد من الأرض بدون معاهدات سلام ملزمة وترضي اسرائيل »<sup>(١٨)</sup> . وهكذا يمثل الكونجرس الأمريكي قوة مؤيدة كليا لاسرائيل وضاغطة على الرئيس الأمريكي وعلى وزارة الخارجية ، تطالبهما بدعم اسرائيل الى اقصى الحدود ، وتعارض اية ضغوط أمريكية على الحكومة الاسرائيلية .

### دور الرأسمال الأمريكي والابتكارات الأمريكية

من الواضح ان اتفاقيات كامب ديفيد ومعاهدة السلام المصرية - الاسرائيلية لا تهدف لاحلال السلام في المنطقة ، وانما تهدف الى اعادة ترتيب الاوضاع بحيث تتمكن أمريكا من السيطرة على المنطقة وضمان مصالحها الاقتصادية وخاصة استمرار تدفق البترول . وبذلك تهدف الاتفاقية الى اقامة تحالفات أمنية جديدة في المنطقة ، ومن أهمها الحلف الاسري المصري الاسرائيلي ، لحماية أمن المنطقة مما يراه الأمريكيون « بالخطر السوفييتي » . ويشير المؤرخ جون كامبل الى ان الاضطرابات والقتال في لبنان وعمان وايران وراءها الاتحاد السوفييتي ، وأنه يسيطر حاليا على أفغانستان واليمن الجنوبي وأثيوبيا . ويدعو الى اعداد القوة

الامريكية العسكرية لمواجهة هذا الخطر وتحذير الاتحاد السوفيتي بأن امريكا لن تقبل بالتدخل السوفيتي في المنطقة<sup>(١٩)</sup> . ولذلك اسرعت الادارة الامريكية في التوصل الى سلسلة تسويات بين مصر واسرائيل نتج عنها معاهدة السلام والتي تخلت كلياً عن حقوق شعب فلسطين<sup>(٢٠)</sup> . من هذا المنطلق لن تحاول الادارة الامريكية حل المشكلة الفلسطينية لأنها تعتقد بأن أي كيان أو دولة فلسطينية سوف تخلق المشاكل والقلقل في المنطقة ، وبالتالي فستعطي الاولوية لبناء التحالفات الامنية والعسكرية الجديدة والتي تعتمد على الوجود العسكري الامريكي . كما أنها تعتقد بأن الاتفاق المصري الاسرائيلي سيفتح المجال لتعاون اقتصادي يشارك فيه رأس المال الامريكي . وتركز الشركات والبنوك الامريكية على امكانيات الاستفادة في هذا المجال من الخبرة الاسرائيلية بالاضافة الى الايدي العاملة المصرية ، ودعا عدد من الاقتصاديين المصريين الشركات الامريكية للاستفادة من فرص الاستثمار في مصر في عهد الانفتاح والسلم الجديد<sup>(٢١)</sup> .

ومن جهة اخرى يؤكد الاقتصادي شارلز عيساوي بأن اموال السعودية وامكانيات السودان الزراعية ستلعب دوراً هاماً في تشجيع الرأسمال الامريكي والاوروبي في الاستثمار في مصر<sup>(٢٢)</sup> . وهناك ايضا دراسات ومشاريع اقتصادية اسرائيلية تهدف بالتعاون مع الشركات المصرية الى اقامة مشاريع اقتصادية لدعم وتطوير اقتصاد اسرائيل ، ومنها مشروع لتحويل مياه البحر المتوسط لري الاراضي الخصبة شرقي الضفة الغربية ، والاستفادة من مياه البحر الميت .

كما بدأت الشركات الامريكية الاستفادة من اتفاقية السلام وذلك بالحصول على مقارلات تقدر بـ ١٠٠ مليون دولار لبناء قاعدتي الطيران الاسرائيلي الجديد في النقب . وبعض هذه الشركات يملكها امريكيون يهود لهم علاقات اقتصادية باسرائيل<sup>(٢٣)</sup> .

وأما بالنسبة للشركات الامريكية ، فلقد اصبح العالم العربي جزءاً هاماً من احتكاراتها ومشاريعها العالمية . واصبحت تعتمد على الاسواق العربية بشكل كبير . ولذلك اصبح الاقتصاد الامريكي والميزانية الامريكية تعتمد ايضا على الاسواق العربية ، واي خلل في هذه العلاقات يؤثر مباشرة على ميزانية المدفوعات الامريكية وعلى الاقتصاد الامريكي المحلي . وأكد هذا مساعد الخارجية الامريكية هارولد ساندرز عندما ذكر في تقريره السنوي للكونجرس الامريكي بأن دخل المبيعات الامريكية للشرق الاوسط بلغ عام ١٩٧٧ ١٢,٣ بليون دولار . وأن الشركات العربية تشتري ما يزيد على ١٠٪ من الصادرات الامريكية كما ان هناك مئات الملايين من الدولارات التي تمثل الخدمات الامريكية في مجال الهندسة والاعمار والخبرات الفنية التي تدخل للميزانية الامريكية ، وبذلك تؤثر مباشرة على ميزانية التجارة الامريكية<sup>(٢٤)</sup> .

### استراتيجية التدخل العسكري الامريكي المباشر

ولحماية هذه المصالح ، لم تكتف امريكا بالاعتماد على حلفائها في المنطقة مصر واسرائيل . وانما بدأت تطور قواها وامكانياتها العسكرية للتدخل المباشر للسيطرة على المنطقة . وهذا هو قلب الاستراتيجية الامريكية الجديد - تكثيف التواجد العسكري الامريكي في البحر الاحمر والبحر المتوسط والاعتماد على قواعد عسكرية بحرية وبرية لحماية منابع النفط

والجزيرة العربية . ولقد دار صراع بين مستشاري الرئيس كارتر حول تفاصيل هذه الاستراتيجية الجديدة . فشدّد رئيس مجلس الامن القومي برزنسكي على ضرورة الاعداد « للتدخل المباشر » وتطوير القدرة العسكرية في منطقة الشرق الاوسط لتقوم بحماية المنطقة ومواجهة التغلغل السوفيتي . بينما دعا وزير الخارجية فانس الى عدم التدخل المباشر والتخفيف من الاعتماد على القوة العسكرية الامريكية ودعم الانظمة العربية لتطور امكانياتها العسكرية . واستطاع برزنسكي بدعم من عسكري البنتاجون الامريكي وبسبب الاعتماد الامريكي المتزايد على البترول العربي من اقناع الرئيس كارتر بدراسة اقتراحاته (٢٥) كما ساعده على ذلك اللوبي الصهيوني الذي يريد مواجهة السوفيت والحد من نفوذهم في منطقة الشرق الاوسط وساهم الاعلام الصهيوني في خلق رأي عام شعبي يعارض سياسة الاتحاد السوفيتي ويطالب بمواجهتها بالقوة العسكرية وعدم التراجع امامها (٢٦) وتحالفت المنظمات الصهيونية في هذا المجال مع القوى اليمينية والمحافظه وخاصة في الحزب الديمقراطي والجمهوري والتي انتقدت سياسة الرئيس كارتر بشدة واتهمته بانه ضعيف امام الاتحاد السوفيتي ويقدم التنازلات ويتراجع امام المد السوفيتي في افريقيا واسبيا (٢٧) .

ولقد بدأ الرئيس كارتر بتنفيذ بعض اجزاء هذه الاستراتيجية الجديدة ، وذلك بتحريك قطع من الاسطول الامريكي السابع والسادس خاصة خلال الحرب القصيرة بين اليمن الشمالي والجنوبي وارسال الخبراء والطيارين لليمن الشمالي ، والتهديد بالتدخل المباشر في القتال لمواجهة الطيارين السوفيت والكوبيين (٢٨) .

وتتلخص الخطة العسكرية الامريكية للتدخل في الشرق الاوسط في انشاء قيادة عسكرية جديدة مختصة بالشرق الاوسط ورشح لرئاستها الجنرال رالف لورانس الذي يشارك في المفاوضات العسكرية بين مصر واسرائيل والذي يرأس حاليا بعثة عسكرية امريكية لتطوير السلاح السعودي . ويكون لدى هذه القيادة قوة مقاتلة تتكون من مئة الف مقاتل لحرب الصحراء ، بالاضافة الى انشاء قوة حربية جديدة تتواجد في البحر العربي ومضيق عمان وتعتمد على قواعد بحرية في المحيط الهندي وجزر ديجو جارسيا (٢٩) . ولقد ساهم في وضع هذه الخطط وزارة الدفاع وكذلك سلاح الطيران والبحرية والبرية ، وسميت هذه الخطة العسكرية « بالحرب المحدودة » لأنها تعني التدخل السريع في الخليج العربي لحماية المناطق الحساسة البترولية (٣٠) .

وتهدف هذه الخطة العسكرية الامريكية الى « حماية » النفط والتدخل المباشر في الجزيرة العربية ، وكذلك الى حماية الاتفاقية المصرية- الاسرائيلية ودعمها بقوة عسكرية امريكية ضارية تكون مستعدة لمساعدة اسرائيل ومصر مباشرة . ولقد اشار السناتور الامريكي جيسي هيلمز الى أن امريكا قد تعهدت رسميا بدعم اسرائيل عسكريا بالتدخل المباشر لردع أي عدوان عربي واستخدام القوات الامريكية الجديدة والاسطول الامريكي الجديد في المنطقة لحماية اسرائيل ودعم اتفاقية السلام . وذكر السناتور هيلمز بأن امريكا تتحمل أيضا مسؤولية تسليح اسرائيل بالأسلحة الذرية ، وان اتفاقية كامب ديفيد ستلحق اضرارا بالغة بالمصالح الامريكية بسبب الحرب القادمة والدمار الذي ستحدثه في المنطقة والاصطدام مع الاتحاد السوفيتي (٣١) .

من الواضح أن الخلاف بين وزير الخارجية فانس والمستشار برزنسكي حول

الاستراتيجية الأمريكية واتجاه الإدارة الأمريكية نحو اعتماد سياسة التدخل المباشر والتخلي كلياً عن الحل الشامل وحل القضية الفلسطينية ، نتج عنه استقالة عدد من مستشاري مجلس الأمن القومي ، ومنهم وليم كوانت . وكان كوانت من دعاة حل القضية الفلسطينية والاعتراف بحقوق الشعب الفلسطيني وعدم الدخول في صدام مع منظمة التحرير والدول العربية الأخرى وخاصة السعودية . وبالرغم من أن وزير الخارجية فانس أكد في خطابه في بئر السبع على ضرورة حل « مشكلة الحقوق القومية لشعب فلسطين » ، إلا أن هذا مجرد تغطية للموقف الأمريكي الحقيقي الذي لا يريد حل المشكلة الفلسطينية ، ويعطي الأولوية الآن لفرض الهيمنة الأمريكية على المنطقة . ولقد أكد هذه النظرية السناتور هيلمن حينما ذكر بأن أمريكا « تجاهلت المشكلة الفلسطينية وأجلت إلى الأبد إمكانية إحلال سلام شامل وعادل في المنطقة يشمل الفلسطينيين »<sup>(٣٢)</sup> .

ولقد جاء تعيين المستشار اليهودي روبرت ستراوس وعدد من اليهود الصهاينة في مجلس الأمن القومي دليلاً على تمكن اللوبي الصهيوني من السيطرة على القرار الأمريكي وتجاهل حل المشكلة الفلسطينية . هذا بالإضافة إلى تصريح وزيراً لخارجية فانس بأنه لن يستمر في منصبه بعد عام ١٩٨٠ ، واستعداد الرئيس كارتر لدخول الانتخابات يضيف إلى قوة اللوبي الصهيوني وتمكنه من السيطرة على القرار الأمريكي فيما يتعلق بالشرق الأوسط .

#### المعاداة الكاملة لمنظمة التحرير الفلسطينية

ضمن هذه الاستراتيجية الأمريكية الجديدة ، تحاول المنظمات الصهيونية والقوى الأمريكية اليمينية والعسكرية إخراج منظمة التحرير والشعب الفلسطيني من العودة كلياً . فركزت الدعاية الصهيونية على أن المنظمة تمثل قوة « إرهابية » « متطرفة » في المنطقة مدعومة من الاتحاد السوفيتي - وتهدد بذلك المصالح الأمريكية وحلفاء أمريكا في المنطقة .

وركزت إسرائيل ومنظماتها الصهيونية في أمريكا على موضوع « الدولة الفلسطينية » التي ستكون حسب ادعائهم قاعدة للسوق في المنطقة وتهدد بذلك أمن وسلامة إسرائيل والدول العربية الأخرى بما فيها الأردن ومصر . وأشار بيان الجمعية الأمريكية الإسرائيلية السنوي إلى أن « أي دولة في الضفة الغربية بقيادة منظمة التحرير ستصبح قاعدة إرهابية سوفياتية ، هدفها القضاء على إسرائيل وقلب أنظمة الحكم العربية المجاورة »<sup>(٣٣)</sup> . وبسبب الضغط الصهيوني ، ردد معظم أعضاء الكونجرس الأمريكي هذه النظرية الإسرائيلية . واتخذ الكونجرس الأمريكي عدة قرارات هامة تؤكد معارضته لمنظمة التحرير ، أهمها قرار بمطالبة وزارة الخارجية بعدم السماح لممثلي المنظمة بدخول أمريكا ، وقرار بقطع المساعدات الأمريكية عن لجنة تنفيذ حقوق شعب فلسطين في الأمم المتحدة ، وتوصيات رفعت للرئيس كارتر بعدم الضغط على إسرائيل للانسحاب من الضفة الغربية وغزة وإقامة دولة فلسطينية تكون خطراً على أمن واستقرار إسرائيل<sup>(٣٤)</sup> . وهاجم عدد من أعضاء الكونجرس ، خاصة اليهود ، منظمة التحرير متهمينها بأنها تابعة للسوفيت وانها تعمل من أجل خلق المشاكل والاضطرابات في المنطقة . واتهم السناتور اليهودي رتشارد ستون المنظمة بأنها « عميلة للسوفيت » وبأنها تتعاون مع اليمن الجنوبي لضرب المصالح الأمريكية ، كما حاول عدد من أعضاء الكونجرس

الضغط على الحكومة الامريكية للاقرار بأن المنظمة « اراهابية » وتعرض وزير الخارجية فانس ومساعدوه هارولد ساندرز والفرد اثيرتون لضغوط شديدة من السناتور الصهيوني جاكوب جافيتس ورتشارد ستون خلال جلسات لجان الشؤون الخارجية تهدف الى حملهم على الاقرار بأن المنظمة اراهابية ، ولكن ساندرز اجاب بأنها اطار واسع يشمل المنظمات الراهابية ، ولكنه أكد بأن داخل المنظمة هناك افراد « معتدلون » ويجب التعامل معهم وتشجيعهم<sup>(٣٥)</sup> . وبذلك حاولت وزارة الخارجية تصنيف الافراد داخل المنظمة واختيار من تود التفاوض معهم هذا بالإضافة الى اتجاهها مؤخرا نحو محاولة الحوار مع رؤساء البلديات والشخصيات الهامة في الضفة الغربية وغزة في محاول يائسة ، لايجاد قيادات بديلة لمنظمة التحرير . ولقد باءت هذه المحاولات بالفشل امام اصرار جميع رؤساء البلديات في الارض المحتلة على أن الممثل الوحيد والشريعي لشعب فلسطين هو منظمة التحرير الفلسطينية<sup>(٣٦)</sup> .

واما الاقلية الامريكية التي تدعي التعاطف مع شعب فلسطين داخل الكونجرس الامريكي او خارجه ، فهي ايضا تحاول فرض الشروط على منظمة التحرير وتطالبها بالاعتراف بقرار الامم المتحدة ٢٤٢ والاعتراف باسرائيل والدخول في المفاوضات مع اسرائيل للحصول على الحقوق الفلسطينية . ولقد دعا النائب بول فندي منظمة التحرير الى اتخاذ سياسة واقعية والاعتراف بقرار ٢٤٢ والدخول في حوار غير رسمي مع الحكومة الامريكية من أجل الحصول على اعتراف امريكي بالمنظمة<sup>(٣٧)</sup> . كما دعت منظمة العرب الامريكين الى اعتراف متبادل بين امريكا والمنظمة ، على اساس ان تعترف المنظمة بقرار ٢٤٢ مقابل اعتراف امريكا بمنظمة التحرير كممثل لشعب فلسطين . ومن الواضح ان هذه المواضع كالدوران في حلقات مفرغة فالحكومة الامريكية قد وضعت استراتيجية جديدة لا مكان فيها لمنظمة التحرير . ومن منطلق هذه الاستراتيجية ، تعتبر امريكا المنظمة قوة متطرفة معادية ، ولذلك لا بد من مواجهتها والقضاء عليها من أجل احكام السيطرة الامريكية على المنطقة العربية .

#### نحو استراتيجية العمل الفلسطيني في امريكا

على العمل الفلسطيني في امريكا اعتماد استراتيجية جديدة ، تنطلق من معرفة حقيقة موقف الامبريالية الامريكية ، وسياستها الواضحة في ضرب جميع حركات التحرر والتقدم والسلام في العالم . من هذا المنطلق يجب ان تتجه القوى والمنظمات الفلسطينية نحو تحالفات وتعاون مشترك مع القوى التقدمية وقوى التحرر في امريكا التي تناضل ضد قمع وارهاب السلطة الامريكية . وأهم هذه القوى حركات واحزاب السود التي تناضل من أجل تحرر الامريكي الاسود وتدرك طبيعة النظام الامريكي ووسائل مواجهته ، وكذلك قوى واحزاب الاقليات المضطهدة في امريكا ومنها الامريكيين من أصل أسباني ، والهنود الحمر . ويكون هؤلاء قوى جديدة مناضلة ترفع راية التحرر والتقدم . هذا بالإضافة الى القوى والاحزاب اليسارية والشيوعية التي تدرك طبيعة النظام الامريكي والتي يمكن ان تساند الثورة الفلسطينية ، بالرغم من قلتها وتشرنمها في الساحة الامريكية .

واما الحركة العمالية ، فان قياداتها هي جزء من الطبقة الحاكمة وبالتالي تساند كليا اسرائيل وتدعمها بشكل قوي . لذلك لا بد من العمل مع القواعد العمالية والحركات العمالية

المتمردة على قياداتها ، ويمكن في هذا المجال اقامة تحالفات وتعاون بين العمال العرب والفلسطينيين خاصة في المدن الصناعية كديترويت والقواعد العمالية الامريكية .

ان هذا العمل الفلسطيني هو محدود الهدف ، خلق قوى سياسية مناصرة لمنظمة التحرير والثورة الفلسطينية يمكنها ان تناضل من داخل المجتمع الامريكي ضد السياسة الامريكية الامبريالية والعسكرية . واما الاعتقاد بأنه يمكن تغيير السياسة الامريكية وخاصة في الكونجرس الامريكي أو البيت الأبيض عن طريق اللوبي العربي أو النفوذ العربي المالي ، فهذه نظرة سطحية وخاطئة ولا يمكن ان تحقق أي مكاسب في ظل نظام امريكي امبريالي معادي لاماني الامة العربية في الحرية والتقدم والسلام .

ان من يعتقد بأن علاقات امريكا مع العالم العربي يمكن ان تقوم على « اساس المساوات والاحترام والمصالح المشتركة » لمخطيء تماما(٣٨) . ان الدراسة العلمية للاستراتيجية الامريكية الراهنة تؤكد بأن امريكا تريد السيطرة على المنطقة واستغلال طاقاتها وارهابها بالقوة العسكرية . كما ان هذه الاستراتيجية تعتمد على تقسيم الامة العربية بين « معتدل » و « متطرف » ودعم ما يسمى بالمعتدلين بالسلاح الامريكي لتعميق الصراعات في الوطن العربي . واما القضية الفلسطينية ، فحلها هو مزيد من الدعم العسكري والمالي لاسرائيل وضمان أمنها واستقرارها في المنطقة وارغام العرب والفلسطينيين على الاعتراف بها .

ان الامبريالية وشركات الاحتكار الامريكية لا ترسم سياستها على اساس « الصداقة والمساواة والاحترام » وانما السيطرة والاستغلال واستخدام القوة العسكرية . وتتحرك بسرعة لضرب وتصفية كل القوى التقدمية والوطنية التي تقف في طريقها . لذلك فان الاعتقاد بأن مخاطبة الحكومة الامريكية بلغة « الصداقة والمصالح المشتركة » ، خاطيء كلياً . وان الصراع الجديد القادم في المنطقة العربية سيبرهن بان الرد الوحيد على الامبريالية هو بتصعيد النضال العربي والعالمي لهزيمتها وسحر مخططاتها العسكرية والاحتكارية .

## الحواشي

- (١) بيان مساعد وزير الخارجية الامريكية هارولد ساندرز امام لجنة العلاقات الخارجية لمجلس النواب الامريكي ، ١٢ حزيران ( يونيه ) ١٩٧٨ ، و ١٢ شباط ( فبراير ) ١٩٧٩ .
- (٢) بيان وزير الخارجية الامريكية سايرس فانس امام لجنة الشؤون الخارجية لمجلس النواب الامريكي ٨ ايار ( مايو ) ١٩٧٩ .
- (٣) بيان هارولد ساندرز ، ١٢ حزيران ( يونيه ) ١٩٧٨ .
- (٤) « الدور المصري الجديد كما يراه السادات » نيويورك تايمز ، ٨ آذار ( مارس ) ١٩٧٩ .
- (٥) المصدر نفسه .
- (٦) ونكرت جريدة واشنطن بوست بأن الحكومة الامريكية ارسلت فريقا من خبراء الدفاع الجوي للتعاون مع مصر في الشؤون العسكرية المتعلقة بالصواريخ واشطنطن بوست ، ١٩ نيسان ( ابريل ) ١٩٧٩ .
- (٧) واوضح بأنها حوالي ٢ بليون دولار لاسرائيل ، و بليون ونصف دولار لمصر . ومنها ٨٠٠ مليون دولار بشكل منح لمساعدة اسرائيل في بناء قاعدتي الطيران الحربي في النقب . بيان وزير الخارجية الامريكي سايرس فانس امام لجنة

(١٤) ونكر فانس بأن اسرائيل تقدر المساعدات العسكرية المباشرة بحوالي ٤ بليون دولار . بيان وزير الخارجية فانس امام لجنة الشؤون الخارجية ، ٨ ايار ( مايو ) ١٩٧٩ .

(١٥) بيان وزير الخارجية فانس امام لجنة الشؤون الخارجية ، ٣ ايار ( مايو ) ١٩٧٩ .

(١٦) يركز بأن لجنة العلاقات الاسرائيلية التي تمثل اللوبي الصهيوني بواشنطن على هذه النقاط وينكر « بان اسرائيل تلعب دورا رئيسيا واستراتيجيا في خط الدفاع امام خطر العدوان السوفيتي » ، نشرة الشرق الاوسط ، ١٦ ايار ( مايو ) ١٩٧٩ .

(١٧) « مراحل السلام في الشرق الاوسط » . مناقشات اللجنة الفرعية للجنة العلاقات الخارجية في الكونجرس الامريكى . ٢٨ حزيران ( يونيه ) ١٩٧٨ . ص ١٢ . ونكرت نشرة السياسة العالمية بأن اسرائيل تقدمت ايضا بطلب منع طائرات ( ف - ١٦ ) بالاشتراك مع امريكا ، وكذلك صنع شبكة اتصالات عسكرية ، ولكن الحكومة الامريكية لم توافق على الطلب . نشرة الدراسات العالمية ، واشنطن ايار ( مايو ) ١٩٧٩ ص ١٤ .

(١٨) خطاب السناتور بوب باكورد امام لجنة العلاقات الامريكية الاسرائيلية . نشرة الشرق الاوسط ، ٢٢ ايار ( مايو ) ١٩٧٩ .

(١٩) جون كامبل « الشرق الاوسط ، مشاكل الامبراطورية » ، مجلة الشؤون الخارجية ، المجلد ٥٧ ، العدد الثالث ١٩٧٩ .

(٢٠) اكدت ذلك مقالة هامة في جريدة كرسنتيان . ساينس مونيتور ، بتاريخ ٨ آذار ( مارس ) ١٩٧٩ .

ونكرت المقالة بأن الرئيس كارتر يعطي الأولوية الآن للاتفاق المصري - الاسرائيلي وسيكون ذلك على حساب الفلسطينيين الذين لن يقدم لهم اي شيء حقيقي .

(٢١) راجع في هذا المجال الدراسة الخاصة عن امكانيات التعاون والاستثمار الاقتصادي في مصر واسرائيل في العهد الجديد . ويدعو الدكتور ابراهيم عويس الراسمال الامريكى الى الاستفادة من فرض الاستثمار في مصر السادات ، كما يركز وزير الاقتصاد المصري حامد السيد على نور البنوك

الشؤون الخارجية بمجلس النواب . ٨ ايار ( مايو ) ١٩٧٩ .

(٨) واشنطن بوست بتاريخ ٢٨ نيسان ( ابريل ) ١٩٧٩ . كما نكر الصحفي رولاند ايفانز بأن السادات قد يهاجم ليبيا لاحياء الشعور القومي المصري واشتد بوسست ، ٢٠ ايار مايو ١٩٧٩ .

(٩) بيان وزير الخارجية الامريكى سايرس فانس امام لجنة العلاقات الخارجية بالكونجرس ، ٣ ايار مايو ١٩٧٩ .

(١٠) ورقة الاتفاقية بين الولايات المتحدة واسرائيل . نشرة الشرق الاوسط ، ٤ ابريل ١٩٧٩ . ولقد اتمتت مصر بان الاتفاقية تعتبر معاهدة عسكرية بين امريكا واسرائيل وانها كما ورد في رسالة رئيس الوزراء مصطفى خليل للخارجية الامريكية « موجهة ضد مصر » ، نيويورك تايمز ٢٩ آذار ( مارس ) ١٩٧٩ .

(١١) ونكر الرئيس السادات نفس الموضوع في لقاءاته مع اعضاء الكونجرس بعد توقيع اتفاقية السلام ، اذ اكد بان الخط السوفيتي يهدد منطقة الشرق الاوسط ، وبان مصر ستلعب دور القوة العسكرية لمواجهة هذا الخط الحقيقي . « بيغن والسادات يزورا الكونجرس » واشنطن بوست . ٢٨ نيسان ( ابريل ) ١٩٧٩ .

(١٢) نكر بيغن بعد مشاهدة العرض العسكري الامريكى من على حاملة الطائرات النووية ايزنهاور والذي استخدمت فيه الصواريخ والقنابل والطائرات الامريكية بأنه يرحب بالاسطول السادس في ميناء حيفا في اي وقت ، وبأن البحرية الامريكية قد حمت وضمنت اتفاقية السلام . واشنطن بوست ١١ ايار ( مايو ) ١٩٧٩ . كما اشارت دراسة لجنة الشؤون الخارجية بالكونجرس الامريكى بأن اسرائيل والاراضي المحتلة فيها مناطق عديدة لانشاء قواعد عسكرية ، وخاصة ميناء حيفا الذي يمكنه ان يستقبل الاسطول السادس وكذلك ميناء اشدود . راجع دراسة « السياسة الامريكية الخارجية والقواعد العسكرية الخارجية » لجنة الشؤون الخارجية للكونجرس الامريكى ( ابريل ١٩٧٩ ) . ص ٨٠ .

(١٣) من نص خطاب الرئيس جيمي كارتر في حفل الترحيب بمناحيم بيغن وزعماء اليهود ، البيت الابيض ، ١ ايار ( مايو ) ١٩٧٩ .

والسناتور بوب دول والمرشحين لمنافسة الرئيس كارتر في انتخابات الرئاسة عام ١٩٨٠ .

(٢٨) نكر الصحفي جيم هوجلاند ان الكونجرس الامريكي كان مستعدا لاقرار حق الرئيس كارتر في استخدام ٨٥ طائرة حربية لمواجهة السوفيت في اليمن الجنوبي ، واشنطن بوست ، ٣ حزيران ( يونيه ) ١٩٧٩ .

(٢٩) المصدر نفسه ، ص ٢ .

(٣٠) نشرت جريدة نيويورك تايمز ايضا تفاصيل الخطط العسكرية الامريكية ، ٢٠ نيسان ( ابريل ) ١٩٧٩ ، كما نشرت مجلة Fortune الامريكية تفاصيل التدخل العسكري الامريكي المباشر في الجزيرة العربية بما فيها احتلال الرياض من الجو والانزال البحري واحتلال مضيق هرمز ، واحتلال منابع النفط ، وكذلك قصف القوات العراقية من الجو والانزال العسكري الامريكي في الكويت . مجلة Fortune ، ٧ ايار ( مايو ) ١٩٧٩ ، صفحة ١٥٥ - ١٦٠ .

(٣١) لذلك عارض السناتور جيسي هيلمز معاهدة السلام واتفاقيات كامب ديفيد وصوت ضدها في الكونجرس الامريكي . راجع خطابه الشامل . تقرير الكونجرس ، المجلد ٢١٢٥ ، العدد ٦٠ ، ٤ ايار ( مايو ) ٧٩ .

(٣٢) المصدر نفسه .

(٣٣) بيان الجمعية الامريكية الاسرائيلية ، نشرة الشرق الاوسط ، ١٦ ايار ( مايو ) ١٩٧٩ .

(٣٤) قدم مشروع قرار منع ممثلي المنظمة من دخول أمريكا النائب اليهودي ستيفن سولارز والنائب اليهودي انوار دبرونسكي . كما قدم مشروع قطع المعونة الامريكية بمبلغ ١٥٠ ألف دولار عن اللجنة الخاصة لحقوق شعب فلسطين في الأمم المتحدة النائب الصهيوني لسترولف . نشرة الوكالة اليهودية ، ٢٧ نيسان ( ابريل ) ١٩٧٩ .

(٣٥) راجع بيان وزير الخارجية فانس نشرة الشرق الاوسط ، ٢٤ ايار ( مايو ) ١٩٧٩ .

(٣٦) خلال زيارته لواشنطن اكد رئيس بلدية حلحول محمد ملحم لمن قابلهم من الكونجرس الامريكي ومسؤولي الخارجية الامريكية بان المثل الشرعي والوحيد للفلسطينيين هو منظمة التحرير ،

الامريكية في دعم الاقتصاد المصري . « مصر واسرائيل احتمالات العهد الجديد » . مجلة واشنطن ، ربيع ١٩٧٩ .

(٢٢) المصدر نفسه ، ص ١٧ .

(٢٣) ذكرت نشرة الشرق الاوسط اسماء الشركات الامريكية التي حصلت على المقاولات لبناء قاعدتي الطيران وهي التالية :

Negev Airbase Constructors, Perini Corps. of Framingham, Mass., Harbart Construction Co. of Birmingham, Ala.,

Paul N. Howard Co. of Greensboro, N. C. and Louis

Berger International, Inc. of East Orange, N. J.

العدد ٢١ - ٢٣ ايار ( مايو ) ١٩٧٩ .

(٢٤) بيان مساعد وزير الخارجية هارولد ساندرز ، ١٢ حزيران ( يونيه ) ١٩٧٩ .

(٢٥) نشر الصحفي جيم هوجلاند تفاصيل هذا الصراع وتفاصيل خطط التدخل الامريكي العسكري المنطقة بالتفصيل ، تحت عنوان « خطة كارتر تجاه يتروال الشرق الاوسط » . واشنطن بوست ، ٣ حزيران ( يونيه ) ١٩٧٩ . كما نشرت مكتبة الكونجرس الامريكي دراسة تفصيلية عن خطط استخدام القوات الامريكية لاحتلال منابع النفط ، ومواجهة الانقلابات السياسية في المنطقة ومواجهة الاتحاد السوفيتي عسكريا . وتدعو الدراسة الى انشاء قوات عسكرية خاصة لهذه المهام ، « ابرادات النفط من الخليج : استخدام القوات العسكرية الامريكية لضمانها » . جون كولنز : قسم دراسات الامن القومي ، مكتبة الكونجرس ٤ ايار ( مايو ) ١٩٧٩ .

(٢٦) دعت الجمعية الامريكية - الاسرائيلية التي تمثل اللوبي الصهيوني في مؤتمرها السنوي الى مواجهة العدوان السوفيتي بخطة دفاعية قوية ، وإلى زيادة مخصصات ميزانية الدفاع الامريكية لمواجهة السوفيت ، كما دعت الى الضغط على السوفيت عن طريق اتفاقية السولت للسماح ليهود الاقتصاد السوفيتي بالهجرة الى اسرائيل . البيان السياسي للجمعية الامريكية الاسرائيلية . نشرة الشرق الاوسط ، ١٦ ايار ( مايو ) ١٩٧٩ .

(٢٧) راجع تصريحات زعماء الحزب الجمهوري المحافظين ومنهم رولاند ريجان والسناتور بوب بيكر

جمعية العرب الامريكين والذي يقول فيسه « ان موقفنا السياسي يستند على وجود علاقات طيبة بين الولايات المتحدة والعالم العربي لمصلحة الشعب العربي والشعب الامريكى والسلام العالمى . ولكن اواصر العلاقات الطيبة بين الجانبين تتعرض حاليا لتهديد خطير بسبب ادارة كارتر في العالم العربي . » .  
 جريدة الشرق الاوسط ، ١٥ ايار ( مايو ) ١٩٧٩ .

ولا بد من الاعتراف بها والاعتفاف بحق شعب فلسطين في تقرير المصير واقامة دولته المستقلة .

(٢٧) راجع نص خطاب النائب بول فندي في المؤتمر السنوي لاتحاد العرب الامريكين .  
 واشنطن، ٧ ايار ( مايو ) ١٩٧٩ .

(٢٨) راجع خطاب الدكتور هشام شرابي رئيس

صدر حديثاً

عن مركز الابحاث

قطاع غزة ١٩٤٨ - ١٩٦٧

تطورات اقتصادية وسياسية واجتماعية وعسكرية

تأليف : حسين أبو النمل

يطلب من المكتبات ، ومن قسم التوزيع

ص.ب ١٦٩١ ،

بيروت

## شفيق الحوت \*

## "المقصلة" التي أسموها "الحكم الذاتي"

ورد في الاطار السياسي « لاتفاقيتي كامب دافيد » ، الذي اعتمد مرجعا اساسيا لمعاهدة الصلح المصرية - الاسرائيلية ، بند اطلق عليه تجاوزا : « الحكم الذاتي » .  
ولا شك ان اطراف « كامب دافيد » قد اختارت هذه التسمية بوعي وعن قصد ، لتحقيق مجموعة من الاهداف :

اولها ، للتمويه على حقيقة المضمون السياسي لهذا البند ، والمناقضة لكل مفاهيم « الحكم الذاتي » المعروفة في الكتب او الممارسة على الارض .

وثانيها ، لخداع الرأي العام العالمي والعربي ، وأيهامه بأن اطراف « الكامب » لم تستهدف حلا جزئيا او صلحا منفردا بين مصر واسرائيل ، وانما تستهدف الحل الشامل « لازمة الشرق الاوسط » بما في ذلك جوهر ولب هذه الازمة اي قضية فلسطين .

وثالثها اعلامي ، بهدف الترويج لبضاعة مرفوضة باسمها الحقيقي ، فغلفوها باسم آخر قادر على ايجاد بعض الاسواق التي قد تقبل به ، او على الأقل لا تبادر الى رفضه . وكلنا يعلم مدى التأثير الرهيب لوسائل الاعلام الغربية وقدرتها على التسويق ، في عالم تكتفي قطاعات واسعة منه « بعناوين » القضايا والحوادث دون الالتفات الى المضمون .

واذا كان بعض المعلقين والسياسيين من بيننا ، وقع في خطأ اعتماد هذه التسمية فروج لها من حيث يريد فضحها وكشفها ، فان العديدين من المعلقين الاميركيين والاوروبيين الذين سبق لهم ان تعاطفوا معنا ، ومنهم من قاسى بسبب ذلك ، وجبوا في توقيع السادات والتنازلات التي قدمها ، مناسبة للتدخل مما سبق ان التزموا به ، وتحولوا الى دعاة للحل الاميركي - الصهيوني - المصري ، ويحاولون استثمار هذه التسمية المخادعة لتصوير المضمون على غير حقيقته بقصد تزيينه وتمريره .

- واحد من هؤلاء المعلقين قال لي ذات يوم ساخرا : لقد بقيتم انتم العرب تضعون كلمة

اسرائيل بين مزدوجين اكثر من ثلاثين سنة ، ومنكم من لا يزال يضعها حتى الآن .  
ويستطاعتكم اليوم ان تضعوا مصطلح « الحكم الذاتي » كذلك بين مزدوجين ، ولكن هذا لن  
يغير من الأمر أكثر مما غيرت مزدوجاتكم السابقة .

ولذلك وقبل الخوض في تفاصيل هذا البند وتبيان اسباب رفض شعبنا له ، وحتى لا يتبادر  
لبعض الاذهان مثل ما تبادر لهذا المعلق ، ان القضية التي نناقشها هنا هي أي نوع من انواع  
الحكم الذاتي نقبل وايها نرفض ، لا بد من المبادرة لتحديد موقفنا المبدئي الراقض لاي نوع من  
انواع الحكم الذاتي بما في ذلك ارقى انواعه ، والتأكيد أن هدف شعبنا الاستراتيجي الذي  
ناضل ولا يزال يناضل من اجل تحقيقه ، وعلى امتداد اكثر من ستين سنة . هو الاستقلال  
الوطني الكامل ، اي اقامة الدولة الفلسطينية المستقلة ذات السيادة الكاملة وغير المنقوصة فوق  
ترابها الوطني . وهو هدف مشروع وحق ثابت ، وليس في الدنيا من لم يعترف لنا به باستثناء  
دولة الكيان الصهيوني وحليفاتها الاستراتيجية والتاريخية الولايات المتحدة .

اذن ، ومن هذا المنطلق ، وبهذا الفهم لهدفنا الوطني والقومي ، يندرج رفضنا للحكم  
الذاتي ، وبشكل اعنف واصرح لهذا « الحكم الذاتي » بالذات الذي يصل بالمؤامرة الصهيونية  
الامبريالية الى نروتها الاجرامية ، الطامعة « بتشريع فلسطيني » لتكريس احتلال كامل التراب  
الفلسطيني واغتصاب كل حقوق شعب فلسطين الانسانية والوطنية بما في ذلك هويته التي  
يعرف فيها بين الشعوب .

ولما كان الهدف من هذا الحديث ، تحديدا ، هو الرد على الاقلام والتصريحات التي تحاول  
الترويج « لاتفاقيتي كامب دافيد » واطارها السياسي ، وكلها تقوم على الكذب والخداع  
والتمويه ، لا بد من استهلال الحديث بكلمة عامة عن موضوع « الحكم الذاتي » ، اي « حكم  
ذاتي » قبل الرد المباشر على ما اسموه زورا بهذه التسمية .  
عرفت البشرية نوعين اساسيين من « الحكم الذاتي » :

النوع الأول : جاء وليد الارادة الاستعمارية والطغيان الاوروبي بالذات ، عندما كانت  
اوروبا في ابان جبروتها . فحيث كانت تعجز الدولة الاستعمارية ، لسبب او لآخر ، عن ممارسة  
استعمارها بشكل مباشر ، فتلحق البلد المستعمر ( بفتح الميم ) بادارتها المباشرة ، كانت تلجأ  
الى صيغ ملتوية لتحقيق اهدافها ، منها صيغة « الحكم الذاتي » ، فتمنح المواطنين بعض  
حقوقهم في ادارة شؤونهم الحياتية والثقافية والادارية ، واحيانا حتى السياسية الداخلية ،  
شرط ان يبقى هذا كله داخل دائرة الهيمنة الاستعمارية ولا سيما فيما يتعلق بقضايا السيادة  
والاستقلال السياسي والاقتصادي .

وليست صيغة « الانتداب » الا نوعا آخر من هذه الصيغ الملتوية لفرض الارادة  
الاستعمارية بعد ايجاد المبررات الكاذبة لها . ولعل تاريخ الاستعمار البريطاني بالذات ، هو  
خير دليل على هذه الالاعيب السياسية ، اذ ما من بلد حل فيه البريطانيون - بهدف تمكين شعبه  
عن طريق تلك الصيغ وتأهيله للاستقلال وقيادة نفسه (1) - الا وكانت نهايته الانهيار  
والانقسام وربما الضياع الكامل كما حدث في فلسطين .

اما النوع الثاني الذي عرفناه ، فلقد جاء نتيجة شبه حتمية في مناطق تميزت اطرها

وحدودها السياسية بتكوينات ديموغرافية متعددة . إذ ان نشوء الامم ونشوء الدول ، ولا سيما في العالم القديم ، لم يسيرا بخطى متوازية دائما ، مما فرض تواجد اقلية قومية ، ذات سمات حضارية وثقافية خاصة ، ضمن حدود دول من قومية اخرى . ومع انحسار المد القومي العنصري ، وتقدم العلاقات الطبقيّة والانسانية ، جاء هذا النوع من « الحكم الذاتي » ليمنح هذه الاقلية حقوقها القومية الكاملة ( ليس دائما ) ولكن شرط بقاء الولاء التام للسلطة المركزية للدولة والحفاظ على الخريطة الجغرافية لها . ويقدر ما يمكن للمراقب المتجرد ان يتعاطف مع مطالب الاقلية القومية ولا سيما التراثية والثقافية واللغوية ، الا انه في نفس الوقت لا يستطيع ان لا يقدر المخاوف التي تبديها الحكومة المركزية عادة من ان تتطور تلك المطالب الى مطالب انفصالية يترتب عليها تغييرات جذرية في الخرائط المعاصرة . والحقيقة ان المطلوب ، وبالحاح ، هو ايجاد المعادلة الحضارية المتقدمة لحل هذا النوع من المشكلات التي تتعلق بالاقلية القومية والدينية ، وبشكل تقدمي يرفض الانسياق وراء الشوفينية الضيقة والقومية المتعصبة .

هذان هما النوعان الاساسيان « للحكم الذاتي » المعروف والممارس في الخريطة السياسية ، فاذا ما انتقلنا الى موضوعنا بالذات ، موضوع « الحكم الذاتي » المشار اليه في الاطار السياسي « لاتفاقيتي كامب دافيد » نجد انه لا يمت باية صلة لاي من هذين النوعين من انواع الحكم الذاتي المعروفة والممارسة ، لا من حيث الشكل ولا من حيث المضمون ، ولا من حيث الاسباب او المبررات التي تدعو لاقامته . هناك صلة واحدة تربطه بالنوع الاول الذي افرزته الارادة الاستعمارية اي صلة التحايل بقصد فرض هذه الارادة ولكن بصيغة غير مباشرة تكون قابلة « للاخذ والرد » ولو من حيث الشكل في بقايا المجتمعات والدوائر الاستعمارية العريقة .

ومع ذلك تبقى جميع الصيغ الاستعمارية السابقة اقل طغيانا وظلما ووحشية - هذا اذا جاز مثل هذه المقارنات اصلا - اذا ما قورنت بالصيغة التي تبناها الاطار السياسي « لاتفاقيتي كامب دافيد » حتى لم يعد ثمة علاقة بين تلك الصيغة والاسم الذي اطلقوه عليها . واذا كان لا بد من اطلاق اسم عليها فلا بد من نحت كلمة جديدة لم يسبق ترادها في القاموس الاستعماري كله بما في ذلك اشبع مصطلحاته وتسمياته .

مرة ثانية ، وقبل الخوض في تحليل « الصيغة - المؤامرة » لما اسموه ببند « الحكم الذاتي » ، لا بد من الاشارة الى ان مجمل الاطار السياسي « لاتفاقيتي كامب دافيد » ولا سيما في الجزء « الفلسطيني » منه جاء انعكاسا واضحا لموقف السادات التنازلي الاستسلامي ولوقف بيغن التزمطي المتطرف . فحتى مضمون القرار ٢٤٢ الشهير والذي كان منطلق الاتفاقيتين وجسر الوصول اليهما ، تم تشويبه لصالح العدو الصهيوني ، اذ نلاحظ بـكـل ، الوضوح ، ان مقدمة الاتفاقيتين قد ركزت على ما ورد في ذلك القرار لصالح اسرائيل بينما تجاهلت ما ورد فيه لصالح الجانب العربي . اكثر من ذلك فان الفقرات التي فيها ايجابية لصالح اسرائيل تطورت واعطيت احجاما واوزانا جديدة . المتل على ذلك ان ما ورد في القرار ٢٤٢ عن « انتهاء حالة الحرب » اصبح فيما بعد يتجاوز ذلك الى تطبيع العلاقات وفتح الممرات والحدود واقامة التمثيل الدبلوماسي الخ . وممثل آخر ، هو تجاهل ما ورد في القرار ذاته حول

« عدم جواز الاستيلاء على ارض الغير بالقوة » . ولأنه يستحيل البحث في بند من اطار سياسي كامل دون الوقوع في خطأ فادح ، كانت هذه الاشارة الموجزة لكي نوضح ان كل ما في الاطار يساعد على تقزيم ذلك البند رغم قزميته المنصوص عليها والتي يحاولون نفخها وتصويرها على غير حقيقتها .

ينص الاطار السياسي في صدد هذا البند على ان « مسؤوليات وسلطات الحكم الذاتي التي سيتمارس في الضفة الغربية وقطاع غزة ، ستحدد من خلال مفاوضات تتم بين مصر واسرائيل والاردن » . وهذا يعني ان لكل طرف من الاطراف حق النقض ! وأول سؤال يخطر على البال : « وماذا لو فشلت هذه الاطراف في الاتفاق » ؟ والرد الذي جاء على لسان بيغن يجسد الاحتمال الوحيد الممكن وهو « بقاء كل شيء على ما هو » أي استمرار الاحتلال والحاق الضفة والقطاع نهائيا ورسميا باسرائيل .

طبعا ، ان السؤال الاكثر بداهة والأحق بالأولية هو « كيف يتم البحث في مصير شعب وممثلو هذا الشعب غائبون لا يشاركون » ؟ ولكننا اجلنا طرحه ، لأن هناك من سيقول لنا ، كما قال وزير الخارجية الاميركي فانس في اول خطاب له في الجمعية العامة للأمم المتحدة ، بعد التوقيع على الاتفاقيتين ، في ٢٩ ايلول ١٩٧٨ : « ان هناك دورا حيويا للفلسطينيين في تقرير مصيرهم بعد ان تم الاعتراف بهم كمشاركين في كل مجالات التفاوض التي ستقرر مستقبلهم » . وهذا كذلك هو نوع من الدجل السياسي الذي لا يستند على اي نص . لأن كل ما ورد في هذا الصدد ، أي المشاركة الفلسطينية لا يتجاوز شبه الجملة التالية وهي « ان الوفدين المصري والاردني ، يمكنهما ان يتضمنا فلسطينيين من الضفة الغربية وقطاع غزة ، وفلسطينيين آخرين ، وذلك بعد الاتفاق المتبادل » . وهذا يعني بايجاز ، وبعد ابعاد منظمة التحرير الفلسطينية الممثل الشرعي الوحيد لشعب فلسطين ، ان الاطار السياسي « يسمح » ولكنه لا « يفرض » وجود التمثيل الفلسطيني ، ويبقيه معلقاً « للاتفاق المتبادل » مع اسرائيل كما هو النص .

ومع ان الكلمة الأخيرة في هذا الموضوع تبقى بالطبع لاسرائيل ، فان مثل هذا التمثيل يبقى شكليا لتغطية الموقف النهائي واسباغ الشرعية الفلسطينية عليه دون ان يكون له اي قيمة فعلية ، وذلك لعدة اسباب : منها ان نوعية الاشخاص الفلسطينيين ( الذين سيشاركون ) ستختار وفقا لارادة غير فلسطينية ( اردنية ومصرية ) ، كما ان رفض او قبول هؤلاء الممثلين لاية صيغة تطرح يبقى بلا قيمة قبل الموافقة المسبقة للوفدين المضيفين لهم وللموافقة الاسرائيلية النهائية .

هذا يوضح خديعة ما يسمى بالمشاركة الفلسطينية ! « وبماذا » ؟ في مفاوضات حول « حكم ذاتي » غير محدد المسؤوليات والسلطات .

ومما يكشف عدم جدية اطراف « الكامب » حول هذه المشاركة اصلا بالاضافة الى ما ورد في النصوص ، هو ما جاء على لسان السادات في إحدى رسائله المتبادلة مع كارتر ، والذي يعلن فيه عن استعداد مصر لتمثيل كل الجانب العربي والنطق باسمه في حال اصرار الاردن على عدم المشاركة واصرار الفلسطينيين على المقاطعة التامة .

ولقد رفض الأريين هذه المشاركة بالفعل ولا يزال ، كما ان الموقف الراض لشعب فلسطين وقيادته اكثر من واضح ومؤكد . وفي هذه الحالة باستطاعة اي مراقب ان يتصور مدى جدية السادات وصدقه في الحديث عن حق الفلسطينيين في تقرير مصيرهم ومستقبل حياتهم . ولا حاجة بالطبع لتكرار ما اصبح معروفا ، وما نسمعه كل يوم ، من تصريحات اسرائيلية مسؤولة حول المفهوم الصهيوني لهذا « الحكم الذاتي » والتي تتمحور كلها حول تفسير بيغن له والقاضي بفصل مصير « الوطن » عن مصير « المواطن » او « السكان » كما يجب ان يشير الينا ناقياً عنا صفة « الشعب » المتكون والكامل التكوين . « ان الارض - يقول بيغن قاصدا الضفة والقطاع - ستبقى تحت السيطرة الفعالة لحكومة اسرايل » . وهذا بعض ما دفعنا منذ البداية الى القول بان ما سموه بـ « الحكم الذاتي » لا يمت بصلة الى اي مفهوم لاي حكم ذاتي ، بما في ذلك اردأ الأنواع .

رغم ذلك يصر المروجون لبضاعة « كامب دافيد » بأن في الاطار السياسي بنودا واشارات اخرى من شأنها ، في حالة مشاركة شعب فلسطين فيها ، ان تحقق مطامح الشعب الفلسطيني . وفي هذا الصدد يحدثوننا عما ورد حول « الحقوق المشروعة لشعب فلسطين » ويتباهون بانها المرة الأولى التي يعترف فيها الاسرائيليون بهذه الحقوق . وتلك ايضا كذبة اخرى . ولنبدأ بنص الصيغة لنعرف ما تقول .

يقول النص « ان الحل الذي ستمخض عنه المفاوضات يجب ايضا ان يعترف بالحقوق المشروعة لشعب فلسطين ومتطلباتهم العادلة » .

والسؤال الفوري الذي لا بد من طرحه يتطلب ردا حول مفهوم او مفاهيم اطراف « الكامب » لهذه الحقوق .

ولكيلا نطيل في بحث باتت تفاصيله معروفة ، نكتفي بسؤال الثلاثة عن موقفهم من المفهوم الدولي لهذه الحقوق ، كما تحدد في العام ١٩٧٤ ، في الجمعية العامة للأمم المتحدة بنص قرار واضح يحمل الرقم ٢٢٢٦ ، والذي يحدد هذه الحقوق بما يلي : حق العودة - وحق تقرير المصير - وحق اقامة الدولة الفلسطينية المستقلة فوق تراب فلسطين ؟ ! .

فلقد اجمعت الاسرة الدولية ، في اطار الامم المتحدة ، وخارجها ضمن التكتلات الاقليمية والدولية المختلفة ، على هذا التحديد للحقوق المشروعة لشعب فلسطين . فاين تقف مصر - السادات ، وحكومة الولايات المتحدة من هذا التحديد ؟

اما الموقف المصري الحقيقي ، فهو اللامبالاة الحقيقية الا بقدر ما يمكن لبعض التصريحات اللفظية ان تساعد على اخراج مصر من عزلتها العربية والاسلامية بعد توقيعها على المعاهدة . وفي رأبي ان ما يبدو احيانا من « تشدد » مصري ، بعد توقيع الاتفاقية ، هو « تشدد » غير جاد وغير ممكن اصلا . ولكن مصر - السادات بعد ان حققت ما تريده « مصريا » ، فلقد اصبح موقفها القومي نوعا من « الرفاهية » بهدف إسدال الستار عما تنازلت عنه في الاطارين الوطني والقومي . وكما قال السادات ويردد من حوله افراد بطانته فان « عملية السلام » رغم كل ما بدر من اسرايل بالنسبة لمصير الضفة والقطاع ، ستبقى مستمرة وانه « لا حروب بعد اليوم » ... اي اسقاط الخيار العسكري نهائيا

حتى كورقة ضغط للمساومة . اذن لا جدية في « التشدد » المصري ، وربما هو مقصود بهدف غسل اليدين نهائيا بعد تأمين الصلح الثنائي .

اما حكومة الولايات المتحدة ، فعلى الرغم من الاشارات المتباينة التي صدرت عنها خلال السنوات الثلاث الأخيرة ، فانها عندما حددت مفهوما لحقوق شعب فلسطين المشروعة ، على لسان رئيسها كارتر فان هذا التحديد جاء ليرجح مرة اخرى انحياز واشنطن لحكومة اسرائيل ، ومطابقا لسلبية الاطار السياسي « لاتفاقتي كمب دافيد » التي لم تشر على الاطلاق الى اي من هذه الحقوق الشرعية ، ولا سيما الاساسي والثابت منها مثل حق العودة ، وتقرير المصير ، والسيادة الوطنية . وفي خطابه امام الجمعية العامة للأمم المتحدة في ٤ تشرين اول ١٩٧٧ ، والذي ادلى به بعد ان تراجع عن البيان الاميركي – السوفياتي المشترك بعد اربعة ايام من توقيعها ، قال كارتر : « انه يجب الاعتراف بالحقوق الشرعية لشعب فلسطين » ثم اضاف « ولكن ماهية هذه الحقوق وكيفية تحقيقها يجب ان يتما بالطبع عبر مفاوضات تفصيلية بين الاطراف المعنية » ، اي بمشاركة اسرائيلية كما هو واضح . وختم بقوله : « ونحن – اي الولايات المتحدة – لا نملك ان نملي رأينا في هذا الموضوع » . وفي حديث اخر له ، أكثر وضوحا قال كارتر في مؤتمر صحفي بعد خطابه باسبوعين تقريبا : « ان الفلسطينيين – ككل البشر – لهم نفس التطلعات للحرية ، واحترام الذات الانسانية ، والى بيت يعيشون فيه وقيمون مع عائلاتهم ، وان يكون لهم مدارسهم وعنايتهم الصحية ، والطعام الكافي .. ففي هذا الاطار . استطيع القول بان لهم نفس ما لغيرهم من حقوق » . مرة اخرى نركز على تجاهل الرئيس الاميركي على الحقوق الاساسية واكتفائه بالحقوق الانسانية التي استطاعت بعض الجمعيات في اوربا والولايات المتحدة انتزاعها لبعض الحيوانات التي ترعاها وترفق بها .

وبعد تفسير حقائق الموقفين المصري والاميركي من هذا الذي يروجون له تحت بند « الحقوق المشروعة لشعب فلسطين » هل من حاجة الى التعرض لما يقوله بيغن وكل حكام اسرائيل ؟ فقط نود الاشارة الى السخرية التي علق بها بيغن على هذا البند ، الذي قال انه لم يقبل به الا لانقاذ ماء الوجوه التي اعتادت الحديث عنه . واذاف عندما « يأتي دورنا في المفاوضات سنتحدث عما هو مشروع وغير مشروع من الحقوق . ونحن نعرف ما سنقوله حول حقوقنا ومطالبنا !! » .

ومع ذلك ايضا وايضا ، لا يياس المروجون لبضاعة « الحكم الذاتي » الواردة من « كامب دافيد » ويطرحون في صيغة تساؤل اذا ما كان اجدى وانفع للفلسطينيين ان يشاركوا او يجرؤوا انتخاباتهم بدلا من بقاء الاحتلال على ما هو عليه ؛ ويشيرون في هذا الصدد الى انتخابات البلديات التي اتت بعناصر وطنية الى تلك المجالس ورفعت صوت منظمة التحرير عاليا !!

خديعة اخرى ، تحاول الباس النصوص غير ما ورد فيها ، وتتجاهل في الوقت ذاته ما تجاهلته هذه النصوص من قرارات مبدئية كان لا بد من النص عليها ... ولو من اجل سمعة الديمقراطية !

فلقد وافق الاطار السياسي « لاتفاقيتي كامب دافيد » على اجراء انتخابات « الحكم الذاتي » في ظل الاحتلال الصهيوني العسكري للضفة والقطاع ، ولم يشر الى اي انسحاب لقوات الاحتلال قبل اجراء هذه الانتخابات ، كما لم يشر حتى الى اعتماد اي جهة دولية للاشراف على حرية هذه الانتخابات والتأكد من وسائلها واجراءاتها . اكثر من ذلك فان الاطار السياسي لا يشير اطلاقا الى امكانية اي انسحاب مستقبلي لقوات الاحتلال واكتفى بالاشارة الى اعادة تمركزها في اماكن تحدد لها وتضمن - من وجهة نظر المفاوض الاسرائيلي - أمن اسرائيل !!!

هذا من ناحية ، اما بالنسبة للمقارنة بين انتخابات بلدية لا تخضع لاي اطار سياسي ، وليس فيها اي التزام مصري ، وبين انتخابات يقبل بها الفلسطينيون وفقا لاطار واضح ، بل ومفوض ومتأمر ، فهي غير واردة والفرق واضح شاسع ، لأن مجرد القبول بهذه الانتخابات يتضمن بالضرورة القبول - ولو الضمني - لنصوص الاطار السياسي وفاقه المعروفة . اي بعبارة اخرى ، فان القبول بذلك يعني الرضى بمبدأ اصفاء الشرعية الفلسطينية على هذا الاطار ... اي التسليم الفلسطيني بالحل الصهيوني لقضية فلسطين ، وتصفيته نهائيا من الخريطين الجغرافية والسياسية معا .

هذا بعض ما يقوله المروجون « للحكم الذاتي » ، وأما ما يغفلون الاشارة اليه ، وعن تعمد ، فلا يقل خطورة واهمية .

فهم لا يشيرون مطلقا إلى ما اغفله الاطار السياسي عن مصير الفلسطينيين الذي يحيون خارج الضفة والقطاع باعتبار ان « المنفى الابدي » او « الإبادة الجماعية » هما الخياران الوحيدان امامهم .

بل انهم لا يجروون على الاشارة إلى القيود التي فرضها هذا الاطار حول مصير الفلسطينيين من ابناء الضفة والقطاع الذين ابعدها بالقوة عن مناطقهم بعد حرب ١٩٦٧ . فلقد ورد في هذا المجال نص يقول : « انه خلال الفترة الانتقالية ، سيشكل المصريون والاسرائيليون والاردنيون وممثلو الحكم الذاتي لجنة دائمة لتقرير المعايير التي يمكن بموجبها اعادة المبعدين عن الضفة الغربية وقطاع غزة ، مع الترتيبات الضرورية لمنع الفوضى وتأمين النظام » !

واخطر ما في هذا النص انه ينسف بشكل ضمني والى الابد « حق العودة » ، وهو حق مقدس ومعترف به دوليا ، ولطالما تكرر تأكيده خلال الثلاثين سنة الماضية في الامم المتحدة . ان هذا النص حول هذا « الحق » الى « مفحة » لا يمكن تمريرها دون الموافقة الاسرائيلية المحصنة وراء ما ورد في النص عن « الترتيبات الضرورية لمنع الفوضى ولتأمين النظام » . واكثر من ذلك فان النص اقتصر في النص عندما تحدث عن هؤلاء المبعدين ، على من غادر في سنة ١٩٦٧ وليس « منذ » ذلك التاريخ .

كذلك فان هؤلاء المروجين « للحكم الذاتي » الدافيدي ، يتجاهلون اغفال الاطار السياسي لمصير « الارض » الفلسطينية التي احتلت عام ١٩٤٨ ، واغفاله لقضية القدس العربية التي احتلت عام ١٩٦٧ .

وحجة هؤلاء الراهية على هذا التجاهل تتلخص في معظم ردودهم على الزعم بأن كل هذه القضايا المتعلقة لا بد وأن تدخل في صميم المفاوضات وعملية المقايضات المقترضة ممارستها . ولكن هذه الحجة الراهية تسقط نهائيا عندما تبادرهم بالسؤال التالي : اذا عجز الاطار السياسي عن الاشارة الى هذه القضايا ، وكلها من مخلفات الماضي ، فبماذا تفسرون عجزه عن الاشارة الى قضية « المستوطنات » التي لا تزال قائمة - الآن - بتحد اسرائيلي مكشوف ؟ ومن الآن وحتى تنتهي فترة الخمس سنوات الانتقالية او لا تصبح هذه القضية هي خط المجابهة الأول وورقة المساومة الأولى ، هذا اذا افترضنا - التفاؤل المطلوب منا من قبل المروجين - واستسلمنا لما يسمى « بعملية السلام » ؟ ! .

وبعد ... من الواضح اننا لم نضع ، في هذه المقالة ، دراسة تحليلية وقانونية « لاتفاقيتي كامب دافيد » واطارهما السياسي ، فهذا لم يكن بالاصل هدف هذه المقالة ، والا لما تركنا لا شاردة ولا واردة الا وفندناها كما تستحق . فاعقلنا العديد العديد واكتفينا باثارة الناحية السياسية فقط ، في محاولة للرد على المروجين العلنيين والسريين الذين يحاولون سوق شعبنا الى مقصلة اسموها عن قصد ووعي ، « الحكم الذاتي » للفلسطينيين .

ولكن يبقى شعبنا اكثر وعيا ، وادرى من غيره بما يحاك ضده ، وليست وقفة اهلنا في الضفة والقطاع وفي كل اماكن تجمعه داخل الوطن المحتل وخارجه الا الدليل الناصع على هذا الوعي المقرون بالارادة التي لن تلين ولن ترقع وستواصل الصمود والتحدي حتى تتحقق اهدافنا في الاستقلال الوطني الكامل واقامة الدولة الفلسطينية ذات السيادة غير المنقوصة .

## مقدمة في معاني الإستشراق

### - ١ -

خلال زيارة لبيروت ابان الحرب الأهلية الرهيبة ( ١٩٧٥ - ١٩٧٦ ) كتب صحافي فرنسي بكثير من التحسر والأسف عن المنطقة التجارية بأزقتها وشوارعها الضيقة قائلاً : « إنها قد بدت في وقت من الأوقات وكأنها تنتمي إلى ... الشرق الذي عرفه شاتوبريان ونرفال »<sup>(١)</sup> وبالطبع ، كان مصيباً بشأن المكان ، لا سيما وان الأمر يتعلق بشخص أوروبي . فالشرق هو اختراع أوروبي تقريباً ، ولقد درج منذ عهود سحيقة في القدم على كونه مؤثلاً للرومانس (Romance) والكائنات الغريبة جداً والذكريات والمناظر الطبيعية الخلابة والتجارب الرائعة . والآن أخذ هذا الشرق في الزوال . كان حدثاً بمعنى ما ، وانتهى وقته . ولربما بدأ الأمر غير وثيق الصلة في أن الشرقيين أنفسهم كانوا يجازفون بشيء ما خلال العملية ، وانه حتى في زمن شاتوبريان ونرفال عاش هناك شرقيون ، وهؤلاء هم الذين يعانون ويتألون حالياً . فالشيء الرئيسي بالنسبة للزائر الأوروبي هو قصور أوروبي للشرق ولصيره المعاصر ، وكلاهما قد انطوى على دلالة أهلية امتيازية بالنسبة للصحافي الفرنسي ولقراءه الفرنسيين .

ولن يشعر الأميركيون على نحو مماثل تماماً تجاه الشرق ، لأنه من المرجح أكثر أن يرتبط الشرق في تصورهم على نسق مختلف جداً بـ « الشرق الأقصى » ( أي : الصين واليابان ، بشكل رئيسي ) . وخلافاً للأميركيين ، فقد امتلك الفرنسيون والبريطانيون - والألمان والروس والاسبان والبرتغاليون والايطاليون والسويسريون بدرجة أقل - تقليداً طويلاً مما سوف ندعوه [في هذا الكتاب] بـ « الإستشراق » ، وهو كناية عن طريقة للتصالح أو التفاهم مع الشرق تركز على المكانة الخاصة التي يحتلها الشرق في التجربة الغربية الأوروبية . فالشرق ليس متاخماً لأوروبا فحسب ، بل هو المكان الذي قامت فيه أعظم مستعمرات أوروبا وأغناها وأقدمها ، إنه مصدر مدنياتها ولغاتها ، ومنافسها الحضاري ، وصورة من أعمق صورها عن الآخر وأكثر تكراراً . وإضافة الى ذلك ، فالشرق ساعد في تحديد أوروبا ( أو الغرب ) وصورتها المتباينة ، وفكرتها وشخصيتها وتجربتها . ومع ذلك لا شيء من هذا الشرق هو مجرد تخيل .

فالشرق يؤلف جزءاً متكاملًا من المدنية المادية والحضارة الأوروبيتين . والاستشراق يعبر عن ذلك الجزء ويمثله حضارياً وحتى ايديولوجياً بوصفه أسلوباً أو صيغة للمحادثة والتخاطب مع ما يدعّمه من مؤسسات وذخيرة لغوية وبحث أكاديمي وصور ومذاهب ، وحتى البيروقراطيات الاستعمارية والأساليب الاستعمارية . وبالمقابل ، فإن الفهم الأميركي للشرق سوف يبدو أقل كثافة بشكل بارز ، رغم أن مغامراتنا الحديثة العهد في اليابان وكوريا والهند الصينية يتوجب عليها أن تخلق الآن وعياً « شرقياً » أكثر رزانة وواقعية. وعلاوة على ذلك ، فإن الدور السياسي والاقتصادي الأميركي الذي اتسع نطاقه كثيراً في الشرق الأدنى ( الشرق الأوسط ) له كبير الحق في مطالبتنا بفهم لذلك الشرق .

سوف يتضح للقارئ ( مثلما سوف يصبح الأمر أشد وضوحاً في صفحات الكتاب المتتالية ) بأنني أعني بـ « الاستشراق » عدة أشياء ، وكلها في رأيي أشياء متوافقة ومتداخلة. إن المعنى الأكثر قبولاً على نحو مباشر لكلمة استشراق هو معنى أكاديمي ، وحقاً إن التسمية ما زالت تخدم الغرض في عدد من المؤسسات الأكاديمية. فكل امرئ يقوم بتدريس الشرق أو الكتابة عنه أو يبحث فيه — وهذا ينطبق على ما إذا كان الشخص عالم للأنثروبولوجيا أو عالماً للاجتماع أو مؤرخاً أو لغوياً — سواء كان ذلك من النواحي الخاصة أو العامة للشرق ، هو مستشرق . وما يفعله هذا الشخص هو استشراق ومن الصحيح أن لفظ « استشراق » لدى مقارنتها بلفظتي « الدراسات الشرقية » أو « دراسات المنطقة » تلقى تحبيذاً أو تفضيلاً أقل من جانب المختصين اليوم ، ويرجع ذلك لسببين اثنين : أولاً ، لأنها لفظ غامضة جداً ومغرقة في العمومية ، وثانياً ، لكونها تدل على الموقف التنفيذي الاستعلائي المنبثق عن الاستعمار الأوروبي في القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين . ومع ذلك يجري تأليف الكتب وعقد المؤتمرات التي تتناول « الشرق » كموضوع رئيسي للتركيز ، حيث يصبح المستشرق بمثابة الثقة الرئيسية لهذه المؤتمرات وتلك الكتب ، سواء كان هذا المستشرق في زية القديم أم الجديد . والنقطة التي نتوخى الوصول إليها هي أن الاستشراق ، رغم كونه ليس على قيد البقاء كما كان شأنه في الماضي ، فإنه لا يزال مستمراً على قيد الحياة الأكاديمية من خلال مذاهبه وطروحاته عن الشرق والإنسان الشرقي .

ثمة معنى أعم للاستشراق ، يتصل بهذا التقليد الأكاديمي ، حيث تؤلف حظوظ هذا التقليد وتناسخاته وتخصصاته وانتقالاته على نحو جزئي موضوع هذه الدراسة. فالاستشراق هنا يعني أسلوباً في التفكير يرتكز إلى التمييز الانطولوجي والمعرفي بين « الشرق » و « الغرب » ( في معظم الوقت ) ( بمعنى ) Occident . وهكذا نجد كتلة كبيرة من الكتاب تضم بين صفوفها الشعراء والروائيين والفلاسفة والمنظرين السياسيين وعلماء الاقتصاد والداريين الأميركيين ، ممن قبلوا التمييز الأساسي بين الشرق والغرب باعتبارهما نقطة البداية لنظريات مفصلة . وملاحم مستفيضة وروايات وأوصاف اجتماعية وتقارير سرد سياسي تتعلق بالشرق وشعوبه وعاداته و « عقله » ومصيره وهلم جرا . ويمكن لهذا النمط من الاستشراق أن يستوعب اسخيلوس مثلاً . إلى جانب فيكتور هوغو ودانتي وكارل ماركس . وفي مكان لاحق من هذه المقدمة سوف نتناول المشكلات النهجية التي يلاقيها الباحث في « حقل » مثل هذا الحقل الذي جرى توسيع نطاقه بصورة مفتعلة .

والتقاطع بين المعنى الأكاديمي والمعنى المتخيل نوعاً ما للاستشراق هو تقاطع ثابت ،

ومنذ أواخر القرن الثامن عشر كانت هناك حركة سير وانتقال بين هذين المعنيين ، حيث تميزت هذه الحركة بانضباطها البارز تماما ، وربما خضعت للضبط والتنظيم . وهنا نصل إلى المعنى الثالث من معاني الاستشراق ، وهو معنى يتسم بتحديد تاريخي ومادي أكثر من أي واحد من المعنيين السابقين ! فلو أخذنا أواخر القرن الثامن عشر كنقطة بدء محددة تحديداً أولياً جداً ، يمكن بحث الاستشراق وتحليله بوصفه المؤسسة المشتركة للتعامل مع الشرق – التعامل معه بواسطة اطلاق الأقوال البيانية عنه ، واضفاء طابع الثقة على آراء حوله ، وصف الشرق وتدريبه واستيطانه وتوطينه ، وممارسة الحكم عليه : وباختصار ، فالاستشراق بمعناه الثالث هو أسلوب غربي للسيطرة على الشرق وإعادة تكوينه وامتلاك السلطة عليه . ولقد وجدت من النافع هنا استخدام مفهوم ميشال فوكو عن المقالة (Discourse) ، للتعريف بهوية الاستشراق ( وهو مفهوم وصفه فوكو في كتابين له هما : « علم آثار المعرفة » \* Archaeology and Knowledge and « المراقبة والعقاب » Discipline and Punish ) ويقوم ادعائي على القول إنه بدون تفحص الاستشراق كمقالة Discourse لا يمكن للمرء ان يفهم حقل الانضباط والدراسة المنهجية الضخم الذي استطاعت الحضارة الأوروبية بواسطته أن تدير – وحتى ان تنتج – الشرق سياسياً وسوسولوجياً وعسكرياً وأيدولوجياً وعلمياً وتخليقياً خلال فترة ما بعد عصر التنوير . وعلاوة على ذلك فان الاستشراق تمتع بمركز من الثقة والسلطة الى درجة تحملني على الاعتقاد إنه ما من أحد كتب عن الشرق أو فكر به أو اتخذ القرار بشأنه قد استطاع أن يفعل ذلك دون ان يأخذ بعين الاعتبار الحدود التي فرضها الاستشراق على الفكر والقول . وخلاصة القول ، فان الشرق لم يكن ( وليس هو ) ، بسبب الاستشراق ، موضوعاً حراً للتفكير أو الفعل . وليس معنى هذا القول إن الاستشراق يحدد بشكل أحادي الجانب ما يمكن قوله عن الشرق . بل يؤلف الاستشراق تلك الشبكة بكاملها من العلاقات التي يتحتم عليها ان تحشد كل طاقاتها لاداء المهام في أية مناسبة ( وبناء على ذلك فان الشبكة المذكورة هي ملتزمة بالعمل يوماً ) عندما تكون تلك الوحدة المعنية « الشرق » موضع تساؤل . كيف يحدث هذا الأمر ؟ هذا ما يحاول الكتاب بيانه مثلما يحاول ان يبين بأن الحضارة الأوروبية اكتسبت قوة وهوية عن طريق طرح نفسها ضد الشرق بوصفه نوعاً من الذات البديلة أو حتى الذات السفلية ( التحتية ) .

وعلى الصعيد التاريخي والحضاري يوجد فارق كمي ونوعي بين الانهماك الفرنكو – بريطاني في الشرق – حتى فترة الصعود الأمريكي إثر الحرب العالمية الثانية – وانهماك كل دولة من الدول الأوروبية والأطلسية الأخرى . فالحديث عن الاستشراق إذن ، هو التحدث بشكل رئيسي ، وان يكن غير حصري ، عن مشروع حضاري بريطاني وفرنسي ، وهو مشروع تمتد أبعاده حتى تشمل حقولاً ومجالات متباعدة على امتداد الخيال ذاته : الهند كلها والليفانت بكامله ، النصوص التوراتية وأراضي التوراة ، تجارة الأفناوية والبهارات والجبوش الكولونيالية ، بالإضافة الى تقليد طويل من الإداريين الكولونيين ، ومجموعة كاملة رائعة من الدراسات والبحوث العلمية ، وعدد لا يحصى من « الخبراء » و « الأعوان البارعين » في المشرقيات ، وكراسي استاذية للدراسات الشرقية ، ومجموعة معقدة من « الافكار » الشرقية ( مثل : الاستبداد الشرقي والأبهة الشرقية والقسوة والفجور الشرقيين ) ، والعديد من الشيع

\* مقدمة كتاب الاستشراق للاستاذ انوار سعيد ، الذي صدر حديثاً بالانكليزية ،

والفلسفات وجوامع الحكم الشرقية التي تم تدجينها لكي يصار إلى استخدامها محليا في أوروبا - ويمكن المضي في التعداد وتطويل هذه القائمة إلى ما لا نهاية له تقريبا . والنقطة التي أود تسجيلها هي أن الاستشراق يستمد من قرابة خاصة تقوم خبرتها بين بريطانيا وفرنسا والشرق ، حيث كان هذا الشرق يقتصر في معناه بالفعل حتى مطلع القرن التاسع عشر على الهند وأراضي التوراة فقط . ومنذ بداية القرن التاسع عشر حتى نهاية الحرب العالمية الثانية سيطرت كل من فرنسا وبريطانيا على الشرق والاستشراق . بينما نجد أميركا قد سيطرت على الشرق منذ الحرب العالمية الثانية ، وهي تقارب هذا الشرق على غرار ما فعلته بريطانيا وفرنسا . ومن صميم هذا الاقتراب بدينا ميتهما المنتجة على نحو هائل حتى وإن كانت تبرهن دائما على القوة الأكبر نسبيا وبالمقارنة التي يمتلكها الغرب ( سواء كان فرنسيا أم بريطانيا أم أميركا ) ، تخرج تلك المجموعة الكبيرة من النصوص التي أدعوها بنصوص استشراقية .

ومما ينبغي قوله على الفور أنه بالرغم من ذلك العدد السخي من الكتب والمؤلفين الذين اتناولهم بالدراسة والتمحيص ، هناك عدد أكبر بكثير ترتب علي بكل بساطة أن أتركه جانبا وخارج نطاق هذا الكتاب . بيد أن حجتي لا تعتمد على قائمة شاملة من النصوص التي تعالج الشرق ولا على مجموعة محددة المعالم بوضوح من النصوص والمؤلفين والأفكار التي تؤلف مجتمعة قانون الاستشراق ، وقاعدته الأساسية . لقد اعتمدت عوض ذلك على بديل منهجي مختلف - حيث يتألف العمود الفقري لهذا البديل بمعنى من المعاني من مجموعة التعميمات التاريخية التي درجت على إطلاقها حتى الآن في هذه المقدمة - وهي التعميمات التي أريد الآن مناقشتها بمزيد من التفصيل التحليلي .

## - ٢ -

لقد بدأت بالافتراض القائل إن الشرق ليس واقعة خاملة من وقائع الطبيعة . فهو ليس مجرد هناك فحسب ، مثلما إن الغرب ذاته ليس هناك تماما . ينبغي لنا أن نأخذ بعين الجدية ملاحظة فيكو العظيمة بأن الناس لا يصنعون تاريخهم ، وإن ما يمكنهم معرفته هو ما صنعوه ، وإن نسحب هذه الملاحظة على الجغرافيا : باعتبارها تنطبق على الوحدتين - الجغرافية والحضارية - ناهيك عن الوحدات التاريخية - فالأماكن والمناطق في القطاعات الجغرافية مثل « الشرق » و « الغرب » هي من صنع الانسان. لذا ، فإن الشرق ، بقدر ما هو الغرب ذاته ، هو فكرة لها تاريخ وتقليد فكري ، وصور متخيلة ونخيرة لغوية اسبغت عليه حقيقة وحضورا في الغرب ومن أجله . وهكذا فإن الوحدتين الجغرافيتين تتساندان وتعكس الواحدة منهما الأخرى إلى حد ما .

بعد إطلاق هذا القول يجب علينا المضي قدما نحو بسط عدد من الاستدراكات المعقولة . ففي المقام الأول ، إنه لمن الخطأ الاستنتاج بأن الشرق كان في جوهره فكرة أوبدعة لا تقابلها حقيقة واقعة . وعندما قال دزرائيلي في روايته تانكرد بأن الشرق هو مهنة حياة عملية ، كان يقصد من وراء ذلك القول أن الاهتمام بالشرق كان شيئا سوف يجده الشبان الغربيون اللامعون بمثابة الهوى الذي يستقطب كافة مشاعرهم . فلا يجب تفسير دزرائيلي بأنه يقول عن الشرق إنه مهمة حياة عملية فحسب للغربيين . كانت هناك - وهي لا تزال موجودة - حضارات

وأمام يقوم موقعها في الشرق ، بينما حياتها وتاريخها وعاداتها تتميز بواقع عنيد ( فظ ) هو بوضوح جلي أكبر من أي شيء يمكن قوله عنها في الغرب . إن هذه الدراسة عن الاستشراق ليس لديها سوى القليل جداً لكي تسهم به فيما يختص بتلك الواقعة ، باستثناء الاقرار بها ضمناً . لكن ظاهرة الاستشراق كما أدرسها في هذا الكتاب لا تتناول بشكل رئيسي موضوع المطابقة بين الاستشراق والشرق ، بل تركز على التماسك الداخلي للاستشراق وأفكاره عن الشرق ( المشرق بوصفه مهنة حياة عملية ) بالرغم من أية مطابقة أو فيما يتعداها ، أو في انعدام تطابق ذلك مع شرق « حقيقي » في الواقع . والنقطة التي أنوي تسجيلها هنا هي ان عبارة دزرائيلي عن الشرق تسير بصورة رئيسية إلى ذلك التماسك المخلوق ، وتلك الكوكبة المنظمة من الأفكار بوصفها الشيء البارز عن الشرق ، وليس إلى مجرد كينونتها – كما تقول عبارة دالاس ستيفنز .

ثمة استدراك ثان ومفاده ان الأفكار والحضارات والتواريخ لا يمكن فهمها أو درسها جدياً بدون قوتها ، أو على نحو أكثر دقة بدون دراسة أشكالها السلطوية . ونحن نكون ماكربين مخادعين حين نعتقد بأن الشرق جرى خلقه – أو ، كما أسمى ذلك : جرت « مشرقته » – وان مثل هذه الأمور تحدث ببساطة كضرورة للخيال . فالعلاقة بين الغرب والشرق هي علاقة سلطة وسيطرة ، ودرجات متنوعة من الهيمنة المعقدة ، وتتم الإشارة إليها بدقة تامة في عنوان الكتاب الكلاسيكي الذي أصدره ك . م . بانيكار : « آسيا والسيطرة الغربية »<sup>(٢)</sup> فالشرق تمت مشرقته ليس فقط بسبب اكتشاف كونه « شرقياً » في كافة تلك الاساليب التي كان الانسان الأوروبي العادي في القرن التاسع عشر يعتبرها مبتذلة ، بل أيضاً بسبب إمكان جعله شرقياً – أي : إخضاعه لأن يكون شرقياً . وهناك قدر ضئيل جداً من الموافقة مثلاً ، يمكن العثور عليه في حقيقة كون لقاء فلوير مع محظية مصرية قد أنتج انموذجاً عن المرأة الشرقية واسع النفوذ والتأثير . فالمحظية لم تتحدث عن نفسها أبداً ولم تعبر عن مشاعرها أو حضورها أو تاريخها . لقد تحدث فلوير بالاصالة عنها وعبر عن نوازعها . كان أجنبياً ، واسع الثراء ، ومن الذكور ، وهذه الأمور كانت حقائق تاريخية عن السيطرة أفسحت أمامه المجال ليس لكي يمتلك « كوتشوك هانم » جسدياً فحسب ، بل لكي يتحدث بالاصالة عنها ويخبر قراءه كيف كانت « انموذجاً للمرأة الشرقية » . وحجتي مؤداها ان موقع القوة الذي امتلكه فلوير بالنسبة الى كوتشوك هانم لم يكن ظاهره معزولة . بل انه موقع يمثل تمثيلاً صادقاً على نمط القوة النسبية بين الشرق والغرب ، وعلى المقالة عن الشرق التي امكن قيامها بواسطته .

ينقلنا هذا إلى استدراك ثالث . يجب ألا نفترض ابداً بان بنية الاستشراق لا تعدو كونها بنية من الاكاذيب او الاساطير التي تتحول الى هباء بكل بساطة فيما لو جرى قول الحقيقة بشأنها .

وأنا نفسي أعتقد بأن الاستشراق هو أكثر قيمة ، بصورة خاصة ، كعلاقة للسلطة الأوروبية – الاطلسية على الشرق منه كمقالة صادقة عن الشرق ( وهو ما يزعم الاستشراق كونه في شكله الاكاديمي أو العلمي ) . ومع ذلك فان ما ينبغي علينا احترامه ومحاولة استيعابه هو القوة المحبوكة سوية وتاماً للمقالة الاستشراقية ، وصلاتها الوثيقة جداً مع المؤسسات السياسية والاقتصادية – الاجتماعية الممكنة لها ، ومتانتها المروعة . وبعد كل شيء ، فان أي منظومة للأفكار التي باستطاعتها البقاء على حالها بوصفها حكمة قابلة للتدريس ( في

الأكاديميات والكتب والمؤتمرات والجامعات ومعاهد السلك الخارجي ( منذ عهد ارنست رينان في أواخر ١٨٤٠ وحتى الزمن الحاضر في الولايات المتحدة الأمريكية يجب ان تكون شيئاً أشد هولاً من مجرد مجموعة من الأكاذيب . وبناء عليه ، فالاستشراق ليس ثمرة وهمية من ثمرات الخيال الأوروبي عن الشرق . بل يؤلف مجموعة تحتضن طيلة أجيال متعاقبة قدراً لا يستهان به من الاستثمار المادي . فالاستثمار المتواصل جعل من الاستشراق بوصفه منظومة من منظومات المعرفة عن الشرق ، شبكة مقبولة لكي يتسرب الشرق من خلالها إلى الوجدان الغربي ، تماماً مثلما أدى الاستثمار ذاته – لا بل جعلها منتجة حقاً وبالفعل – إلى مضاعفة الأقوال والتصريحات المنتشرة عن الاستشراق في الثقافة العامة .

لقد أجرى غرامشي التمييز التحليلي المفيد بين المجتمع المدني والمجتمع السياسي ، حيث يتألف الأول من ارتباطات طوعية ( أو على الأقل عقلانية وغير اكرامية ) مثل المدارس والعائلات والاتحادات ، ويشتمل الثاني على مؤسسات الدولة ( مثل الجيش والشرطة والبيروقراطية المركزية ) التي يكون دورها في الكيان السياسي ممارسة السيطرة المباشرة . طبعاً ، يتم العثور على الثقافة وهي تمارس عملها ضمن المجتمع المدني ، حيث نجد تأثير الأفكار والمؤسسات والأشخاص فاعلاً ليس عبر السيطرة ، بل من خلال ما يسميه غرامشي بـ « الموافقة » ( القبول ) . لذا ففي أي مجتمع غير توتاليتاري ( شمولي ) نجد أشكالاً ثقافية معينة تسيطر على الأخرى ، مثلما أن بعض الأفكار هي أشد تأثيراً ونفوذاً من غيرها . ويشكل هذه الزعامة الثقافية هي ما عرفه غرامشي بـ « الهيمنة » – وهي مفهوم لا غنى عنه في أي فهم للحياة الثقافية داخل الغرب الصناعي . فالهيمنة ، أو بالأحرى النتيجة التي تسفر عنها الهيمنة الثقافية حين تمارس عملها ، هي التي تسبغ على الاستشراق المتانة والقوة اللتين قد تحدثنا عنهما حتى الآن . والاستشراق لا يبعد أبداً عما دعاه دنيز هاي بـ « فكرة أوروبا »<sup>(٣)</sup> وهي كناية عن مفهوم جماعي تعرف « نحن » الأوروبيين مقابل جميع « أولئك » غير الأوروبيين . ويمكن المجادلة حقاً بأن العنصر الرئيسي في الثقافة الأوروبية هو بالضبط ما جعل تلك الثقافة مهيمنة داخل أوروبا وخارجها على السواء : أي باعتبار فكرة الهوية الأوروبية فكرة متفوقة على كل ما عداها وبالمقارنة مع كافة الشعوب والحضارات غير الأوروبية . هناك بالإضافة إلى ما تقدم هيمنة الأفكار الأوروبية عن الشرق . وهي أفكار تكرر موضوعة التفوق الأوروبي على التخلف الشرقي . وتتجاهل عادة الامكانية القائلة بأن مفكراً أشد استقلالية أو أكثر تشكيكاً قد تكون لديه آراء مخالفة حول المسألة .

وبطريقة ثابتة تماماً يعتمد الاستشراق في استراتيجية على هذا التفوق الموقعي المرن ، مما يضع الإنسان الغربي في سلسلة كاملة من العلاقات الممكنة مع الشرق دون أن يفقده أبداً اليد الطولى نسبياً . ولماذا يجب أن يكون الأمر خلاف ذلك ، لا سيما خلال فترة الصعود الأوروبي الباهر منذ أواخر عصر النهضة وحتى الزمن الحاضر ؟ فالعالم والباحث والمبشر والتاجر أو الجندي كان في الشرق أو فكره ، لأنه استطاع أن يكون هناك ، أو كان بمقدوره التفكير به ، دون مقاومة تستحق الذكر من جانب الشرق . واندراجاً تحت العنوان العام : معرفة الشرق ، وضمن مظلة الهيمنة الغربية على الشرق خلال الفترة الممتدة منذ أواخر القرن الثامن عشر ، برز هناك شرق معقد وملثم للدراسة في الأكاديمية ، وللعرض في المتحف ،

ولاعادة الانشاء في وزارة المستعمرات ، وللبيان النظري في الأطروحات الانثروبولوجية والبيولوجية واللغوية والعرقية والتاريخية عن الجنس البشري والكون ، ولتقديم أمثلة على النظريات الاقتصادية والسوسولوجية في النمو والثورة والشخصية الحضارية ، والخصائص المميزة من قومية أو دينية . وعلاوة على ذلك ، فإن التفحص التخيلي للأشياء الشرقية استند بشكل اقتصادي تقريباً إلى وجدان غربي ذي سيادة ، حيث برز من صميم المركزية غير المنازعة لهذا الوجدان عالم شرقي تشكل في البداية تبعاً لأفكار عامة تتعلق بمن وما هو الشرقي ، ثم ما لبث أن خضع في شكله لمنطق تفصيلي لا يحكمه الواقع التجريبي المجرد بل تتحكم به مجموعة من الرغبات والكوابت والتوظيفات والاسقاطات . وإذا كان بمقدورنا ان نشير إلى أعمال استشرافية عظيمة تنم عن البحث العلمي الحقيقي مثل « المختارات العربية » التي جمعها سيلفستر دو ساسي أو كتاب ادوارد وليم لين عن « عادات وتقالييد المصريين المحدثين » ، فالضرورة تحتم علينا ان نلاحظ بأن الأفكار العرقية التي نادى بها رينان وغويينو انبثقت عن الباعث ذاته ، مثلما صدرت عنه اعداد كثيرة من الروايات الفيكتورية الاباحية ( انظر تحليل ستيفن ماركوس لرواية « التركي الماجن » (٤) ) .

ومع ذلك ينبغي للمرء أن يسائل نفسه مراراً وتكراراً عما إذا كان الشأن الهام في الاستشراق هو المجموعة العامة من الأفكار المهيمنة على كتلة المادة ، حيث لا يسع المرء أن ينكر بأن مذاهب التفوق الأوروبي تتخللها ، وتخرقها شتى أنواع العرقية والامبريالية وما أشبه ذلك بالاضافة الى نظرات جامدة حول « الشرقي » بوصفه نوعاً من التجريد المثالي والثابت ؟ أو تلك الأعمال الأكثر تنوعاً والتي انتجها كتاب أفراد غير مسؤولين تقريباً ، حيث يمكن للمرء اعتبارهم كأمثلة فردية على مؤلفين يعالجون موضوع الشرق . وبمعنى ما فان البديلين ، العام والخاص . هما في الواقع منظوران للمادة نفسها : ففي الحالتين كليهما يترتب على المرء ان يتعامل مع رواد في الحقل مثل وليم جونز ، ومع فنانيين كبار مثل نرغال وفلووير . ولما لا يكون من الممكن استخدام المنظورين سوية ، أو الواحد منهما تلو الآخر ؟ ألا يوجد هناك خطر واضح في التسوية ( وهو بالضبط من النوع الذي كان الاستشراق الاكاديمي ميالا اليه دائماً ) لوجرى بصورة منتظمة اعتماد مستوى للوصف يكون إما مغرقاً في العمومية أو مفرطاً في الخصوصية ؟

تنحصر مخاوفي في أمرين هما التشويه وعدم الدقة ، أو بالأحرى في ذلك النوع من عدم الدقة الذي تنتجه عمومية شديدة الجزم وبؤرة تركيز مقرطة في الوضعية . ففي محاولتي ان أعالج هذه المشكلات والتعامل معها ، حاولت ان أتناول ثلاث نواح رئيسية من واقعي المعاصر إذ يبدو لي ان هذه النواحي تشير إلى الطريق للخروج من الصعوبات المنهجية أو المنظرية التي كنت أناقشها . وهي صعوبات قد ترغم الباحث ، في المقام الأول ، على كتابة مقال هجومي خشن على مستوى وصفي غير مقبول في عموميته بحيث أن الجهد يذهب سدى ، ترغمه ، في المقام الثاني ، على كتابة سلسلة من التحليلات المغرقة في تفاصيلها وتناقرها إلى درجة تفقدها كل صلة بخطوط القوة العامة المكونة للحقل ، والمسبغة عليه قوة حجته الخاصة به . كيف السبيل إذن إلى الاقرار بالفردية والى مصالحتها مع قرينتها العامة الذكية والمهيمنة ، لكنها ليست بالقريفة السلبية أو الديكتاتورية المجردة بأي صورة من الصور ؟

نكرت ثلاث نواح من واقعي المعاصر : ويتوجب علي الآن أن أشرح هذه النواحي وأناقشها باختصار ، بحيث يتبدى كيف توصلت إلى مسار خاص في البحث والكتابة .

### ١ - التمييز بين المعرفة الخاصة والمعرفة السياسية

من السهل المجادلة بأن المعرفة عن شكسبير أو وردزورث ليست معرفة سياسية ، بينما المعرفة عن الصين المعاصرة أو عن الاتحاد السوفياتي هي كذلك . إن لقيمي الشكلي والمهني المميز هو « إنساني النزعة » ، وهو لقب يشير إلى الانسانيات باعتبارها حقل اختصاصي ودراسي ، ولذا فانه من المستبعد وجود أي شيء سياسي يتعلق بما أقوم به في ذلك الحقل . طبعاً ، إن جميع هذه التسميات والتعابير تستخدم هنا بمعزل تام عن ظلال معانيها ، لكنني أعتقد بأن الحقيقة العامة لما أشير اليه تحظى بقبول واسع النطاق . وثمة سبب وراء القول بأن الشخص الانساني النزعة الذي يكتب عن وردزورث ، أو المحرر الأدبي المختص بموضوع الشاعر كيتس ، ليس متورطاً في أي شيء سياسي ، وهذا السبب مفاده ان ما يفعله الواحد منهما يبدو انه لا ينطوي على أثر سياسي مباشر في الواقع بمعناه اليومي . فالباحث العلمي الذي يتخذ من الاقتصاد السوفياتي حقلاً لنشاطه يعمل في مجال مشحون لدرجة عالية ، حيث يكثر الاهتمام الحكومي بموضوعه ، وما يمكنه أنتاجه على صعيد الدراسات أو المقترحات سوف يتلقاه صانعو السياسة والمسؤولون الحكوميون وعلماء الاقتصاد المؤسساتيون ، وخبراء المعلومات والمخابرات . والتمييز بين « أصحاب النزعة الانسانية » والأشخاص الذين ينطوي عملهم على مضاعفات في السياسة أو على دلالة سياسية هو تمييز يمكن توسيع نطاقه أكثر بالقول إن اللون الايديولوجي لصاحب النزعة الانسانية هو مسألة ذات أهمية عرضية بالنسبة للسياسة ( بالرغم من إمكانية كونه على جانب كبير من الأهمية بالنسبة لزملائه في الحقل الاختصاصي ، إذ قد يعترض هؤلاء على ستالينيته أو فاشيته أو على ليبرالته الهينة جداً ) ، بينما نجد أيديولوجية الطرف الثاني وقد حبكت مباشرة في نسيج مادته - حقاً ، إن الاقتصاد والسياسة وعلم الاجتماع في الاكاديمية الحديثة هي علوم ايديولوجية ولذا يفترض جدلاً كونها علوماً « سياسية » .

ومع ذلك فان العامل المحدد بالنسبة لمعظم المعرفة المنتجة في الغرب المعاصر ( وانا أتحدث هنا بشكل رئيسي عن الولايات المتحدة الأمريكية ) هو أن تكون معرفة غير سياسية ، أي علمية وأكاديمية ومتجردة ومترفعة عن الاعتقادات المذهبية المتحيزة أو ضيقة التفكير . فالمرء ربما لا يسعه منازعة طموح من هذا النوع على الصعيد النظري ، غير ان الواقع على صعيد الممارسة العملية هو أشد تعقيداً واشكالية . ولم يسبق لامرئ حتى الآن ان استنبط طريقة لتجريد العالم الباحث عن ظروف الحياة ، وعن حقيقة انتمائه ( الواعي أو غير الواعي ) إلى طبقة اجتماعية ومجموعة من المعتقدات ومركز اجتماعي أو عن مجرد النشاط الذي يجعل منه عضواً في مجتمع ما . هذه الأمور ما زالت وثيقة الصلة بما يقوله المرء على الصعيد المهني ، بالرغم من كون أبحاثه وثمارها - وهذا أمر طبيعي بما فيه الكفاية - تحاول بلوغ مستوى من الحرية النسبية حيال الكوابح والقيود التي يفرضها عليه الواقع اليومي اللفظ . لأنه يوجد هناك شيء مثل المعرفة

التي تقل تحيزاً عن الفرد الذي ينتجها ولا تفوقه بالأحرى ( هذا الفرد بكل ظروف حياته المعقدة والمربكة ) بيد ان هذه المعرفة ليست بالتالي معرفة غير سياسية بصورة آلية .

وسواء كانت أبحاث الأدب أو الفيلولوجيا الكلاسيكية مشحونة بالمغزى السياسي - أو تنطوي مباشرة على معنى سياسي - هذه مسألة كبيرة جداً ولقد حاولت ان أعالجها بشيء من التفصيل في مكان آخر<sup>(٥)</sup> . إن ما يهمني عمله الآن هو الإيحاء كيف ان الاجماع الليبرالي العام في اعتباره ان المعرفة « الحقبة » هي في الأساس معرفة غير سياسية ( وعلى العكس من ذلك : كيف ان المعرفة السياسية المكشوفة ليست معرفة حقبة ) يؤدي إلى طمس الظروف السياسية المنظمة جداً وان تكن غامضة والمتصلة عندما يتم انتاج المعرفة . فلا يلقي اليوم أحد المساعدة على الفهم عندما يجري استخدام النعت « سياسي » كوصف يرمي إلى إضعاف الثقة بأي عمل لتجاسره على خرق بروتوكول الموضوعية التي يدعى لها أنها فوق السياسة . يمكننا القول اولاً ان المجتمع المدني يقر ويعترف بتراتب في درجات الأهمية السياسية داخل مختلف حقول المعرفة . والى حد ما فان الأهمية السياسية المنوطة الى حقل من الحقول تأتي من امكانية ترجمته مباشرة إلى لغة الاقتصاد . إنما الى حد اكبر من الأول ، فان الأهمية السياسية تأتي عن قرب حقل من مصادر السلطة والقوة التي يمكن التأكيد منها داخل المجتمع السياسي . وهكذا فان دراسة اقتصادية تتناول مخزون الطاقة السوفياتية على المدى الطويل وتأثير هذا المخزون على القدرة العسكرية من المرجح ان يصدر التكاليف باجرائها عن وزارة الدفاع الاميركية ، ومن ثم تكتسب الدراسة نوعاً من المكانة السياسية يتعذر اكتسابها من جانب دراسة عن روايات تولستوى المبكرة تقوم احدى المؤسسات بتمويلها جزئياً . مع ان العاملين ينتميان الى ما يعترف به المجتمع المدني على أنه حقل مماثل هو حقل الدراسات الروسية . هذا مع العلم بأن احدى الدراسات قد يضعها عالم اقتصادي شديد المحافظة ، بينما تكون الثانية من تأليف مؤرخ ادبي راديكالي . والنقطة التي اريد ابرازها هنا هي ان « روسيا » بوصفها مادة عامة للدراسة تتمتع بأولوية سياسية إزاء التمييزات الأكثر رقة مثل « الاقتصاد » و « التاريخ الأدبي » ، نلك أن المجتمع السياسي بمفهوم غرامشي يبلغ مجالات من المجتمع المدني مثل مجال الاكاديمية ( الجامعة ) ويشبعها من مغزى الاهتمام المباشر بها .

لا أريد المضي في التشديد على هذا الأمر على أسس نظرية عامة: إذ يبدو لي أن قيمة قضيتي ومصادقيتها يمكن التبدليل عليهما بانتهاج طريق أكثر تخصيصاً ، وذلك على النحو الذي سلكه نعوم شومسكي ، مثلاً ، حيث قام بدراسة الصلة الذرائعية بين حرب فيتنام ومفهوم البحث العلمي الموضوعي كما جرى تطبيقها لتغطية الأبحاث العسكرية التي تمولها وترعاها الدولة<sup>(٦)</sup> . وبما أن بريطانيا وفرنسا ، والولايات المتحدة الأميركية مؤخراً ، هي دول امبريالية ، فان مجتمعاتها السياسية تضيف على مجتمعاتها المدنية حساً من الإلحاح العاجل ، كأنها تنفخ فيها روحاً سياسية مباشرة ، حيثما وكلما كان الأمر متعلقاً بمسائل ذات صلة بمصالحهم الامبريالية في الخارج . وتساورني الشكوك فيما إذا كان الأمر مثاراً للجدل ، مثلاً ، القول بأن شخصاً انجليزياً في الهند أو في مصر عند أواخر القرن التاسع عشر قد أبدى اهتماماً بهذين البلدين ولم يكن هذا الاهتمام بعيداً أبداً عن مكانتهما في ذهنه كمستعمرين بريطانيين . إن قولنا هذا قد يبدو مغايراً تماماً للقول إن كل المعرفة الاكاديمية عن الهند ومصر

تخالطها وتطبعها، وتنتهكها الواقعة السياسية الفاضحة - ومع ذلك (هذا هو ما أقوله) في هذه الدراسة عن الاستشراق . لأنه إذا كان صحيحاً بأن أي إنتاج للمعرفة في العلوم الانسانية لا يمكنه أبداً أن يتجاهل أو ينكر تورط مؤلفها كذات انسانية في ظروفه الخاصة ، فلا بد أيضاً من كونه صحيحاً بأنه بالنسبة للأوروبي أو الأميركي الذي يدرس الشرق لا مجال هناك لانكار الظروف الرئيسية العائدة لواقعه الفعلي : وذلك بأنه يتصدى للشرق كأوروبي أو اميركي في الدرجة الأولى ، ويوصفه فرداً في الدرجة الثانية . وان يكون المرء اوروبياً أو أميركياً في وضع من هذا القبيل ليس واقعة خاملة على الاطلاق . فالأمر قد عنى وهو يعني كون الشخص المذكور مدركاً ، مهما كان ادراكه على قدر ضئيل ، انه ينتمي الى بؤلة لها مصالح محددة في الشرق . والأهم من ذلك ، انه ينتمي الى جزء من الكرة الأرضية له تاريخ محدد من التورط في الشرق يرجع إلى زمن هوميروس تقريباً .

إن صياغة المسألة بهذه الطريقة تبين بأن هذه الحقائق الفعلية السياسية لا تزال غير محددة إلى درجة كبيرة وعمامة جداً حتى تثير الاهتمام بالفعل . ومن شأن أي شخص ان يوافق عليها دون ان يوافق بالضرورة على كونها مهمة جداً ، وكمثال على ذلك : فلوبيير عندما كتب رواية سالامبو ، أو ه . أ . ر . جب حين كتب « الاتجاهات الحديثة في الاسلام » . والمشكلة هي وجود مسافة كبيرة جداً بين الواقعة الكبيرة المسيطرة ، كما وصفتها ، وبين تفاصيل الحياة اليومية التي تتحكم في الانضباط الدقيق للرواية أو لنص البحث العلمي خلال كتابة كل منهما . ومع ذلك فلو أقصينا منذ البداية كل فكرة تقول بأن الحقائق أو الوقائع « الكبرى » مثل السيطرة الامبريالية يمكن تطبيقها بصورة آلية وحتمية إلى مثل تلك المسائل المعقدة كالحضارة ( الثقافة ) والأفكار ، فاننا سوف نبدأ حينذاك بالاقتراب إلى نوع من الدراسة مثيل للاهتمام . وتقول فكرتي بأن الاهتمام الأوروبي والأميركي فيما بعد بالشرق كان سياسياً بحسب بعض الروايات التاريخية الواضحة عنه والتي سردتها في كتابي ، غير أن الثقافة هي التي أوجدت ذلك الاهتمام ، مما جعلها تتفاعل دينامياً مع المسوغات السياسية والاقتصادية والعسكرية اللفظة لكي تجعل من الشرق ذلك المكان المتنوع والمعقد على النحو الذي بدأ الشرق عليه وأضحاً في الحقل الذي أدعوه أنا بالاستشراق .

وبناء على ما تقدم ، فإن الاستشراق ليس مجرد مادة سياسية أو حقل سياسي ينعكس سلبياً بواسطة الثقافة والبحث العلمي أو المؤسسات ولا هو مجموعة كبيرة ومنتشرة من النصوص عن الشرق ، ولا هو بالتالي يمثل على أو يعبر عن مؤامرة امبريالية « غربية » شنيعة تهدف إلى عرقلة تقدم العالم « الشرقي » وأبقائه قيد التخلف والجمود . إنه بالأحرى توزيع للوعي الجغرافي وبيته في النصوص الجمالية ونصوص البحث العلمي ، والنصوص الاقتصادية والسوسيولوجية والتاريخية والفيلولوجية . إنه توسيع ليس فقط لتمييز جغرافي أساسي ( قوامه ان العالم يتألف من نصقين غير متساويين : الشرق والغرب ) ، بل لسلسلة كاملة من « المصالح » التي لا يخلقها عن طريق سبل مثل الاكتشاف العلمي واعادة البناء الفيلولوجي والتحليل السيكولوجي ووصف المناظر الطبيعية بالاضافة إلى الوصف السوسيولوجي فحسب . بل يحافظ على تلك المصالح أيضاً . إنه يؤلف إرادة معينة، بدلاً من التعبير عنها ، أو قصداً معيناً لفهم عالم مختلف في مظهره ( أو عالم بديل وجديد ) وللسيطرة على هذا العالم في

بعض الحالات ، وللتلاعب به وحتى إلى دمجة واستيعابه . والاستشراق ، قبل كل شيء ، هو مقالة لا تقوم بأي شكل من الأشكال على علاقة مباشرة ومطابقة مع السلطة السياسية في صورتها الخام ، بل يتم انتاجها ووجودها بالأحرى في مبادلة غير متكافئة مع أنواع مختلفة من السلطة ، ويجري تكوينها إلى درجة ما بواسطة التبادل مع السلطة السياسية ( كما مع مؤسسة كولونيلية أو امبريالية ) ومع السلطة الثقافية ( كما هي الحال مع العلوم المسيطرة مثل علم اللغة المقارن أو علم التشريح ، أو أي علم آخر من علوم السياسة الحديثة ) ومع السلطة الحضارية ( كما هي الحال بالنسبة لمذاهب وقوانين الذوق والنصوص والقيم ) ومع السلطة الاخلاقية ( كما هي الحال بالنسبة للأفكار عما نفعله « نحن » وما لا يستطيعون « هم » فعله أو فهمه كما نفهمه « نحن » ) . حقا ، إن حجتي الحقيقية تعتبر ان الاستشراق هو - ولا يمثل تمثيلا بسيطا - بعد لا يستهان به من أبعاد الثقافة الفكرية - السياسية الحديثة ، وبفعل كونه كذلك فهو يتناول الشرق أقل مما يتناول عالمنا « نحن » .

ولأن الاستشراق يؤلف حقيقة ثقافية وسياسية ، فهو لا يقوم إنن ضمن شيء من الفراغ الأرشيفي . بل على العكس تماما من ذلك ، وأعتقد أنه يمكن أن نبين بأن ما يجري التفكير به أو قوله عن الشرق أو حتى عمله بشأن الشرق يسير وفقاً ( وربما يحدث ضمنها ) لخطوط معينة واضحة المعالم وقابلة للمعرفة فكرياً . هنا أيضاً يمكننا رؤية درجة لا يستهان بها من ظلال المعاني والتوسع وهي تعمل كأنها فاعلة بين الضغوط العريضة النوعية (superstructural) وتفصيل التأليف ، إنها حقائق النصوعية. إن معظم الباحثين في حقل الدراسات الانسانية على ما أعتقد يشعرون بسعادة تامة حيال الفكرة القائلة إن النصوص توجد ضمن قرائن ، وأن هناك شيئاً مثل النصوعية على نحو متبادل ، وإن ضغوط التقاليد والأسلاف والأساليب البلاغية تحدد ما دعاه والترينهامين مرة بـ « إرهاق كاهل الشخص المنتج باسم ... مبدأ « الابداعية » حيث يعتقد أن الشاعر يكون هناك في عالمه الخاص . وأنه أنجب عمله من صميم عقله الخالص » (٧) . ومع ذلك يوجد هناك تردد في الاقرار بأن القيود السياسية والمؤسسية والايديولوجية تعمل بالطريقة ذاتها على المؤلف الفرد . فالباحث الانساني سوف يعتقد بوجود حقيقة مثيرة للاهتمام في نظر أي مفسر لبلزك ، وهي انه تأثر في الكوميديا الانسانية بالنزاع الذي كان قائماً بين جيوفري سانت هيلير وكوفييه ، لكن النوع نفسه في الضغط على بلزك ، وهو ضغط الملكية الرجعية للغاية ، يتم الشعور به بطريقة غامضة إنه يحط من شأن « عبقريته » الأدبية ، وبناء عليه فهو أقل جدارة بالدراسة الجدية. وعلى نحو مماثل - كما نجد هاري براكن ما فتىء يعكف على تبيان ذلك - فإن الفلاسفة سوف يديرون مناقشاتهم لكل من لوك وهيوم والتجريبية دون أن يأخذوا بعين الاعتبار ابدأ ان هناك صلة واضحة وصرحة لدى هؤلاء الكتاب الكلاسيكيين بين مذاهبهم « الفلسفية » والنظرية العرقية ، وتبريرات الرق ، أو الحجج المؤيدة للاستغلال الكولونيالي (٨) . هذه أساليب شائعة بما فيه الكفاية تستخدمها الأبحاث العلمية المعاصرة للحفاظ على نقاوتها وصفائها .

ربما كان صحيحاً أن معظم المحاولات الرامية إلى تمريغ انف الثقافة في وحول السياسة قد كانت محاولات مهاجمة للمعتقدات أو المؤسسات التقليدية على نحو فج وغير بارع . وربما كان التفسير الاجتماعي للأدب أيضاً في حقل اختصاصي غير مواكب ببساطة للقفزات التقنية

الهائلة التي حققها التحليل التفصيلي للنصوص . بيد أنه لا مفر هناك من الاعتراف بالحقيقة القائلة ان الدراسات الأدبية عامة ، والمنظرون الماركسيون الامريكويون على وجه الخصوص ، قد تحاشوا بذل المجهود الرامي الى سد الثغرة جدياً بين مستويات البنية القومية والتحتية على صعيد الدراسة العلمية التاريخية والنصوصية . ولقد بلغ بي الأمر في مناسبة أخرى ان قلت بأن المؤسسة الثقافية - الأدبية هي أرض محرمة . ذلك أن الاستشراق يحمل المرء على التصدي مباشرة لتلك المسألة - أي انه يقوده إلى الادراك بأن الامبريالية السياسية تحكم سيطرتها على حقل بكامله من الدراسة والتخيل وبمؤسسات البحث العلمي - وهذا على نحو يجعل من تجديدها ضرباً من المحال الفكري والتاريخي . ومع ذلك سوف تبقى هناك على الدوام آلية التهرب الخالدة والقائمة على القول إن باحثاً أدبياً أو فيلسوفاً ، على سبيل المثال ، تلقى تدريبه العلمي في الأدب والفلسفة على التوالي ، وليس في السياسة أو التحليل الايديولوجي . وبكلام آخر ، فإن حجة الاختصاصي يمكنها ان تعمل بشكل فعال تماماً لكي تسد الطريق أمام المنظور الذي اعتبره أنا بمثابة المنظور الفكري الأكثر جدية .

يبدو لي هنا انه توجد إجابة بسيطة ذات شقين وينبغي اعطاؤها ، على الأقل فيما يتعلق بدراسة الامبريالية والثقافة ( أو الاستشراق ) . ففي المقام الأول ، إن كل كاتب من كتاب القرن التاسع عشر تقريباً ( ويصدق الشيء ذاته ، تماماً على كتاب الفترات السابقة ) كان واعياً تمام الوعي - ويشكل خارق للمألوف - لحقيقة وجود الامبراطورية ؛ وهذا موضوع لم يدرس دراسة جيدة للغاية ، لكن الأمر لن يطول بأحد المختصين المحدثين في دراسة العصر الفيكتوري حتى يقر بأن الابطال الثقافيين الليبراليين أمثال جون ستورات ميل ، وأرنولد وكارليل ونيومان وماكولي وروسكين وجورج اليوت وحتى ديكنز كانت لهم آراء محددة بشأن العرف والامبريالية ، وهي موضوعات يسهل العثور عليها فاعلة في كتاباتهم . حتى انه يتوجب على الاختصاصي التعامل مع المعرفة القائلة ان جون ستورات ميل ، على سبيل المثال ، أوضح في كتابيه « في الحرية » و « الحكومة التمثيلية » بأن الآراء التي عرضها هناك لا يمكن تطبيقها على الهند ( لقد كان موظفاً في وزارة اهند طيلة فترة لا بأس بها من حياته ) ، ذلك أن الهنود كانوا متخلفين بديناً ، إن لم يكن عرقياً . ويمكن العثور على النوع ذاته من المفارقة لدى ماركس ، كما أحاول تبين هذا الأمر في كتابي . وفي المقام الثاني ، فالاعتقاد بأن السياسة على صورة الامبريالية تؤثر في إنتاج الأدب والبحث العلمي والنظرية الاجتماعية وكتابة التاريخ ليس معادلاً على الاطلاق للقول بأن الثقافة هي بالتالي شيء ذو شأن منحط أو سيء السمعة . بل على العكس تماماً : جل ما أسعى للوصول إليه هو القول إننا نستطيع تحقيق فهم أفضل لأنظمة الهيمنة المشبعة في مخابراتها وتحمليتها ، والثقافة أو الحضارة هي مثال لهذه الأنظمة - عندما ندرك بأن قيودها الداخلية المفروضة على الكتاب والمفكرين كانت منتجة ، وليس صادة من جانب واحد . ومن المؤكد ان هذه الفكرة هي التي كان يحاول غرامشي وكل من فوكو وريموند وليامز ، تبينها والتدليل عليها بطرق مختلفة . إن كل صفحة أو صفحتين مما كتبه وليامز عن « استخدام الامبراطورية ومنافعها » في كتابه « المسيرة الطويلة » The Long March تخبرنا عن الغنى الثقافي في القرن التاسع عشر أكثر مما تخبرنا إياه مجلدات من تحليل النصوص وقد جاءت ثمرة العزلة والعمل الدؤوب<sup>(٩)</sup> .

لذلك فأنني أدرس الاستشراق باعتباره تبادلاً دينامياً بين مؤلفين فرديين والاهتمامات السياسية الكبرى التي كونتها الامبراطوريات العظمى الثلاث - البريطانية والفرنسية والأميركية - حيث تم انتاج الكتابة الاستشراقية ضمن أراضيتها الفكرية والمتخيلة . إن ما يهمني أكثر من سواه بوصفي عالماً باحثاً ليس الحقيقة السياسية الاجمالية بل التفاصيل ، وحقاً ان ما يهمني لدى شخص مثل لين أو فلويير أو رينان ليست الحقيقة التي لا تقبل الجدل ( بالنسبة اليه ) والقائلة بأن الغربيين متفوقون عن الشرقيين ، بل الدليل المدروس والمعدل بعمق عن عمله المفصل ضمن الحيز الواسع جداً والذي تشق أفاقه تلك الحقيقة . وما على المرء إلا التذكر بأن كتاب لين عن « عادات وتقاليد المصريين المحدثين » هو كتاب كلاسيكي في المعايير التاريخية والانتروبولوجية بسبب اسلوبه ، وبسبب تفاصيله اللامعة والذكية لدرجة هائلة ، وليس بسبب انعكاسه البسيط للتفوق العرقي - لكي يتسنى له أن يفهم ما أقوله هنا .

إن نوع الاسئلة السياسية التي يثيرها الاستشراق إذا هي كالاتي : ما هي الأشكال الأخرى من الطاقات الفكرية والجمالية والعلمية والثقافية التي دخلت في تكوين تقليد امبريالي مثل التقليد الاستشراقي ؟ وكيف عملت الفيلولوجيا وصناعة تأليف المعاجم ، والتاريخ والبيولوجيا ( علم الحياة ) والنظرية السياسية والاقتصادية وكتابة الروايات والشعر الغنائي في خدمة النظرة الامبريالية العريضة التي اتخذها الاستشراق من العالم ؟ وما هي التغييرات والتعديلات والتحسينات ، وحتى الثورات التي تحدث داخل الاستشراق ؟ ما هو معنى الاصلية والاستمرار والفرادة في هذا السياق ؟ كيف يتسنى للاستشراق أن ينقل نفسه ويزرعها أو يولدها من حقبة إلى أخرى ؟ وقصارى القول ، كيف يمكننا أن نعالج ظاهرة الاستشراق الثقافية والتاريخية كنوع من العمل الانساني النابع عن إرادة وليس مجرد استدلال أو استنتاج منطقي غير مشروط - بكل ما تتسم به الظاهرة المذكورة من تعقيد تاريخي وتفاصيل وجداره ، دون أن يغرب عن بالنا في الوقت نفسه ذلك الحلف القائم بين العمل الثقافي والنزعات السياسية والدولة والحقائق المخصصة عن السيطرة؟ إن دراسة من زاوية العلوم الانسانية إذ تحكمها مثل تلك الاهتمامات يمكن التصدي بمسؤولية لموضوع السياسة والثقافة . لكن هذا لا يعني القول إن مثل هذه الدراسة ترسي قاعدة صارمة ولا سبيل إلى إغفالها عن العلاقة بين المعرفة والسياسة . وحجتي في ذلك هي أن كل بحث استقصائي في العلوم الانسانية يجب عليه ان يصوغ طبيعة العلاقة ضمن السياق الخاص للدراسة ولادة الموضوع وظروفه التاريخية<sup>(١٠)</sup>.

## ٢ - المسألة المنهجية

كنت في كتاب سابق لي قد اوليت قدراً لا بأس به من التفكير والتحليل للأهمية المنهجية المتعلقة بالعمل في العلوم الانسانية والرامي إلى العثور على صياغة خطوة أولى ونقطة لنطلاق ومبدأ بداية<sup>(١١)</sup> . واحدى الامثولات الرئيسية التي تعلمتها وحاولت عرضها وتقديمها هي انه لا يوجد هناك شيء مثل نقطة البداية كمعطي مجرد أو متوفر ببساطة : فالبدائيات يجب صنعها لكل مشروع على نحو يؤدي إلى افساح المجال أمام ما يستتبع عنها . إن صعوبة هذه الامثولة لم احيها بوعي ثاقب في تجربتي مثلما حييتها في هذه الدراسة عن الاستشراق ( ولا يمكنني القول بالفعل ماذا كان مقدار حظي من النجاح أو الفشل ) . إن فكرة البداية ، والحق يقال ان فعل البداية ، ينطوي بالضرورة على فعل للتحديد أو رسم الحدود ، حيث يجري اقتطاع شيء من كتلة

مادة ضخمة ، وفصله عن تلك الكتلة وجعله يقوم مقام نقطة بدء أو بداية وأن يكونهما . وبالنسبة لدارس النصوص هناك مفهوم مماثل عن التحديد الأولي لدى فكرة لويس التوسر عن الاشكالية (problematic) ، الوحدة المحددة الخاصة لنص أو مجموعة من النصوص ، يؤدي التحليل إلى بروزها<sup>(١٢)</sup> غير أن الأمر في قضية الاستشراق (مقابل قضية نصوص ماركس التي يدرسها التوسر بالفعل) ليس مجرد مشكلة إيجاد نقطة انطلاق أو إشكالية ، بل أيضاً مسألة تعيين النصوص والمؤلفين والفترات المناسبة أفضل من سواها للدراسة .

لقد بدا لي ضرباً من الحماسة أن أحاول سرد رواية تاريخ موسوعي للاستشراق ، وذلك عائد قبل كل شيء إلى أنه إذا كان مبدئي الهادي سوف يكون « الفكرة الأوروبية عن الشرق » ، فلن يكون هناك حد بالفعل للمادة التي ينبغي علي معالجتها ، وثانياً ، لأن النمط الروائي بالذات لا يتناسب مع اهتماماتي الوصفية والسياسية . وثالثاً ، لوجود كتب مثل ريموند شغاب : « النهضة الشرقية » وكتاب يوهان فوك عن « الدراسات العربية في أوروبا حتى مطلع القرن العشرين » وكتاب دوروني مليتزكي الأحدث عهداً « الشأن العربي في إنجلترا إبان القرون الوسطى »<sup>(١٣)</sup> - وهي أعمال موسوعية تتناول أوجها معينة من اللقاء الأوروبي الشرقي على نحو يجعل من وظيفة الناقد أمراً مختلفاً ضمن السياق الفكري والسياسي العام الذي رسمت خطوطه اعلاه .

بقيت هناك مشكلة اقتطاع أرشيف دسم جداً إلى أبعاد يمكن السيطرة عليها ، والأهم من ذلك ، رسم الخطوط العريضة لطبيعة نظام فكري ضمن تلك المجموعة من النصوص دون اتباع نظام غبي للتسلسل الزمني في الوقت ذاته . لذا فإن نقطة بدايتي كانت التجربة البريطانية والفرنسية والأميركية في الشرق باعتبارها تؤلف وحدة ، وما جعل تلك التجربة ممكنة على صعيد الخلفيات التاريخية والفكرية ، وماذا كانت نوعية تلك التجربة وطابعها المميز . ولأسباب سوف أتناولها بالشرح حالياً قمت بتحديد مجموعة الأسئلة المحددة سلفاً ( لكنها لا تزال واسعة المدى على نحو غير مكبوح ) وحصرها بالتجربة الانجلو - فرنسية - أميركية لكل من العرب والاسلام ، وهما الركنان اللذان مثلاً الشرق سوية طيلة ما يقارب الألف عام . وفور الانتهاء من عملية الحصر هذه ، بدا لي أن قسماً كبيراً من الشرق قد جرى اقصاؤه - الهند واليابان والصين وقطاعات أخرى من الشرق الأقصى - وذلك ليس لأن هذه المناطق لم تكن على جانب من الأهمية ( فمن الواضح بجلاء انها كانت هامة ) ، بل لأن الباحث يمكنه البحث في تجربة أوروبا عن الشرق الأدنى أو الاسلام بمعزل عن تجربتها للشرق الأقصى . ومع ذلك ، ففي فترات معينة من ذلك التاريخ الأوروبي للاهتمام بالشرق ، لا يمكن البحث في أقسام معينة من الشرق مثل مصر وسوريا والجزيرة العربية دون دراسة تورط أوروبا في الأقسام الأبعد من الشرق في الوقت ذاته وأهم هذه الأقسام : بلاد فارس والهند . وهناك حالة بارزة تؤيد هذا الرأي ، ألا وهي الصلة بين مصر والهند بالنسبة لبريطانيا في القرنين الثامن والتاسع عشر . وعلى نحو مماثل ، فإن الدور الفرثي في فك رموز كتاب « الأفتستا » ( كتاب الزردشتيين المقدس ) ، وظهور باريس كمركز مرموق للدراسات السنسكريتية خلال العقد الأول من القرن التاسع عشر وحقيقة كون اهتمام نابوليون بوناپرت في الشرق مرتبطاً بوعيه للدور البريطاني في الهند : جميع هذه الاهتمامات في الشرق الأقصى قد أثرت مباشرة بالاهتمام الفرنسي في كل من الشرق الأدنى والاسلام والعرب .

لقد سيطرت بريطانيا وفرنسا على المتوسط الشرقي منذ حوالي نهاية القرن السابع عشر فصاعداً . غير أن مناقشتي لتلك السيطرة والاهتمام المنظم لا تنصف المسائل التالية : (١) الاسهامات المهمة التي أسدتها للاستشراق كل من المانيا وايطاليا وروسيا واسبانيا والبرتغال . (ب) الحقيقة القائلة ان أحد البواعث المهمة على دراسة الشرق في القرن الثامن عشر كانت الثورة في الدراسات الثوراتية والتي أنكأها رواد مثيرون للاهتمام المتنوع مثل المطران لوث وايشهورن وهربر وميخائيليس . ففي المقام الأول ترتب علي التركيز بشدة وصرامة على المادة البريطانية - الفرنسية وفيما بعد على المادة الأميركية لأنه بدأ لي صحيحاً بشكل لا مفر منه ليس فقط ان بريطانيا وفرنسا كانتا الأمتان الرائدتان في الشرق والدراسات الشرقية ، بل ان هذه المواقع الطليعية قد جرى التمسك بها بفضل الشبكتين الكبيرتين الكولونياليتين في التاريخ السابق للقرن العشرين . وأعتقد أن المركز الاستشراقي الاميركي قد تلاعب منذ الحرب العالمية الثانية بوعي ذاتي تماماً في الأماكن التي اكتشفتها ونقبتها الدولتان الأوروبيتان السابقتان . كما اعتقد أيضاً بأن مجرد النوعية والثبات التي ميزت الكتابة البريطانية والفرنسية والأميركية عن الشرق ترفعها فوق العمل الحاسم دون شك والذي تم في المانيا وايطاليا وروسيا وغيرها من البلدان . بيد أنني أعتقد أنه من الصحيح أيضاً بأن الخطوات الرئيسية في حقل الدراسات والأبحاث العلمية الاستشراقية قد جرى اتخاذها أولاً إما في بريطانيا أو فرنسا ، ومن ثم يادر الألمان إلى توسيعها والاضافة إليها . إن سيلفستر دوساسي ، مثلاً ، لم يكن فحسب أول مستشرق أوروبي حديث ومؤسسي ، اشتغل في موضوعات الاسلام والأدب العربي المذهب الدرزي وبلاد فارس في ظل الساسانيين . بل كان معلم شامبوليون وفرانز بوب ، مؤسس علم الدراسات اللغوية المقارنة في المانيا . وثمة ادعاء مماثل في الاسبقية واحتلال المركز الرموق لاحقاً وتجاوز نسبتهما لكل من وليم جونز وانوارد وليم لين .

وفي المقام الثاني - وهذا ما يعوض بأسباب عن النواقص التي تعترني دراستي للاستشراق - ثمة أعمال مهمة وحديثة العهد قامت بدراسة الخلفية المصاحبة في الدراسات العلمية الثوراتية لنشوء ما دعوته به الاستشراق الحديث . أما العمل الأفضل والوثيق الصلة بالموضوع على نحو مضيء فهو دراسة إ . س . شيفر المثيرة للاعجاب بعنوان « قبلة خان » وسقوط القدس (١٤) . إنها دراسة لا مناص منها عن جذور الرومانسية والنشاط الفكري المدعم لكثير مما يدور في كتابات كولريدج وبراونينغ وجورج اليوت . والى درجة معينة فإن عمل شيفر يحسن الخطوط العريضة التي قدمها شغاب ، وذلك من خلال تبيان المادة ذات الصلة الوثيقة بالموضوع والتي يمكن العثور عليها لدى علماء الثورة الألمان ، ومن ثم يستخدم تلك المادة لقراءة أعمال ثلاثة كتاب بريطانيين رئيسيين بطريقة نكية ومثيرة للاهتمام دائماً . مع ذلك ، فالشيء الذي ينقص الكتاب هو بعض احساس بالحافة السياسية والأيدولوجية الممنوحة وعلاوة على ذلك ، فانني احاول ، بخلاف شيفر ، بسط التطورات اللاحقة في كل من الاستشراق الاكاديمي والأدبي ، وهي تطورات تؤثر في الصلة بين الاستشراق البريطاني والفرنسي من جهة ونشوء امبريالية ذات عقلية كولونيالية صريحة من جهة ثانية . إذ أرغب أيضاً في إظهار كيف أن جميع هذه المسائل المبكرة يتم استخراجها إلى حد ما في الاستشراق الاميركي بعد الحرب العالمية الثانية .

ويغض النظر عن ذلك هناك ناحية في دراستي يمكنها التضليل ، حيث انني لا أبحث بشكل استنفادي التطورات الألمانية في أعقاب الفترة التديشينية التي يسيطر عليها ساسي ، باستثناء اشارات متفرقة هنا وهناك . فكل عمل دراسي يسعى إلى تقديم فهم للاستشراق الاكاديمي ولا يمنح اهتماماً كافياً لعلماء أمثال شتاينثال ومولر وبيكر وغولدتسيهر وبروكلمان ونولدكه - لكي نكتفي بذكر حفنة منهم فقط - يحتاج إلى التقرير ، ولذا أبادر تلقائياً إلى تقرير نفسي ، وأشعر بالأسف على الأخص لأنني لم آخذ أكثر بعين الاعتبار تلك المكانة العلمية العظيمة والمرموقة التي استحققتها الابحاث العلمية الألمانية عند منتصف القرن التاسع عشر ، حيث أدى إهمالها إلى أدانة الباحثين البريطانيين المحصورين في جزرهم على يد جورج اليوت . هنا تحضرني الصورة التي لا تنسى والتي رسمتها جورج اليوت للسيد كازويون في رواية « ميدل مارش » ( أواسط آذار ) إن أحد الأسباب في كون كازويون لا يستطيع إنهاء مفتاحه لكافة الميثولوجيات مرجع في نظر ابن عمه الشاب ويل لاييسلاف إلى انه غير مطلع على الأبحاث العلمية الألمانية . ذلك ان كازويون لم يختر موضوعاً « متغيراً كالكيمياء : الاكتشافات الجديدة تقود باستمرار نحو قيام وجهات نظر جديدة » فحسب ، بل إنه يضطلع بمهمة تشبه حضا لباراسيلزوس لأنه « كما تعرف ، ليس مستشرقاً » (١٥) .

لم تكن إليوت مخطئة في تضمينها القول إنه عند حوالي العام ١٨٢٠ ، حيث تبدأ أحداث روايتها « ميدل مارش » ، كان البحث العلمي الألماني قد بلغ تفوقه الأوروبي كاملاً ، ومع ذلك ففي أي وقت من الأوقات خلال الثلثين الأولين من القرن التاسع عشر لم يتسن لشراكة وثيقة ان تتطور داخل البحث العلمي الألماني بين المستشرقين واهتمام قومي بالشرق طويل الأمد ومتواصل . ففي ألمانيا لم يوجد شيء مقابل للحضور الانجلو - فرنسي في الهند والليفانت وشمال افريقيا . وفضلاً من ذلك ، فالشرق الألماني كان مقتصرأ تقريباً على شرق علمي ، أو على الأقل كلاسيكي : فالألمان جعلوا من الشرق موضوعاً للشعر الغنائي والخيال وحتى للروايات ، لكنه لم يكن واقعاً فعلياً على الإطلاق ، غلى النحو الذي مثلته مصر وسوريا لكل من شانوبريان ولين ولامارتين وبورتن ويزرائيلي أو نرفال . وهناك شيء من المغزى والدلالة في الحقيقة التي مفادها ان العاملين الالمانيين الأوسع شهرة، عن الشرق ، وهما كتاب غوته « الديوان الشرقي الغربي » ودراسة فريدريك شليغل عن « لغة الهنود وحكمتهم » قد استندا بالتتالي الى رحلة على نهر الراين وساعات أمضاها المؤلف في مكتبات باريس . إن ما فعله علم الاستشراق الألماني هو تحسين وتوسيع التقنيات التي جرى تطبيقها على نصوص وأساطير وأفكار ولغات جرى تجميعها حرفياً تقريباً من الشرق على يد امبراطوريتي بريطانيا وفرنسا .

ومع ذلك فان القاسم المشترك بين الاستشراق الألماني والاستشراق الانجلو - فرنسي ، والأميركي لاحقاً ، هو امتلاك نوع من السلطة الفكرية على الشرق ضمن الحضارة الغربية . هذه السلطة يجب ان تؤلف في القسم الأكبر منها موضوع أي وصف للاستشراق ، والأمر هو كذلك في هذه الدراسة . حتى ان اسم « الاستشراق » يوحي بوجود اسلوب جدي في الشرح والتعليق الماهرين ، وربما اسلوباً مملاً ومضجراً .

حين أقوم باطلاق لفظه استشراق على علماء الاجتماع الاميركيين المحدثين ( وبما أنهم لا يطلقون على أنفسهم تسمية مستشرقين ، فان استخدامي لهذه اللفظة غير سوي ) ، فالهدف

من وراء ذلك هو اجتذاب الانتباه الى الطريقة التي ما فتى خبراء الشرق الأوسط يسلكونها إذ يمكنهم أن يستمدوا مادة لهم من بقايا المركز الفكري للاستشراق في أوروبا القرن التاسع عشر .

ليس هناك من شيء تحف به الأسرار أو طبيعي بشأن السلطة ، إنها تتشكل وتفيض وتنتشر . وهي ثرائعية ومقنعة . السلطة لها مكانة ، وهي ترسي قوانين النوق والقيم . إنها غير قابلة للتمييز فعليا عن بعض الأفكار التي تجلها على أنها أفكار صحيحة ، وعن التقاليد والادراكات والأحكام التي تشكلها وتنقلها وتولدها . فالسلطة يمكن تحليلها ، قبل كل شيء ، ويجب تحليلها حقاً . إن جميع هذه الصفات التي توصف بها السلطة تنطبق على الاستشراق ، والكثير مما أقوم به في هذه الدراسة هو وصف أمرين : السلطة التاريخية ضمن الاستشراق والسلطات الشخصية التي امتلكها هذا الاستشراق .

إن أدواتي المنهجية الرئيسية في دراسة السلطة هنا هي ما يمكن تسميته بـ « الموقع الاستراتيجي » ، وقوامه طريقة في وصف مركز المؤلف ضمن نص بالنسبة للمادة الشرقية التي يكتب عنها ، والتشكيل الاستراتيجي ، وهو طريقة في تحليل العلاقة بين النصوص وكيف ان مجموعة من النصوص وانواعاً من النصوص ، وحتى أجناساً من النصوص تكتسب كتلة وكثافة وقوة مرجعية فيما بينها وبالتالي في الثقافة بصورة عامة . إنني استخدم مفهوم الاستراتيجية لمجرد تعريف المشكلة التي واجهها كل كاتب عن الشرق : كيف يتم الإمساك بها ، ومقاربتها ، وكيف الحؤول دون الانهزام أو الانسحاق أمام سموها ونطاقها وأبعادها المخيفة ، إن كل شخص يكتب عن الشرق يجب عليه تجديد موقعه إزاء الشرق . فلو قمنا بترجمة هذا الموقع إلى النص المستخدم ، لوجدنا أنه يشمل نوعية الصوت الروائي السردي الذي يتبناه الكاتب ، ونوع البناء الذي يشيد صرحه ، وانواع الصور والموضوعات والأفكار الرئيسية التي يدور عليها نصه – وكل هذه تضاف الى الاساليب المعتمدة في مخاطبة القاري ، واحتواء الشرق ، وأخيراً تمثيل هذا الشرق أو التحدث بالأصالة عنه . إنما لا شيء من هذه الأمور يحدث على صعيد التجريد . فكل كاتب عن الشرق ( وهذا يصدق حتى على هوميروس ) يتخذ لنفسه سابقة شرقية ، ويفترض شيئاً من المعرفة المسبقة بالشرق ، حيث يرجع إلى ذلك ويعتمد عليه . أضف إلى ما تقدم ، أن كل دراسة عن الشرق تقيم روابط النسب بينها وبين دراسات أخرى ، ومع جماهير ومؤسسات ، ومع الشرق ذاته ، لذا فان مجموع العلاقات بين الأعمال والجماهير وبعض النواحي الخاصة عن الشرق تؤلف تشكيلاً قابلاً للتحليل – وعلى سبيل المثال نذكر : الدراسات الفيلولوجية والمختارات المقتطفة من الأدب الشرقي ، وكتب الرحلات ، والخيالات الشرقية – حيث يضيف عليها حضورها في الزمن وفي المقالة وفي المؤسسات ( المدارس ، المكتبات والسلك الخارجي ) قوة وسلطاناً .

من الواضح ، على ما أمل ، ان اهتمامي بالسلطة لا يستلزم تحليلاً لما يقبع مختبئاً في النص الاستشراقي ، بل تحليلاً بالأحرى لظاهر النص ، ولخارجيته بالنسبة لما يصفه . ولا أعتقد أنه يمكن الامعان في التشديد على هذه الفكرة . فالاستشراق يفترض الخارجية كمقدمة منطقية ، أي انه يقوم على الحقيقة القائلة بان المستشرق ، شاعراً كان أم باحثاً علامة ، يجعل الشرق يتحدث ، ويصف الشرق ، ويفك رموز أسراره الخفية مبسطاً إياها أمام الغرب ولأجله .

فهو لا يهتم بالشرق أبداً ، باستثناء اعتباره له بمثابة العلة الأولى لما يقوله . إن ما يقوله ويكتبه ، بفضل حقيقة قوله أو كتابته ، يقصد منه الإشارة إلى أن المستشرق يقف خارج الشرق ، كحقيقة وجودية ومناقبية على السواء . أما النتاج الرئيسي لهذه الخارجانية فهو طبعاً التمثيل : منذ زمن مبكر يعود إلى مسرحية اسخيلوس « الغرس » يجري تحويل الشرق من أخرى (Otherness) بعيدة ونائية جداً وغالباً ما تكون مهددة ( بكسر الدال ) إلى صور مألوفة نسبيّاً ( إلى نساء أسيويات حزينات ، في حالة اسخيلوس ) . إن الفورية الدراماتية للتمثيل في مسرحية الفرس تلمس الحقيقة في أن الجمهور شاهد حدثاً مصطنعاً للغاية عما فعله شخص غير شرقي محولاً إياه إلى رمز للشرق بكامله . لذا فإن تحليلي للنص الاستشراقي يضع التشديد على الأدلة ، وهي أدلة غير مرئية بأية حال ، بالنسبة للتمثيلات بوصفها تمثيلات وليس تصويرات « طبيعية » للشرق . هذه الأدلة يمكن العثور عليها بشكل بارز في النص المزعوم ( التواريخ والتحليل الفيلولوجية والمقالات السياسية ) كما في النص الفني المعترف به ( أي المتخيل بصراحة ) . فالأشياء التي ينبغي النظر إليها هي الأسلوب والتشابه والاستعارات ، مكان وزمان المشهد ، الوسائل السردية الروائية ، والظروف التاريخية والاجتماعية ، وليس صوابية التمثيل ولا أمانته بالنسبة لأصل عظيم . إن خارجانية التمثيل تحكمها على النوام صيغة معينة للحقيقة البديهية القائلة إنه لو استطاع الشرق تمثيل نفسه ، لفعل ذلك . وبما أنه لا يستطيع ، فالتمثيل يؤدي هذه الوظيفة ، من أجل الغرب – ولعدم وجود شيء أفضل من أجل الشرق المسكين ( الفقير ) . وكما كتب ماركس يقول في « الثامن عشر من برومير لويس بوناپرت : » إنهم لا يستطيعون تمثيل أنفسهم ، وينبغي لأحد ما أن يمثلهم » .

ثمة سبب آخر وراء الالحاق على الخارجانية وهو اعتقادي بضرورة توضيح المسألة التالية بالنسبة للمقالة الحضارية وللتبادل ضمن الحضارة الواحدة : إن ما يجري تداوله بصورة شائعة على يدها ليس « الحقيقة » بل التمثيلات . ولا حاجة بنا إلى التبيين والتدليل مجدداً بأن اللغة في ذاتها هي منظومة في غاية التنظيم والترميز ، تستخدم عدة وسائل للتعبير والإشارة ، وتبادل الرسائل والمعلومات والتمثيل وهلم جرا ففي أية حالة من حالات اللغة المكتوبة هي حضور للقارئ 'فضل كونها قد أقصت واستبدلت أي شيء حقيقي مثل « الشرق » وجعلته نافلا . وهكذا فإن الاستشراق بمجمله يقف من هنا فصاعداً بعيداً عن الشرق : ذلك أن كون الاستشراق ينطوي على معنى اطلاقاً يعتمد على الغرب أكثر من اعتماده على الشرق ، وهذا المعنى مدين مباشرة إلى تقنيات غربية متنوعة في التمثيل ، وهي التي تجعل الشرق مرئياً وجلباً و « هناك » في المقالة عنه ، وهذه التمثيلات والتصورات تعتمد بدورها على المؤسسات والتقاليد والأعراف والمفاتيح المتفق عليها للفهم في ممارسة تأثيراتها ، وليس على شرق هلامي ونائي البعد .

أما الفرق بين تمثيلات الشرق قبل الثلث الأخير من القرن الثامن عشر والتمثيلات التي جاءت بعد هذا التاريخ ( أي التمثيلات التي تنتمي إلى ما أدعوه بالاستشراق الحديث ) هو أن مدى التمثيل اتسع بشكل هائل في الفترة الثانية .

ومن الصحيح أن أوروبا توصلت ، بعد وليم جونز وأنكوتيل – دوبيرون ويعد حملة نابوليون المصرية، إلى معرفة الشرق بشكل علمي أكثر ، وإلى أن تعيش مع هذا الشرق بمزيد من

السلطة والانضباط أكثر من أي وقت مضى . لكن الشيء الذي استأثر باهتمام أوروبا كان المدى الموسع والتحسين الأكبر جداً والذي طرأ على تقنياتها لاستقبال الشرق . وعندما كشف الشرق بصورة محددة عن عمر لغاته – عند منعطف القرن الثامن عشر – مما أدى إلى إهمال وامانة شجرة النسب الالهى العبرانية ، كانت مجموعة من الأوروبيين هي التي قامت بالاكشاف ، ونقلته إلى غيرها من العلماء الباحثين ، وحافظت على الاكتشاف في العلم الجديد للفيلولوجيا الهندو أوروبية . لقد ولد علم قوي جديد للنظر إلى الشرق اللغوي ، وكما أظهر فوكو في « نظام الأشياء » ، ولدت مع هذا العلم شبكة كاملة من الاهتمامات العلمية المتصلة بالموضوع . وعلى نحو مماثل ، أقدم وليم بكفورد ويايرون وغوته وهوغو على إعادة بناء الشرق بواسطة فتم ، وجعلوا ألوانه واضواؤه وأناسه مرئيين من خلال صورهم وإيقاعاتهم وموضوعاتهم الرئيسية . وفي أقصى الحالات فان الشرق « الحقيقي » أثار حفيظة الكاتب في الوصول إلى رؤيته ، لكنه من النادر جداً هدى تلك الرؤية وأرشدها .

واستجاب الاستشراق للحضارة التي أنتجته أكثر من استجابته لموضوعها المزعوم والذي جرى انتاجه في الغرب أيضاً . وهكذا فان تاريخ الاستشراق يتسم بأمرين على السواء : تماسك داخلي ومجموعة مترابطة باتساق وانتظام للغاية من العلاقات مع الثقافة ( الحضارة ) السائدة والمحيطه به . إن تحليلاتي بآء على ذلك تحاول ان تبين شكل الحقل الاستشراقي وتنظيمه الداخلي ، ورواده وثقافته من نوي السلطة الأبوية ، ونصوصه المعترف بها ، وأفكاره التسببوية وأشخاصه القدوات ، واتباعه وشارحيه وموسعيه وسلطاته الجديدة ، مثلما أحاول أيضاً أن أشرح وأفسر كيف استعار الاستشراق وأخذ المعلومات مراراً عن الأفكار « القوية » والعقائد والاتجاهات المسيطرة على الثقافة ، وهكذا كان هناك ( ويوجد هناك ) شرق لغوي ، وشرق فرويدي ، وشرق اشينغلري ، وشرق دارويني ، وشرق عرقي – وهكذا بواليك ، ومع ذلك فانه لم يوجد أبداً شيء من قبيل الشرق الخالص أو غير المشروط . وبالماتل ، لم يوجد أبداً شكل غير مادي للاستشراق ، كما لم توجد على الاطلاق « فكرة » بريئة عن الشرق . إنني اختلف في هذا الاعتقاد الكامن وفي النتائج المنهجية المستسقاة منه عن العلماء الباحثين الذين يدرسون تاريخ الأفكار . ذلك أن التشديدات والشكل التنفيذي وفوق كل شيء الفعالية المادية للعبارات التي تطلقها المقالة الاستشراقية هي ممكنة بطرق تجعل أي تاريخ منطلق للأفكار يميل إلى الاستخفاف بها كلياً . والاستشراق بدون هذه التشديدات وتلك الفعالية المادية من شأنه أن يكون مجرد فكرة أخرى ، بينما هو بالفعل وقد كان أكثر من مجرد ذلك . لذا فانني أنطلق ليس إلى تفحص الاعمال العلمية فقط ، بل أعمال الأدب والمقالات السياسية والنصوص الصحفية وكتب الرحلات والدراسات الدينية والفيلولوجية أيضاً . وبكلمات أخرى ، ان منظوري الهجينى هو منظور عريض تاريخياً و « انتروبولوجياً » ، لا سيما متى كنت اعتقد بأن جميع النصوص هي دنوية وظرفية ( بالطبع ) في طرق تختلف من نوع إلى نوع ، ومن فترة تاريخية إلى فترة تاريخية .

ومع ذلك ، بخلاف ميشيل فوكو ، الذي أدين لعمله إلى حد كبير ، فانني أعتقد بالتأثير المحدد للكتاب الأفراد على تلك الكتلة الجماعية المجهولة من النصوص التي تؤلف تشكيلها استطرادياً مثل الاستشراق . إن الوحدة في المجموعة الكبيرة من النصوص التي أقوم بتحليلها

ترجع جزئياً إلى حقيقة كون النص الواحد منها يشير إلى الآخر في كثير من الأحيان : فالاستشراق قبل كل شيء هو نظام للاتيان على نكر الاعمال والمؤلفين والاستشهاد بهم . وكتاب انوارد وليم لين عن « عادات وتقاليد المصريين المحدثين » قد قرأه واستشهد به اشخاص متفرقون مثل نرفال وفلوبير وريتشارد بورتن . كان ثقة في الموضوع واستخدام هذه الثقة كان أمراً إلزامياً لأي شخص يكتب عن الشرق أو يفكر به ، وليس مجرد مصر . عندما يقتبس نرفال فقرات بنصها الحر في من « عادات وتقاليد المصريين المحدثين » فانه يتوخى الاستفادة من ثقة لين في الموضوع لكي تساعده على وصف المشاهد القروية في سوريا وليس في مصر ، إن الثقة المسيغة على لين والفرص المتاحة أمام الاستشهاد بكتابه على نحو مميز كما بدون تمييز كانت هناك لأن الاستشراق كان في استطاعته ان يمنح نصح تلك النوع من التداول والرواج التوزيعي الذي اكتسبه . بيد انه لا توجد طريقة لفهم الرواج الذي لقيه لين دون ان نفهم أيضاً الخصائص المميزة لنصه . هذا يصدق أيضاً على رينان وساسي ولامارتين وشليغل ومجموعة من الكتاب النافذين الآخرين . ويعتقد فوكوبان النص الفردي أو المؤلف بمفرده على العموم لا يعتد به إلا قليلاً جداً . بينما أجد أنا ، على الصعيد التجريبي ، بأن هذا الأمر ليس كذلك بالنسبة لقضية الاستشراق ( وربما ليس في مكان آخر ) . وبناء على ذلك فان تحليلاتي تستخدم قراءات متقاربة من النصوص وهدفها الكشف عن الجدلية القائمة بين النص المفرد أو الكاتب بمفرده وبين التشكيل الجماعي المعقد الذي يؤلف عمله اسهاماً فيه .

بيد أن هذا الكتاب بالرغم من اشتماله على انتقاء مسهب من الكتاب لا يزال بعيداً عن كونه تاريخاً كاملاً للاستشراق أو رواية عامة لمسيرته . إنني أعني هذا النقص تمام الوعي . فالنسيج السميك لمقالة الاستشراق قد بقي على قيد الحياة ومارس عمله الوظيفي في المجتمع الغربي بسبب ثرائه وغناه : وجل ما قمت به هو وصف أجزاء من ذلك النسيج في لحظات معينة ، والاكتفاء بمجرد الايحاء بوجود كل أكبر من الأجزاء ، مفصل ومثير للاهتمام تحتشد فيه صور ونصوص وأحداث فائنة . ولقد عزيت نفسي بالاعتقاد أن هذا الكتاب هو القسط الأول من سلسلة متتابعة ، وأمل انه يوجد هناك علماء ونقاد ممن يريدون كتابة دراسات أخرى غيره . لكن هناك مقالة عامة ما زالت تحتاج إلى من يكتبها عن الامبريالية والثقافة . ومن شأن الدراسات الأخرى أن تتعمق في تقصي الصلة بين الاستشراق وعلم التربية ، أو في دراسة الاستشراق الهولندي والايطالي والألماني والسويسري ، أو في تناول الدينامية القائمة بين البحث العلمي والكتابة التخيلية ، أو في رصد العلاقة بين الأفكار الادارية والنظام الانضباطي الفكري . وربما كانت المهمة التي تستأثر بالجانب الأكبر من الأهمية إزاء كافة المهمات هي القيام بدراسات عن البدائل المعاصرة للاستشراق ، والتساؤل كيف يستطيع المرء أن يدرس حضارات وشعوب أخرى من منظور يسترشد بمبادئ الحرية أو لا يعتمد الكبت ويتجنب التحوير والتلاعب ، لكن يترتب على الباحث عند ذاك أن يعيد التفكير في المشكلة المعقدة بكاملها ، مشكلة المعرفة والقوة . هذه كلها مهمات يجري تركها ناقصة على نحو محرج في هذه الدراسة .

أما الملاحظة الأخيرة حول الطريقة والتي أريد ابداءها هنا – وربما كانت ملاحظة تنطوي على اطراء ذاتي – فهي أنني قد كتبت هذه الدراسة وفي ذهني عدد من جماهير القراء .

بالنسبة لطلاب الأدب والنقد الأدبي يقدم الاستشراق مثالا رائعا على العلاقات الداخلية والمتداخلة بين المجتمع والتاريخ والنصوصية . وفضلا عن ذلك فان الدور الثقافي ( الحضاري ) الذي لعبه الشرق في الغرب يربط بين الاستشراق والأيدولوجية والسياسة ومنطق القوة - وهذه أمور ذات صلة وثيقة - على ما أعتقد - بالأسرة الأدبية . أما بالنسبة لطلاب الشرق المعاصرين ، من الباحثين الجامعيين إلى صانعي السياسة ، فقد كتبت وفي ذهني هدفان اثنان : الهدف الأول هو تقديم سلسلة نسبههم الفكري لهم بطريقة لم يتم عملها من قبل . والثاني هو انتقاد الافتراضات غير المحصنة في الغالب والتي يستند إليها عملهم في القسم الأكبر منه ، على أمل إثارة النقاش . أما بالنسبة للقارئ العام فان هذه الدراسة تعالج مسائل تنتزع منه الاهتمام دائما ، وجميع تلك المسائل لا تمت بصلة إلى التصورات والمعالجات الغربية للأخرفحسب ، بل إلى الدور الفريد في أهميته والذي لعبته الحضارة الغربية في ما دعاه فيكوبعالم الأمم . وأخيرا وبالنسبة إلى القراء في ما يدعى بالعالم الثالث ، تطرح هذه الدراسة نفسها كخطوة نحو تحقيق فهم ليس للسياسة الغربية وللعالم غير الغربي في تلك السياسة بقدر ما هو فهم لقوة المقالة الثقافية الغربية ، وهي قوة يجري اعتبارها في كثير من الأحيان على نحو خاطئ بأنها مجرد قوة زخرفية أو « فوق بنوية » وأمل يتركز على تبيان البنية الهائلة للسيطرة الثقافية ، وعلى الأخص بالنسبة للشعوب التي كانت مستعمرة في السابق ، لايضاح الاخطار والمجازفات التي ينطوي عليها استخدام هذه البنية وتطبيقها على انفسهم أو على الآخرين .

إن الفصول الثلاثة الطويلة والوحدات الاثنتي عشرة الأقصر منها والتي يقسم إليها هذا الكتاب ترمي إلى تسهيل العرض بقدر الامكان . فالفصل الأول وعنوانه « نطاق الاستشراق » يرسم دائرة كبرى حول كافة أبعاد الموضوع ، على صعيدين : صعيد الزمن التاريخي والتجارب التاريخية ، وصعيد الموضوعات الفلسفية والسياسية . والفصل الثاني « البنيات الاستشراقية واعادة تركيبها » ، يحاول تتبع تطور الاستشراق الحديث بواسطة وصف يعتمد التسلسل الزمني العريض ، وكذلك من خلال وصف لمجموعة من الأنوات والوسائل تؤلف القاسم المشترك لعمل شعراء وفنانين وعلماء على جانب من الأهمية ويبدأ الفصل الثالث ، وعنوانه « الاستشراق الآن » ، حيث توقف سلفه ، أي حوالي العام ١٨٧٠ . هذه هي فترة التوسع الكولونيالي العظيم في الشرق ، وتبلغ نروتها في الحرب العالمية الثانية . أما القسم الأخير بالذات من الفصل الثالث فانه يصف الخصائص المميزة للانتقال من الهيمنة البريطانية والفرنسية إلى الهيمنة الأمريكية . وأحاول أنا هناك أخيرا أن أرسم الخطوط العريضة للواقع الفكري والاجتماعي الحالي الذي يلازم حقيقة الاستشراق في الولايات المتحدة الأمريكية .

### ٣ - البعد الشخصي

يقول غرامشي في « مذكرات السجن » : « إن نقطة البدء في التوسيع النقدي هي وعي المرء لحقيقة كونه بالفعل ، وهي « إعرف نفسك » كنتيجة للعملية التاريخية حتى تاريخه ، والتي رصدت فيك عددا لا متناه من الآثار ، دون أن تترك قائمة مجرد للموجودات » . والترجمة الانجليزية الوحيدة المتوفرة تترك تعليق غرامشي عند تلك الحد على نحو يتعذر تفسيره أو تعليقه ، بينما النص الايطالي لعبارة غرامشي ينتهي بالواقع مضيئا ما يلي : « لذا يصبح أمرا إلزاميا في البداية ان نضع مثل تلك القائمة لجرد الموجودات » (١٦) .

إن الكثير من التوظيف الشخصي في هذه الدراسة يستمد من وعيي لكوني « شرقياً » ، كطفل نما وترعرع في مستعمرتين بريطانيتين . وكل التربية والتعليم الذي تلقيته في هاتين المستعمرتين ( فلسطين ومصر ) وفي الولايات المتحدة ، كان غربياً ، ومع ذلك فقد بقي قائماً ذلك الوعي العميق المبكر . وفي طرق عديدة فإن دراستي عن الاستشراق قد كانت محاولة لوضع قائمة جردية بالآثار التي خلفتها في نفسي ، أنا الموضوع الشرقي ، تلك الثقافة أو الحضارة التي كانت سيطرتها عاملاً قوياً للغاية في حياة جميع الشرقيين . ولهذا السبب فإن الشرق الاسلامي بالنسبة لي كان يجب ان يؤلف مركز الاهتمام ، وسواء كانت القائمة الجردية التي أنجزتها هي القائمة التي يصفها غرامشي ، فالحكم على ذلك ليس منوطاً بي ، بالرغم من شعوري بأهمية كوني واعياً لمحاولة انتاج مثل تلك القائمة . وعلى امتداد المسيرة التي قطعتها في هذه الدراسة ، لقد حاولت متسلحاً بدرجة من الصرامة والعقلانية على قدر الامكان أن أحافظ على وعي نقدي ، هذا بالإضافة إلى استخدام تلك الأدوات في البحث التاريخي والانساني والثقافي التي جعلتني تربيته العلمية المستفيد المخطوط منها ، غير انني في كل ذلك لم أفقد أبداً سيطرتي على الواقع الثقافي ( الحضاري ) والتورط الشخصي الناجم عن كوني « إنساناً شرقياً » .

إن الظروف التاريخية التي تجعل مثل هذه الدراسة امراً ممكناً هي معقدة تماماً ، ولا يسعني هنا سوى سردتها بشكل منسق ومنظم . وكل امرئ مقيم في الغرب منذ الخمسينيات ، ولا سيما في الولايات المتحدة الأمريكية ، لا بد انه عاش خلال حقبة من الاضطراب غير المؤلف في العلاقات بين الشرق والغرب .. فلا أحد من الناس قد أخفق في الملاحظة كيف ان « المشرق » قد دل دائماً على الخطر والتهديد خلال هذه الفترة ، حتى عندما كان يعني الشرق التقليدي وروسيا على السواء ، ولقد أدى في الجامعات نمو متزايد لانشاء برامج ومعاهد دراسات المنطقة إلى جعل دراسة الشرق فرعاً من فروع السياسة القومية . وتشتمل الشؤون العامة في هذه البلاد (اميركا) على اهتمام معاني بالشرق ، ومرد هذا الاهتمام عائد إلى أهمية الشرق الاستراتيجية والاقتصادية بقدر ما يعود إلى غرابته التقليدية ، وإذا كان العالم قد أصبح على الفور في متناول مواطن عربي يعيش في العصر الالكتروني ، فإن الشرق قد اقترب منه أيضاً ، ولربما هو الآن أقل منه أسطورة من كونه مكاناً تتقاطع فيه المصالح ، والاميركية منها بنوع خاص .

وثمة ناحية من نواحي العالم الالكتروني ما بعد الحديث وهي انه يوجد هناك تعزيز للقوالب الجامدة التي يتم النظر من خلالها إلى الشرق . فالتلفزيون والأفلام وجميع الموارد المتوافرة لوسائل الاعلام قد حشرت المعلومات في قوالب معيارية مقننة أكثر فأكثر . ويقدر ما يتعلق الأمر بالشرق ، فإن المعايير والقوالب الثقافية الجامدة قد عززت من السيطرة العائدة لعلم دراسة الشياطين والعرافيت الاكاديمي والمتخيل والمتحدر من القرن التاسع عشر بالنسبة إلى « الشرق الغامض والمليء بالأسرار » . هذا لا يصدق على أي شيء مثلما يصدق على الطرق التي يتم بها استيعاب الشرق الأدنى وفهمه . وهناك ثلاثة أمور قد أسهمت في جعل حتى أبسط إدراك للعرب والاسلام شأناً مسيساً للغاية ، لا بل خشناً تقريباً : أولاً ، تاريخ التعصب الشعبي المناوئ للعرب والمناهض للاسلام في الغرب ، حيث يتعكس هذا بشكل فوري في تاريخ الاستشراق . ثانياً ، الصراع بين العرب والصهيونية الاسرائيلية وتأثير ذلك على اليهود

الأميركيين كما على الثقافة الليبرالية وعلى السكان عامة.. ثالثاً ، الغياب الكلي تقريباً لأي موقع ثقافي يجعل من الممكن اما التماثل مع العرب أو الاسلام أو بحثهما بتجرد عن الهوية. وعلاوة على ذلك ، فمن ناقل القول انه لكون الشرق الأوسط حالياً يتلازم مع سياسات الدول الكبرى واقتصاديات البترول ، ومع الانقسام الثنائي الساذج إلى اسرائيل الديمقراطية والمحبة للحرية والعرب الاشرار والتوتاليتاريين والارهابيين ، فان الفرص والمجالات المفتوحة أمام قيام ما يشبه النظرة الواضحة إلى ما يتحدث عنه المرء عندما يتحدث عن الشرق الأدنى هي ضئيلة الى درجة تبعث الكآبة في النفس .

إن تجاربي الخاصة لهذه المسائل هي التي دفعتني جزئياً إلى كتابة هذه الدراسة . وحياة العربي الفلسطيني في الغرب ، ولا سيما في أمريكا ، هي مثبطة للهمة. يوجد هنا اجماع تام تقريباً على ان هذا الشخص لا وجود له سياسياً ، وعندما يجري التسليم بوجوده ، فاما كمصدر ازعاج أو بوصفه شرقياً . فالشبكة المنسوجة من العرقية والقوالب الثقافية الجامدة ، والامبريالية السياسية ، والايديولوجية المجردة من الصفات الانسانية ، والتي تطبق على العربي أو المسلم هي شبكة قوية ومتينة للغاية ، وهي بالذات ما تسنى لكل انسان فلسطيني ان يشعر به على أنه يؤلف مصيره الاقتصادي الفريد من نوعه . ومما جعل الأمور تبدو أسوأ بالنسبة اليه عندما لاحظ بأنه ما من شخص ينهك اكااديمياً بدراسة الشرق الأدنى – أي ، ما من مستشرق – قد سبق له أبدأ في الولايات المتحدة الأميركية ان وضع نفسه ثقافياً وسياسياً بجانب العرب من صميم قلبه . من المؤكد انه كانت هناك مماثلات أو مطابقات عاطفية على مستوى من المستويات ، لكنها لم تأخذ أبدأ شكلاً مقبولاً مثلما أخذته المطابقة الأميركية الليبرالية مع الصهيونية ، وفي كثير من الأحيان كان يعتريها خلل جذري من جراء ارتباطها اما مع المصالح السياسية والاقتصادية المخزية ( مثلاً ، مستعربو شركات النفط أو نظارة الخارجية الاميركية ) أو مع الدين .

لذا فان الشبكة المعقدة من المعرفة والقوة التي تخلق « الشرقي » وتطمس معالمه بوصفه كائناً بشرياً ليست بالنسبة لي شأنًا اكااديمياً على وجه الحصر . ومع ذلك فهي شأن فكري ينطوي على شيء من الأهمية الواضحة . لقد استطعت ان استخدم اهتماماتي الانسانية والسياسية في وصف وتحليل مسألة دنيوية للغاية ، ألا وهي نشوء الاستشراق وتطوره وتوطيد دعائمه . وفي اغلب الأحيان ينشأ الافتراض بأن الأدب والثقافة هما بريئان سياسياً ، وحتى تاريخياً . لكن الأمر قد بدا لي خلاف ذلك بصورة منتظمة ، ومما لا شك فيه أن دراستي للاستشراق قد أقتنتني ( ولي أمل في انها سوف تقنع زملائي في حقل دراسة الأدب والنقد الأدبي ) بأن المجتمع والثقافة الأدبية لا يمكن فهمهما ودراستهما إلا سوية . اضافة الى ذلك ، ويفعل منطق لا مفر منه تقريباً ، لقد وجدت نفسي اكتب تاريخ مشارك سري وغريب الأطوار في العداء الغربي للسامية ، لذلك ان العداء للسامية والاستشراق كما بحثته في فرعه الاسلامي ، يشبه الواحد منهما الآخر أقرب الشبه . وهذه حقيقة تاريخية وثقافية وسياسية ما علينا إلا أن نذكرها أمام العربي الفلسطيني للسخرية التي تنطوي عليها وحتى يصار الى فهمها فهما كاملاً ، لكن الشيء الذي يطيب لي أيضاً ان أكون قد أسهمت به هنا ، تحقيق فهم أفضل للاسلوب الذي عملت به السيطرة الثقافية . واذا كان هذا الأمر منبهاً الى نوع جديد من التعامل

مع الشرق ، وحقا إذا أدى إلى حذف « الشرق » و « الغرب » والتخلص منهما كلياً ، نكون بذلك قد أحرزنا قليلاً من التقدم في مسار العملية التي دعاها ريموند وليامز بـ « اطراح » « أسلوب الهيمنة المتأصل » (١٧) .

نقل النص من الانكليزية الى العربية

اسعد رزوق

## الحواشي

(11) In my *Beginnings: Intention and Method* (New York: Basic Books, 1975).

(12) Louis Althusser, *For Marx*, trans. Ben Brewster (New York: Pantheon Books, 1969), pp. 65-7.

(13) Raymond Schwab, *La Renaissance orientale* (Paris: Payot, 1950); Johann W. Fück, *Die Arabischen Studien in Europa bis den Anfang des 20. Jahrhunderts* (Leipzig: Otto Harrassowitz, 1955); Dorothee Metlitzki, *The Matter of Araby in Medieval England* (New Haven, Conn.: Yale University Press, 1977).

(14) E. S. Shaffer, *Kubla Khan and The Fall of Jerusalem: The Mythological School in Biblical Criticism and Secular Literature, 1770-1880* (Cambridge: Cambridge University Press, 1975).

(15) George Eliot, *Middlemarch: A Study of Provincial Life* (1872; reprint ed., Boston: Houghton Mifflin Co., 1956), p. 164.

(16) Antonio Gramsci, *The Prison Notebooks: Selections*, trans. and ed. Quintin Hoare and Geoffrey Nowell Smith (New York: International Publishers, 1971), p. 324. The full passage, unavailable in the Hoare and Smith translation, is to be found in Gramsci, *Quaderni del Carcere*, ed. Valentino Gerratana (Turin: Einaudi Editore, 1975), p. 1363.

(17) Raymond Williams, *Culture and Society, 1780-1950* (London: Chatto and Windus, 1958), p. 376.

(1) Thierry Desjardins, *Le Martyre du Liban* (Paris: Plon, 1976), p. 14.

(2) K. M. Panikkar, *Asia and Western Dominance* (London: George Allen and Unwin 1959).

(3) Denys Hay, *Europe: The Emergence of an Idea*, 2nd ed. (Edinburgh: Edinburgh University Press, 1968).

(4) Steven Marcus, *The Other Victorians: A Study of Sexuality and Pornography in Mid-Nineteenth Century England* (1966; reprint ed, New York: Bantam Books, 1967), pp. 200-219.

(5) See my *Criticism Between Culture and System* (Cambridge, Mass.: Harvard University Press, forthcoming).

(6) Principally in his *American Power and the New Mandarins: Historical and Political Essays* (New York: Pantheon Books, 1969) and *For Reasons of State* (New York: Pantheon Books, 1973).

(7) Walter Benjamin, *Charles Baudelaire: A Lyric Poet in the Era of High Capitalism*, trans. Harry Zohn (London: New Left Books, 1973), p. 71.

(8) Harry Bracken, «Essence, Accident and Race», *Hermathena* 116 (Winter 1973), pp. 81-96.

(9) In an interview published in *Diacritics* 6, no 3 (Fall 1976), p. 38.

(10) Raymond Williams, *The Long Revolution* (London: Chatto and Windus, 1961), pp. 66-7.

## مراجعات

وليم كوانت ، عقد من القرارات : السياسة الاميركية  
تجاه النزاع العربي - الاسرائيلي  
من ١٩٦٧ إلى ١٩٧٦ .

المبول ، نون الاشارة الى كونه ينتمي إلى تلك الفئة من أهل الاختصاص الجامعي الذين يتعاطون قضايا الاستعراب ( وليس الاستشراق بمعناه التقليدي ) . وكلمة مستعرب (Arabist) تستعمل لوصف الباحث الغربي الذي يملك إلماما بأحوال العالم العربي وإطلاعا على أوضاعه ، بالإضافة إلى معرفة باللغة العربية تجعله يتكلمها بطلاقة . وهناك فارق يصعب تجاهله بين كون المرء « عربي المبول » وبين كونه « مستعربا » ويتعاطى الاستعراب ، بمعناه المتداول في الأوساط الأكاديمية الغربية . فسي حزيران ١٩٧٧ ثارت تائفة اللوبي الصهيوني في الولايات المتحدة عقب تصريحات الرئيس كارتر التي طالب فيها بوطن للفلسطينيين ، واقترح على إسرائيل الانسحاب تقريبا من جميع الأراضي التي استولت عليها في حرب الخامس من حزيران ١٩٦٧ ، مثلما دعا إلى نفع تعويضات للنازحين العرب . وكتبت مجلة تايم ( ٢٧ حزيران ، ١٩٧٧ ) تحت عنوان « كارتر والعالم واليهود » ما يلي :

« يخشى الزعماء اليهود من أن تكون قضيتهم غير ممثلة تمثيلا صحيحا . ويشتكون من أن الدبلوماسية ( الاميركية ) تجاه الشرق الاوسط هي بأيدي مستشار ( الرئيس ) لشؤون الأمن القومي زيبغينيو بريجنسكي ومساعدته وليم كوانت ،

يحرص وليم كوانت في تقديم هذه الدراسة التي كتبها خلال صيف العام ١٩٧٦ على تنبيه القارئ إلى أن الكتاب\* في حالته الراهنة ( تموز ١٩٧٧ ) هو « حصيلة عملي الأكاديمي ، ولا يعكس سوى آرائي فقط ، وليس آراء الحكومة الأميركية أو إدارة الرئيس كارتر » . وقبل الانتقال إلى عرض الآراء والتحليلات والاستنتاجات التي تتخلل فصول الكتاب وإلى تعريف القارئ بأسلوب المعالجة والتحليل الذي يعتمدته كوانت ، لا بد من التوقف قليلا عند المحطات الرئيسية في مسيرة الاستاذ الجامعي الذي بات يشكل عشية صدور هذا الكتاب أحد العناصر البارزة التي يؤثر عنها ( أو يؤخذ عليها ) تفهمها لوجهة النظر العربية في البيت الأبيض . فالمعروف أن وليم كوانت قد شغل منصب مدير شؤون الشرق الاوسط في مجلس الأمن القومي الاسيركي وعمل كمساعد لمستشار الرئيس كارتر في مسائل الأمن القومي ، زيبغينيو بريجنسكي ، منذ مطلع العام ١٩٧٧ وحتى استقالته مؤخرا ( أيار ١٩٧٩ ) لكي ينصرف إلى تأليف كتاب جديد عنوانه : « لماذا يعجز الرئيس الاميركي عن الضغط على اسرائيل في سنة الانتخابات ؟ »

فـاللوبي الاسرائيلي واليهودي في الولايات المتحدة يرى في وليم كوانت مسؤولا اميركيا عربي

\*William B. Quandt: *Decade of Decisions: American Policy Toward the Arab-Israeli Conflict, 1967-1976,*

(University of California Press, Berkeley: 1977).

ولا يخفى ان وليم كوانت كان في عداد فريق الاختصاصيين الاميركيين ( المؤلف من ١٦ اختصاصيا ) الذي اعد التقرير المعروف بتقرير مؤسسة بروكينغز\*\* ، بعد ان استغرق العمل في إعداده سبعة أشهر . لقد صدر التقرير في اواخر ١٩٧٥ ، وقام مكتب المعلومات في السفارة الاميركية في بيروت بتوزيع ملخص مفصل له عن كيفية « تحقيق تسوية سلمية دائمة وعملية في الشرق الأوسط » ( انظر النهار والسفير : ١٩٧٦/١٠/٩ ) وجاء في المعلومات المتعلقة باعطاء الفريق ( ومنهم على سبيل المثال : زيفنيو بريجنسكي ، ونجيب الجبلي ومالكوم كير [استاذ وليم كوانت ] وتشارلز يوست ومورويجر ) ان وليم كوانت ، الاستاذ المشارك للعلوم السياسية في جامعة بنسلفانيا ، هو « واضع استراتيجية تقسيم المنطقة العربية إلى مراكز قوى تتعامل معها امريكا حاليا أو مستقبلا » ( السفير : ١٩٧٦/٩/١ ) .

أما الكتاب الذي يعنينا هنا فهو دراسة كتب كوانت القسم الأكبر منها خلال صيف العام ١٩٧٦ ، حيث تلقى منحة لانجاز عمله ( من مركز الشرق الاوسط وبرنامج العلاقات الدولية في جامعة بنسلفانيا ) . ووقع كوانت بمخطوطة كتابه إلى الطبع في نهاية العام ١٩٧٦ . ثم عاد في مطلع ١٩٧٧ وحصل على إجازة من جامعة بنسلفانيا لكي ينضم الى هيئة مجلس الأمن القومي كمدير لمكتب شؤون الشرق الأوسط . وفي مستهل الكتاب نجده يرفع كلمة شكر وامتنان إلى هارولد هـ. ساوندرز ( كبير الاختصاصيين وعضو مجلس الأمن القومي منذ إدارة الرئيس جون كينيدي ، والذي ارتبط اسمه

الاختصاصي في الشؤون الفلسطينية . ويعتقدون ان بريجنسكي مؤيد للعرب ( وربما كان اعتقادهم غير محق ومنصف ) تلك انه كان أحد واضعي تقرير بروكينغز ١٩٧٥ الذي دعا إلى انسحاب إسرائيل إلى حدودها عام ١٩٦٧ » .

حين أصدر وليم كوانت كتابه الأول عن « الثورة والزعماء السياسية في الجزائر : ١٩٥٤ - ١٩٦٨ » في اواخر الستينات ، كان عضواً في دائرة العلوم الاجتماعية التابعة لمؤسسة راند الاميركية ذاتها الصيت حينذاك بالنسبة لعدد من الدراسات والأبحاث عن العالم العربي . وخلال انتقال كوانت للعمل في مجلس الأمن القومي كمساعد لهارولد ساوندرز ١٩٧٢ - ١٩٧٤ ، نجد انه قد اشترك عام ١٩٧٣ مع فؤاد جابر وأن موزلي ليش في إصدار كتاب عنوانه «سياسة القومية الفلسطينية»\* (من الدراسات والبحوث الصادرة عن مؤسسة راند ) . فالدراسة التي كتبها كوانت عالجت « الأبعاد السياسية والعسكرية للقومية الفلسطينية المعاصرة » وتناول فيها موضوعات مثل « خسوف القومية الفلسطينية ١٩٤٧ - ١٩٦٧ » والتطورات التنظيمية من حزيران ١٩٦٧ إلى ايلول ١٩٧٠ ، بالإضافة الى الزعماء السياسية الفلسطينية والايديولوجيا والاهداف . والملاحظ لدى تصفح الكتاب ان المؤلفين الثلاثة قد ركزوا اهتمامهم الرئيسي على النهج السياسي للقومية الفلسطينية ، وابتزوا الجهود السياسية التي بذلها الفلسطينيون في السنوات الاخيرة من أجل تحقيق امانتهم القومية ، كما ان الأبحاث التي ضمها الكتاب قد اتسمت بقدرة عال من الجدية والموضوعية .

مقال مستشار كارتر لشؤون الشرق الأوسط .

ومما تجدر الإشارة اليه في معرض الحديث عن مؤسسة بروكينغز ان التقرير المتعلق بتحقيق السلام في الشرق الأوسط وبور الولايات المتحدة في المنطقة قد نشر بنصه الحر في ربيع ١٩٧٧ ( انظر مجلة الحوادث ١٩٧٧/٤/١ ، العدد رقم ١٠٦٤ ) .

*Toward Peace in the Middle East:*  
Report of a Study Group, 1975.

وقيل في ذلك الحين ان الرئيس جيمي كارتر يستلهم سياسته في أزمة الشرق الأوسط من تقرير لجنة بروكينغز .

• William Quandt et al: *The Politics of Palestinian Nationalism* (A Rand Corporation Research Study), University of California Press, Berkeley: 1973).

• • ثمة كتاب آخر صدر عن مؤسسة بروكينغز الاميركية بعنوان : « القوة من دون الحرب : القوات المسلحة الاميركية كأداة سياسية » وهو من تأليف باري بلخمان وستيفن كابلن . ولقد اسهم كوانت في هذا الكتاب بفصل عن أزمة لبنان عام ١٩٥٨ . وقام « النهار العربي والدولي » ( ٢١ - ٢٧ أيار ، ١٩٧٩ ) بترجمة أهم ما جاء في

لذا يعمد كوانت إلى القيام بتحليل وتفهم وتفسير لعملية صياغة السياسة تجاه النزاع العربي - الإسرائيلي من خلال تشديده على دور الأزمة في تكوين آراء صانعي السياسة وعلى أهمية الزعامة الرئاسية في ترجمة المبادئ العامة إلى قرارات ملموسة .

ولكي تتضح الصورة أكثر يكرس كوانت الفصل الأول من كتابه لشرح المناظير الأربعة المختلفة ، والمتكاملة على تمايزها ، في عملية صنع القرارات بالنسبة للسياسة الأمريكية . وهي كما يلي :

**أولاً :** المنظور الاستراتيجي الذي يأخذ المصالح القومية بعين الاعتبار ، وغالباً ما يلجأ إليه صانعو القرارات من أجل تبرير سياساتهم .

**ثانياً :** منظور السياسات الأهلية أو الداخلية في تأكيده على دور الجماعات المصلحية وعلى دور الرأي العام والكونغرس الأمريكي في قبولية السياسة الخارجية وتوجيهها .

**ثالثاً :** منظور السياسات البيروقراطية في تركيزه على وظيفة الجهاز التنفيذي في رسم السياسات ووضعها موضع التنفيذ . ويمكن هنا عزو العمل الذي لا يقبل التفسير إلى المنافسة الديوانية والروتين الحكومي والتنظيمي أو للمفاوضات والمساورات بين الاجنحة والفئات القوية داخل جهاز الحكم : [وزارة الخارجية والنفاج ، وكالة المخابرات المركزية والبيت الأبيض ] .

**رابعاً :** منظور القيادة الرئاسية أو زعامة الرئيس الأمريكي ، حيث يبرز دور المقربين والمستشارين إلى جانب دور الرئيس في اتخاذ القرارات السياسية العليا .

ويعد أن يفيض في شرح هذه المناظير وتحليلها ينتقل إلى إبراز الدور الحاسم الذي تلعبه الأزمات في صنع القرارات . فيقول : « وتلعب الأزمات دوراً بالغ الأهمية في تنمية خطوط الاستهداء .. فالأزمات تتضمن من حيث تعريفها ، المفاجأة والخطر وتعزز الشك والريبة . وقد تعرض السياسات السابقة كسياسات متهاوية أو مفلسة .. ومن المهم أن نسجل أن الأزمات تستطيع أن تنتج تغييرات سياسية ذات شأن من نون أن تتسبب في إعادة تقييم شاملة لرؤى صانع السياسة .

وسنرى في حالة الدراسات التي ستلي ، نور الأزمات المهم في تعريف المشاكل وتحديدها بالنسبة

بالتقرير المرفوع إلى الكونغرس : وثيقة ساوندرز ) إن كوانت يبدي إعجابه بالبراعة التحليلية لدى ساوندرز ويفهم الثاني للقضايا ، لاسيما « إحساسه بالأبعاد الانسانية للنزاع العربي - الإسرائيلي ترك في نفسي تأثيراً عظيماً » .

يقول كوانت انه في القسم الأكبر من الفترة التي يتناولها كتابه « عقد من القرارات » كان يحاول التعرف الى السياسة الخارجية الأمريكية تجاه النزاع العربي - الإسرائيلي ، وان « اشرح وأشر هذه السياسة بقدر الامكان » . وهناك أمران ما برحا يؤثران في نفسه ايما تأثير : التعقيد الملازم للموضوع والمشاعر التي تكتنفه . وينتهي إلى التأكيد على أمور ثلاثة :

– كتب كوانت توطئة الكتاب في تموز ١٩٧٧ ، نون إقدامه على إدخال تعديلات تذكر منذ نفع المخطوطة إلى المطبعة ( اواخر ١٩٧٦ ) .

– يحاول كوانت – على حد قوله – استقراء السجلات والوثائق والمعلومات على نحو معقول ، ويون تحيز .

– تعمد كوانت الامتناع عن التأمل بالنسبة للسياسة في المستقبل ( « وربما كنت أقدمت على ذلك في ظروف أخرى بدافع الغراء » ) .

□

### كيف تصنع السياسة الخارجية الأمريكية ؟

السؤال عن كيفية صنع السياسة الخارجية وعن العوامل المؤثرة في ذلك يطرح أمامنا عنصرين بارزين من عناصر التركيز : (١) عملية صنع القرار و ( ٢ ) جوهر السياسة . وهذا يصدق بالنسبة للنزاع العربي - الإسرائيلي على العقد الذي اعقب حرب الخامس من حزيران ١٩٦٧ . ويؤكد كوانت في مطلع الفصل الأول ( المقدمة ) من كتابه على ان « صنع السياسة الخارجية هو عملية معقدة خصوصاً حين يتعلق الأمر بالشرق الأوسط . والعملية التي تصاغ بها السياسة تتضمن الجهود التي تبذل (١) لاعطاء معنى ودلالة للخليط المتنافر من الأحداث ، و ( ب ) لتعبئة الموارد وفقاً للمقاصد ، و ( ج ) لترجمة القيم الى قرارات ملموسة » . هذا بالإضافة إلى نور الإلهام في صنع السياسة واتخاذ القرارات .

يكتبه كوانت في مستهل الفصل الأول من دراسته ،  
نقرأ الفقرة التالية :

« ولا ريب في ان النزاع العربي - الاسرائيلي سيظل شاغلا من اكبر شواغل السياسة الخارجية الاميركية للسنوات المقبلة . وإذا كان لنا ان نستهدي بما كان في العقد الماضي ( ١٩٦٧ - ١٩٧٦ ) ، فان بوسعنا استباق ازمات خطيرة بين الدول العظمى قد تجرنا إلى شفير المواجهة ، وتجنب استخدام النفط كسلاح سياسي ، وتلافي ازواجية جزء من صانعي السياسة الاميركية وتنبؤهم حين يحاولون التغلب على مشاكل الشرق الأوسط العسيرة ، وربما المستعصية . إلى ان يقول ما مفاده ان الماضي وأحداثه وفهم الاثنان لا تشكل ضمانا في ان تأتي سياسة المستقبل اكثر تنورا أو اشد فعالية . والسؤال الذي لا مناص من إثارته هنا يتعلق باستخلاص العبرة من أحداث الماضي والافادة من منحاسها في تجنب الأزمات اللاحقة واستباقها وفي رسم سياسة الحاضر والراهن والمستقبل البعيد . من الصحيح انه يوجد جانب أخاذ في تاريخ السياسة الخارجية الاميركية حيال النزاع العربي - الاسرائيلي ، خاصة خلال الحقبة التي يغطيها كتاب « عقد من القرارات » ، لكن هل ينبغي على المحلل ان يكتفي بذلك فحسب ، مشيرا إلى عنصر الاشارة في المرحلة بالنسبة للتجربة الاميركية في الشؤون العالمية .

لننتقل إلى الفصول التالية من كتاب وليم كوانت ، علنا نحرز بعض التقدم في توضيح معالم الصورة التي يرسمها للأزمات التي حفزت صانعي السياسة الخارجية الاميركية إلى اتخاذ القرارات وإعلان المبادئ والتراجع عنها والازواجية في التنفيذ وتعهد الغموض والتباس المعاني ، بالإضافة إلى المجاهرة بشيء وتبطين التقيض تماما وإلى تنازع الصلاحيات والسلطات بين مختلف الأجهزة والمؤسسات البيروقراطية . وسوف يفاجأ القارئ بان مؤلف كتاب « عقد من القرارات » يقلل من أهمية بعض الأحداث البارزة ، مثل الغارة الجوية الاسرائيلية على سفينة التجسس الاميركية « لبيرتي » ودور اللوبي الصهيوني في اميركا ومحاولة تحجيم مسألة استخدام النفط العربي كسلاح سياسي في المعركة .

#### عشر سنوات من القرارات والأزمات

يتألف كتاب كوانت من تسعة فصول ، حيث تأتي

إلى الرؤساء ومستشاريهم ... وسنظهر كيف انه من الصعب إحداث تغييرات ، وسط الأزمات ، في السياسات المتحدرة من رؤى صيغت في غمرة الأزمات والتي تكون ممهورة بموافقة رئاسية .

ومما يسترعي الانتباه ، بعد هذا العرض السريع لمقدمة كوانت ، ان المؤلف يختم شروحاته وتحليلاته شبه النظرية بعبارة تحمل في طياتها شيئا من التصيب للمستقبل القريب ، حيث يقول : « وإذا كان النزاع العربي - الاسرائيلي سيرى الحل عبر مساعي الولايات المتحدة الاميركية الحميدة ، فان سجايا القيادة الرئاسية وشجاعتها سوف تكون عنصرا أساسيا في هذا الحل » .

#### الأزمات واتخاذ القرارات :

هناك ازمات أربع في الشرق الاوسط تخللت العقد الذي يمتد من العام ١٩٦٧ إلى العام ١٩٧٦ . وهي ازمات دولية حادة أو اتخذت طابعا دوليا . ومنها جاءت تسمية الكتاب بـ « عقد من القرارات » . فالسنوات العشر التي يتناولها وليم كوانت في تتبعه لعملية صنع القرارات بالنسبة للسياسة الخارجية الاميركية تجاه النزاع العربي - الاسرائيلي شهدت الأزمات الأربع التالية :

١ - الحرب العربية - الاسرائيلية في الخامس من حزيران ١٩٦٧ .

٢ - أزمة الأردن في ايلول ١٩٧٠ .

٣ - حرب تشرين ( اكتوبر ) ١٩٧٣ .

٤ - والحرب الأهلية اللبنانية خلال عامي ١٩٧٥ و ١٩٧٦ .

ومن المستغرب اشد الاستغراب ان يقول كوانت إثر تعداده لهذه الأزمات إن الولايات المتحدة « قد فوجئت ... في الأزمات الثلاث الأولى بالأحداث التي لم يكن يبدو أن لها إلا القليل من التحكم بها » . فالفصول التالية من الكتاب لا تعطي هذا الانطباع على الاطلاق . ومن المؤكد ان المؤسسات الحكومية الاميركية التي يناط بها أمر إدارة الأزمات (Crisis management) وتوجيه السياسة في ضوء المصلحة وعناصر الأزمة لم تفاجأ إلى هذا الحد بالأزمات المشار إليها . لا بل عمدت إلى التحكم في أحداثها من خلال التنسيق المستوحى من تلك « الشعور العميق بالتزام تجاه اسرائيل » . وما

سياسة ما بعد الحرب : حاول الحصول على السلام الكامل ، والأراضي يمكن مبادلتها في السابق الاخير لقاء الحصول على السلام .

الابقاء على اسرائيل قوية من خلال تزويدها بشحنات السلاح .

ويتناول الفصل الثالث : « مبادرات روجرز ، ١٩٦٩ - ١٩٧٠ » مسألة السياسة الخارجية الاميركية في ظل إدارة الرئيس نيكسون ، منذ تسلمه سلطاته الدستورية ( ٢٠ كانون الثاني ، ١٩٦٩ ) وحتى قبول الرئيس عبد الناصر بمبادرة روجرز ( ٢٢ تموز ١٩٧٠ ) . وهنا تجدر الإشارة إلى أن وليم روجرز أطلق مشروعه الأول في ٨ تشرين الأول ١٩٦٩ ، عقب تقديم النقاط التسع بصند الموقف الاميركي إلى غونار يارينغ في نيسان ١٩٦٩ ، ويده الحديث عن صيغة رونس . بينما يرجع تاريخ مبادرة روجرز إلى ٢٥ حزيران ١٩٧٠ ، وإعلانها في ١٩ حزيران .

لقد مرت السياسة الاميركية في ظل إدارة نيكسون ومستشاره لشؤون الأمن القومي . هنري كيسنجر ، بمرحلتين :

في السنة الأولى ( ١٩٦٩ ) كان على نظارة الخارجية ان تأخذ زمام المبادرة في التفاوض مع الاتجا السوفياتي من أجل التوصل الى مجموعة من المبادئ التي تتجهأ بشيء من التفصيل شروط التسوية . أما المرحلة الثانية ، فانها تبدأ مع فشل مشروع روجرز ومبادرته وتصعيد التورط السوفياتي في مصر ( مستهل العام ١٩٧٠ ) .

وهنا يشير كوانت في خاتمة هذا الفصل إلى انتصار آراء نيكسون وكيسنجر ، وكيف جرى ابعاد المسؤولين العاملين في نظارة الخارجية والداعين إلى اعتماد الانصاف في النظر إلى طري النزاع . لقد تم اقضاء هؤلاء عن خشبة المسرح . ( ص ١٠٤ ) .

وعندما ينتقل إلى تناول « أزمة الأزلين : ايلول ١٩٧٠ » ( الفصل الرابع ) يؤكد كوانت بانها كانت « في ذروتها اكثر صلوة بالعلاقات الاميركية السوفياتية منها بالنزاع العربي - الاسرائيلي أو الفلسطينيين » ( ص ١٠٥ ) . لقد نجحت إدارة الرئيس نيكسون في معالجة الأزمة ، من وجهة نظرهما . والمعروف ان انتخابات الكونغرس كانت على الأبواب بالنسبة للرئيس نيكسون في تشرين

المقدمة بمثابة الفصل الأول . ويحرص المؤلف في الفصل الثاني عن « الحرب العربية - الاسرائيلية في الخامس من حزيران ١٩٦٧ » على اعتماد البقة في شرح مراحل أزمة إغلاق مضيق تيران وحصار خليج العقبة ( أيار ١٩٦٧ ) وعلى التنبيه إلى أن الرئيس عبد الناصر لم يطلب حينذاك سحب قوات الطوارئ الدولية من المنطقتين الأشد حساسية ، وهما قطاع غزة وشم الشيخ . كما يشير إلى كون القيمين على اتخاذ القرارات في واشنطن قد استبعدوا منذ البداية خيارين اثنين : النظر في مسألة قيام الولايات المتحدة بعمل من جانب واحد ، وإطلاق العنان لاسرائيل كي تتصرف وفق اهدافها واطماعها . فالرئيس جونسون كان يسعى - على حد قول كوانت - إلى ضبط إسرائيل وكبحها إلى جانب السعي من أجل اعتماد حل متعدد الجوانب . والعبارة التي كثر ترددها في تلك الأيام والساعات : « إسرائيل سوف تكون وحدها فقط إذا ما سارت في طريقها بمفردها » أو إذا ما قررت السير بمفردها . ( ص ٥٢ ) .

وبين قمة غلاسبرو ( ١٩ حزيران ، ١٩٦٧ ) والتصويت على القرار رقم ٢٤٢ في الأمم المتحدة ( ٢٢ تشرين الثاني ، ١٩٦٧ ) تغير الموقف الاميركي . ومما اسهم في احداث هذا التبدل قرارات مؤتمر القمة العربي في الخرطوم ( آب ١٩٦٧ ) وفي طليعتها اللاءات الشهيرة : لا اعتراف ، لا مفاوضات ، لا صلح ، ولا تخلي عن حقوق الفلسطينيين . هنا يؤكد لنا كوانت ان الغموض والتباس المعنى في لغة القرار ٢٤٢ كان مقصوداً ، إذ تعدد واضعوا القرار المنكور استخدام اسلوب في التعبير يكتنفه الغموض ويمكن حمله على اكثر من معنى ، وطرحه على بساط التفسيرات والمساومات . ويلخص كوانت المبادئ الأساسية التي انطلقت منها السياسة الاميركية في كل مرحلة من مراحل الأزمة ( ص ٦٨ ) على النحو التالي :

إلزاميات ما قبل الحرب : لا استخدام اميركا للقوة من جانب واحد ، ولذا ينبغي على المسؤولين ان يحاولوا منع اندلاع الاشتباكات وتطوير إطار متعدد الجوانب لفك الحصار عن مضيق تيران .

سياسة زمن الحرب : ردع التدخل السوفياتي ، والبحث عن صيغة لوقف إطلاق النار نون العودة إلى وضع ما قبل الحرب ، لأنه كان وضعاً متسماً بالخطورة وعدم الاستقرار .

وفي ٢٩ أيار ١٩٧٢ توصل كل من غروميكو وكيسنجر إلى إعلان اتفاق على مجموعة من المبادئ الأساسية ( ص ١٥٠ ) ، بينما طلب السادات في ٨ تموز ١٩٧٢ سحب الخبراء السوفيات وأعلن قراره رسمياً في ١٨ منه . وفي ١٧ حزيران من العام نفسه حدث اقتحام المقر الرئيسي للحزب النيمقراطي في مبنى ووترغيت ، بينما تمت إعادة انتخاب نيكسون بنسبة ساحقة ( ٧ تشرين الثاني ١٩٧٢ ) . وفي ٢٧ كانون الثاني ، ١٩٧٢ جرى التوقيع على اتفاقية باريس حول فيتنام .

لقد أخذ هنري كيسنجر يصول ويجول وقامت استراتيجيته على إقصاء معاملة يارينغ : « السلام لقاء الانسحاب » لأنها لم تستهوه . واقترح مساعدوه إقامة توازن بين السيادة والأمن ، بينما أعاد هو طرح المعضلة على النحو التالي :

العرب يطلبون استرجاع الأراضي واحلال العدالة .

الإسرائيليون يطلبون السلام والاعتراف . ( ص ١٥٣ ) .

وفي ٢٢ آب ١٩٧٢ باهر الرئيس نيكسون إلى تعيين هنري كيسنجر ناظراً للخارجية ليحل محل وليم روجرز . فمأذاً حدث لعملية صنع القرارات والتنافس البيروقراطي ومبدأ التوازن ( إقرأ : التفوق ) العسكري . يقول كوانت في خاتمة هذا الفصل ما يلي :

« برهن التوازن العسكري على انه ليس مفتاح الاستقرار الاقليمي ومنع نشوب الحرب . ولقد تجاهل نيكسون وكيسنجر الأهمية المتزايدة للنقط العربي كعنصر في المعادلة الاقليمية ( ص ١٦٤ ) .

هنا يبرز الازدواج في المواقف والمبادرات : فمن جهة ، كانت نظارة الخارجية ترعى تحركات دبلوماسية من طراز « محادثات يارينغ » وفكرة التسوية المؤقتة لقناة السويس و « محادثات القرب » . بينما بلغ التنافس البيروقراطي أشده وتجسد في الخلاف بين روجرز وكيسنجر . ومن جهة ثانية كان الإطار المرجعي الأساسي الذي وضعه نيكسون وكيسنجر يشدد على امرين : (١) العلاقات الاميركية السوفياتية في المنطقة و (٢) الحاجة الى المحافظة على الميزان العسكري لصالح إسرائيل .

لقد بدأت السياسة الداخلية والأهلية تقحم على

الثاني ١٩٧٠ . وفي النهاية استقر رأي صانعي القرارات على اعتماد مثلث إقليمي للحفاظ على السلام في المنطقة : إسرائيل والأردن وإيران . وبذلك بدلا من الوجود العسكري الاميركي بنفقاته الباهظة أو التدخل العسكري غير المحبوب شعبياً في المنطقة - كما يشرح نك وليم كوانت - .

اما الفصل الخامس ، وعنوانه « دبلوماسية الجهود : ١٩٧١ - ١٩٧٣ » أو فترة اللاسلام والحرب . ويطلب وليم كوانت ان ينظر إلى هذه الفترة باعتبارها فترة الفرص الضائعة للحيلولة دون نشوب حرب وللتحرك نحو التسوية . « فقد شهدت فترة تجميد الأشياء على وضعها الراهن قيام فكرة التسوية المؤقتة Interim settlement في شباط ١٩٧١ . ثم جاءت رحلة هنري كيسنجر السرية إلى الصين ( تموز ١٩٧١ ) وانفتاح إدارة نيكسون على بكين . والمعروف ان ١٩٧٢ كانت سنة انتخابات رئاسية . فالبادرة الاميركية انحصرت بمحاولة التوصل الى اتفاق مؤقت حول قناة السويس . وفي ٤ ايار ١٩٧١ كان وليم روجرز أول ناظر خارجية اميركي يزور مصر وإسرائيل ، منذ زيارة جون فوستر دالاس عام ١٩٥٣ . ثم جرى في ٢٧ أيار من العام نفسه توقيع معاهدة الصداقة المصرية السوفياتية لمدة ١٥ عاماً . وراح الرئيس السادات يعلن « سنة الحسم » ، لكنه ما لبث أن تخل عن فكرة التسوية المؤقتة ، وأسهم في قمع الحركة الانقلابية في السودان ( تموز ١٩٧١ ) .

ويقول كوانت ان فشل اتفاق التسوية المؤقتة بشأن قناة السويس قد جاء ليضع حداً لهيمنة روجرز وسيسكوبوسفهما من صانعي السياسة الاميركية تجاه الشرق الاوسط . فقد برز هنري كيسنجر الى الواجهة ليتولى الزمام ، وطرح كلمة السر : « فليقدم السادات على طرد الخبراء السوفيات ، ومن ثم يمكن لمحادثات السلام ان تبدأ . والمقصود هنا صيغة المحادثات المعروفة بـ « محادثات القرب » ( في المكان والزمان ) Proximity talks .

وفي السنة التالية ( ١٩٧٢ ) توالى الأحداث على النحو التالي : قام الرئيس نيكسون في اواخر شباط ١٩٧٢ بزيارة بكين ، ومن ثم انتقل الى موسكو ( ايار ١٩٧٢ ) ليدشن بعد ذلك سياسة الانفراج الدولي ، وتأخذ الادارة الاميركية بالرجوع إلى تصور « الارتباط » أو الربط « Linkase » السذي استرشدت به ميانرة روجرز وسيسكو عام ١٩٦٩ .

١٩٧٠ إلى ١٩٧٢ . وثانياً ، أدت الى افتتاج مراجعة رئيسية واعادة نظر جوهرية في تلك الافتراضات ضمن فترة زمنية قصيرة .

ومن استخلاصات كوانت : ان السياسة الاميركية نحو النزاع العربي - الاسرائيلي قد تأثرت جوهرياً بأحداث حرب تشرين ١٩٧٣ . فالاعتقاد السائد على نطاق واسع قبل اندلاع الاشتباكات كان يعتبر الاستقرار في الشرق الاوسط مضموناً بواسطة التفوق او السيطرة العسكرية الاسرائيلية ، وانه من المتعذر استخدام النفط العربي كسلاح للضغط على الغرب ، وان النفوذ السوفياتي في المنطقة قد بلغ حده . لكن كوانت يسارع إلى التنبيه بان من الخطأ القول ان الولايات المتحدة الاميركية انقلقت من جراء النتائج التي أفرزتها حرب اكتوبر ١٩٧٣ من انتهاج سياسة موالية ومؤيدة لاسرائيل إلى تدشين سياسة عربية الميول . ماذا حدث إذا ؟

لقد جاءت حرب اكتوبر ( تشرين الأول ١٩٧٣ ) لتزعزع الامثولة التي عززتها أزمة الاردين في ايلول ١٩٧٠ ( ص ٢٠٠ - ٢٠١ ) ومن المؤكد - كما يستنتج كوانت - ان الحرب تحدث العبيد من الافتراضات الاساسية لصانعي السياسة الاميركيين ، وهي افتراضات كانت تلعب دوراً محورياً في السياسة الخارجية قبل الحرب . ما هي الافتراضات المتزعزعة ؟

#### تزعزع الافتراضات ، والنقلة

هناك افتراضات ثلاثة تزعزعت من جراء حرب اكتوبر ١٩٧٣ ، مما أدى الى وضع السياسة الاميركية امام تحديات جديدة . وهي كالاتي :

**أولاً :** القوة العسكرية الاسرائيلية لم تضمن الاستقرار ، كما كان متوقفاً في اوساط صانعي القرارات بعد العام ١٩٦٧ .

**ثانياً :** الوفاق الاميركي - السوفياتي ( الانفراج الدولي ) يمكن استخدامه للتقليل من خطر النزاعات الاقليمية . لقد تبين ان عمق الالتزام لدى كل جانب أو طرف نولي حال دون السماح

صنع السياسة الخارجية ، وعاشت ادارة نيكسون مرحلة من التعاون بين اسرائيل والولايات المتحدة بسبب أزمة الاردين ( ايلول ١٩٧٠ ) . بينما راح كيسنجر ينظر الى اسرائيل باعتبارها مصدر قوة استراتيجي Strategic Asset واصبح السيناريو جاهزاً للتحرك التالي ، والأزمة الثالثة خلال عقد القرارات . يقول كوانت : « كان لا بد من نشوب حرب اكتوبر ( تشرين ، ١٩٧٣ ) لتغيير سياسة الولايات المتحدة ولتوريث نيكسون وكيسنجر كلياً في مسألة البحث عن تسوية عربية - اسرائيلية ! ( ص ١٦٣ ) .

#### الحرب فاجت معظم العالم

يتناول كوانت في الفصل السادس من كتابه « حرب تشرين - اكتوبر - ١٩٧٣ » ، لكي يخصص الفصل السابع لعالجة « دبلوماسية الخطوة خطوة » والمكوكية التي اشتهرت عن هنري كيسنجر . بينما يأتي الفصل الثامن لي طرح مسألة ما وراء فك الارتباط ويتوقف عند سياسة الرئيس جيرالد فورد تجاه الشرق الاوسط . والفصل التاسع والآخر من الكتاب يتضمن بعض الاستنتاجات التي يستخلصها كوانت من الأحداث والأزمات التي شهدتها العقد الماضي من القرارات والمواقف . والحق يقال إن هذه الأزمة تندرج بسهولة في الخانة التي يسعى وراءها تحليل وليم كوانت للآزمات وبورها في صنع القرارات .

يقول كوانت في مطلع الفصل السادس إن « الآزمات ، بطبيعتها ، تفضح أو تكشف الافتراضات السائدة عن الواقع بطرق حادة خاصة . وحين يجد صانعو القرارات انفسهم وجهاً لوجه امام الخطر والمفاجأة والريبة ، فانهم يتصرفون على اساس تصورات للواقع قد تمت صياغتها سابقاً » ( ص ١٦٥ ) . وحرب تشرين ١٩٧٣ كانت هامة بصورة مزبوجة كموضوع للدراسة التي ينشدها كوانت . فهي ، اولاً ، قد كشفت عن الافتراضات الكامنة وراء السياسة الاميركية تجاه النزاع العربي - الاسرائيلي من

شباط ١٩٧٨ . تناولت مقدمة الكتاب بالإضافة الى الفصول ٨ و٩ . والملاحظ ان الفصل التاسع والآخر تعرض لشيء من التسوية في سياقه وترتيب فقراته وفقاً لتسلسلها الموضوعي .

\* نشير هنا إلى ان النهار العربي والدولي قامت بنشر بعض فصول الكتاب التي ترجمها إلى العربية نصير مروة . فالحلقات التسع التي نشرها الملحق ابتداء من ١٠ كانون الأول ١٩٧٧ وحتى ٤

وحين بادركيسنجر الى تشيخين دبلوماسية الخطوة خطوة وباشر القيام في رحلاته الموكبية ، بدأت الولايات المتحدة تلعب دور الوسيط . يقول كوانت في معرض تقويم هذه السياسة ما يلي : « إن سياسة نيكسون - كيسنجر قد أمكن النظر إليها بوصفها موالية لاسرائيل . وموالية للعرب . وموالية للوفاق الدولي أو مناوئة للسوفييات : وذلك تبعاً للشئ الذي كان المرء يبحث عنه » ( ص ٢٠٥ ) .

ومن الاستنتاجات التي يتوصل إليها كوانت في دراسته عن القرارات وصنعها إبان الازمات ان صانعي السياسة الاميركية قد افراطوا أحياناً في تقدير مركزية الوضع الكوني ( الدولي ) لدى تعاملهم مع ازمات الشرق الاوسط ، وغالباً ما جرى ذلك على حساب فهم بقيق للتطورات الاقليمية .

ففي الفصل الاخير من كتابه يتحدث كوانت عن السلام المرحلي والدروس المستفادة من الماضي وبعض التصورات الخاطئة أو المغلوطة ، هذا بالإضافة الى اطار للسلام والدور الاميركي في التسوية والخطوط الاستراتيجية للمستقبل . طبعاً هناك إشارة واضحة الى تقرير لجنة بروكينغز وإلى خطأ المفهوم النيكسوني في الربط Linkage والقائل بإمكانية إبعاد السوفييات عن اصقاعهم في الشرق الاوسط لمصلحة الوفاق والانفراج الدوليين ، وكذلك خطأ الاعتقاد القائل بأنه يمكن الحيولة دون نشوب حرب من خلال الحفاظ على توازن عسكري يميل لمصلحة اسرائيل ، وخطأ الاعتقاد بأن عنصر الوقت يعمل لمصلحة السلام . إلى ان يقول بضرورة التوصل إلى حمل القاهرة وبمشق والرياض والقدس على اتخاذ قرارات السلام وليس في موسكو أو واشنطن .

ان كوانت لا يخفي امتعاضه من مفهوم « التسوية الاجمالية » Package Settlement ، وتفضيله للحل المرحلي في إطار من المبادئ المتفق عليها . فهو ينبه إلى صعوبة تجاهل الفلسطينيين ويسجل أثرهم البعيد في الازمات التي يعالجها الكتاب ، إلى ان يقول :

« إنهم لا يملكون ما يقمونه من تنازلات سوى تنازل واحد كبير ، الاعتراف باسرائيل ، لكنهم لا يستطيعون لعب هذه الورقة سوى مرة واحدة ، وبالتالي فإنها ورقة تلعب في آخر اللعبة لا في اولها ، هذا إذا لعبت » .

وفي السياق النهائي ، ترسو المسألة عند مقام

بتضحية اصنقائه في سبيل روح الوفاق والانفراج . اي ان المصالح المحلية والمموسة قد فازت على التجريدات الكونية عندما وضعت على المحك .

ثالثاً : الموقف السائد نحو العالم العربي والذي اتخذه صانعو السياسة من أزمة المنطقة ، هذا الموقف جاءت الحرب لتتحده . فالمصريون والسوريون أبلوا بلاء حسناً في القتال . واستفادوا من عنصر المفاجأة في الهجوم الاول . ودرجة التضامن العربي كانت تبعث على الاعجاب . أما استخدام سلاح البترول فقد كان منسقا بشكل جيد مع التحركات الدبلوماسية والعسكرية . وتجلت نغمة ضبط النفس في التصريحات الخاصة والعامة .

هنا يشير كوانت إلى حدوث تحول أو نقلة في السياسة الاميركية ، حيث جاء ذلك على صعيدي الكم والنوع . كيف تفسر هذا التحول ؟ هناك ما يغري الباحث - على حد قوله - بالسعي للعثور على تفسيرات لهذا التحول في ميدان السياسة الداخلية أو مجال البيروقراطية، أو في التكوين السيكولوجي للأفراد المعنيين بالموضوعات المتكررة على الدوام خلال هذه الأزمة كانت : فضيحة ووترغيت وأزمة الطاقة . ويقول كوانت في معرض تحليله لهذه الظاهرة التي تجلت في صعود نجم هنري كيسنجر بأن :

« فترات الازمات تميل بنوع خاص إلى عزل صانعي السياسة عن الضغوط الداخلية والاهلية ... والقرارات كانت استجابات لأحداث خارجية بدا أنها تتطلب العمل الملح والمتسارع » ( ص ٢٠٣ ) .

أما مفتاح الاجماع الذي تبدي لدى كبار المسؤولين الاميركيين وصانعي القرارات السياسية فمرده الى قدرة هنري كيسنجر على ان يستمد ويعرف من سلطة الرئيس نيكسون « . ويجب اعتبار كيسنجر في هذه الحالة « امتداداً للرئيس » . إذ كان وجده على اتصال مباشر ومستمر بالرئيس نيكسون . بينما جاءت حرب أكتوبر لتظهر مجدداً محورية دور الرئيس الاميركي في صنع السياسة الخارجية ، خاصة إبان الازمات ( ص ٢٠٤ ) . والحق يقال ان هذه العبرة المستخلصة لطلعنا في جميع فصول الكتاب ، اي الدور المحوري للزعامة الرئاسية الاميركية في صنع السياسة الخارجية واتخاذ القرارات خلال الازمات .

الخيارات الصعبة في تعامله مع النزاع العربي - الاسرائيلي ، لكنه لن يملك خيار البقاء لا مباليا » .  
( ص ٣٠٠ ) .

يعيننا هذا التحدي المشهود إلى المستقبل من حيث بدأنا في التساؤل عن كيفية صنع القرارات وبور الأزمات في بلورة القرار ، والمناظير المختلفة في تناول الموضوع . ومما لا ريب فيه ان منصب الرئاسة يشكل مركز الثقل في السياسة الخارجية مدعوما بالطبع من جانب مجلس الأمن القومي ومستشاري الرئيس لشؤون الأمن القومي . وليس بمستغرب أو مستبعد ان يكون كوانت قد اغفل هذه الناحية أو لم يمنحها القدر الكافي من التركيز والاهتمام - إلا بالنسبة الى الثنائي : نيكسون - كيسنجر . وإذا صح انه سوف ينصرف في اعقاب استقالته من عضوية مجلس الأمن القومي الاميركي إلى وضع كتاب عنوانه « لماذا يعجز الرئيس الاميركي عن الضغط على اسرائيل في سنة الانتخابات ؟ » - فأننا نتوقع الكشف عن المزيد من ملامسات وخلفيات صنع القرارات ، لاسيما ابان تلاحق الأحداث ونشوب الازمات .

اسعد رزوق

الزعامة الرئاسية الاميركية . فالرئيس الاميركي مدعوبينظر كوانت إلى أخذ زمام المبادرة للحيلولة بون وقوعه اسيرا لتعريف محبوب للوضع . وعليه ، للخروج من ذلك ، ان يعلن ترحيبه بمجموعة من الرؤى والمناظير . كما ينبغي له ان يعدد إلى اعادة النظر ، نوريا ، في المقدمات التي تستند اليها السياسات الاميركية . وهنا يجدر بنا التذكير ان كوانت يكتب هذه الآراء قبل زيارة السادات للقدس وقيل اتفاقيات كامب دافيد ، كما قبل تقديم استقالته من مجلس الأمن القومي .

ولكي لا نطيل هذه المراجعة اكثر ، فلا بأس من التشديد على الدور الذي يرسمه كوانت للزعامة الرئاسية الاميركية ، حيث يقول :

« وفي نهاية المطاف ، ان امتحان الزعامة هو في تأليفها بين الرؤية والفهم للقضايا المحسوسة . وليس ثمة مكان في العالم للزعامة فيه دور اساسي في تحقيق السلام مثلما لها في الشرق الاوسط . وليس ثمة طرف - ربما لسوء الحظ - اكثر تلاؤما مع دور صانع السلام بين العرب واسرائيل ، من رئيس الولايات المتحدة . وواضح ان هذا التحدي ضخم ، وان الاخطار كبيرة وان احتمالات الفشل هامة ... وستكون أمام رئيس الولايات المتحدة مجموعة من

## خالد العراقي

لا اعرف اذا ما كنت تسمعي ، وانت في نعشك ، ملتفاً بذلك العلم الذي يخيف هذه الجغرافيا . لا اعرف إذا كنت تسمع صخب الحناجر ، الصخب المبارك للهاتف الذي فجره كاتم صوت رخيص ، ومسدس من عيار ٧ مم . لقد كنت رسالتهم الينا ، رسالة وعيد خفي ، وكان غضبنا ، إذ شيعناك ، رسالة وعيد معلن .

لا باس يا صديقي خالد ، لا باس ، فليس من حق احد منا ان يتفجع عليك . وكيف نتفجع ونحن ذاهبون الى العذوبة ذاتها التي شملتك برداء الشهادة ؟ وكيف نتفجع على احدنا ، وقد اخترنا ان تكون الفجيرة التي تخلخل هذا الكهف العربي ؟ . انت ذاهب الى سمرك هناك ، حيث ينتظرك طلال ورشاد وعزيز ، وها نحن في سمرنا ، وحولنا الغضب والبنادق ، فاي كاتم صوت كان ذلك الذي بارك لك في سمرك ، وبارك لنا في اشتعال الحناجر ، لنقول لهم من « فتح » ، ومن المعقل الصغير الأخير للحرية ، انك حي حي ، وها انت تتطلع الى قاتلك باعيننا ، وتتقرى بايدينا سلاح الصرخة .

لا ، لا يا صديقي خالد ، يا كوبا من الشاي العراقي ، لا ، لم يقتلوك ، بل اندروا شعبا ... ومن ذا ينذر شعبا ، يا صديقي ، بكاتم صوت ، او بطلقة من عيار ٧ مم ؟ اووه ، لا اعرف قاتلك ( اقصد الشخص الذي ضغط الزناد ) ، لكنه ترك اثرا ذا رائحة لا تخفى على احد ، رائحة ذات رنين كرتين الدرهم المعدني ، وترك صورته في عينيك ، حين ربت على كتفك فاستدرت فاطلق طلقاته التي اشعلتنا . وها نحن إذ ننظر الى صورتك نرى الصفة التي عقدت في مبنى فخم ، نرى مكافاة القاتل وجواز سفره الذي يحمل ختم الجحيم .

□

عزيزي خالد :

كنت اخي في « فتح » ، لكن المصادفة جعلتك جاري ايضا ، في المبني ذاته ، على علو ست عشرة درجة من شقتي ، ست عشرة درجة تموج كالفرات كل يوم ، حين أرى طفلك البكر صاعدة او هابطة الى بيت جدنا لصق شقتي ... اه كم هي جميلة طفلك يا خالد ، وجميلة طفلك الصغير التي لم تكتمل ملامحها بعد . لقد وعدت زوجتك عطايف ان تحمم طفلك بيدك نهار الاحد ، لكنك ضننت عليها يا خالد ، وغسلت الشارع كله بدمك . لا باس ، لن تعاتبك على هذا ، يقينا لن تعاتبك على إخلالك بوعدك يا خالد، إنما قلقها عليك أن لا تعتني بنفسك هناك ، في « عمارة الشهداء » ، العمارة المنبسطة أفقيا ، ذات الشقق الصغيرة المتلاصقة كحروف الكتابة ، والتي ترفرف من فوقها غصون الشجر والأكباد .

سلاما خالد ،

لا نعرف متى يجيء دورنا ، إنما سلاما سلاما خالد .

سليم بركات

## عرب النقب الضحية الاولى لمعاهدة السام المصريّة - الاسرائيليّة

يتعرض عرب النقب في الآونة الأخيرة إلى هجمة شرسة تشنها السلطات الاسرائيلية ضدهم ، لتنفيذ مخططاتها التي تستهدف اقتلاعهم بشكل نهائي مما تبقى لهم من اراضيهم ، وحشرهم في « غيتوات عمل » بحجة التطوير والتعمير ، وبإدعاء ان « تطوير » النقب الشمالي ، والذي يشكل « محمية بدوية » قد أصبح « ضرورة قومية بعد اتفاقات كامب ديفيد بين اسرائيل ومصر » ( هارتس ، ١٩٧٩ / ٣ / ١٣ ) ، وبعد « تبلور المشاريع لاختلاء سيناء ونقل منشآت الجيش الاسرائيلي الى النقب » ( المصدر نفسه ، ١٩٧٩ / ٣ / ٢ ) .

### لمحة تاريخية \*

ولكي ندرك ما يتعرض له الـ ٤٥ الف عربي في النقب ، لا بد من القاء نظرة إلى الوراء ، نستعرض فيها التطور التاريخي الذي أدى إلى « هذا الوضع المزرز والخطير في الحاضر » ( المصدر نفسه ) ، والذي يشكل الاحتلال الاسرائيلي للنقب عام ١٩٤٨ بداية له .

كان عدد السكان العرب في النقب قبل احتلاله حوالي ٦٦ ألف نسمة ، ينتمون إلى سبع قبائل رئيسية هي : الطرابيين والتيامة والعزازمة والحناجرة والجبارات والسعديين والحيوات ، كان معظم افرادها يعيشون في مراحل متباينة من الانتقال إلى الحياة المستقرة وترك حياة البداوة ، أو كانوا قد بدأوا فعلا في تطوير الزراعة وفلاحة الأرض ، إلى جانب اعتمادهم على الرعي كمصدر اساسي للرزق . وكانت هناك « مناطق محددة يقيمون عليها ويستفيدون منها في الزراعة والرعي » معترف بها رسميا ، و « مدونة في خرائط فلسطين » ( الاتحاد ، ١٩٧٩ / ٣ / ٦ ) .

ومع الاحتلال الاسرائيلي للنقب عام ١٩٤٨ ، اجلي الكثيرون من مواطنيه العرب عن اراضيهم ومساكنهم ، فمنهم من هجر قسراً ومنهم من فر هرباً ، خوفاً من انتقام القوات الاسرائيلية ، إلى الأردن ومنطقة الخليل وقطاع غزة وسيناء المصرية ، وخاصة « أولئك الذين اشتركوا في المبارك ضد ... القوات [الاسرائيلية] » ( عمانوئيل ماركس ، هاحقراه هايدويت بلانيفيف، المجتمع البدوي في النقب ، ص ١١ ) . إلا أن سلطات الاحتلال الاسرائيلية لم تكتف بما لحق بأولئك البدو من تشريد وتمزيق بسبب الحرب ، بل عملت على اجلاء قبيلتي العزازمة والطرابيين ، عام ١٩٥١ ، وحشر افرادهما مع قبيلة التياهة وبعض العشائر القبلية المتبقية في « منطقة عسكرية مغلقة ، ولم يسمح لهم بفلاحة ارضهم التي كانوا يعيشون عليها منذ اجيال واجيال ، واجبروا على ضمان ارض بعقود سنوية » ( هارتس ، ١٩٧٩ / ٣ / ٢ ) وكان عرب النقب الذين اقتلعوا من ارضهم يعتقدون أنه سوف يسمح

\* انظر أيضاً شؤون فلسطينية ، العدد ٨٥ ص ١٥١ .

لهم بالعودة إليها ، مع إلغاء الحكم العسكري ، « إلا أن اعتقادهم هذا سرعان ما تبديد » ( المصدر نفسه ) ، فظلوا يعيشون تحت الحكم الاسرائيلي « بعيدين عن ارضهم الاصلية » . ولكنه على الرغم من التغييرات الاساسية التي طرأت على نهج حياتهم طيلة هذه الفترة لم « يتغير لديهم [ شيئاً واحداً ] : وهو الارتباط العميق بأرض النقب التي يعيشون عليها منذ أجيال وأجيال » ( المصدر نفسه ) .

وفي عامي ١٩٦٦ - ١٩٦٧ ، أعدت سلطات الاحتلال الاسرائيلية مخططاً آخر ، في اطار خطة شاملة ، لسلب البيدوما تبقى من ارضهم وتهجيرهم بحجة التمدين ، باعتمادها مشروعاً « لاقامة ١٢ قرية في النقب لتوطينهم .. » ( المصدر نفسه ) . إلا أن عرب النقب قاوموا هذا المخطط ، ولم ينفذ من مشروع الاثنتي عشر قرية المزمع اقامتها سوى « ثلاث قرى فقط ، وهي تل شيبوع [تل السبع] وكسيفا [الكسيفة] وراهط » ( المصدر نفسه ) . ورغم اتمام سلطات الاحتلال بأن هذا المشروع قد نجح ، غير ان هذا الاعاء لم يكن « سوى نذر رماد في العيون » أو ، أن الغالبية الساحقة من العائلات التي تم توطينها في هذه القرى « ليست عائلات بدوية خالصة من التي عاش اجدادها في النقب ويطلبون بحق الملكية على اراضيهم » ، وانما هي عائلات « ملحقة بالبدو » ( المصدر نفسه ) ، ولذلك « تفجر مشروع اقامة القرى وتوطين البدو على صخرة كبيرة ، هي ملكية الأراضي » ( المصدر نفسه ) .

### ملكية الأراضي

كان مشروع توطين البدو قد كشف لعرب النقب الذين اقتلعوا من ارضهم عام ١٩٥١ ، أن سلطات الاحتلال الاسرائيلي قد « سجلت اراضيهم وكأنها ملك دائرة التطوير » ( الاتحاد ١٣/٣/١٩٧٩ ) . ولذلك بدأوا يطالبون اسرائيل بتسوية قضية اراضيهم والاعتراف بحق ملكيتهم لها ، وحين راحت السلطات تماطلهم في ذلك « وبدأوا يلحون على انجاز هذه التسوية بشكل اكثر حدة » ، ويعملون ضد « الخطط لسلبنا اراضيها » ( هارتس ، ٢/٣/١٩٧٩ ) ، أمليين ان يتم انقاذ الأرض التي تعمل السلطات الاسرائيلية على نزع ملكيتهم عنها ، إذ أن التجارب علمتهم أن « كل مشروع تطوير في النقب يجر خلفه مصادرة اراضيهم على يد الدولة » ( المصدر نفسه ) ، إلا أن السلطات كانت قد لجأت إلى المراوغة والمماطلة والتسويف ، ومختلف اشكال الضغوط « لحمل عرب النقب على التنازل عن اراضيهم » ( الاتحاد ، ١٣/٣/١٩٧٩ ) ، فظل البحث في هذه القضية « يسير بخطى سلفاء » ( هارتس ، ٢/٣/١٩٧٩ ) . وأما اللجنة التي شكلت لهذا الغرض ، والمؤلفة من رجال السلطة في غالبيتها ، فلم « تتقدم بتوصياتها الا في ٢١/١/١٩٧٥ » ( المصدر نفسه والاتحاد ، ١٣/٣/١٩٧٩ ) . وكانت هذه التوصيات قد كشفت عن حقيقة ما تبنته السلطات الاسرائيلية من نهج فاضح لأراضي عرب النقب متذرعة بالقانون والقضاء .

### القضاء في خدمة السلب

وجد عرب النقب أنفسهم يواجهون ، بموجب التوصيات المشار إليها ، عقبتين « قانونيتين » اثارتهما السلطات الاسرائيلية لاضفاء الطابع القانوني على عملية السلب هذه ، وهما :

١ - « تحديد نوعية الأرض في النقب بموجب القانون العثماني لعام ١٨٥٨ » .

٢ - « قانون امتلاك الأراضي [المصادقة على الأعمال والتعويضات] لعام ١٩٥٣ ، وهو قانون اسرائيلي » ( الاتحاد ، ١٣/٣/١٩٧٩ ) .

وتدعي السلطات الاسرائيلية ان « ملكية الأراضي كلها في النقب تعود [للدولة] بعد تصنيف النقب كله كأرض غير صالحة للزراعة ، [من صنف] موات وفقاً للقانون العثماني لعام ١٨٥٨ » ( هارتس ، ٢/٣/١٩٧٩ والاتحاد ، ١٣/٣/١٩٧٩ ) . والأرض الموات في هذا القانون هي الأرض التي لم يقلحها أحد ولم تعط لأحد . وكان هذا القانون قد اشترط على كل من يحيي أرضاً مواتاً ان يسجلها على اسمه في الطابو ارضاً ميري . ثم جاءت الحكومة البريطانية الانتدابية في فلسطين لتسن مرسوماً يتعلق بالأرض الموات عام ١٩٢١ « حظر بموجبه احياء الأرض » وطلب إلى كل من أحيأ أرضاً من هذا الصنف ، قبل صدور المرسوم ، ان يسجلها على اسمه في فترة لا

تزيد عن شهرين من موعد صدوره وتم ذلك على الرغم من ان الظروف الاجتماعية التي كانت سائدة بين القبائل العربية في النقب ، في حينه ، لم تمكن أولئك العرب من تسجيل كل أرض أحيوها على اسمهم في دائرة الطابو ، ويضمن ذلك الأراضي التي كانوا قد امتلكوها بالوراثة أو اشتروها بموجب عقود متعارف عليها آنذاك . وخاصة فيما يتعلق بأحياء الأرض الموات للفترة القصيرة جداً التي حددها المرسوم الانتدابي .

و « الطريف » في القضاء الاسرائيلي انه يعتبر تاريخ تحديد نوعية الأرض - موات - كما كانت عليه عام ١٨٥٨ ، أي عام صدور القانون . كما ان السلطات الاسرائيلية عملت على الاستفادة من القانون العثماني وبالتالي المرسوم البريطاني وسعت إلى تنفيذهما حرفياً ويتشدد لم يعرف من قبل لاضفاء الشرعية القانونية على عملية سلب الأرض على عكس السلطات العثمانية وكذلك البريطانية التي لم تتشدد في تحديد نوعية الأرض وفي ما يتعلق بموعده تسجيلها ، كما لم تحاول التشكيك في ملكية تلك القبائل ، ولم تسع إلى نزع ملكيتهم للأرض وحرمانهم من التصرف بها . وفي عام ١٩٦٩ الغي العمل بموجب القانون العثماني فيما يتعلق بالأراضي والعقارات . ومنذ ١٩٧٠/١/١ نص القانون ( المادة ١٥٥ من قانون العقارات الاسرائيلي ) على أن الأرض ، التي اعتبرت أرضاً مواتاً عشية سريانه ، ينبغي ان يشمل على اسم الدولة . وهكذا تم نقل ملكية كل أرض اعتبرت أرضاً مواتاً إلى « الدولة الا الأرض التي استطاع صاحبها اثبات تسجيلها على اسمه بموجب القانون العثماني أو البريطاني » ( الاتحاد ، ١٣/٣/١٩٧٩ ) .

أما قانون امتلاك الأراضي ( المصادقة على الأعمال والتعويضات ) لعام ١٩٥٣ ، فقد جاء ، في حينه ، ليتم ما لم يتجز القانون العثماني والرسوم البريطاني . وقد جرى استخدامه ضد عرب النقب بهدف اضعاف الشرعية على « مصادرة الأرض المسجلة في الطابو ، سواء كانت أرض ملك أو ميرى » ، إذ أن الكثيرين من عرب النقب « يملكون وثائق رسمية تثبت ملكيتهم للأرض » ( المصدر نفسه وهارتس ، ١٩٧٩/٣/٢ ) . وقد أجاز هذا القانون نقل أية أرض إلى « ملكية دائرة التطوير وتسجيلها على اسمها في الطابو » ، إذا قدم وزير الزراعة شهادة تؤكد توفر ثلاثة شروط بالنسبة لها ، وهي :

١ - « أن تلك الأرض لم تكن تحت تصرف أصحابها - مالكيها في يوم ١/٤/١٩٥٢ . ٢ - أن الأرض قد استخدمت في الفترة بين ١٤/٥/١٩٤٨ و ١/٤/١٩٥٢ ، أو خصصت لأغراض التطوير الحيوية أو الاستيطان أو الأمن . ٣ - أن الأرض مطلوبة لأحد هذه الأغراض » ( الاتحاد ، ١٣/٣/١٩٧٩ ) . مع العلم أن مئات الآلاف من الدونومات التي يمتلكها البدو ( وغيرهم في مناطق أخرى أيضاً ) لم تكن بالإمكان أن تكون تحت « تصرف أصحابها - مالكيها » في يوم ١/٤/١٩٥٢ ، لأن سلطات الاحتلال كانت قد اقتلعتهم من أراضيهم وحشرتهم في لجمية مغلقة ، تحت سيطرة الحكم العسكري عام ١٩٥١ .

ولكن القضاء الاسرائيلي لم يكتف بهذا ، بل قررت محكمة العدل العليا الاسرائيلية ، في أيار ١٩٥٤ ، أن « شهادة الوزير [بحد ذاتها] تشكل دلالة قاطعة لتوفر تلك الشروط الثلاثة المحددة في القانون » . وأن المحكمة « لا تجد داعياً لفحص الأمر » ( المصدر نفسه ) . ويكفي ان نشير إلى أن وزير المالية قد « أصدر في الفترة بين ٢٠/٣/١٩٥٢ و ٢٠/٤/١٩٥٤ - أي خلال سنة - ٤٦٥ شهادة تتعلق بالأرض » ( الاتحاد ، ١٣/٣/١٩٧٩ ) وذلك وفقاً لما جاء في « تقرير مديرية عقارات اسرائيل لعام ١٩٧٠ - ١٩٧١ » تم بموجبها « مصادرة ما يزيد عن مليون و ٢٢٥ ألف دونم من الأراضي العربية » ( المصدر نفسه ) .

### اخلاء سينا من الاسرائيليين ، واخلاء النقب من العرب

مع اخلاء ونقل منشآت جيش الاحتلال الاسرائيلي من صحراء سيناء الى النقب ، وفقاً لعاهدة السلام المصرية الاسرائيلية المنفردة ، تصل مأساة عرب النقب الى ذروتها ، إذ انه « لا يوجد أدنى شك في ان عملية انتشار الجيش الاسرائيلي في النقب ستتمس غالبية البدو في نهاية الأمر ، وربما جميعهم ، والبالغ عددهم ٤٥ ألف نسمة » ، حيث يبدو انه « لا بد من اخلائهم مرة أخرى وتوطينهم من جديد » ( هارتس ، ٢٧/٢/١٩٧٩ ) . وسيكون « ابناء قبيلة الظلام ، البالغ عددهم ٦٠٠٠ نسمة ، والمركزين الى الشمال الشرقي من بحر السبع هم الأوائل الذين سيتم اجلاؤهم » ، إذ أن هذه المنطقة بالذات هي التي « خصصت لاقامة مطار عسكري ومدني كبير » ( المصدر

نفسه ) . وقد تم « اخطار البدو في هذه المنطقة بالجملاء من تلقاء أنفسهم خلال ثلاثة أشهر - أي حتى نهاية شهر حزيران من هذه السنة - إلى إحدى المراكز المدنية المعدة لهم في النقب » ( المصدر نفسه ، ودافار ، ١٩٧٩ / ٤ / ٤ ) .

وكانت أعمال البناء في هذا المطار العسكري قد بدأت بالفعل في « المنطقة التي تدعى تل ملحاحا [تل المالحة] » ، التي تبلغ مساحتها ٨٠ ألف دونم « ( هارتس ، ١٩٧٩ / ٣ / ١٢ ) . وتمتد هذه المنطقة من منحدرات جبال الخليل وحتى حدود مستوطنة دعيونا إلى الشرق من بئر السبع ، و « يعيش فيها حوالي ٦٠٠٠ بدوي من قبيلة الظلام ، المؤلفة من ربيع عشائر أساسية هي أبو جويعد وأبو قرينات وابن عرار وأبو عمار ، والمنتشرة في ٣٦ نقطة تجمع ، مؤلفة من ٢٠١ بناء صلباً و ٣٠٤ بناء خفيفاً و ٥٩ خيمة ومدرسة وعبادة ومقبرة » ( المصدر نفسه ومعاري ، ١٩٧٩ / ٣ / ٢ ) . ومن الثابت تاريخياً أن قبيلة الظلام « تقطن منطقة تل المالحة هذه ، والتي تنوي السلطات الاسرائيلية طردهم منها ، منذ أكثر من ١٥٠ سنة » ( المصدر نفسه ) . وكان هذا ما أثبتته ، أيضاً الباحث الاميركي انوارد روبنسون الذي « مر في هذه المنطقة عام ١٨٢٩ » وسجل في مذكراته : « بدو الظلام يقطنون في المنطقة التي تقع بين تل عراد وبئر السبع ولهم مقبرة بالقرب من تل المالحة ، ومصدر المياه الرئيسي لهم هو بئر عرعة » ( المصدر نفسه ) .

وامام هذه الهجمة الوحشية على اراضي قبيلة الظلام ، في اطار خطة شاملة لترحيل عرب النقب وتركيزهم في أماكن أخرى ، « توجه شيوخ ورؤساء قبائل بدو النقب بالأمس [١٩٧٩ / ٢ / ١٥] بكتاب احتجاج إلى وزير الدفاع عيزر وايزمن « مطالبين بوقف « عمليات الحفر التي تقوم بها الجرافات في تل المالحة إلى الشرق من بئر السبع دون موافقة اصحاب هذه الأرض » ( معاري ، ١٩٧٩ / ٢ / ١٦ ) . وقد جاء في كتاب الاحتجاج هذا أن « الحفريات التي تجري في أراض مزروعة ومفلوحة تابعة لهم هي بهدف اقامة معسكر » ، وأن أعمال الجرافات « تسبب اضراراً بالغة لحاصلاتهم » . وأضاف هؤلاء الشيوخ في كتاب الاحتجاج : « أننا نعارض ونحتج على هذه الحفريات . اننا مواطنو هذه الدولة ولنا حقوق ككل شخص آخر ، بما في ذلك حق اشراكنا في تقرير مستقبلنا .. اننا نعلن أن هذه الأعمال ، التي تهدف إلى خلق امر واقع في المنطقة تضر بالعلاقات الجيدة بين رجالنا والحكومة » ( المصدر نفسه ) . ووقع هذا الكتاب « الشيخ محمد أبو قرينات والشيخ أحمد أبو جويعد والشيخ فرج الحمادة والشيخ سليمان قبوع وآخرون ، كلهم رؤساء عشائر بدو إلى الشرق من بئر السبع » ، إلا أنهم « لم يتلقوا أي جواب » عليه ( المصدر نفسه وهارتس ، ١٩٧٩ / ٣ / ١٢ ) . ولكن بنيامين غور - أرييه ، مستشار رئيس الحكومة بالوكالة للشؤون العربية كان قد صرح أن « مشكلة اجلاء البدو عن المناطق التي يحتفظون بها كانت قد بحثت قبل انعقاد مؤتمر كامب ديفيد ، وقبل ان يتعلق الامر باقامة مطارات في النقب » ( معاري ، ١٩٧٩ / ٣ / ٢ ) ، وأضاف غور - أرييه ، بأن الحكومة كانت قد اتخذت « قراراً واضحاً وصريحاً » ، وهو أن « أراضي النقب التي تحتفظ بها قبائل البدو هي أرض موات ، كتصنيف القانون العثماني » ، ولذلك فإنها « مخولة لأن تفعل بها ما تشاء » ( المصدر نفسه ) . واستطرد مستشار رئيس الحكومة للشؤون العربية قائلاً بأنه على الرغم من أن هذه الأرض هي أرض موات « ، قررت الحكومة « أن تعامل البدو بالعدل » ، طارحة عليهم إحدى الامكانيات التالية : « إما دفع تعويضات لهم بمعدل ٦٠٪ من قيمة الأرض ؛ أو الحصول على ٢٠٪ من الأرض التي يحتفظون بها ؛ أو استبدال كل ١٠٠ دونم من الأرض البعل مقابل دونم واحد مروحي » ( المصدر نفسه وهارتس ، ١٩٧٩ / ٢ / ٢٧ ) . ولكن المشكلة هي أيضاً في أن « هذا التعويض العقيم لن يدفع لبدو كثيرين سواء من قبيلة الظلام أو غيرهم » ، لأن القلائل فقط هم الذين « يستطيعون ابراز ما يشبه الكوشان على مكان سكناهم الحالي ، اذ لم يكن ثمة سجلات طابو منظمة في النقب » . وهذا بالإضافة إلى أن البدو « كانوا قد اجلوا عن اراضيهم عام ١٩٥١ بحكم قانون امتلاك الأراضي الوحشي الصادر عام ١٩٥٢ » ( هارتس ، ١٩٧٩ / ٢ / ٢٧ ) . ووفقاً لهذا « القانون الرهيب » ، فإن الأرض التي لم تكن « في يد اصحابها في تاريخ ١٩٥٢ / ٤ / ١ انتقلت تلقائياً للملكية الدولة » . إلا انه « لم يكن بإمكان البدو ان يكونوا في هذا التاريخ على ارضهم لأنهم اجلوا عنها بالقوة ، كالهنود الحمر ، إلى محمية تقع إلى الشمال الشرقي من بئر السبع قبل عام من هذا التاريخ » ( المصدر نفسه ) . ولهذا فإن النتيجة العملية للخطوات المتوقعة في المستقبل القريب ستكون « اقتلاع الكثيرين من بدو النقب من الزراعة وتربية المواشي » وتركيزهم في ستة مراكز شبه مدينية مكتظة ، دون أي مصدر

رزق ذاتي ، لا في الزراعة أو الصناعة أو التجارة . والنتيجة الحتمية بالطبع هي أنهم « سيحولون الى بروليتاريا رثة تزود الصناعات القذرة في مثلث أورن - سدوم - ديمونا [في النقب] بالأيدي العاملة » ( المصدر نفسه ) .

إلا أن قبيلة الذنلام بل وعرب النقب كلهم يرفضون هذه العروض المقترحة عليهم ، ويعارضون أية عملية مصادرة لأراضيهم ، و « يرون فيها مساساً بحقوقهم الطبيعية » ( هارتس ، ١٢/٣/١٩٧٩ ) . والسلطات الاسرائيلية « ترفض من ناحيتها أن تغير من أسلوبها في حل مشكلة أراضيهم وتوطينهم » ، ولم يعد أمامها غير طريق واحد فقط وهو إجلاؤهم عن أراضيهم وتركيزهم بالقوة « ( المصدر نفسه ) . وهذا ما أكده بنيامين غور - أرييه ، في مقابلة تلفزيونية بقوله ان السلطات الاسرائيلية « سوف تلجأ الى استخدام القوة اذا لم يتصع البدو لاوامر الجلاء من تلقاء انفسهم حتى حزيران ١٩٧٩ » ( الاتحاد ، ٢٧/٣/١٩٧٩ ) ، كما أن وزارة العمل الاسرائيلية « تعد قانوناً جديداً يسهل على السلطات مصادرة الأراضي وطرد البدو منها ، بينما تنظم السلطات في الوقت نفسه « عملية اجلاء شاملة تشترك فيها قوات الجيش الاسرائيلي والدوريات الخضراء وقوات حرس الحدود » ( المصدر نفسه ، هارتس ، ١٢/٣/١٩٧٩ ) . والنتيجة ، كما يبدو ، هي ان « العائلات الـ ٨٠٠ الأولى التي ستجلى بالقوة ، ستبقى دون مأوى إذ ليس من خيام لئدى معظمها أو مسكن بديل ، كما لم يعد لها ذلك » . ويتم هذا على الرغم من ان اولئك البدو « هم مواطنون مخلصون للدولة ، والكثير من أبنائهم [الذين] خدموا ويخدمون في جهاز الأمن والجيش الاسرائيلي سيكونون في حالة من التضمر لا يمكن تصحيحها . [كما أن] هذه العملية الوحشية سوف تخطيها بالتأكيد وسائل الاعلام في البلاد وفي الخارج . وستزيد من صورة اسرائيل السلبية كدولة متوحشة تمس بحقوق الانسان » ( المصدر نفسه ) . والاكثر من ذلك « سنخلق بأيدينا اوكار عداء ضد اسرائيل » ( معاريف ، ٢/٣/١٩٧٩ ) ، اذ لا بد وان « تتحول هذه القرى التي سيركز [البدو] فيها ، بعد اجلائهم بالقوة ، إلى « مثلث عربي آخر يكون مع المستقبل بؤرة للتوتر والعمل التخريبي » ( المصدر نفسه ) . وبالإضافة إلى ذلك ، هناك « شائعات من مصادر موثوقة » تفيد بأن عرب النقب « سوف يقاومون اجلاؤهم بالقوة وساعتهم الرملية تشرف على الانتهاء » ( هارتس ، ٢/٣/١٩٧٩ ) .

### الدوريات الخضراء تتعجل التهجير

والى أن تنتهي المهلة الزمنية المحددة للبدو في اجلاء عرب النقب بالقوة . تقوم « الدوريات الخضراء » ذات الممارسات شبيهة الفاشية ، التابعة لوزارة الزراعة ارنيل شارون ، بارتكاب الجرائم الوحشية ضدهم وضد قطعانهم ومزروعاتهم لحملهم على الجلاء عن أراضيهم والقبول بمقترحات السلطات المعروضة عليهم . وقد وصلت هذه الاعتداءات الوحشية ذروتها يوم ٢٦/٣/١٩٧٩ ، حين شنت هذه الدوريات « أشرس هجوم لها على عرب النقب ... فداهمت بيوت عرب العطاونة قرب عراد ونهبت مئات رؤوس الماعز والمواشي وأحرقت خيام الأهالي ، واعتدت على الرجال والنساء والأطفال القاطنين فيها وأحرقت كذلك بالات القش التي تستخدم طعماً للمواشي » ( الاتحاد ، ٢٠/٣/١٩٧٩ ) . وقد أكد عرب العطاونة ان هذا العدوان كان « أشرس عدوان عرفوه حتى اليوم » وأن رجال الدوريات الخضراء « أظهروا وحشية لم يعرفوا لها مثيلاً » خصوصاً « حين اخلوا النساء والأطفال من الخيام قبل احراقها بعد أن « أبعدهم عن سيارات نقل المواشي إلى مخزن هذه العصابة الهمجية في بئر السبع » ( المصدر نفسه ) . وكان قائد « الدوريات الخضراء » ، الون غاليلي ، وهو « موظف كبير في وزارة الزراعة » قد أمر رجاله بكل وضوح : « أريد عملية قصيرة وسريعة . أريد أن نختفي من المنطقة بأقصى السرعة » ( هارتس ، ٢٧/٣/١٩٧٩ ) . ولم تقف الأمور عند هذا الحد ، بل ان قائد « الدوريات الخضراء » التي هاجمت بيوت عرب العطاونة توجه فور الانتهاء من العملية إلى مركز شرطة عراد بشكوى ضد عرب النقب لانهم « يقومون برعاية المواشي في مناطق مغلقة » ( المصدر نفسه ) .

ومن ناحية أخرى ، عقدت « لجنة الدفاع عن حقوق عرب النقب » مؤتمراً صحفياً في بيت سوكلوف في تل أبيب ، يوم ١٤/٣/١٩٧٩ طالبت فيه بأقامة « لجنة تحقيق برلمانية أو شعبية محايدة للتحقيق في قضايا عرب النقب وفي الجرائم التي يرتكبها رجال الدوريات الخضراء ضدهم ، بغية اجبارهم على هدم بيوتهم والرحيل عن أراضيهم » ( الاتحاد ، ١٦/٣/١٩٧٩ ) . وروى المشاركون في هذا المؤتمر للصحافيين « تفاصيل الاعتداء الذي قامت به هذه الدوريات على قبيلة الاعصم ، في ٢١/٢/١٩٧٩ ، باشتراك رجال الجيش الاسرائيلي » ،

وأقاروا بأن هذه القوات « هاجمت بيوت عشر عائلات بقيادة رئيس الدوريات الخضراء ، الون غاليلي ، وأجبرت المواطنين على الانبطاح أرضاً ، وقامت بتعذيبهم وضربهم ثم اعتقلتهم لمدة ستة أيام ، وصادرت قطيعهم وطالبتهم بفتح ٦٧ ألف ليرة مقابل إعادة القطيع » ( المصدر نفسه ) .

وأمام هذه الهجمة الشرسة تقدمت كتلة « الجبهة الديمقراطية للسلام والمساواة » بطلب الى رئاسة الكنيست الإسرائيلي « نعتها فيه لبحث قضية الاعتداءات على عرب النقب ومشاريع ترحيلهم عن أراضيهم في الكنيست » ( الاتحاد ، ١٦ / ٣ / ١٩٧٩ ) . وقد طرح هذا الاقتراح على جدول اعمال الكنيست في ٢٨ / ٢ / ١٩٧٩ ، حيث تكلم باسم الجبهة النائب الشيوعي توفيق طويبي ، ورد على اقوال وزير الزراعة الاسرائيلي ارئيل شارون ، الذي طالب بـ « شطب الموضوع » ( الاتحاد ، ٣٠ / ٣ / ١٩٧٩ ) . أما كتلة شبلي فقد اقترحت « احالة الموضوع الى لجنة خاصة » إلا أن الكنيست رد الطلب « بأغلبية اصوات الائتلاف » ( المصدر نفسه ) .

### قضية سليمان أبو قرن

رغم الاحتجاجات التي أرسلها عرب النقب الى رئيس الوزراء الاسرائيلي مناحيم بيغن ، والى وزير الدفاع عيزر وايزمن ، ورغم عرض قضيتهم على الصحافة الاسرائيلية والعالمية ، ومن ثم طرحها على جدول اعمال الكنيست ، واصلت السلطات الاسرائيلية عملية الاستيلاء على أراضيهم بالقوة . ولم تقتصر اجراءات المصادرة على المنطقة المعدة لاقامة المطار العسكري والمدني الكبير في منطقة تل المالحه وحسب ، بل تعدته الى اراضي عشيرة الاسد ، في منطقة اللقية ، رغم وجود « امر منع مؤقت » صادر عن محكمة العدل العليا بعدم وضع اليد عليها الا بعد بحث الموضوع في المحكمة المركزية في بئر السبع .

ففي صباح ٤ / ٤ / ١٩٧٩ ، كان سليمان أبو قرن و افراد عائلته من عشيرة الاسد في مركز بوليس بئر السبع حيث جرى استدعاؤهم للتحقيق معهم بشأن توزيع منشور مزعوم وزعه المخربون ، وعن رسم الصليب المعقوف على جدران البيت المجاور لهم « ( الاتحاد ، ٦ / ٤ / ١٩٧٩ ومعاريف ، ودافار وعمل همشمار ، ٥ / ٤ / ١٩٧٩ ) . ونلك في محاولة لارهابهم ، وبالتالي تسهيل عملية الاستيلاء على أراضيهم ، بناء على « خطة مدبرة بين ادارة اراضي اسرائيل والبوليس » ( الاتحاد ، ٦ / ٤ / ١٩٧٩ ) . وفيما كان التحقيق دائراً مع أبو قرن ، كانت جرافات دائرة الاشغال العامة تقوم بقلب ارضه في خربة اللقية بحجة شق طريق جديدة ، « بعد أن « احتل رجال [مديرية عقارات اسرائيل] قطعة أرض مساحتها ١٨٠ دونماً تابعة لعائلة أبو قرن بمعداتهم الثقيلة ، خارقين بذلك أمراً صادراً عن محكمة العدل العليا » ( الاتحاد ، ٦ / ٤ / ١٩٧٩ وعمل همشمار ، ٩ / ٤ / ١٩٧٩ ) . وحين عاد سليمان أبو قرن وابناء عائلته من مركز الشرطة في بئر السبع « وجدوا جرافات دائرة الاشغال العامة تقوم بقلب الأرض . » ، فسارع مع ابناء عشيرته « لمنع الحفريات وقلب المزروعات وتقتيل الدجاج وهمم الاسيجة » ، وأذناك هرعت قوات الشرطة « واعتدت على اهالي القرية وطلاب مدرسة الاسد المجاورة للمكان » ( المصدر نفسه ) . وقد لجأت الشرطة الى « اطلاق الرصاص لتفريق الناس واعتقلت حوالي ١٩ شخصاً من بينهم معلمي المدرسة الثانوية » ( المصدر نفسه ) ، ودافار ومعاريف ، ٥ / ٤ / ١٩٧٩ ) .

وقد ادعى المتحدث باسم شرطة النقب ، نائب المفوض ابراهام ملكا ، اثر الحادث ، أن الشرطة كانت قد استدعيته الى المكان حوالي الساعة التاسعة والنصف صباحاً بعد أن اشتكى رؤساء ادارة الاشغال العامة ( ماعائس ) بأنهم « رجموا بالحجارة على يد البدو » ( معاريف ودافار وعمل همشمار ، ٥ / ٤ / ١٩٧٩ ) . وأدعى ملكا أيضاً أن « دورية شرطة واحدة فقط » ، كانت قد وصلت بايدي الأمر من مركز شرطة عراد ، ومؤلفة من « ثلاثة رجال شرطة بقيادة الأمر عوياديا شيمش » إلا أن هذه الدورية « استدعت نجدة من بئر السبع » ، بعد ان « هوجمت بوابل من الحجارة » ( المصدر نفسه ) . وأضاف المتحدث باسم شرطة النقب ان معلمي مدرسة الاسد التي تبعد حوالي مئتي متر عن مكان الحادث كانوا قد « حرضوا طلابهم ، فخرج مئات منهم مع معلمهم ضدنا وانضموا الى عشرات الرجال وهاجمونا بوابل من الحجارة والعصي » ( المصدر نفسه ) . وتابع الناطق مدعياً ان « احدى الجرافات قد اعطيت بالاضافة الى سيارتي شرطة » كما « أصيب الرقيب هرثسل غيبوع في رأسه والأمر غميا الياف وثلاثة آخرين من رجال الشرطة بجروح » ( المصدر نفسه ، والاتحاد ، ٦ / ٤ / ١٩٧٩ ) .

إلا أن سليمان أبو قرن روى في المذكرة التي رفعها الى محكمة العدل العليا في القدس بواسطة محاميه ، جديعون فينر قصة أخرى ، مفادها أنه كان « قد استدعي هو وأبناء عائلته الخمسة الى مركز شرطة عراد في ٤/٤/١٩٧٩ - يوم الحادث - في الساعة السابعة والنصف صباحاً ( المصدر نفسه ) ، حيث حقق هناك معهم أحد رجال الشرطة « بشأن منشور منظمة فتح الذي وزع في المكان » . وعندما أجابوه بأنهم « لم يروا في حياتهم منشور كهذه طلب إليهم المحقق أن « يمثلوا مرة أخرى في مركز الشرطة صباح يوم الجمعة ، ٦/٤/١٩٧٩ » . ولكن عند عودتهم الى البيت : « شاهدنا الجرافات تهدم اسوار بيتنا وتقلب جزءاً من أرضنا المفلوحة ، وعندما فقط أدركنا أن ذلك لم يكن سوى مناورة لخداعنا » . وأضاف سليمان أبو قرن في مذكرته : « وعندما حاولت الاقتراب من ضابط الشرطة كي استوضح الأمر ، انهال رجال الشرطة علي بالضرب على رأسي ، وزجوا بي داخل سيارتهم التي اقلتني مع سائر ابناء عائلتي تحت الضرب المبرح الى مركز شرطة بئر السبع » ( المصدر نفسه ) . وجاء في هذه المذكرة أيضاً أن « الشرطة استخدمت السلاح الحي واطلقت النار في الهواء دونما مبرر ... ولقد ضربونا كلنا ضرباً مبرحاً واعتقلوا المعلمين والتلاميذ الذين كانوا في المدرسة المجاورة لبيتي » ( المصدر نفسه ) .

وكان المحامي جديعون فينر ، ممثل عائلة سليمان أبو قرن ، قد « زاره في سجن شرطة بئر السبع ، برفقة الطبيب « الذي نحصه وأصدر تقريراً طبياً عن « آثار ضرب وخدوش ونزيف على ظهر المخصوص » ( المصدر نفسه ) . وحين طالب المحامي بالكشف الطبي على المعتقلين الآخرين « رفضت الشرطة ذلك بحجة أن الوقت متأخر » ( المصدر نفسه ) . كما تقدم المحامي جديعون فينر باستدعاء الى محكمة العدل العليا « ضد وزير الداخلية ووزير المالية واللجنة القطرية لتخطيط المدن في النقب ولجنة المحافظة على الأراضي الزراعية ومديرية عقارات اسرائيل « طالباً منهم أمرهم أن « يوضحوا لماذا صادروا اراض زراعية ولماذا ارسلت الاخطارات بمصادرة الأراضي بعد ثلاث سنوات من مصادرة المنطقة » ( المصدر نفسه ) ، إذ كانت السلطات قد اعلنت عن مصادره ٢١٨٠ دونماً في منطقة اللقية بما في ذلك اراض تابعة لسليمان أبو قرن مساحتها ١٨٠ دونماً ، عام ١٩٧٥ « وعلنت عن هذه المصادرة في الجريدة الرسمية ، في ٢٠/٤/١٩٧٥ ، والتي لا يقرأها البدو » ( المصدر نفسه ) . وقد استجابت المحكمة العليا للطلب واصدرت « أمراً تمهيدياً ضد ممثلي الحكومة ، ثم عادت والغته في ٢٨/٢/١٩٧٩ « بعد أن تعهدت النيابة العامة بأن « المدعي عليهم لن يستولوا على الأراضي الا بعد استصدار امر من المحكمة المركزية في بئر السبع ، بموجب المادة ٨ لقانون الأراضي ( استملاك للمقاصد العامة » ( المصدر نفسه ) . إلا أن وزارة الاشغال العامة « وضعت يدها على الأرض دون أمر لهذا » ( المصدر نفسه ) .

### قرار محكمة العدل العليا

أثر خرق السلطات الاسرائيلية لتعهداتها ، عادت محكمة العدل العليا ونظرت ثانية في طلب عائلة أبو قرن ، في اليوم التالي للاستيلاء على الأراضي ، واصدرت « أمر منع أولي ضد وزارة الاشغال العامة » ( الاتحاد وهارتس ، ٦/٤/١٩٧٩ ، بعد أن اتهمت السلطات بانتهاك حرمة المحكمة . وجاء في هذا القرار ، شديد اللهجة ان « المحكمة منعت الدولة من ممارسة حق التصرف بمنطقة اللقية الواقعة قرب مستوطنة لاهب » وأمرت السلطات « بأخراج كل المعدات التي انخلتها إلى المنطقة المتنازع عليها ، خلال ٢٤ ساعة » ، ومنعت من دخولها « إلا بناء على امر صادر عن المحكمة المركزية » ولكي يعبر القضاة عن استيائهم من « تصرف الدولة في هذه القضية غرموها يدفع مصاريف المحكمة البالغة عشرة آلاف ليرة اسرائيلية للبدوي الذي اقتضت ارضه » . كما طالبت المحكمة بـ « ايقاف عملية اجلاء البدو عن اراضيهم » ( المصدر نفسه ) واصدرت ، بالاضافة الى « امر المنع » ، « أمرين احترازيين بين آخرين تأمر فيهما مديرية عقارات اسرائيل ووزراء المال والاسكان والداخلية بتوضيح أسباب مصادرة ارض زراعية لاقامة بلدة لتوطين البدو ، خلال ٢١ يوماً ولماذا لا تعط الفرصة للبدو لعرض تحفظاتهم على مشروع البلدة أمام الجهات المعنية بالأمر » ( المصدر نفسه ) . وكان رئيس محكمة العدل العليا قد وجه في قرار المحكمة « انتقاداً شديداً لدولة اسرائيل « بعد أن أعلن بأنها « ارتكبت مخالفة تنطوي على تحقير للمحكمة بوضع يدها ، على اراض للبدوون امر قانوني ، وخلافاً لوعده سابق منها » ، مضيفاً ان المحكمة « لن تتورع عن ارسال المسؤول عن هذا العمل الى السجن » ( المصدر نفسه ) .

وعلى الرغم من قرار المحكمة هذا ، هزعت قوات كبيرة من البوليس مرة أخرى الى المنطقة ، عندما « توجه الى

المكان وفد طلابي من جامعة بئر السبع لمواساة اهل القرية وغرس الاشجار احتجاجاً على أعمال التخريب الوحشية ضد قرية اللقية « ( الاتحاد ، ١٩٧٩ / ٤ / ٦ ) . وقامت هذه القوات المؤلفة من « عشرات رجال الشرطة وحرس الحدود ، الذين وصلوا في ١٦ سيارة شرطة ، باعتداءات فظة على كل من كان موجوداً على الأرض ، مطلقاً النار بغزارة » ( المصدر نفسه ودافار ١٩٧٩ / ٤ / ٦ ) . وقامت هذه القوات أيضاً باعتقال عدد آخر من البدو ، بينهم خمسة من طلاب جامعة بئر السبع وهم : شحدة بن بري ، سكرتير لجنة الطلاب العرب في الجامعة ، ونواف مطر ومحمد أبو ريا وعقيف صفية وميسرة السيد والاستاذ الجامعي صالح نجيدات واثنين من الطلاب الثانويين « ( المصدر نفسه ) . وتعرض أولئك جميعاً « للضرب المبرح في مركز الشرطة وخصوصاً الاستاذ الجامعي صالح نجيدات » ( المصدر نفسه ) . وكان هؤلاء الطلاب قد « استلقوا امام الجرافات لمتعها من الاستمرار في العمل » ( دافار ، ١٩٧٩ / ٤ / ٦ ) . وبذلك وصل « عدد الذين اعتقلوا في ٤ - ١٩٧٩ / ٤ / ٥ إلى ٢٦ بدياً » ( المصدر نفسه ) . مما دعا الطلاب العرب في جامعة بئر السبع إلى « تنظيم مظاهرة تأييد للطلاب المعتقلين » . إلا أن قوات الشرطة وحرس الحدود « اقتحمت الحرم الجامعي بناء على طلب من عميدها وأعدت على المتظاهرين بالضرب المبرح واعتقلت ٦٠ طالباً منهم » ( المصدر نفسه الاتحاد ، ١٩٧٩ / ٤ / ٦ )

وهذه الحادثة ليست إلا مثالا على الاجراءات الهمجية المختلفة التي تتخذها السلطات الاسرائيلية للسيطرة على ما تبقى من الأراضي في أيدي البدو - الضحية الأولى لمعاهدة السلم المصرية - الاسرائيلية المنفردة .

توفيق فياض

يصدر قريبا  
عن مركز الأبحاث

التعليم والتحديث في المجتمع العربي الفلسطيني

١٩٤٨ - ١٩٦٧

( الجزء الثاني )

تأليف : نبيل بدران

## المرحلة الاولى من تطبيق

### معاهدة السلام المصرية

#### الاسرائيلية

التهافتات الوطنية التي اثارته « علامات تعجب » لدى وسائل الاعلام الاسرائيلية . مثل « العريش مصرية والقدس فلسطينية » و« الله اكبر » . وكرد على تلك اندفعت جماعات من المستوطنين للرد بهتافات عنيفة مثل « الخزني والعار » . وقد حدثت اشتباكات بين المتظاهرين والقوات الاسرائيلية في الملعب البلدي ، على مرأى من القوات المصرية التي وجدت نفسها في وضع لا تحسد عليه ، وقامت بدور تفريق المتظاهرين العرب . ووصف مراسل يديعوت احرونوت ( ٢٧/٥/٧٩ ) وداع سكان العريش للقوات الاسرائيلية المنسحبة بقوله ان عملية الانسحاب كانت « مصاحبة بالشتائم وفي بعض الاحيان بوابل من البصق والحجارة الموجهة ضد جنود الجيش الاسرائيلي المنسحبين » . ويبدو ان هذه الصورة اثرت على نفسية مراسل صحيفة دافار دان تسكوني الذي تخطى تحت سورة الغضب عن القيام بمهامه الصحفية ، واعتلى ظهر سيارة جيب عسكرية واخذ يصيح باللغة العربية « عاش الجيش الاسرائيلي » . فما كان من الجمهور المتظاهر الا ان « قذفه بالحجارة » . ويفضل سائق سيارة الجيب الذي بقي مسيطرا على اعصابه ، وكذلك بفضل الجنود المصريين ، تمكن تسكوني من الهرب نحو الحاجز « ( المصدر نفسه ) .

كما عبر سكان العريش عن حقيقة مشاعرهم في اليوم التالي ، اثناء احتفال السادات باستعادة المدينة واستقباله لرئيس حكومة اسرائيل مناحيم بيغن ، وذلك برفع شعار وسط التظاهرات يقول « اليوم العريش وغدا فلسطين » ، مما ولد

بدأ في اواخر شهر ايار الماضي تنفيذ المرحلة الاولى من تطبيق معاهدة السلام المصرية الاسرائيلية ، اذ تم جلاء القوات الاسرائيلية عن مدينة العريش ، وتبادل الزيارات بين السادات وبيغن في يوم واحد في مدينتي العريش وبيتر السبع ، في الوقت الذي كانت تجري فيه مفاوضات بين الطرفين حول الحكم الذاتي . وقد تميزت هذه الفترة بأمرين اساسيين : تمسك اسرائيل بموقفها المعلن الواضح وفهمها الخاص تجاه مسألة الحكم الذاتي ، ودخول العلاقات بين مصر واسرائيل في طور التطبيع .

في السابع والعشرين من ايار جرت الاحتفالات في مدينة العريش بمناسبة انسحاب القوات الاسرائيلية منها وفق اتفاقية كامب ديفيد ، وسط اجراءات أمنية مشددة من جانب النظام المصري . وقد نشط الطرفان المصري والاسرائيلي لاضفاء جوا احتفالي على الحدث ، للارتقاء بالعلاقات فيما بينهما الى حالة افضل بهدف تطبيعها . ولم يكن هنالك ما يعكس هذا النشاط سوى موقف سكان العريش الذين « اخرجوا » النظام المصري بنفس المقدار الذي اثاروا فيه « دهشة » الاسرائيليين . فقد كشف سكان المدينة ، في السادس والعشرين من الشهر اثناء حفل « توديع » القوات المصرية للقوات الاسرائيلية بمناسبة انسحاب الاخيرة ، وسط عزف النشيديين المصري والاسرائيلي ، عن حقيقة مشاعرهم المغايرة والمتناقضة مع الخط السياسي للنظام المصري ، حين قاموا بتوديع قوات الاحتلال بطريقة مغايرة ، أي بـ « الحجارة والشتائم واعمال اخرى (مماثلة) ، مما دفع الجيش المصري بالذات الى استعراض عضلاته ضد المتظاهرين ، وسط

بالعربية ما يسمي « مشاعره الوطنية » ، اثر حديث نافون عن الثمن « الباهظ » الذي قدمته اسرائيل للسلام ، ثم قوله للسادات : « انك قادم الينا من العريش عاصمة سيناء ، التي اعدناها لكم بموجب معاهدة السلام . ويمقتضى هذه المعاهدة ستسترجع مصر سيناء باكملها بعد ثلاث سنوات » . ويبدو ان السادات اعتقد ان نافون ، وهو يركز على الثمن الباهظ للسلام ، نكر كلمة « اعطينا » بدل « اعطنا » فخرج عن نص خطابه المعد ، ليرد على نافون ، مركزا على ان هدف مصر الاساسي يتمثل في احلال السلام وليس فقط استعادة سيناء ( يديعوت احرونوت ، ٧٩/٥/٢٨ ) .

وكان السادات قد حظي باستقبال خار في مدينة بئر السبع ، شبيه بالاستقبال الذي اعدله في القدس عند زيارته للكنيست . ومع ذلك ، فقد عكر صفو الاحتفال ، عدم من الطلبة الفلسطينيين الذين يتلقون دراساتهم في جامعة بئر السبع ، حيث استقبلوا السادات ويغين بهتافات ، وشعارات مكتوبة تقول « لا سلام نون نولة فلسطينية » و « م.ت.ف. هي الممثل الشرعي الوحيد للشعب الفلسطيني » .

وقد انعكس اللقاء المصري الاسرائيلي في العريش وبئر السبع ، في افتتاحيات الصحف الاسرائيلية ، حيث رأت هآرتس ( ٧٩/٥/٢٨ ) ان « الاهمية الاساسية لاحداث امس في العريش وبئر السبع لا تكمن في الخطابات التي القيت ، بل في حقيقة كون ... السادات وجه دعوة لرئيس حكومة اسرائيل ليكون ضيفه في العريش ، ثم موافقته للمجيء الى بئر السبع ليحل ضيفا على بلديتها وجامعتها . ان السادات يواجه حملة شديدة من جانب اكثرية الدول العربية لتجروءه على وضع حد للحرب بين مصر ونولة اليهود » . وانتهت الصحيفة بالثناء على « رباطة جاش » السادات . اما دافار ( ٧٩/٥/٢٨ ) فقد رأت في اللقاء ما يشير الى ان « العلاقات الثنائية بين اسرائيل ومصر تتطور حسب ما هو مخطط لها ، نون قفزات ولكن بنون عراقيل ايضا » . وعلى الرغم من العزلة المفروضة على مصر في العالم العربي فانها لا تحيد عن طريقها . ان المشاكل التي يمكن التكهون بها تتعلق بالاساس في مباحثات الحكم الذاتي ، والكل مدرك لها ... » .

كانت مباحثات الحكم الذاتي في بئر السبع قد

« حرجا » لدى السادات و« دهشة » عند بيغن . بيد ان ذلك لم يكن اكثر من تعكير صفو الجو الاحتفالي ، الذي حضره عدد من المسؤولين المصريين والاسرائيليين والذين توجهوا في اليوم نفسه الى بئر السبع للاحتفال بالحدث هناك .

وسيق احتفال بئر السبع ، اجتماع قصير في العريش بين السادات وبيغن ، اعلن الاخير على اثره امام بعثتي مشوهي الحرب من الاسرائيليين والمصريين عن النتائج المتخضة عن الاجتماع بقوله : « قبل ١٥ بقية فقط ، توصلنا الى اتفاق مع رئيس مصر حول عدد من النقاط . اننا نعلن هنا في العريش ان الحدود بين الدولتين مفتوحة ، وبوسع مواطني كلا الدولتين تبادل الزيارات » ( عل همشمار ، ٧٩/٥/٢٨ ) كما اعلن بيغن عن استجابته لدعوة السادات لزيارة الاسكندرية قبل الاسبوع الاول من تموز .

وفي كلمته التي القاها بعد ذلك ، في جامعة بئر السبع ، شكر مناحيم بيغن الرئيس كارتر لدوره في تحقيق السلام بين اسرائيل ومصر ، ودعا الملك حسين للانضمام الى المفاوضات حول الحكم الذاتي ، وهاجم ادعاء من اسماهم بـ « ادعاء السلام » بان اسرائيل ومصر وقعتا على اتفاق منفرد بقوله « هذا ليس صحيحا ، ذلك انه بمثابة خطوة اولى نحو اتفاق شامل ، وهذا هدفنا » . واشاد بيغن بالحكم الذاتي ، ليصوب بعد ذلك جام غضبه على منظمة التحرير الفلسطينية « اننا سنحتفظ لانفسنا بالامن ، حيث في ظروف الدمار وغياب الروح الانسانية والعطش للدم ، التي تعمل بها بلا كايح منظمة القتل المسماة منظمة التحرير الفلسطينية ، يعتبر الامن حاجة ملحة لامر منها . وقد اعترف بذلك كل نوي النوايا الحسنة . ان العرب واليهود سيواصلون ، ان العريش جنبا الى جنب في سلام وامان في ارض اسرائيل انطلاقا من الاحترام الانساني والنهوض المشترك » ( دافار ، ٧٩/٥/١٨ ) .

ومن الجدير بالذكر ان الرئيس المصري الذي حرص على عدم ذكر كلمة « الفلسطينيين » في حديثه ، لم ير في كلمة بيغن ما يحرجه ، في حين رأى في كلمة بتسحاق نافون رئيس اسرائيل التي القاها

والتحديات : « هيا بنا نقوم بذلك بجرأة ، ويحذر يتلام مع المسؤولية التاريخية الملقاة على عاتقنا معا . انني اتوجه الى السكان العرب في يهودا والسامرة وقطاع غزة لاستغلال الفرصة والانضمام الى هذه البداية الجديدة ، والاسهام في رسم خريطة المستقبل بحيث يضمن السلام والرخاء لهذه المنطقة التي يتوجب علينا العيش فيها الى ابد الأبد . اننا نضرب للرب بان يمنحنا الحكمة في جهننا هذا » ( دافار ، ٧٩/٥/٢٧ ) .

وفي رده ، شدد رئيس الوفد المصري كمال حسن علي على ضرورة انسحاب اسرائيل من جميع الاراضي العربية المحتلة بما في ذلك القدس العربية ، وتطبيق الحكم الذاتي وفق قرارات كامب ديفيد ، وعدم اتخاذ قرار بشأن الفلسطينيين . اعتقاداً منه ان «وسع الفلسطينيون انفسهم القيام بذلك لأن حق تقرير المصير حق منحه الرب لهم » ( المصدر نفسه ) .

وشغل البون الشاسع في الموقفين الاسرائيلي والمصري اهتمام عدد من المعلقين الاسرائيليين فوصف يشعياهو بن بورات ( يديعوت احرونوت ، ٧٩/٥/٢٧ ) التباين بقوله انه « ليس ثغرة » بل هوة قائمة بين الموقفين الاسرائيلي والمصري » . معرباً عن اعتقاده ان كل طرف سيجسد نفسه « مضطراً » لتلبيين مواقفه ، بشكل او بأخر . والا فلن يكون هنالك ثمة جدوى من مواصلة المفاوضات . ومع ذلك فقد كان واضحاً قبل الشروع بالمفاوضات انها « ستكون معقدة وطويلة ، مليئة بالازمات وربما لا امل منها » .

اما زميله اريئيل غيناي ( المصدر السابق ) فقد اجاب على سؤال طرحه حول صورة الحل الذي يمكن للطرفين التوصل اليه بقوله « في هذه المرحلة يمكن القول ان المفاوضات ستكون صعبة بمقدار غير عادي ، سواء بسبب صعوبات المشكلة ذاتها او بسبب عزلة مصر في العالم العربي والاسلامي . ويمكن التكهن كذلك ان الاتفاق ، في حال التوصل اليه ، سيكون مختلفاً جداً عما يتصوره اليوم المصريون والاسرائيليون ، وحتى الاميركيون » .

وفي اجواء الاحتفالات في العريش وبئر السبع ، دارت ايضاً في ابو ريبس الجولة الثانية من المفاوضات بين المصريين والاسرائيليين حول موضوع حقول النفط ، وانتهت في ٧٩/٥/٢٨ بون التوصل الى نتائج ملموسة ( انظر معاريف ،

دارت ، قبل يومين من وصول السادات الى المدينة ، بين الوفدين المصري والاسرائيلي . وظهرت « المشاكل » قبل البدء في المفاوضات . فقد كان من المفترض حضور رئيس الحكومة المصرية حفل الافتتاح المباحثات ، بيد انه تغيب ، حسب تقرير بورغ ( معاريف ، ٧٩/٥/٢٩ ) عن الحضور لغياب نظيره رئيس الحكومة الاسرائيلية الذي كان يقوم بزيارة لبريطانيا . كما ويرتبط تعيينه بمسألة رئاسة الاجتماعات . ففي الوقت الذي طالب فيه الجانب المصري بان يرأس وزير الخارجية الاميركية جلسات الاجتماع ، او على الاقل الجلسة الاولى ، اصر الطرف الاسرائيلي ، الذي رأى في هذا الاقتراح ما « يمس مكانة » اسرائيل ، على ان يكون الرئيس اسرائيلياً ليكون الاجتماعات تجري داخل اسرائيل . واقترح ان يرأس مناحيم بيغن جلسة الافتتاح . وقد وافق الطرف المصري على ذلك ، الا ان بيغن لم يتمكن من الوصول في الموعد المحدد لافتتاح الجلسة ، الامر الذي حمل رئيس الوزراء المصري على التغيب عن الحفل ، احساساً منه بان من غير اللائق حضور اجتماع يرأسه وزير داخلية اسرائيل وليس رئيس وزرائها . الى جانب ذلك تكررت مصائد اسرائيلية « رفيعة المستوى » ( يديعوت احرونوت ، ٧٩/٥/٢٨ ) ان غضب خليل لا يعود فقط الى موضوع رئاسة الاجتماع ، بل ايضاً لسبب عدم حضور نائب رئيس حكومة اسرائيل يغتال يادين على رأس مستقبله عند هبوطه في مطار « حتسريم » في بئر السبع !

بيد ان المشاكل الحقيقية تمثلت في البون الشاسع بين الموقف الاسرائيلي والمصري تجاه موضوع الحكم الذاتي . واتضح ذلك في كلمات الافتتاح المتبادلة بين رئيسي الوفدين . فقد اكد يوسف بورغ في كلمته ان « ما ينبغي علي توضيحه ، ويجب ان يكون مفهوما منذ البداية هو ان الحكم الذاتي لن يكون بوسعه ابدأ تشكيل سيادة . واذا كان هدفنا السلام ورخاء السكان - وهذا هدف مشترك لنا - فعلياً ان نرفض سلفاً ، وحسب واقع تحديد المشكلة ، اية فكرة لدولة فلسطينية مستقلة . ان اسرائيل لن توافق ابدأ ، كما وترفض تماماً ، فكرة ، او اعلان تأسيس دولة فلسطينية » . ويعد ان اعماد بورغ الى الاتهام وجود ٢١ دولة عربية في المنطقة و«وجود دولة يهودية واحدة فقط مرت بتجارب المعاناة » ناشد الوفد المصري العمل معاً للتغلب على كافة العراقيل

القطع الحربية الاسرائيلية يؤكد العلاقات الجيدة بين مصر واسرائيل ، وأشارت المصادر الاسرائيلية ( عل همشار ، ٧٩/٥/٣٠ ) الى ان الضابط المصري الذي انيطت به مهمة توجيه السفن الاسرائيلية كان قد كلف في حرب تشرين بمهاجمة السفن نفسها واغراقها .

ولم تحتل هذه البانرة مكانا بارزا في وسائل الاعلام الاسرائيلية فقط ، بل شغلت ايضا اهتمام المسؤولين الاسرائيليين . فقد حرصت القيادة الاسرائيلية على الاحتفال بوصول السفن الى ميناء اشكلون ، وقال قائد سلاح البحرية الاسرائيلية ، مخاطبا جنوده ، بعد ان اشار الى خروج اليهود من مصر في العهود الغابرة : « اثناء حروب اسرائيل اجتاز اخوة لكم في السلاح ، مئات المرات في البر والبحر والجو قناة السويس ، عرضا ، ومن خلال بذل الالف مقاتلين ارواحهم واجسادهم حصلنا على حق حرية الملاحة في القناة بهوءه وامان ، وهذه المرة ، طولاً » ( عل همشار ، ٧٩/٥/٣١ ) . وعبر قائد احد القطع البحرية الاسرائيلية عن ابتهاجه بالحدث بقوله « لقد قطعنا ٤٠٠ ميل عن طريق القناة ، مقابل جولة حول افريقيا ، تستغرق ٧٠ يوما على امتداد ١٢ الف ميل . ان هذه لحظة تاريخية » ( معاريف ، ٧٩/٥/٣١ ) .

ولم يكتف رئيس الحكومة الاسرائيلية مناحيم بيغن بالبانرة المصرية انفة الذكر ، بل تمنى على السادات التنازل عن « المزرعة » التابعة لمستوطنة نؤوت سيناي وابقائها تحت السيطرة الاسرائيلية ، الا ان رغبته اصطدمت برفض السادات .

ومن الجدير بالذكر ان الطرفين اتخذا بادرة حسن نية « مشتركة » تجاه المصبغة الخاصة بمستوطني نؤوت سيناي والواقعة في المنطقة الحرام للحدود الجديدة . وقد حاول المصريون في بداية الامر منع عمالهم من التوجه اليها ، الا انهم عانوا وسمحوا للبعض منهم بالعمل فيها ، كما اخذ الجنود المصريون يتربدون عليها للاستحمام وغسل ملابسهم ( معاريف ، ٧٩/٥/٣١ ) . ويشكل سماح مصر لعدد من عمالها بالعمل في المصبغة الاسرائيلية ، بداية العمل المصري الرسمي « الرخيص » في المرافق الاقتصادية الاسرائيلية .

#### تطبيع العلاقات

سعى منها للشروع في عملية تطبيع العلاقات ،

٧٩/٥/٢٩ ) . فقد رفض المصريون هذه المرة ايضا المساهمة في اعمال صيانة حقل النفط والحفاظ على مستوى انتاجه ، في الوقت الذي اتفق فيه الطرفان على ضرورة الاستمرار في التمويل ولكن دون التوصل الى اتفاق حول طرقه ووسائله .

#### بإدارات حسن النية

حرص الطرفان خلال اجواء الاحتفالات في العريش ويثر السبع على تقديم بإدارات تتم عن حسن النوايا . وكانت اسرائيل هي المبادرة في هذا المجال . ففي الثامن والعشرين من ايار اقدمت على اطلاق سراح ١٦ معتقلا ، ١٠ منهم من الضفة الغربية وقطاع غزة و٦ من ابناء سيناء . بيد ان هذه المبادرة لم تكن بحجم احلام السادات الذي ما برح منذ زيارته للكنيست يتعلل ، زعماً ، بـ « توسل » النساء العربيات اليه ، للافراج عن الالاف من ابنائهن وازواجهن في المعتقلات الاسرائيلية . وقد علق مردخاي اورن ( عل همشار ، ٧٩/٥/٢٩ ) على بادرة حسن النية هذه ، فأعاد الى الاذهان ان اطلاق عدد من السجناء ليس البادرة « الوحيدة » ، اعتقاداً منه ان اعادة العريش « في مرحلة متقدمة » تعتبر بادرة حسن نية . « يجب ان لا نتغاضى عن بنود معاهدة السلام التي لم تلزم اعادة العريش في هذه المرحلة المتقدمة . لقد جاءت اعادتها الآن لابداء رغبة اسرائيل في التليل عن نواياها لتحقيق وانجاز تعهداتها بمقتضى معاهدة السلام بخصوص الانسحاب من سيناء » ودعا اورن الى ضرورة منح السادات « مزيداً » من بإدارات حسن النية لدعمه في وقوفه امام العالم العربي ، مع الحرص على عدم اتخاذ أية مبادرة تمس القضية الفلسطينية « فبالنسبة لهذا الموضوع بالذات ، لا تعتزم اسرائيل مساعدة الرئيس السادات ... ليثبت للعالم العربي ، بشكل واضح ، عدم تخليه عن الشعب الفلسطيني » .

وجاء الرد المصري على البادرة الاسرائيلية باكرم منها . فقد سمحت السلطات المصرية لثلاث سفن انزال حربية اسرائيلية باجتياز قناة السويس من البحر الاحمر الى البحر المتوسط . وحرص الرئيس السادات ان يكون في منزله في الاسماعيلية لاستقبال القطع البحرية التي قامت بتحيته وهي مزينة باعلام مصر واسرائيل ، ورد عليها من شرفة منزله ملوحاً بيديه بالتحية . ونقلت يديعوت احرونوت ( ٧٩/٥/٣٠ ) عن مصادر مصرية قولها ان مرور

اتفق الطرفان المصري والاسرائيلي علوة عن الاعلان عن فتح الحدود ، على قيام الزعماء الاسرائيليين بسلسلة من الزيارات المتلاحقة لمصر . وفي الرابع من حزيران توجه وزير الخارجية الاسرائيلي موشي دايان الى القاهرة حاملا معه وثيقة حول تطبيع العلاقات مع مصر ، واجتمع هناك بعدد من المسؤولين المصريين ، من بينهم خليل وبطرس والسادات ، وتركز الحديث عن موضوع اساسي واحد هو تطبيع العلاقات . وقد تمخضت الزيارة عن ترتيبات فتح الحدود ، والسماح في هذه الفترة للمواطنين من كلا الجانبين بتبادل الزيارات عن طريق الجو والبحر . على ان تفتح الحدود البرية في مرحلة لاحقة . وتم الاتفاق ايضا على التنقل جوا بين مطارات الطرفين بواسطة شركات الطيران الاجنبية ، الى حين تنظيم الرحلات الجوية من خلال شركتي الطيران المصرية والاسرائيلية . كذلك تم الاتفاق على فتح خط هاتف مباشر بين وزارتي الخارجية في كل من مصر واسرائيل .

ويبدو ان دايان كان مغتبطا من نتائج رحلته ، التي انتهت في السادس من حزيران ، اذ ادلى بتصريح عن هبوطه في مطار اللد قال فيه « اعود ويستحوذ علي شعور بانتي حصلت هناك على اكثر مما توقعته . لم اتوقع ان يقوم السادات باستقبالي ، ولم اتوقع ضيافة ودية الى هذا الحد . وفيما يتعلق بالجانب الخاص من الزيارة فانني راض عنه ، وكذلك الانجازات التي حققناها في المسائل التي بحثناها » ( ر. | : ٧٩/٦/٦ ) .

وفي العاشر من حزيران قام يغئال يادين ، نائب رئيس حكومة اسرائيل ، على رأس وفد كبير يضم صحفيين وفريقا من الاكاديميين بزيارة مصر بناء على دعوة من السادات . وقد اخذت هذه الزيارة التي تدخل ضمن عملية تطبيع العلاقات شكل دراسة معالم مصر الاثرية ، باعتبار ان يادين عالم آثار .

الى جانب ذلك ، جاءت رحلة وفد اسرائيل لمباحثات الحكم الذاتي في الاسكندرية . وعلى الرغم من ان موضوع الحكم الذاتي يشكل بعد ذاته نقطة الخلاف الاساسية الجوهرية الوحيدة بين مصر واسرائيل . فان واقع اجراء المفاوضات في هذا الظرف جاء ليعزز من عملية تطبيع العلاقات ، مع « تطبيع » الطرفين على التعايش مع نقلة الخلاف الوحيدة المتبقية .

وفي الحادي عشر من حزيران بدأت مفاوضات الحكم الذاتي بين الطرفين في الاسكندرية ، ومثل الوفد الاسرائيلي الى جانب رئيسه يوسف بورغ ، كل من موشي دايان وزير الخارجية وعيزر فايتسمان وزير الدفاع وشموتيل تميز وزير العدل واريئيل شارون وزير الزراعة . وقد قدر للمشاكل ان تظهر قبل الشروع بالمفاوضات ، كما حدث في بئر السبع قبل مدة ، حين ظهرت مشكلة تبني وكأنها اجرائية مع انها تحمل معان سياسية . فقد رفض رئيس الوفد الاسرائيلي يوسف بورغ « بشكل قاطع » المكان المقترح لاجراء المفاوضات ، بحجة ان الفندق المقترح - وهو اضخم فندق في الاسكندرية - يحمل اسم فلسطين . وكان له ما اراد ، حيث استقر الرأي على اتخاذ فندق « سان ستيفانو » في المدينة مقرا للمفاوضات . وقد خيمت على المفاوضات اجواء النشاط الاستيطاني الاسرائيلي في الضفة الغربية ، والحملة الصحفية المصرية على رئيس الحكومة الاسرائيلية . وفرضت هذه الاجواء ظللا ثقيلة على المتفاوضين ، لدرجة المبح معها الوفد الاسرائيلي بإمكانية انسحابه من المؤتمر في حال استمرار الحملات الصحفية المصرية على السياسة الاسرائيلية .

ولم تسفر مفاوضات الاسكندرية التي انتهت في الثاني عشر من حزيران عن شيء ينكر . فقد بقي الموقف الاسرائيلي كما هو : شرعية اقامة المستوطنات في « مناطق الحكم الذاتي » ، وسريان الحكم الذاتي على السكان وليس على الارض . واستحالة تطور الحكم الذاتي الى نولة فلسطينية . والتمسك بالقدس « الموحدة » عاصمة ابدية لاسرائيل . كما وبقي الموقف المصري ايضا على ما هو . والاتفاق الوحيد الذي تمخضت عنه مفاوضات الاسكندرية كان استكمال المفاوضات حول الحكم الذاتي في هرتسليا ، شمال تل ابيب ، في الخامس والعشرين من حزيران .

ومن ناحية اخرى ، عالج المعلق دانئيل بلوخ ( دافار ، ٧٩/٥/٣٦ ) موضوع تطبيع العلاقات ، وانعكاس الحكم الذاتي عليه ، بقوله « ان ما يعكس صفو مسار التطبيع في العلاقات الاسرائيلية المصرية هي المفاوضات حول الحكم الذاتي . ومن الجائز القول ان السادات ، خلافا لنصيحة مستشاريه من وزارة الخارجية ، معني بتسريع وتيرة التطبيع . كوسيلة ضغط على اسرائيل اثناء المفاوضات حول

الحكم الذاتي بحيث تقف الحكومة امام الخيار الصعب : التنازل في موضوع الحكم الذاتي او الوقوف في موضوع الاتهام باعادة عجلة التطبيع الى الوراء ، الى وضع التجميد » . ويعد ان اشار بلوخ الى تفاؤل الاوساط السياسية الاسرائيلية تجاه احتمالات المفاوضات حول الحكم الذاتي نكر ان « هناك ثمة تقويم قائم يقول ان لدى مصر واسرائيل ، في حقيقة الامر ، مصلحة مشتركة في منع قيام دولة فلسطينية تقودها م.ت.ف في يهودا والسامرة . وتلتقي عند هذه المصلحة ، بشكل اساسي ، كل من السعودية والاردن . ويدور النضال السياسي حسب هذا التقويم في مجالين : المجال العلني ، ويتمثل في المفاوضات حول الحكم الذاتي بين اسرائيل ومصر ، والمجال الخفي ، ويتمثل في شبكة المصالح الحقيقية لمعظم الجهات الشرق اوسطية » ( المصدر نفسه ) .

وتطرق التقرير ، في الفصل الثاني ، لقضايا فتح الحدود ، ونقاط المرور ، ومنسح التاشيرات ، والترتيبات الجمركية ، واستبدال العملة ، ومرور وسائط النقل والتعاون بين جهازي السلطة ، والاتصالات اللاسلكية ، والمواصلات الجوية .

اما الفصل الثالث فقد تطرق الى مبادئ تطبيع العلاقات بين الطرفين ، وخص موضوع السياحة بالمعالجة ، طالباً من اسرائيل الاخذ بعين الحسبان حرج السلطات المصرية ( في المرحلة الاولى فقط ) من مجيء سياح مصريين الى اسرائيل . ولذا لم توص اللجنة اسرائيل بانتهاج مبدأ المعاملة بالمثل في هذا المجال . بل اوصت بتنظيم مشترك للسياحة الاجنبية في كلا البلدين . وقيما يتعلق بموضوع العمل داخل اسرائيل ، اوصت اللجنة بعدم فتح الحدود امام العمال المصريين ، اخذة بعين الاعتبار « فائض القوى البشرية » المصرية . وعالج التقرير الاستيراد والتصدير موضحاً انه نتيجة للضغوطات الاقتصادية وغيرها ، فانه لا يتوقع ، في المستقبل القريب ، قيام شبكة ضخمة من العلاقات الاقتصادية . اوصت اللجنة بفرض تعرفه جمركية على البضائع المستوردة من مصر ، وتشجيع الشركات الاسرائيلية في مجال المساهمة في المشاريع الاقتصادية المصرية . اما في الميدان الثقافي فقد اوصت بالتركيز في البداية على الفنون والمسرح ، ودعت الى تبني الجالية اليهودية في مصر .

وفي الفصل الرابع تطرق التقرير الى القضايا الناجمة عن الانسحاب الاسرائيلي في المرحلة الاولى ، فاقصى باستمرار تشغيل خط المياه بين الطور وشم الشيخ بواسطة الاسرائيليين . وفي الفصل الخامس الخاص بالتعاون بين الطرفين اوصى التقرير باحداث اتصالات مباشرة بين الاجهزة الحكومية للنهوض بالتعاون في جميع المجالات ، ومن بينها مجالات

الحكم الذاتي بحيث تقف الحكومة امام الخيار الصعب : التنازل في موضوع الحكم الذاتي او الوقوف في موضوع الاتهام باعادة عجلة التطبيع الى الوراء ، الى وضع التجميد » . ويعد ان اشار بلوخ الى تفاؤل الاوساط السياسية الاسرائيلية تجاه احتمالات المفاوضات حول الحكم الذاتي نكر ان « هناك ثمة تقويم قائم يقول ان لدى مصر واسرائيل ، في حقيقة الامر ، مصلحة مشتركة في منع قيام دولة فلسطينية تقودها م.ت.ف في يهودا والسامرة . وتلتقي عند هذه المصلحة ، بشكل اساسي ، كل من السعودية والاردن . ويدور النضال السياسي حسب هذا التقويم في مجالين : المجال العلني ، ويتمثل في المفاوضات حول الحكم الذاتي بين اسرائيل ومصر ، والمجال الخفي ، ويتمثل في شبكة المصالح الحقيقية لمعظم الجهات الشرق اوسطية » ( المصدر نفسه ) .

#### وثيقة تطبيع العلاقات

في غضون ذلك كشف النقاب عن وثيقة لتطبيع العلاقات مع مصر ، اعدتها لجنة الدراء العامين للوزارات الاسرائيلية المعنية ، برئاسة مدير مكتب رئيس الحكومة الياهو بن اليسار - الذي سبق له ان اعد عند نهاية العام الماضي ، بواسطة لجنة مماثلة ، وثيقة اخرى بخصوص سياسة اسرائيل تجاه الحكم الذاتي ، طالبت بالسيطرة على مليون دونم من اراضي الضفة الغربية وعلى المياه الجوفية هناك . وكان قد تم تشكيل اللجنة الجديدة عند مطلع نيسان الماضي لاعداد تقرير عن مسألة تطبيع العلاقات مع مصر لتهددي به الحكومة الاسرائيلية في سياستها لحين تحقيق السلام الكامل .

تضمنت الوثيقة ( نشر نصها الكامل في معاريف ، ٢٩/٥/٧٩ ) خمسة فصول اساسية : الاول حول القضايا الناجمة عن انتقال العريش الى السيادة المصرية ، والثاني حول فتح الحدود بين الطرفين ، والثالث حول الخطوط العامة للتطبيع ، والرابع يعالج القضايا المتعلقة بانسحاب الجيش الاسرائيلي الى خط العريش - راس محمد ، والاخير يقدم اقتراحات بخصوص التعاون الاسرائيلي المصري على المدين القصير والبعيد .

كشفت التقرير في الفصل الاول عن وجود ٣٥٠٠ عامل من سكان سيناء يعملون في اسرائيل ، واوصى باستمرار عمل اولئك الذين اصبحوا خاضعين

وبوار الانشقاق في الليكود الحاكم . فقد بلغت الازمة الاقتصادية درجة عالية من التفاهم خلال فترة العامين من حكم الليكود ، وحل خلالها العجز في ميزان المدفوعات الى ٣,٥ مليار دولار ، كما ارتفع معدل التضخم المالي بنسبة ٦٠٪ ( ر. إ. ) ، في الليكود التي انعكست في انشقاق كتلة « لعام » على نفسها ، وانسحاب عدد من زعمائها من الليكود ، مما اثار تخوف حركة حيروت من احتمال استقطاب تلك المجموعة لعدد من اعضاء الحركة المناوئين للتسوية مع مصر وعلى رأسهم غيؤلاه كوهين وشموئيل كاتس .

ومع افتتاح المؤتمر ، القى رئيس الحركة مناحيم بيغن كلمة تطرق فيها الى الوضع السياسي ومعاهدة السلام مع مصر ، استهلها بامتداح « جراءة رئيس مصر الصامد في وجه مقاطعيه وشاتمييه . ونحن على استعداد لمساعدته بالمقدار الذي نستطيع » . وفيما يتعلق بالسياسة الاستيطانية في المناطق المحتلة ، شدد بيغن على ضرورة مواصلة الاستيطان اليهودي فيها ، موجهاً نقداً شديداً لأولئك الذين يدعون شرعية الاستيطان ، وملحاً الى تصريحات المصريين والاميركيين ، بقوله الحازم « انني اقرر ببساطة امام الجميع : منذ ان استنتت الانسانية في حضارتها اصطلاح « قانون » ، لم يكن هناك عمل قانوني اكثر من استيطان اليهود في جميع مناطق ارض اسرائيل » . وشدد بيغن ايضاً على بقاء مدينة القدس « موحدة » وعاصمة اسرائيل « الابدية » ، مع منح اتباع الديانات حرية الوصول الى الاماكن المقدسة . وشن رئيس حكومة اسرائيل هجوماً ضد الرأي القائل بان الحكم الذاتي يشكل خطوة اولى نحو قيام دولة فلسطينية بقوله : « لن تقام ، تحت اي ظرف ، دولة فلسطينية في يهودا والسامرة وقطاع غزة ... تعرض كيان دولة اليهود للخطر ، وتشكل خطراً ايضاً على جميع الامم الحرة » . ولم ينس بيغن امتداح موقف كارتر من فكرة الدولة الفلسطينية وموقفه من م.ت.ف ، مؤكداً على ان العلاقات الاميركية الاسرائيلية تحكمها « روح الصداقة والقهم ... ولا اعتقد انها كانت في يوم من الايام افضل مما هي عليه الآن »

وفي مجال حديثه عن الاردن وسوريا ، تحدث بيغن عنها بنفس الاسلوب الذي يتحدث فيه عن

الاقتصاد ، والتجارة الخارجية ، وترتيبات الدفع ، والسياحة . وقد التقرير حجم صادرات اسرائيل الى مصر بـ ١٠٠ مليون دولار ، واستيرادها منها بـ ٢٠ - ٣٠ مليون دولار . وابدى تخوفه من « استيراد رخيص من مصر ، واغراق السوق الاسرائيلية بمنتجات رخيصة ويقوة عمل رخيصة » . ولذا اوصى بمراقبة دقيقة في هذا المجال .

وركز التقرير ، ثانية ، على موضوع السياحة ، وقرر عدد الاسرائيليين الذين سيزورون مصر سنوياً بـ ٢٠٠ الف . وابدى تخوفه من النمط الملكي لـ « الاسرائيلي القبيح » في مصر . لذا اوصى بالفصل بين الزيارات الى مصر والزيارات الى سيناء . اما على المدى البعيد ، فدعا الى اقامة شبكة سياحية ضخمة بين الطرفين .

وفيما يتعلق بالتطور الاقتصادي المستقبلي ، دعا التقرير الى اقامة مشاريع اقتصادية مشتركة تعتمد على الدعم الخارجي ، من بينها اقامة شبكة مواصلات اقليمية وشبكة اتصالات اقليمية ، ومشاريع نزية مشتركة ، على غرار « خطة مارشال » ، لتطوير مصر . وكذلك دعا الى اقامة منطقتي تجارية حرة في سيناء يتعاون كل من « اسرائيل ومصر والولايات المتحدة والسعودية » .

ولم يقب عن بال معددي التقرير موضوع التعاون في مجال دراسة الديانات ، فدعا الى تبادل الاساتذة لتدريسها !

#### المؤتمر الرابع عشر لحركة حيروت : التمسك بالمواقف السابقة

في الفترة الواقعة بين الثالث من ايار والثامن منه عقد في « ميني الامة » في القدس المؤتمر الرابع عشر لحركة حيروت ، التي يتزعمها رئيس الحكومة الاسرائيلية مناحيم بيغن ، بحضور حوالي ٩٠٠ عضو يمثلون « مركز حيروت » وعدد من الضيوف ، من بينهم السفير الاميركي ، ومندوبين عن الكتل المتحالفة مع الحركة في الليكود ، ورئيس اسرائيل يتسحاق نافون ، ومندوبين عن الحركة الصهيونية . وقد لوحظ في حفل الافتتاح تغيب المندوبين عن التجمع العمالي المعارض وتغيب النائبة غيؤلاه كوهين .

انعقد المؤتمر تحت ظلال تفاهم الازمة الاقتصادية

ساحقة ، ٢٤٩ صوتا مقابل ٩ اصوات نالها شموئيل كاتس مرشح فئة الاقلية .

وفي حفل الاختتام ، عاد بيغن والقي خطاباً أكد فيه ثانية على تمسك اسرائيل « الى الابد » بالسيطرة على الضفة الغربية وقطاع غزة ، وحق الاستيطان اليهودي فيهما ، كما أكد على ان الحكم الذاتي لا يؤدي في اي حال من الاحوال الى قيام دولة فلسطينية ، ولو قرر ، مثلاً ، مجلس الحكم الذاتي اقامة دولة فلسطينية « فان الجيش الاسرائيلي سيعتقل الاعضاء الاحد عشر في المجلس ، ويعيد الحكم العسكري الى المناطق خلال ٢٤ ساعة » . كما أكد وقوف اسرائيل الى جانب من اسماهم بـ « المسيحيين » في لبنان ( ر.ل. ، ٧٩/٦/٦ ) . ومن الجدير بالذكر ان اشاعة تردت في جنبات المؤتمر اثناء جلسة الختام عن انتحار غينولاه كوهين ( معريف ، ٧٩/٥/٨ ) ، مما اثار هيجاناً بين الاعضاء ، حداً بأحدهم الى الصراخ . إلا ان الاشاعة تبذرت . وفي هذه الاثناء توجه بيغن الى كوهين بطلب وصفه بـ « الانساني » ، قائلاً : « لا تبصقي في البئر الذي شربت منه ، وقد شربت كثيراً » .

### عبد الحفيظ محارب

م.ت.ف . فقد ذكر بهذا الخصوص « مع الاربن يوجد لدينا علاقات سلام ، نون معاهدة سلام ، ونود ان يكون السلام واقعاً ... اما العلاقة الاكثر عداء فتصدر عن سوريا . انني على علم بعدد من المباحثات التي اجراها وزير الخارجية السوري عبد الحلیم خدام مع رؤساء عدد من الدول . ولو رويت ما جاء على لسانه بحق الرئيس انور السادات لاقتشعرت له ايدان ابناء الانسانية المتحضرة . عداء جنوني ومجنون بهذا الحد » ( معاريف ، دافسار ، عل همشمار ، ٧٩/٦/٤ ) .

وقد تميزت جلسات المؤتمر باحتدام النقاش ، ولاسيما حول موضوع التسوية ، حيث قاد « منبر المخلصين لبادىء حركة حيروت » بزعامه غيولاه كوهين وشموئيل كاتس حملة عنيفة ضد التسوية مع مصر ، ابت الى صدامات واشتباكات بالايدي بين الاكثرية التي تدعم بيغن والاقلية التي تنزعها كوهين . وسط تهديدات زعيمة الاقلية بالانسحاب من حركة حيروت . وبالفعل اعلنت انسحابها من الحركة قبل يوم من اختتام جلسات المؤتمر ، بعد ان فشلت في ادخال تغيير على الخط السياسي لبيغن . فقد اعاد المؤتمر انتخاب بيغن رئيساً للحركة باكثرية

## قضايا دولية

مؤتمر الامم المتحدة للتجارة والتنمية ( الأونكتاد ) في « ماننلا » عاصمة الفيليبين الذي أنهى أعماله في ٦/٤ . وشهد المؤتمر الوزاري للتحضير لمؤتمر قمة الدول غير المنحازة في كولهامبو الذي بدأ أعماله في ٦/٤ وانتهى في ٦/١٠ . كما شهد قمة « سالت -

٢ ، الثنائية في فيينا التي بدأت في ٦/١٥ وانتهت في ٦/١٨ . وشهد قمة المجموعة الاقتصادية الاوروبية ( السوق الأوروبية المشتركة ) في ستراسبورغ من ٢١ إلى ٦/٢٢ . كذلك المؤتمر الوزاري لمنظمة الدول

يلاحظ المراقب من الوهلة الاولى أن الشهر المنقضي ( حزيران يونيو ١٩٧٩ ) كان حافلاً بالأحداث والتطورات الدولية ربما بصورة تفوق أي من أشهر العام الحالي منذ بدايته .

فقد تعددت فيه مؤتمرات القمة الدولية ، وتفجرت فيه أحداث كثيرة في مزيد من بلدان العالم الخارجي ، ونشطت فيه الفعاليات الدولية تحالول ملاحقة التطورات .. أو حتى مجرد اتخاذ موقف منها .

فعل صعيد المؤتمرات الدولية شهد شهر حزيران

المصدرة للبتروول ( أوبيك ) الذي بدأ في ٦/٢٦ وانتهى في ٦/٢٦ في جنيف .

وعلى صعيد الأحداث فإن حزيران الفائت تخللته تطورات بالغة الأهمية بالنسبة لازمة الطاقة في الولايات المتحدة وأوروبا الغربية ، وتطورات أخرى لا تقل أهمية - نتيجة لهذه الأزمة - على علاقات الولايات المتحدة وأوروبا الغربية . وتخللته أول انتخابات مباشرة للبرلمان الموحد لنول المجموعة الاقتصادية الأوروبية . وعلى الطرف الأخر من الأحداث جاءت تطورات الكفاح المسلح لثوار جبهة التحرير الساندينية في نيكاراغوا الذين سجلوا انتصارات حاسمة على نظام حكم الدكتاتور سوموزا خلال الشهر المنقضي .

ولا يقل عن كل هذا أهمية تلويع الولايات المتحدة بتكوين قوة تدخل عسكري إذا تهددت المصالح الأمريكية في العالم الثالث . وقد ارتبط هذا التلويع ارتباطا وثيقا بأزمة الطاقة ، وبالتالي بمناخ النفط في الخليج العربي .

وعلى صعيد آخر بدت خلال حزيران بوادر جديدة على احتمال تحسن في العلاقات بين الاقتصاد السوفياتي والصين شغلت المراقبين الغربيين كثيرا ، بعد اتفاق موسكو ويكين على استئناف المفاوضات بينهما بهدف تحسين العلاقات .

رغم تعدد هذه الأحداث والتطورات فإننا نستطيع أن نخب من خلال تقاطع الخطوط بينها محورين رئيسيين : أولهما استمرار الصراع على الساحة الدولية بين المعسكرين الممثلين بالاتحاد السوفياتي والولايات المتحدة ، على الرغم من - وربما كنتيجة لـ التوازن الاستراتيجي النووي بينهما مع استمرار تناقض منطلقات ومصالح الطرفين .

أما المحور الثاني فهو تقاطع الخلافات على صعيد المعسكر الغربي ، وازدياد استقطاب طرفي هذا الخلاف بصورة تجعل الولايات المتحدة تقف في ناحية وأوروبا الغربية واليابان تقف في ناحية أخرى . الأمر الذي يؤكد حتمية نهاية عوامل التنافس - فالتناقض - بين هذه الدول كقوى اقتصادية ذات مصالح متباينة . ويؤكد - في الوقت نفسه - استمرار تراجع الولايات المتحدة التدريجي عن موقع الزعامة للعالم الغربي ، للأسباب الاقتصادية ، بعد أن بدأ هذا التراجع قبل ذلك - في أوائل سنوات

السبعينات - لأسباب استراتيجية ( عسكرية ) .

## سالت - ٢ هل من مجال للمساومة ؟

منذ أن أعلن الطرفان - الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي - عن موعد عقد القمة الثنائية بين الرئيس الأمريكي جيمي كارتر والرئيس السوفياتي ليونيد بريجنيف في فيينا للتوقيع على معاهدة « سالت - ٢ » ( المعاهدة الثانية للحد من الأسلحة الاستراتيجية ) - بدأت التكهانات تدور حول ما سيجري من مساومات واتفاقات بين الدولتين العظميين في هذه القمة على حساب القضايا العالمية القائمة . وقد دارت هذه التكهانات بصورة لا تختلف كثيرا عن تلك التي طرحت أبان التفاوض بين موسكو وواشنطن على المعاهدة الأولى للحد من الأسلحة الاستراتيجية ( سالت - ١ ) في العام ١٩٧٢ .

وبيينا كانت التكهانات التي صاحبت «سالت - ١» تدور حول إمكان مقايضة سوفياتية - أمريكية على فينتام من ناحية والشرق الأوسط من ناحية أخرى ... حيث كانت حرب فينتام في نورثها ، وأزمة الشرق الأوسط في طور التفجر ... فإن التكهانات التي رافقت « سالت - ٢ » دارت حول إمكان قيام مثل هذه المقايضة بين الشرق الأوسط من ناحية وأفريقيا من ناحية أخرى . وقد حاول أصحاب نظرية المقايضة هذه الاستفادة من الواقع القائم في كلتا هاتين المنطقتين ، ففي الشرق الأوسط أدت أحداث السنوات منذ حرب تشرين ( أكتوبر ) ١٩٧٢ إلى اختلال نظام التحالفات الإقليمية والخارجية لمصلحة الولايات المتحدة أكثر من غيرها ... بينما أدت أحداث السنوات نفسها بالنسبة لأفريقيا - وخاصة منذ انتصار «الجبهة الشعبية للتحرير» في أنغولا ، وتبني الثورة الأثيوبية للاشتراكية العالمية نهجا لسياساتها الداخلية والخارجية - إلى تقلص نفوذ الأمبريالية الأمريكية إلى حد أعجزها عن العثور على فرصة ملائمة للتدخل

على نحو ما فعلت في الشرق الأوسط . الأمر الذي ترك انطبعا وفرصة للتفسير ، بأن الولايات المتحدة « تركت أفريقيا للنفوذ السوفياتي مقابل سكوت الاتحاد السوفياتي عن أحداث الشرق الأوسط » .

نتيجة لهذا كانت الولايات المتحدة نفسها تغذي هذا الاتجاه عبر تفسير الأحداث بشكل يلائم

العظمى ظبط النفس في العالم الثالث . . بينما رد الرئيس السوفياتي بأن أكد « أن الاتحاد السوفياتي يتضامن مع نضال الشعوب التحرري . وأضاف مستنكراً « ... فلماذا تحميل الاتحاد السوفياتي مسؤولية مسيرة التاريخ الموضوعية ؟ » .

وإذا كانت كلمتا كارتر وبرجنيف قد مستا الأمور مساعما ، فإن الناقلين الرسميين باسم الجانبين اثناء أيام انعقاد القمة الثنائية مست عددا من الأمور بصورة محددة ، وكان أبرز ما مسته مسألة الشرق الأوسط والموقف من « معاهدة السلام » المصرية - الإسرائيلية . فقد صرح ليونيد برجنيف زيمياتين المتحدث الرسمي السوفياتي - مدير وكالة « تاس » الرسمية للأنباء ( ٦/١٧ ) بأن برجنيف أبلغ كارتر بأن « موقف الاتحاد السوفياتي في الشرق الأوسط يختلف عن موقف الولايات المتحدة . وموقفنا باق كما هو . أن الاتحاد السوفياتي مستمر في اعتبار أن الهدف يجب أن يكون تسوية شاملة في الشرق الأوسط تشارك فيها كل الأطراف المعنية . » وتابع الناطق السوفياتي قائلاً « ان تقييمنا لكاتب نيفيد معروف ، وأريد أن أقول ان الاتحاد السوفياتي لن يؤيد مقترحات لاستعمال الأمم المتحدة في تدعيم الاتفاق المنفرد بين مصر واسرائيل . » وكان هذا تأكيدا رسميا سوفياتيا بأن الاتحاد السوفياتي لن يؤيد تجديد فترة انتداب القوات الدولية في سيناء في ٢٤ تموز ( يوليو ) .

بعد ذلك جاء البيان المشترك الذي أصدره الجانبان اثر توقيع معاهدة « سالت - ٢ » ( في ٦/١٨ ) . وقد تضمن هذا البيان فقرة حول « القضايا الدولية » أكدت انه جرى خلال القمة الثنائية « تبادل شامل للأراء حول القضايا الدولية الرئيسية ... وقد أول ليونيد برجنيف وجيمي كارتر اهتماما خاصا لبؤر التوتر التي تعقد الوضع الدولي وتعرقل التحويصلات الايجابية في المجالات الاخرى » . وفيما يتعلق بالشرق الأوسط لم يتجاوز ما قاله البيان المشترك ، ضمن هذه الفقرة ، العبارة التالية : « أكد كلا الجانبين اهتمامهما بسلام عادل وشامل ووطيد في الشرق الأوسط ، وعرض كل منهما موقفه بصدد طرق وسبل تسوية مشكلة الشرق الأوسط » .

وتوضح العبارة أكثر من أي شيء آخر استمرار تباين وجهات نظر الجانبين فيما يتعلق بهذه

اهدافها . بل أن الاعلام الغربي كله أسهم طوال الفترة الماضية في تغنيته . ووجد الاتحاد السوفياتي نفسه في مواجهة حملة تصوره حتى في البلدان التي يؤيد قضاياها الوطنية والتحررية موضوعا تحت شبهة المقايضة على هذه القضايا ووضع « الوفاق » مع الولايات المتحدة فوق الاعتبارات الأخرى وفي موضع الأولوية القصوى .

لهذا كان من السهل على المراقب أن يلاحظ أمرين رئيسيين فيما صاحب القمة الثنائية بين كارتر وبرجنيف في فيينا ( ١٥ - ٦/١٨ ) :

□ ان الولايات المتحدة تمارس مستويين من الاعلام فيما يتعلق بمعاهدة « سالت - ٢ » . أولهما داخلي خاص بالرأي العام الأمريكي والكونغرس - ويذهب الى أنه لا تأثير لهذه المعاهدة اطلاقا على « التوازن » الاستراتيجي بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي ، بل على « تفوق » الأولى على الثانية ، وبالتالي فإنه لا سبيل الى اعتبار « سالت - ٢ » بمثابة لوي للذراع الأمريكي في هذه المنطقة أو تلك من العالم . أما المستوى الثاني من الاعلام الأمريكي فيما يتعلق بمعاهدة « سالت - ٢ » فهو موجه الى الخارج ، وخاصة إلى بلدان العالم الثالث ، ويذهب الى أن الاتحاد السوفياتي معني بتوقيع « سالت - ٢ » أكثر من الولايات المتحدة ، وأنه لهذا يبدي استعدادا لاطلاق يد الولايات المتحدة في عدد من القضايا الدولية ، وبالتالي ان « الدولتين الأعظم » تمارسان معا عملية اقتسام نفوذ في مناطق العالم المختلفة .

□ نتيجة وانعكاسا لهذا فان الولايات المتحدة كانت معنية - ولا تزال - باقناع الرأي العام الأمريكي والكونغرس بتأييد المعاهدة . بينما اتجه اهتمام الاتحاد السوفياتي إلى اقناع الرأي العام في العالم الثالث بأنه لا يساوم على قضايا التحرر بأي حال ، وأن « سالت - ٢ » هي في مصلحة شعوب العالم كله وليست في مصلحة الطرفين الموقعين عليها وحدهما .

هكذا فإنه عندما عقد لقاء القمة بين كارتر وبرجنيف في فيينا - وكان الأول بينهما - كان أول ما حرص عليه كل من الطرفين طرح وجهة نظره على العالم . دعا الرئيس الأمريكي - في كلمة القاها أمام برجنيف ( في ٦/١٦ ) - الى أن تمارس « الدول

المعاهدة سيلحق الضرر بتضامن وتحالف الولايات المتحدة والدول الأوروبية ، وستتزعزع بشدة زعامة أميركا في هذا التحالف نفسه .

وبينما كان رد الفعل في أوروبا - الغربية والشرقية - مؤيدا لمعاهدة « سالت - ٢ » ، فإن الصين انفردت باتخاذ موقف نقدي حاد من المعاهدة .

ابرز ردود الفعل الأوروبية كان رد الفعل الفرنسي الذي أتى على لسان وزير خارجية فرنسا جان فرانسوا بونسيه الذي قال - في حديث مع إذاعة « فرانس أنتير » ( ٦/٢١ ) أن فرنسا توافق على مبدأ مفاوضات « سالت » التي تشكل مرحلة مهمة في عملية الانفراج الدولي .

أما بكين فقد عبرت عن رأيها في مقال لصحيفة « الشعب » الناطقة بلسان الحزب الشيوعي الصيني ( ٦/٢١ ) وصف المعاهدة بأنها « لن تضع حدا للخصومة بين الاتحاد السوفياتي والولايات المتحدة ، ولن تساهم بأي شيء من أجل السلام في العالم » . وحملت الاتحاد السوفياتي مسؤولية التوتر الدولي قائلة « ان الاتحاد السوفياتي يستغل منذ العام ١٩٧٥ الأزمة الاقتصادية في الغرب لتعزيز قوته العسكرية وتوسيع نفوذه » .

على أي الأحوال لقد انتقلت معركة « سالت - ٢ » الى مجلس الشيوخ الأمريكي ، حيث تبدأ لجنة العلاقات الخارجية بالمجلس مناقشات للمعاهدة يوم ٩ تموز ( يوليو ) . وحتى كتابة هذه السطور كان تقدير المراقبين في واشنطن - كما نقلته مجلة « يو. اس. نيوز أند وورلديبيرت » الأمريكية ( ٧/٢ ) - لفرص التصديق على المعاهدة تذهب الى أن ٥٠ من أعضاء مجلس الشيوخ يؤيدونها أو يميلون الى تأييدها . وأن ٢٠ يعارضون المعاهدة أو يميلون إلى معارضتها ، بينما يوجد ٢٠ شيخا لم يقرروا بعد مواقفهم . أما خارج مجلس الشيوخ فإن استطلاعات الرأي العام تفيد أن تأييد المعاهدة يصل الى نسبة تربع على ٧٥٪ من الأميركيين ، وأن رؤساء أركان حرب القوات المسلحة الأمريكية هم أيضا في صف المعاهدة .

وقد نشأت على الفور مشكلة رغبة عدد من أعضاء مجلس الشيوخ الأمريكي في ادخال تعديلات على

المسألة ، وهو ما انعكس أيضا في العبارة الخاصة بأفريقيا إذ قالت بالمثل أن الجانبين قد « عرض كل منهما وجهات نظره بصند الوضع في جنوب القارة الأفريقية » .

أما بعد انتهاء القمة الثنائية فقد استمر تأكيد الاتحاد السوفياتي على أنه لم يرتبط مع الولايات المتحدة بأي التزام بتغيير مواقفه من القضايا الدولية . وكتبت وكالة « نوفوستي » تعليقا ( في ٦/٢٠ ) قالت فيه : « ليس سرا أن الأوساط الرجعية في الولايات المتحدة قد حاولت أن تستخدم في أثناء التحضير للقاء فيينا مناورة « ربط » جميع القضايا في خيط واحد لكي تعرقل تنفيذ هذا اللقاء الذي ينحصر موضوعه الرئيسي في الحد من الأسلحة الاستراتيجية . وفي الوقت نفسه جرت محاولات لتشويه صورة الاتحاد السوفياتي واتهامه بأنه من الممكن أن « يتواطأ » مع الولايات المتحدة الأمريكية على حساب مصالح البلدان والشعوب الأخرى . ومن المميز أن هذه الفمزات الدعائية قد تردت في القاهرة بصفة خاصة . وليس ذلك مصادفة . فإذ شنت القاهرة حملة بشأن امكانية « تواطؤ الاتحاد السوفياتي مع الولايات المتحدة الأمريكية » حاولت صرف انظار الرأي العام عن تواطؤها الفعلي مع الامبريالية والصهيونية، التذ حصلت من ورائه على حفنة من رمال سيناء مقابل خيانة مصالح الشعب الفلسطيني » .

في الولايات المتحدة كان الشاغل الرئيسي للإدارة الأمريكية - وللإعلام الأمريكي - هو الموقف الذي سينتهي اليه مجلس الشيوخ بإزاء « سالت - ٢ » ، فقد بدأ الرئيس الأمريكي معركة التصديق على « سالت - ٢ » في اليوم التالي مباشرة لتوقيعها حيث وجه بيانا الى الكونغرس ( ٦/١٩ ) فور عودته الى واشنطن كان في محصلته النهائية بمثابة تحذير من العواقب التي يمكن أن تنتج عن عدم التصديق على هذه المعاهدة . فقال ( ١ ) أن على الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي أن يعيشا في سلام « وإلا فاننا قد لا نعيش أبدا » . ( ٢ ) أن الولايات المتحدة نون المعاهدة ستنفق مزيدا من السوف الملايين من الدولارات كل سنة في سباق الأسلحة النووية . ( ٣ ) ان عدم وجود المعاهدة سيؤدي الى ازدياد حدة التوتر بين الشرق والغرب ويؤدي بالتالي الى مجابهة محتملة بين موسكو وواشنطن . ( ٤ ) ان رفض

حول السياسة الأميركية في الخليج وشبه الجزيرة العربية . وفكرت الصحيفة ان « المقترحات التي من المقرر بحثها في اجتماعين يعقدهما واضعوا السياسة الأميركية في خلال هذا الشهر لا يزال يكتنفها الغموض ، كما ان هذه المقترحات لم تأخذ شكلها النهائي بعد - إلا أنه من المعروف أنها تشمل اعداد قاعدة جوية أميركية يمكن للطائرات الأميركية الاقلاع منها الى منطقة الخليج في وقت قصير جدا » .

وأضافت « واشنطن بوست » أنه « كانت هناك بدائل أخرى مطروحة بينها إقامة قوة عسكرية خاصة لمنطقة الشرق الأوسط والاحتفاظ بقوة بحرية دائمة داخل وحول البحار العربية لتوجيه رد سريع عند اللزوم ، على ان تبقى هذه القوة بعيدة بدرجة كافية » .

وكشفت الصحيفة ان هارولد براون وزير الدفاع الأميركي قد طلب من الرئيس كارتر قبول سفر الأول الى السعودية في الشتاء الماضي ( في أعقاب توقيع المعاهدة المصرية - الاسرائيلية ) ان يسمح له بأن يبلغ السعوديين بأن الولايات المتحدة تدرك ان لها مصالح حيوية في المنطقة غير مفاوضات السلام ، وان الحكومة الأميركية ستقوم بعمل كبير يتضمن اتخاذ خطوات عسكرية لحماية هذه المصالح » .

ثم في ٦/٢٥ اعلن الجنرال برنارد روجرز رئيس هيئة الأركان الأميركية ان الجيش الأميركي يخطط لانشاء قوة « تدخل سريع » قوامها ١١٠ الاف جندي للتدخل في الخليج العربي والمناطق الأخرى الساخنة في العالم . واوضح ان هذه القوة ستكون أميركية ولن تكون لها علاقة بحلف شمال الاطلسي ، ولن تجهز لتقاتل في حروب الحلفاء .

كما اعلن الجنرال روجرز ان القوة ستضم ٨٢ طائرة نقل عسكرية وبعض الوحدات الفعالة التي تؤمن النقل السريع . وقال ان قوة التدخل الأميركية « ستكون استجابة لمطوح الرئيس الأميركي جيمي كارتر بتجهيز قوى متخصصة في مناطق التوتر في العالم الثالث » .

وأوضح انها لن تكون قوة للذهاب الى اي معسكر اي انها « ان تكون قوى متخصصة فقط في منطقة الخليج » .

المعاهدة ، الأمر الذي قوبل بتحذير صريح من موسكو ، حيث اكدت صحيفة « برافدا » الناطقة بلسان الحزب الشيوعي السوفياتي ( ٦/٢٢ ) وأن محاولة ادخال أية تعديلات على المعاهدة أو استبدال بعض التفاصيل فيها ، أو جعلها أكثر تمييزاً لطرف على الآخر - يمكن أن تؤدي إلى عواقب وخيمة وحتى عواقب خطيرة بالنسبة للعلاقات السوفياتية - الأميركية .

بل ان اندريه غروميكو وزير الخارجية السوفياتي وجه تحذيراً حاد للجهة اثناء مؤتمر صحفي في موسكو ( ٦/٢٥ ) من أن رفض مجلس الشيوخ لمعاهدة « سالت - ٢ » أو محاولة تعديلها سيمنى « نهاية المفاوضات » . وقد وجه حديثه باللغة الانكليزية - وهو أمر نادراً ما يحدث - الى مراسل اميركي قائلاً : « اقول لك بصراحة أنه سيكون من المستحيل استئناف المفاوضات ( اذا رفض مجلس الشيوخ المعاهدة ) وسيمنى هذا نهاية المفاوضات » . سيمنى النهاية اياً كانت التعديلات التي سيتم انصالتها » .

### قوة للتدخل العسكري الأميركي

وفيما تحاول الإدارة الأميركية التأكيد للكونغرس وللرأي العام الأميركي ولحلفاء الولايات المتحدة الغربيين أنه لا تأثير لمعاهدة « سالت - ٢ » على سياستها الخارجية ، وفيما يستعد الرئيس الأميركي كارتر لمعركة التصديق على هذه المعاهدة ، وفي الوقت نفسه لمعركة انتخابات الرئاسة تؤكد الدلائل أنه يبدي اهتماماً هائلاً برسم سياسة خارجية متشددة ، ويحاول أن يقلب الانطباع الأولي عنه بأنه رئيس ضعيف على الصعيد الخارجي . وفي هذا الاطار يمكن أن نضع اهتمام الإدارة الأميركية الفائق بابرار مشروعها الخاص بتكوين قوة للتدخل العسكري في مناطق العالم الثالث ، مع تركيز خاص على الشرق الاوسط والخليج العربي .

وقد سلطت الأضواء بكثافة خلال الشهر الفائت ( حزيران - يونيو ) على هذه الخطة بشكل خاص . ففي ٦/٥ . نشرت صحيفة « واشنطن بوست » ان اجتماعاً سرياً سيعقد في البيت الأبيض في اليوم التالي برئاسة وزير الخارجية الأميركي سايروس فانس ويحضر كبار المسؤولين الأميركيين « لاجراء تقييم

وخاصة في الخليج العربي حيث يوجد أهم مخزون نفطي للعالم الرأسمالي « . وأضافت « أن أحد أهداف معاهدة الصلح هو ربط مصر وإسرائيل بالمصالح الاستراتيجية العسكرية للولايات المتحدة في المنطقة »

ويدل رد الفعل السوفياتي على أن موسكو تعتبر تكوين قوة التدخل عملاً موجهاً مباشرة إليها بقدر ما هو موجه ضد المنطقة العربية ، كما تعتبر أنه جزء من مخطط « عملية السلام » الأمريكية في الشرق الأوسط التي أسفرت عن « معاهدة السلام » المصرية - الإسرائيلية .

إلا أن هذه الخطة مرتبطة - في المنظور الأمريكي - بأزمة الطاقة أكثر من ارتباطها باعتبارات أمنية أو استراتيجية بالمفهوم العسكري البحث .

### أزمة الطاقة .. وأزمة الشرق الأوسط

لقد تميز الشهر الفائت ( حزيران ) بتحول أزمة الطاقة إلى موضوع أول فوق كل الموضوعات الأخرى - محلية وبولية - بين هموم الغرب . بدأ الأمر في الولايات المتحدة ، وامتد سرياً إلى أوروبا الغربية واليابان . وعلى نطاق لم يسبق له مثيل منذ « أزمة الطاقة - ١ » التي شهدتها الغرب في أعقاب حرب تشرين ( أكتوبر ) ١٩٧٣ أصبح من المناظر المألوفة في أجهزة الإعلام الغربي كلها مانشيتات أزمة الطاقة وصور طوابير السيارات على محطات البنزين .. أو صور الشاحنات المترققة .. الخ . وامتلات الصحف والمجلات والأذاعات الصوتية والمرئية في دول العالم الغربي كله بالتحقيقات عن أبعاد أزمة الطاقة ونتائجها وأخطارها .. والتفسيرات المختلفة عن أسبابها : العرب - شركات النفط - الاستهلاك غير الرشيد - التضخم ... الخ .

وعلى الرغم من أن قمة طوكيو للدول الرأسمالية الصناعية الكبيرة ( ٢٨ - ٦/٢٩ ) كان قد حدد موعده قبل وقت طويل من بروز أزمة الطاقة على هذا النحو المتفجر ، إلا أن الأزمة حولته إلى مؤتمر لبحث أزمة الطاقة أساساً . وقد اشتركت في المؤتمر الولايات المتحدة وألمانيا الغربية وفرنسا وبريطانيا

وقد أدلى الجنرال روجرز بهذه المعلومات في تقرير صحفي وداعي بمناسبة نقله إلى منصب قائد القوات الأمريكية في أوروبا الغربية « قائد قوات حلف الأطلسي » خلفاً للجنرال الكسندر هيغ .

وقد وصفت الصحف الأمريكية رد فعل نول الخليج العربي إزاء أنباء هذه القوة الأمريكية للتدخل بأنه رد فعل عنيف . وأشارت صحيفة « واشنطن بوست » إلى قول صحيفة « الرأي العام » الكويتية أن قائمة تكوين هذه القوة للتدخل في منطقة الخليج يرقى إلى مرتبة التهديد بالحرب .

بعد ذلك جاء رد الفعل الرسمي للسعودية على هذه التطورات في تصريحات أدلى بها الملك خالد لصحيفة « السياسة » الكويتية ( ٦/٣٠ ) حيث قال أن أي تدخل يفرض على المنطقة لن يحقق الغاية المنشودة منه ، وإن أهل المنطقة يجب أن يكونوا مسؤولين بالدرجة الأولى على حمايتها ، وعلى القوى المحبة للسلام أن تشجعهم على ذلك . وأضافت أن عهد استخدام القوة لحماية المصالح الذاتية قد ولى ، ويجب أن لا يعود حفاظاً على سيادة السلام والأمن العالمي .

رد الفعل السوفياتي كان أسرع على الظهور من رد الفعل العربي . فقد كتبت صحيفة « برافدا » - تعليقاً على المعلومات التي نشرتها صحيفة واشنطن بوست « والتي نكرناها انفاً - فقالت ( ٦/٥ ) أن المقصود ( من جانب الولايات المتحدة ) هو إنشاء قوات كبيرة والأعداد لعمليات عسكرية في هذه المنطقة الاستراتيجية والواقعة بالقرب من الحدود السوفياتية » .

وأضافت « برافدا » : « لو أن هذه المخططات نوقشت من قبل الصحافة وحدها لما استرعت انتباهها خاصاً ، ولكن المسألة تختلف عندما تشارك في أعدادها شخصيات رسمية ، فهنا تجابه أعمالاً فعلية تؤدي إلى تعقيد الوضع الدولي . وإذا ما انتشرت مثل هذه الممارسات ، وصارت الدول الأخرى شأن الولايات المتحدة تزيد من قواتها العسكرية بعيداً عن حدودها ، وبخاصة في المناطق القابلة للانفجار كان يتضح أن هذه السياسة لن تؤدي إلى دفع العالم نحو مجابهة جديدة » .

في اليوم نفسه قالت وكالة « تاس » السوفياتية « ليس سرا أن الدوائر الامبريالية الأمريكية تسعى للحفاظ على مواقعها في الشرق الأوسط بأي ثمن -

الصناعية الغربية في عاصمة اليابان . ففي اليوم الذي بدأت فيه اجتماعات قمة طوكيو ( ٦/٢٨ ) انتهت اجتماعات وزراء النفط في « أوبيك » في جنيف الى قرارات بشأن زيادة اسعار اعتربت - بنورها - اكبر زيادة منذ تلك التي فرضت في أعقاب حرب ١٩٧٣ في الشرق الأوسط . فقد اتفقت دول « الأوبيك » على رفع السعر الاساسي لبرميل النفط الى ١٨ دولارا والسماح للدول الاعضاء باضافة علاوة مقدارها دولاران للبرميل الواحد ، وتحديد سعر اقصى للبرميل هو ٢٣,٥٠ دولارا بعد اضافة العلاوات العادية . ويبدأ العمل بهذا القرار اعتبارا من اول تموز ( يوليو ) .

في الوقت نفسه أكد البيان الختامي للأوبيك « ان المؤتمر أعرب عن قلقه من المشكلات التي تواجهها الدول النامية على ضوء استمرار التقدم قبول الدول الصناعية تحمل مسؤولياتها تجاه مشاكل العالم الثالث . وقد أثبتت دول « أوبيك » في الماضي تضامنها القوي مع دول العالم الثالث ، وساهمت بعدة نواح في التخفيف من المشكلات التي تواجهها الدول النامية الأخرى . وتتصرف دول « أوبيك » مرة أخرى وفقا لتضامنها الذي لا يتغير مع دول العالم الثالث الأخرى عن طريق رفع حجم المساعدات المقدمة للدول النامية . وتمت الموافقة على التوصية لحكومات الدول الأعضاء في « أوبيك » لاقرار رفع حجم مصادر الصندوق الخاص المالية باضافة مبلغ ٨٠٠ مليون دولار الى هذه المصادر وقد نظر مؤتمر « أوبيك » بنفس المنظار الى اقتراح آخر باقامة صندوق مشترك بين الدول الصناعية والدول الأعضاء في « أوبيك » للتعويض على الدول النامية عن التضخم المستورد من ناحية ، وعن اية زيادة في اسعار النفط الخام من ناحية أخرى » .

ومن الواضح ان قرار مؤتمر « أوبيك » فيما يتعلق برفع الاسعار كان بمثابة حل وسط بين موقف السعودية وموقف باقي الدول الأعضاء حيث كانت السعودية تصر على عدم زيادة سعر برميل النفط بأي حال عن ١٨ دولارا . ولكنه على اي حال - حل وسط يميل نحو رأي الدول الأخرى بعيدا بعض الشيء عن رأي السعودية ، خاصة وأن معظم دول « أوبيك » سارعت الى الاعلان فور انتهاء المؤتمر عن تحديد سعر نقطتها الحد الاقصى الذي اقره المؤتمر بينما أبدى وزير الطاقة السعودي احمد زكي اليماني دعم ارتياح الى القرارات التي انتهت اليها « أوبيك » .

وكندا وايطاليا واليابان . وكان المقصود من هذه القمة ان تبحث الأوضاع الاقتصادية ، للعالم الراسمالي ككل . ولكن أزمة الطاقة استغرقت كل أعماله . عل أن اشتراك الدول السبع في الاهتمام بمشكلة الطاقة لم يحجب الخلافات الكبيرة بينها حول كيفية مواجهتها . وقد حمل الرئيس كارتر الى قمة طوكيو خطة ترمي إلى تحديد واردات النفط في العامين الحالي والقادم ، بينما أبدى زعماء دول أوروبا الغربية رغبة في أن تشمل عملية تحديد الواردات النفطية السنوات من ١٩٨٠ الى ١٩٨٥ ، وهو ما كانت الدول الأوروبية قد اتفقت عليه في مؤتمر قمة السوق الأوروبية المشتركة الذي سبق قمة طوكيو بأيام . في الوقت نفسه عارض اليابانيون تحديد واردات النفط على اساس ان اليابان تستورد معظم حاجاتها من الطاقة ولأن الحكومة اليابانية تتوقع أن تزيد نسبة النمو الاقتصادي فيها عن النسب في الدول الأخرى المشتركة في قمة طوكيو .

وقد انتهت قمة طوكيو الى قرارات اعتبرت بمثابة انتصار لوجهة النظر الأوروبية حيث وافق المشتركين على مبدأ الحد من الواردات النفطية خلال السنوات الخمس القادمة ، مع قبول مبدأ آخر هو وضع مقاييس مختلفة لكل دولة على حدة ، والعمل على تطوير مصادر بديلة للطاقة .

على أن النتيجة الأبرز التي بدت من قمة طوكيو هي عمق الهزة التي تواجهها زعامة الولايات المتحدة للعالم الغربي ، ومدى اهتمام أوروبا الغربية بانتهاج سياسة استقلالية ، بل ومكتلة ، في مواجهة - الولايات المتحدة . فنجد الرئيس الفرنسي فاليري جيسكار ديستان يصرح ( ٦/٢٠ ) لدى عودته الى باريس بأنه مرتاح لأن « أوروبا سلكت مسلكا أوروبيا » في قمة طوكيو . وقال « عادة ما يتخذ الأوروبيون مواقف متناقضة للغاية .. ولكنهم في هذه المرة انتهجوا موقفا مشتركا جعل أوروبا ممثلة في المناقشات وجعلها تعكس موقفا متلاحما من أول المؤتمر الى آخره » . وأوضح نيسان أن قمة طوكيو انتهت الى ضرورة رسم مستقبل العلاقات بين الدول الصناعية والدول المنتجة للنفط عن طريق سياسة يتم التشاور بشأنها بين هاتين المجموعتين .

ومن المؤكد أن ظل اجتماعات وزراء منظمة الدول المصدرة للبترويل ( أوبيك ) الذي سبق قمة طوكيو بيوم واحد كان جائحا على نشاطات زعماء الدول

ورعلقت صحيفة « واشنطن بوست » ( ٦/٢٠ ) على زيادة أسعار النفط بقولها انها تعني أن الركود الاقتصادي تديرا فعلا في الولايات المتحدة ، وأن الوقت قد حان للتفكير في استراتيجية لمواجهة هذا الركود . وأضافت « أن احتمال حدوث متاعب للاقتصاد الأمريكي في المستقبل قد تزايد بدرجة كبيرة نتيجة زيادة أسعار النفط » . ووصفت حدوث ارتفاع مفاجيء في أسعار النفط المستورد بأن له نفس آثار زيادة الضرائب .

وفي ستراسبورغ في ٦/٢٢ كان المجلس الأوروبي للمجموعة الاقتصادية الأوروبية الذي انعقد على مستوى الرؤساء قد قرر في ختام أعماله تجميد واردات الدول التسع النفطية - خلال الفترة ١٩٨٠ و١٩٨٥ بحيث تبقى عند مستوى مماثلا أو أقل مما كانت عليه في العام ١٩٧٨ . والملح بيان القمة الأوروبية الى مسؤولية الولايات المتحدة حيث أعلن انه « من الواضح أن مجهودا على هذا النحو لا يمكن أن يستمر الا اذا بذلت الدول الصناعية الأخرى المستهلكة مجهودا مماثلا في الوقت نفسه .

والواقع أن السوق الأوروبية المشتركة ( المجموعة الاقتصادية الأوروبية ) ابديت خلال الشهر الفائت حرصا خاصا على اظهار نزوعها الى الاستقلال عن الولايات المتحدة ، خاصة فيما يتعلق بآزمة الطاقة والعلاقة مع « الأوبك » ، وفيما يتعلق بآزمة الشرق الأوسط . ويبدو دائما أن أوروبا الغربية تنظر الى المسائلين باعتبارهما وجهين لعملة واحدة .

وقد ساد الحديث خلال حزيران ( يونيو ) عن مبادرة أوروبية جديدة بشأن الشرق الأوسط ، وعززها اصدار وزراء خارجية دول السوق المشتركة بياناً في باريس اثر اجتماع لهم دام يوما واحدا ( ٦/١٨ ) أعلنوا فيه ( ١ ) أن الدول التسع تأسف لأي عمل قد يشكل عقبة في وجه السلام ، وهي تعتبر بشكل خاص أن مواقف وتصريحات معينة للحكومة الاسرائيلية هي ذات طبيعة تؤخر السعي الى تسوية شاملة . ( ٢ ) أن هناك عاملين رئيسيين معرقلين للسلام في الشرق الأوسط هما : اولاً - اسرائيل السيادة النهائية على الأراضي المحتلة الذي يتعارض مع قرار مجلس الأمن رقم ٢٤٢ الذي أرسى مبدأ عدم الاعتراف بالاستيلاء على اراضي الغير بالقوة ! وسياسة اقامة المستوطنات التي تتبعها الحكومة الاسرائيلية في الأراضي المحتلة والتي هي غير شرعية

وفقا للقانون الدولي . ( ٣ ) ان المجموعة الأوروبية ترى ضرورة انهاء اسرائيل لاحتلال الأراضي ، وضرورة احترام السيادة ووحدة الأراضي واستقلال كل دولة في المنطقة وحققها في العيش في سلام داخل حدود آمنة ومعترف بها . ( ٤ ) انه من أجل احلال سلام عادل ودائم يتعين الأخذ بعين الاعتبار الحقوق المشروعة للفلسطينيين وبينها حقهم في اقامة وطن .

وقد اعترض المراقبون في الغرب ببيان السوق الأوروبية المشتركة أشد ما صدر عن بلدان السوق التسعة ضد اسرائيل . ولهذا فقد أعلنت اسرائيل ( ٦/٢٠ ) رفضها بشدة بيان الدول الأوروبية في بيان رسمي سلمه وزير الخارجية الاسرائيلي موشي دايان سفراء الدول التسع . وقال البيان الاسرائيلي أن موقف السوق المشتركة « سيء لعملية السلام الجارية حاليا في الشرق الأوسط ، ولن يؤدي الى إلا الى تشبيط أطراف المفاوضات الخاصة بالحكم الذاتي ومستقبل يهودا والسامرة ( الضفة الغربية لنهر الأردن ) وقطاع غزة » .

واضاف البيان الاسرائيلي : « لقد كنا نأمل ان تقدم السوق الأوروبية مسانديتها بدون تحفظ الى هذا الانجاز التاريخي المتمثل في معاهدة السلام ، ولكن بعد قراركم لا يسعنا إلا الطلب منكم أن تضعوا في حسابانكم أن أي محاولة للاساءة إلى قضية المفاوضات قد تدعم العناصر التي تهدف الى اجباطها والمسؤولية الكبيرة التي ستقع على عاتق المسؤولين عن مثل هذه المحاولات » .

وقال البيان الاسرائيلي أيضا أن السوق المشتركة ترتكب خطأ لا يغتفر بحق قضية السلام في الشرق الأوسط . « وأن » المستوطنات تتفق تماما مع القانون الدولي » .

وحتى قبل صدور بيان وزارة خارجية دول السوق المشتركة كانت الانباء قد تحدثت من واشنطن عن حدوث تصدع في العلاقات بين الولايات المتحدة وفرنسا بسبب اختلاف وجهتي نظر البلدين بشأن أزمة النفط والشرق الأوسط . وقد ترديت هذه الانباء أثناء وجود وزير الخارجية الفرنسي بونسييه في واشنطن الذي صرح في مؤتمر صحافي في العاصمة الأمريكية ( ٦/٥ ) اثر يوم من المحادثات مع المسؤولين الأمريكيين بقوله « لقد تحدثنا بصراحة ووضوح . ولكن استرعى نظري مدى الاختلاق بين

يرى أن اتفاقات كامب ديفيد ومعاهدة الصلح المصرية - الإسرائيلية المعقودة في ٢٦ آذار ( مارس ) الماضي تتناقض مع قرارات وتوصيات حركة عدم الانحياز والأمم المتحدة ، ويدعو بلدان عدم الانحياز الى عدم الاعتراف بهذه الاتفاقات .

ويذكر البيان أنه « عرض على المكتب خلال دراسة مسائل الشرق الأوسط وفلسطين اقتراح يهدف الى وقف عضوية مصر بحركة عدم الانحياز مؤقتا ، واعرب أعضاء المكتب بعد مشاوراتهم عن اعتقادهم بأنهم ليسوا مختصين بمعالجة هذه المسألة ، وعلى هذا سيخذ مؤتمر هافانا قرارا في هذا الشأن » .

وانتقد البيان بشدة سياسة الولايات المتحدة لقيامها بدورهم في زيادة خطورة الوضع في الشرق الأوسط . وادان السياسات الأمريكية التي تسعى الى فرض حلول على المنطقة وتستهدف تجاهل الحقوق المشروعة للشعب الفلسطيني والتحرير الكامل للأراضي الفلسطينية والعربية المحتلة .

وأشار البيان إلى محاولات الولايات المتحدة لتصفية القضية الفلسطينية ، وقال أن أية حلول جزئية أو انفرادية لن تؤدي إلى أية تسوية عادلة وأن المكتب يشجب هذه المحاولات والسياسات ويدعو الى مقاومتها .

وشدد المكتب كذلك على حق منظمة التحرير الفلسطينية في رفض جميع اشكال التسويات والمشاريع والحلول الهانفة الى تصفية القضية الفلسطينية وانكار الحقوق المشروعة للشعب الفلسطيني . وفي الوقت نفسه ادان بيان المكتب اسرائيل لتعزير سياستها الخاصة بضم الأراضي الفلسطينية المحتلة بما فيها القدس واقامة مستوطنات صهيونية شبه عسكرية فيها .

سمير كرم

الاهتمامات الأمريكية واهتماماتنا نحن الفرنسيين » .

وكان المتحدث باسم البيت الأبيض الأمريكي جودي باول قد أعلن في اليوم نفسه ( ٦/٥ ) أن الرئيس الأمريكي كارتر أبلغ بونسيه « بشعور الولايات المتحدة بخيبة الأمل » ازاء عدم مساندة فرنسا لمعاهدة الصلح المصرية - الاسرائيلية . وأضاف : « لقد تقرر بوضوح ان الولايات المتحدة تشعر الى حد ما بخيبة الأمل لكون الفرنسيين قد ارتأوا أنه ليس من الخير أن يساندوا عملية السلام التي بدأت في الوقت الحاضر بين اسرائيل ومصر . وان انطلاقا كهذا للمساندة من دولة صديقة يمكن ان يؤدي الى تعزيز المعسكر « المتطرف » وارغام المعتدلين على التخلي عن وجهات نظرهم » .

### مؤتمر عدم الانحياز

#### والموقف من « المعاهدة »

سيطرت تطورات الشرق الأوسط أيضا على مؤتمر مكتب التنسيق الخاص بحركة عدم الانحياز الذي عقد في كولومبو عاصمة سرى لانكا ( ٤ - ٦/١٠ ) نتيجة لما أعلنه عدد من الدول العربية الأعضاء في الحركة عن عزمها على طلب وقف عضوية مصر في حركة عدم الانحياز وبالتالي اقصائها عن مؤتمر القمة للدول غير المنحازة المقرر عقده في ايلول ( سبتمبر ) القادم في هافانا .

وعلى الرغم من أن مؤتمر مكتب التنسيق - الذي يعد بمثابة المؤتمر التحضيري لقمة عدم الانحياز - قد أوجها اتخاذ قرار بشأن عضوية مصر تاركا القرار لرؤساء الدول ، إلا أن البيان الختامي للمكتب ( ٦/١٠ ) رفض اتفاقات « كامب ديفيد » ومعاهدة الصلح المصرية - الاسرائيلية ، كما تضمن تنديدا شديدا بسياسة الولايات المتحدة في الشرق الأوسط .

فقد نص البيان الختامي على أن مكتب التنسيق

## قضايا عسكرية

### « التسليح الاميركي لمصر »

مدفع واكثر من ٤٠ الف عربة عسكرية . ووقتها صرح « موريس درابر » نائب مساعد وزير الخارجية الاميركية . بأن الولايات المتحدة الاميركية لا توجد لديها خطط لببيع مصر اسلحة قبل عقدها معاهدة الصلح بينها وبين اسرائيل . كما قال « فرانك تشيرتشر » ، رئيس لجنة العلاقات الخارجية في مجلس الشيوخ الاميركي وقتئذ ( في ٤/٣ ) أن « آخر شيء يجب علينا التفكير في عمله هو جعل مصر مركزا عسكريا ضخما في الشرق الاوسط » .

وحتى الآن ( ٧٩/٦/١٦ ) لم تعرف بعد تفاصيل عما وافقت عليه فعلا الولايات المتحدة الاميركية . من نوعيات وكميات الاسلحة التي طلبتها مصر ، كبديل عن الكميات الضخمة التي لديها من الاسلحة السوفياتية . عدا الاثنتي عشرة طائرة « ف - ٤ فانتوم » ، التي اعلنت مصادر اميركية في ٧٩/٥/٣١ أن الولايات المتحدة مستعدة لتزويد مصر بها قبل تشرين الثاني ( نوفمبر ) المقبل . وأن ١٦ طيارا مصريا من المتوقع وصولهم في اوائل حزيران ( يونيو ) ، للتدريب على هذه الطائرات في مركز لسلح الطيران الاميركي . في سان انطونيو بولاية تكساس . وعلى هذا الاساس قال « السادات » ، في خطاب القاه يوم ٧٩/٥/١٢ بجامعة طنطا . أن طائرات « فانتوم » اميركية الصنع ، يقودها طيارون مصريون . ستظهر في سماء القاهرة للمرة الاولى في ذكرى حرب اكتوبر القادمة . وعلى هذا الاساس ايضا ، قال في خطابه

وصلت الى القاهرة في ٢٠/٥/٧٩ بعثة عسكرية اميركية ، برئاسة المدير المساعد في البنتاغون « اريك فون ماريود » ، تضم عددا كبيرا من خبراء وزارة الدفاع الاميركية . وبحث مع وزير الدفاع المصري الفريق أول « كمال حسن علي » والفريق « احمد بدوي » ، رئيس الاركان ، وعدد من كبار العسكريين المصريين ، في تفاصيل صفقة الاسلحة الاميركية المزمع عقدها مع مصر ، ضمن نطاق القرض البالغ قدره ١٥٠٠ مليون دولار ، الذي اقره مجلس النواب الاميركي ( في ٢٦/٥/٧٩ ) كجزء من مبلغ ٤٨٠٠ مليون دولار المقرر كمساعدات وقروض اميركية لكل من اسرائيل ومصر ، لدعم معاهدة « السلام » المعقودة بينهما ( ستحصل اسرائيل من هذا المبلغ الاجمالي ٨٠٠ مليون دولار مساعدة لبناء قواعد جوية تحل محل تلك التي سنخليها في سيناء ، بالاضافة الى ٢٢٠٠ مليون دولار كقرض عسكري . اما مصر فستحصل على ٣٠٠ مليون دولار كمساعدة اقتصادية ، فضلا عن الـ ١٥٠٠ مليون دولار كقرض عسكري ) . والمفروض تنفيذ القرض العسكري لمصر على مدى ثلاث سنوات . وتعتبر هذه الحادثات اول خطوة عملية اميركية ( عدا الخطوة المالية التي اقرها الكونغرس بطبيعة الحال ) تتخذ عقب زيارة « براون » ، وزير الدفاع الاميركي ، لمصر في ١٥ - ١٨ شباط ( فبراير ) ١٩٧٩ ، التي قدمت مصر اليه خلالها لائحة اسلحة ضخمة ، تشمل ٣٠٠ طائرة مقاتلة من طراز « ف - ١٦ » ، و ٦٠٠ دبابة و ٥٠٠

وعموما ، فإن المعلومات والتقديرية المتسرية عن مجمل المفاوضات المصرية - الاميركية حول التسليح الاميركي لمصر ، تفيد بأن هذه المفاوضات ، خاصة تلك التي أجراها « حسني مبارك » في « واشنطن » ( ومن باب أولى المفاوضات التي جرت على مستوى اقل في مصر بين العسكريين الاميركيين والمصريين ) لم تحقق نتائج ملموسة وحسية ، ذلك لانه من الصعب جدا على الادارة الاميركية اقناع « اللوبي الاسرائيلي » في الولايات المتحدة « بقبول حصول مصر على اسلحة كالاسلحة التي حصلت عليها اسرائيل » (٢) . والمقصود بذلك أسلحة تضم طائرات « ف - ١٦ » ، وبوابات حديثة ، وطائرات بدون طيار ، ومعدات الكترونية متطورة « السخ ، ما تضمنته قائمة الاسلحة المصرية ، التي قدمت في شيباط ( فبراير ) الماضي لبراون ، والتي حملها « مبارك » مجددا الى « كارتر » في زيارته الاخيرة المشار اليها .

وهكذا يتضح لنا ، ان الشيء العملي الذي اسفرت عنه الجهود المصرية في الحصول على اسلحة اميركية ، تتخطى طائرات النقل وعربات الجيب والشاحنات ، ينحصر حتى الآن في الوعد بالحصول على ١٢ طائرة « ف - ٤ فانثوم » ، واحتمال قبول الولايات المتحدة تمويل صفقة الـ ٥٠ طائرة « ف - ٥ إي » ، من ضمن قرض الـ ١٥٠٠ مليون دولار المذكور ، والمسألة الاخيرة ما زالت غامضة حتى الآن . وعموما ، فإن قبول الولايات المتحدة المسبق ببيع الـ ٥٠ طائرة المشار اليها يعني ، بغض النظر عن مشكلة التمويل التي لم تحل عمليا بعد ، ان مصر ستحصل خلال هذا العام ، أو العام القادم ، على الطائرات المذكورة ، وعلى الـ ١٢ طائرة « فانثوم » . وقد سبق لنا أن اوضحنا قدرات الطائرة « ف - ٥ إي » ( راجع شهريات العدد ٧٧ من « شؤون فلسطينية » ) من حيث انها طائرة قديمة تعد من طائرات الصف الثالث الاميركية ، وانها اقل قدرة قتالية من طائرات الجيل الثاني « الميغ - ٢١ » المصرية ، ولذلك اعتبرها « الجسمي » معادلة للميغ - ١٧ ، وقال عنها السادات مرارا انها « طائرة من الدرجة العاشرة » ! اما طائرة « الفانتوم » ، التي وعبت مصر بالحصول على ١٢ منها ، قبل نهاية العام الحالي ، فهي من طائرات الصف الثاني الاميركية ، قياسا

المذكور ، ان قرار الولايات المتحدة بتزويد مصر باسلحة يبلغ ثمنها مليار ونصف مليار دولار ، سيجعل التكنولوجيا العسكرية المصرية تقفز ٢٠ خطوة الى الامام !

وتقول مصادر في وزارة الخارجية الاميركية ، في ٧٩/٥/٣١ ، ان « السادات » يصر على الحصول على سرب يضم بين ١٦ و ١٨ طائرة « فانثوم » ، في حال الغاء التمويل السعودي ( ٥٢٥ مليون دولار ) لصفقة الـ ٥٠ طائرة مقاتلة من طراز « ف - إي تايفر ٢ » ، التي تضمنتها صفقة الطائرات الثلاثية الشهيرة ( ٧٥ طائرة ف - ١٦ و ١٥ طائرة « ف - ١٥ » لاسرائيل ، و ٦٠ طائرة « ف - ١٥ » السعودية ، و ٥٠ طائرة « ف - ٥ إي » لمصر ) في العام الماضي ، والتي ترفض السعودية ، حاليا ، دفع ثمنها ، تمشيا مع قرارات مؤتمر « بغداد » . وفي ٧٩/٦/٩ وصل نائب الرئيس المصري « حسني مبارك » الى واشنطن ، حيث عقد اجتماعا مع الرئيس الاميركي « كارتر » ابغاه فيه رسالة من « السادات » ، وكان موضوع التسليح الاميركي لمصر احد الموضوعات الرئيسية التي بحثت في الاجتماع المذكور ، بالاضافة الى موضوع المستوطنات الاسرائيلية الجديدة .

وأعلن بيان صادر من « البيت الابيض » ، اثر عقد الاجتماع المشار اليه في ٦/١١ ، جاء فيه أن « الرئيس الاميركي يؤكد من جديد تصميمه على مساعدة مصر لمواجهة احتياجاتها الدفاعية المشروعة » . وقد استمرت زيارة نائب الرئيس المصري للولايات المتحدة حتى ٧٩/٦/١٢ ، ثم توجه بعد ذلك الى كل من لندن وباريس لبحث مع المسؤولين فيها في نتائج محادثات الاميركية ، وفي مشكلات تمويل الصناعة الحربية المزمع اقامتها في مصر بعد توقف السعودية ودول الخليج في الاستمرار بالمشروع ( الهيئة العربية للتصنيع الحربي ) . وفي ٧٩/٦/١٧ وصل الى القاهرة الجنرال « وليم بيري » مساعد وزير الدفاع الاميركي ، في زيارة تستغرق ٤ ايام ، تستهدف اجراء محادثات مع وزير الدفاع المصري ، والمسؤولين عن الانتاج الحربي في مصر . لبحث « امكانات التعاون في مجال الصناعة الحربية واساليب رفع القدرات والطاقت العسكرية المصرية ، ونقل التكنولوجيا الحديثة وتطبيقها في المصانع الحربية في مصر » (٣) .

تشمل ٦٠ طائرة « ميغ - ١٩ » ، وهو ما أكدته صحيفة « الاهرام » ، في عددها الصادر يوم ٧/٦/٧٩ . مضيفة أن الطائرات الصينية الصنع من طراز « ميغ - ١٩ » ستشارك في العرض العسكري الذي سيقام في ٦ تشرين الاول ( اكتوبر ) المقبل ، بمناسبة ذكرى حرب ١٩٧٣ . واوضحت الصحيفة المذكورة ، نقلا عن مصادر غربية . أن مصر ستتلقي ٦٠ طائرة على الاقل كهدية من الصين ، الى جانب صفقة اسلحة تشمل مدافع ومعدات حربية اخرى .

وقد صرح اللواء محمود شاكر ، قائد السلاح الجوي المصري ، يوم ٧/٦/٧٩ بأن سلاحه يملك طائرات مقاتلة مصنوعة في الصين سلمت حديثا الى مصر ، ولم يوضح نوعية هذه الطائرات بدقة . والمعروف أن الصين انتجت طائرات مقاتلة سوفياتية الطراز ، مع ادخال بعض التعديلات المحدودة عليها احيانا . من انواع « الميغ - ١٧ » و « الميغ - ١٩ » و « الميغ - ٢١ » . ولكن الطائرة الاكثر انتاجا في الصين هي « الميغ - ١٩ » ، إذ انتج منها اكثر من ٤ الاف طائرة منذ العام ١٩٥٩ حتى الآن . على حين انتج من « الميغ - ١٧ » نحو الف طائرة حتى منتصف العام ١٩٦٠ ، حيث توقف انتاجها . أما النسخة الصينية من « الميغ - ٢١ » فقد انتجت منها كميات محدودة للغاية ، واوقف انتاجها في العام ١٩٧٥ . ولذلك فنحن نرجح أن تكون صفقة الطائرات الصينية لمصر مؤلفة اساسا من طائرات « ميغ - ١٩ » ، المعروفة باسم « شين يانغ ف - ٦ » . وهي طائرة مقاتلة مزودة بمحركين نفاثين تبلغ قوة دفعهما معا ٦٥٠٠ كلف ، وتصل سرعتها القصوى الى نحو ١٤٥٢ كلم/ساعة ، على ارتفاع عشرة آلاف متر ، ويبلغ مداها القتالي حوالي ٦٨٥ كلم . وهي مسلحة بثلاثة مدافع عيار ٣٠ مم لكل منها ٧٠ طلقة ، ويمكنها أن تحمل صاروخين جو - جو قصير المدى ، كما يمكنها أن تحمل قنبلتين زنة الواحدة منها ٢٥٠ كلف ، بالاضافة الى خزاني وقود اضافي ، وذلك في حالة قيامها بمهمة قصف ارضي .

وقد سبق لمصر أن حصلت من الاتصاف السوفيتي ، منذ العام ١٩٥٩ ، على نحو ٨٠ طائرة « ميغ - ١٩ » ، لمواجهة طائرات « سوبر ميستير ٢ ب » الفرنسية الصنع ، التي حصلت عليها اسرائيل وقتئذ . وقد خرجت « الميغ - ١٩ » عمليا من خدمة

بطائرات الصف الاول من انواع الـ « ف - ١٤ » و « ف - ١٥ » و « ف - ١٦ » العاملة في الخدمة الاميركية حاليا ، وقد دخلت ٢٥ طائرة « ف - ١٥ » في خدمة الطيران الاسرائيلي فعليا ، وسوف تدخل طائرات « ف - ١٦ » الخدمة خلال العام الحالي ، أو اوائل العام القادم ، على الاكثر . ويدخل ١٢ طائرة « ف - ٤ » فانتوم « الخدمة العملية في السلاح الجوي المصري . في الربع الاخير من عام ٧٩ ، لا يعني شيئا بالنسبة للطيران الاسرائيلي الذي بدأ يدخل طائرات « الفانتوم » في خدمته خلال الربع الاخير من عام ٦٩ ، ابان « حرب الاستنزاف » ، والذي يمتلك منها حاليا نحو ٢٥٠ طائرة ، سوف يستبدلها تدريجيا خلال النصف الاول من الثمانينات ، على الأرجح ، بطائرات احداث من انواع « ف - ١٥ » و « ف - ١٦ » .

وفي الوقت ذاته فإن حصول السلاح الجوي المصري على طائرات « الفانتوم » لا يعني قفزة في النوعية ، أو في التكنولوجيا العسكرية المصرية ، نظرا لأن طائرات « الميغ - ٢٣ » تعتبر موازية على الاقل للفانتوم تقنيا وتكتيكا ، إن لم تكن تفوقها فعليا .

ولما كانت النسبة العددية بين ما سيكون لدى الطيران المصري من طائرات « الفانتوم » ، وما لدى الطيران الاسرائيلي منها حاليا ، هي الى ٢٠ لصالح الطيران الاسرائيلي ، فإن مغزى الصفقة الاميركية المذكورة لمصر هو خطوة الى الوراء بنحو ٢٠ مرة في مجال الكم ، فضلا عن انه يشكل تجميدا ، أو رجوعا الى الخلف ، في مجال النوعية . وهكذا يتأكد لنا ، وفقا للمعطيات الملموسة سالفة الذكر ، أن هدف السياسة الاميركية - الاسرائيلية بالنسبة لمسألة تسليح ، أو اعادة تسليح مصر ، انما هو خفض مستوى تسليحها بدرجة كبيرة وخطيرة ، سواء من حيث الكمية أو النوعية ، بحيث ينعدم تماما أي توازن في القوى العسكرية بينها وبين اسرائيل في المستقبل المنظور .

### « صفقة الطائرات الصينية لمصر »

اعلنت مصر ، على لسان رئيسها في خطاب القاہ يوم ٧/٦/٧٩ ، عن صفقة اسلحة عقدت مؤخرا مع الصين الشعبية . وفي اليوم ذاته صرحت مصادر دبلوماسية غربية في القاهرة أن الصفقة المذكورة

« بيس » فهي اقل بكثير ، وذلك في الوقت الذي تتفوق فيه الاخيرة على طائرات « الكفير » الاسرائيلية ، وتتقارب الى حد لا بأس به مع قدرات الـ « ف - ١٦ » .

وفي النتيجة الاخيرة لا تشكل طائرات « الميغ - ١٩ » الصينية ، بنوعها الاصلي والمعدل ، أي تطوير نوعي لقدرات السلاح الجوي المصري ، بل تعد خطوات ثلاث الى الوراء من الناحية التقنية ( باعتبار ان « الميغ - ٢١ م ف » تعد خطوة و « الميغ - ٢١ بيس » خطوة ثانية و « الميغ - ٢٣ » و « الميغ - ٢٧ » خطوة ثالثة ) في مجال علاقات القوى الجوية مع اسرائيل . ولكنها لا شك تعد اداة صالحة للمعارك ضد القوى الاخرى ، التي قد يضطر الطيران المصري الى القتال ضدها في افريقيا مثلا ، تمشيا مع متطلبات عدم التدخل الاميركي المباشر ضد حركات التحرر الوطني . مثلها في ذلك مثل طائرات « ف - ٥ » إي تايجر ٢ » الاميركية ، التي لا تصلح على أي نحو للتصدي للطائرات الاسرائيلية من انواع « الفانتوم » أو « الكفير » أو « ف - ١٥ » ( أو « ف - ١٦ » في المستقبل القريب ) . ولكنها تصلح للقتال ضد العصابات ، أو الدول الضعيفة التي لا تملك طائرات قتال حديثة متطورة .

### « الولايات المتحدة تحصل على طائرتي ميغ - ٢٣ »

وفقا لما نشرته « ارميد نورترزجورنال » انترناشيونال « الاميركية » ، في ٧/٦/٧٩ ، حصل السلاح الجوي الاميركي مؤخرا على طائرتين نصريتين من طراز « ميغ - ٢٣ » سوفيتية الصنع . وبدأ الطيارون الاميركيون في التدريب عليها ، كجزء من تدريباتهم العملية على حوض المعارك الجوية ضد الطائرات السوفيتية . واذا صحت هذه الانباء ، فأنها تشكل خرقا واضحا لمتطلبات الامن القومي العربي ، فضلا عن متطلبات الديبلوماسية ، واصل التعامل بين الدول المصدرة للسلاح وتلك المستوردة له . ذلك لأن الاسلحة الجوية العربية لكل من سورية والعراق وليبيا والجزائر تضم اعدادا متزايدة من طائرات « الميغ - ٢٣ » ، وطرانها المعدل الخاص بعمليات الهجوم الارضي المسمى « ميغ - ٢٧ » . وتسرب اسرار طائرات « الميغ - ٢٣ » و « الميغ - ٢٧ » الى الولايات

السلاح الجوي المصري عقب حرب ٦٧ ، التي دمرت خلالها نحو ٣٠ طائرة ( وفقا للتقديرات الاسرائيلية ) . وقد اثبتت « الميغ - ١٩ » ،

الصينية الصنع ، والتي حصلت منها باكستان على نحو ٩٠ طائرة ، قدرة جيدة في القتال الجوي المتلاحم « قتال المهارشة » ، خلال الحرب الهندية - الباكستانية عام ١٩٧١ . ولكن « الميغ - ٢١ م ف » الهندية تفوقت عليها ، نظرا لتمتعها بسرعة اكبر ، و قدرة قتالية افضل و احدث ، رغم تقارب قدرة الطائرتين في معدل نسبة قوة الدفع الى الوزن ( وهو احد عوامل قدرة الطائرة المقاتلة على المناورة ، بالإضافة الى قدرة التسلق و قدرة التسارع ، ومدى قصر شعاع الالتفاف الانسي للطائرة على مختلف الارتفاعات ) ، وفي المدى القتالي . فالميغ - ٢١ المذكورة تصل سرعتها القصوى الى ٢٢٣ كلم ، وتتسلح بمدفعين احدث من عيار ٢٣ مم ، فضلا عن ٤ صواريخ جو - جو قصيرة المدى . وتستطيع أن تحمل ١٥٠٠ كلغ من القنابل ، بالإضافة الى خزان وقود اضافي ، وذلك في حالة قيامها بمهمة قصف ارضي . وهناك طراز معدل من « الميغ - ١٩ » الصينية ، يعرف باسم « شين يانغ ف - ٩ » ، انتجت منه كميات محدودة ،

ادخلت عليه تطويرات تتعلق بقوة المحركات التي اصبحت قوة دفعها ٧٥٠٠ كلغ ، ومن ثم زادت السرعة القصوى للمناورة الى نحو ١٦٠٠ كلم/ساعة على ارتفاع عال . ويبلغ مداها القتالي في حالة القيام بمهام الاعتراض الجوي نحو ٧٠٠ كلم . اما في حالة قيامها بمهمة قصف جوي ، وحملها نصف طن من القنابل وخزائني وقود اضافي ، وتحليقها على ارتفاع عال - منخفض - عال ، فإن مداها القتالي يبلغ نحو ٧٩٠ كلم . واقصى حمولة لها من القنابل تصل الى ١,٥ طن . كما أن معداتها الكترونية بعض الشيء ، بحيث يكون رادارها قادرا على الكشف والعقب ، على مسافة ٢٠ كلم و ١٢ على التوالي . على خلاف النوع الاصلي من « الميغ - ١٩ » المجهزة برادار كشف عن الهدف فقط ، ومن ثم اصبحت النوع المعدل « ف - ٩ » له قدرة القيام بقتال جوي ليلي ، أو في اجواء عدم الرؤيا النهارية الواضحة . ورغم تقارب هذه الطائرة مع « الميغ - ٢١ م ف » في قدرات المدى والحمولة القتالية ، غير انها اضعف منها في السرعة والقدرة على المناورة . أما قدراتها بالنسبة للجبل الثالث من الميغ - ٢١ المسمى

## « السفن الحربية الاسرائيلية تعبر قناة السويس »

في يوم ٢٩/٥/٧٩ عبرت قناة السويس ، تنفيذاً لشروط معاهدة « السلام » المصرية - الاسرائيلية ، ٢ سفن حربية اسرائيلية قادمة من « شرم الشيخ » في مدخل خليج العقبة ، وهي سفن انزال دبابات تحمل اسماء « اشنود » و« عسقلان » و« اشريف » ، كانت تعمل في منطقة خليج العقبة ، وخليج السويس ، والبحر الاحمر ، استناداً الى قاعدتها الرئيسية في « ايلات » . وكانت كل سفينة منها تحمل ٢٤ شاحنة عسكرية ، بالإضافة الى طاقمها البحري المؤلف من ٣٥ ضابطاً وبحاراً .

ولا شك في ان هذه الخطوة ، التي سبقتها خطوة عبور سفينة شحن اسرائيلية غير حربية اسمها « اشنود » يوم ٢٠/٤/٧٩ ، تحمل في طياتها احد المكتسبات الاستراتيجية الهامة التي حققتها اسرائيل في معاهدة « السلام » مع مصر ، والتي سيكون لها تأثيرها في ميزان القوى البحري ، مستقبلاً ، بين اسرائيل وبقية الدول العربية الراضية عقد معاهدات مماثلة مع اسرائيل .

ذلك لأن حرية مرور السفن الحربية الاسرائيلية عبر قناة السويس ، ستتيح للبحرية الاسرائيلية امكانيات حركة ومناورة اوسع بقوتها البحرية عبر البحرين الابيض المتوسط والاحمر ، على خلاف الوضع السابق ، حين كانت البحرية المذكورة تضطر الى تخصيص قوتين منفصلتين في كل من البحرين الابيض والاحمر ، مع كل ما يرتبه ذلك من مشكلات لوجستية وتكتيكية ، خاصة من حيث عدم توفر قدرة تعزيز أي منهما اثناء العمليات الحربية ، نظراً لاضطرار القطع البحرية الى قطع طريق بحري طويل ، يمر حول القارة الافريقية باكملها عبر « رأس الرجاء الصالح » ومضيق « باب المندب » و« جبل طارق » للانتقال بين قواعدها ومسارح عملياتها في كل من البحرين الابيض والاحمر ، عدا زوارق « بورد » الخفيفة التي يمكن نقلها فوق شاحنات برية بين مرافئ البحرين المذكورين .

الامر الذي سيجري عليه زيادة قدرة البحرية الاسرائيلية على تهديد الدول العربية المطلة على البحر الاحمر ، وتلك المطلة على خليج « عدن » وبحر العرب ، الامر الذي يجب ان يدخل في الحسابات

المتحدة الاميركية يعني تسريها الى اسرائيل بعد ذلك .

لانه بغض النظر عن العلاقات الخاصة القائمة بين الدولتين ، فإن هناك علاقات تباين خاصة بالمعلومات العسكرية التي تحصل عليها أي منهما بالنسبة للأسلحة السوفيتية ، التي تستخدمها الدول العربية . وقد تمثلت هذه العلاقات في قيام اسرائيل بتسليم الولايات المتحدة الاميركية نماذجاً من الاسلحة السوفيتية التي وقعت بعضها كغنائم في ايديها خلال حرب ١٩٧٢ ، مثل دبابات « ت - ٦٢ » وعربات قتال المشاة المدرعة « ب م ب - ١ » ،

وصواريخ « سام - ٦ » الخ ، واجرت القوات الاميركية تدريبات عملية عليها ، اوردت عنها المجلات العسكرية الدولية اخباراً ومعلومات وصورا عدة . ومن ثم فان المنطقي تماماً ان يحصل الطيارون الاسرائيليون على تدريبات ، أو معلومات مفصلة عن الطائرة المقاتلة الأكثر تطوراً لدى الاسلحة الجوية العربية المذكورة ، وتتوفر لديهم بذلك فرصة افضل من الطيارين العرب الذين لم يحصلوا على مثل هذه المعلومات الكاملة عن طائرات « ف - ١٥ » ، أو « ف - ١٦ » ، أو حتى « الكفير » . والجدير بالذكر ان لكل طائرة ، مهما

عرف عنها من معلومات أو تقديرات منشورة أو عبر وسائل التجسس المختلفة ، جانباً خاصاً أكثر بقاءً واهمية وحساسية بالنسبة لمزاياها التقنية وقدراتها التكتيكية . لا يعرف إلا عند الحصول على نموذج سليم لها ، وذلك مثلما حدث بالنسبة لطائرات الجيل الاول من « الميغ - ٢١ ب ف » ، التي حصلت اسرائيل على واحدة منها عام ١٩٦٦ بواسطة طيار عراقي هرب بطائرته اليها . وقد تدرب العديد من الطيارين الاسرائيليين على الطائرة المذكورة ،

وتعرفوا على مزاياها وجوانبها الضعيفة الخفية قبيل نشوب حرب ١٩٦٧ . وكان لذلك اشهره على الاشتباكات الجوية المحدودة التي جرت اثناء هذه الحرب ، أو تلك التي جرت في خلال العام ١٩٨٠ خلال حرب الاستنزاف ، قبل ان تصل طائرات الجيل الثاني من « الميغ - ٢١ م ف » . ولذلك فان عبثاً جديداً يلقي اليوم على كاهل طياري « الميغ -

٢٢ » العرب ، يتمثل في ضرورة استيعابهم الجيد لقدراتها وتطوير تكتيكاتهم القتالية ضد طائرات العدو الاسرائيلي ، الذي سيصبح قريباً على علم دقيق بمميزات طائراتهم المذكورة .

الحرب المستمرة ضد الثورة الفلسطينية والقوى الوطنية اللبنانية ، التي تشكل الحرب النفسية احد اسلحتها الرئيسية .

### « المعركة الجوية بين الطيران السوري والاسرائيلي »

جرت في سماء الجنوب اللبناني يوم ٢٧/٦/٧٩ اول معركة جوية بين الطيران السوري والاسرائيلي منذ العام ١٩٧٤ ، حين وقعت آخر معركة جوية بين الطرفين في ٢٩ نيسان ( ابريل ) من العام المذكور قبل شهر من توقيع اتفاق الفصل بين القوات على الجبهة السورية ، الذي اعقبه وقف اطلاق النار بين القوات السورية والاسرائيلية على جبهة الجولان حتى الآن .

وقد وقعت المعركة الجوية الاخيرة في حوالي الساعة ١١,٣٠ من اليوم المذكور ، حين تصدى تشكيل مؤلف من سربين من المقاتلات السورية « الميغ - ٢١ المعجلة » ( من طراز « م ف » على الأرجح ) ، كل منهما يضم ٤ طائرات ، لتشكيلات تضم ٨ طائرات اسرائيلية من طراز « ف - ٤ فانتوم » كانت تغير على منطقة « الدامور » وعند اقتراب المقاتلات السورية الثماني من الطائرات المغيرة تصدت لها ، من ارتفاعات منخفضة ، نحو ٨ طائرات مقاتلة اسرائيلية من طراز « ف - ١٥ » ، تعاونها نحو ٦ مقاتلات اخرى من طراز « كفير » ، شكلت جميعا قوة تأمين الحماية الجوية للتشكيلات المغيرة ، التي انسحبت من ساحة المعركة الجوية عند بدئها .

وقد جرت المعركة المذكورة اساسا بأسلوب القتال الجوي التلاحمي « dog Fight » ، واستخدمت فيه الصواريخ جو - جو بصورة رئيسية بالإضافة لنيران المدافع الآلية المسلحة بها الطائرات . وفي الوقت ذاته لم تتوقف نييران الدفاعات الارضية التابعة للمقاومة الفلسطينية والقوى الوطنية اللبنانية ، والتي ضمت رشاشات ثقيلة ومدافع الية وصواريخ ارض - جو من طراز « سام - ٧ » .

وقد اسفرت المعركة الجوية ، التي جرى خلالها اشتباك استغرق كل منهما ٢ - ٣ دقائق ، عن اسقاط ٣ طائرات سورية بنيران الطائرات

الاستراتيجية للدول المذكورة ، بعيدا عن حساباتها القديمة المستندة على قوة مصر البحرية ، واغلاق قناة السويس في وجه البحرية الاسرائيلية .

### « الهجمات والتحليق الجوي الاسرائيلي فوق لبنان » .

مع استمرار الحرب الفلسطينية - الاسرائيلية داخل الارض المحتلة في فلسطين ، وفوق ارض جنوب لبنان ، والتي كان من ابرز معالمها من الجانب الفلسطيني استمرار الضربات الفلسطينية قرب تل ابيب ، وفي القدس ، والخليل ، وطبرية ، ومحاولة القصف من البحر قرب رأس الناقورة ، استمر الطيران الاسرائيلي في غاراته الجوية ضد مختلف قرى ومواقع الجنوب اللبناني ، طوال النصف الثاني من ايار ( مايو ) والنصف الاول من حزيران ( يونيو ) ١٩٧٩ . وكان ابرز هذه الغارات تلك الغارة التي شنتها ٨ طائرات اسرائيلية على بلدتي « الدامور » و « حارة الناعسة » القريبتين من « بيروت » جنوبا ، يوم ٢٣/٥/٧٩ ، والتي ذهب ضحيتها عشرات القتلى والجرحى ، والحقت اضرار مختلفة خلالها بالمنازل والمعامل . وقد وصلت الطائرات ، ضمن تشكيلين يتألف كل منهما من ٤ طائرات ، وذلك على ارتفاع نحو ٢٠ الف قدم ، فوق الهدف ، ثم انقضت التشكيل المهاجم ( وبقي التشكيل الآخر في تأمين الحماية الجوية ) الى ارتفاع يتراوح بين ٥ و ٦ آلاف قدم حيث القى قنابله واطلق صواريخه ومدافعه ، على الاهداف المنتقاة وفقا للصور الجوية السابقة ، والتحليق السابق للانقضاض على ارتفاع عال ، وذلك لتجنب الدفاعات الارضية المضادة للطائرات ، المؤلفة اساسا من رشاشات ثقيلة عيار ١٢,٧ مم ومدافع خفيفة من عيار ١٤,٥ مم و ٢٠ مم و ٢٣ مم و ٢٧ مم وجميعها من الانواع غير الموجهة بالرادار ، ولا يزيد اقصى مدى فعال لها عن ٦ او ٧ آلاف قدم . وكذلك لتجنب صواريخ « سام - ٧ » قصيرة المدى التي تستخدم احيانا ضد الطائرات الاسرائيلية .

وبالإضافة الى قصف « الدامور » والعديد من قرى ومواقع الجنوب فقد قام الطيران الاسرائيلي ، طوال الشهر الماضي تقريبا ، بطلعات جوية شبه يومية فوق بيروت ومناطق عدة في لبنان ، على ارتفاعات متوسطة وعالية ، لتجنب فاعلية الدفاعات الارضية وازعاجها ، وتوتير الجو النفسي للمواطنين وقوات الردع في الوقت ذاته . تمشيا مع سياسة

الاسرائيلية ، كما اصيبت طائرة سورية رابعة بصاروخ ارضي ، وتمكن قائدتها من الهبوط بها في مطار « ابلح » برياق في سهل البقاع اللبناني . وذلك مقابل طائرة اسرائيلية من طراز « ف - ١٥ » ، اكد احد الطيارين السوريين انه اسقطها في البحر ( وهو احد الطيارين الذين اسقطت طائراتهم ، ومن ثم لا تتوفر الصور الجوية المثبتة لقوله والتي تلتقطها الكاميرا المثبتة عادة في مقدمة كل طائرة مقاتلة ) ، وذلك وفقا للبلاغ السوري . اما البلاغ الاسرائيلي فقد حدد خسائر الطرف السوري بسقوط ٥ طائرات سورية ونفى سقوط اي طائرة اسرائيلية .

ونحن نرجع صحة البلاغ السوري ، الذي اثبتته عدة شواهد منها حطام الطائرات والعثور على الطيارين احياء ، ومن ثم وان نتيجة المعركة على المستوى التكتيكي تعتبر لا بأس بها في اول مواجهة بين الطائرات السورية « ميغ - ٢١ م ف » والاسرائيلية « ف - ١٥ ايغل » ، حتى لو كانت النتيجة ٢ الى صفر . ذلك لان الطائرة « ف - ١٥ » تعد احدث المقاتلات الاميركية العاملة حاليا ، وهي معتبرة الطائرة المقاتلة الرئيسية للثمانينات والمصممة اصلا لمواجهة « الميغ - ٢٥ » السوفيتية . ولذلك استخدمتها القيادة الجوية الاسرائيلية ، وبطريقة مفاجئة للقيادة الجوية السورية ( عن طريق ادخالها المعركة من ارتفاعات منخفضة ) ، في اول معركة جوية منذ العام ٧٤ كي تحرز بها نصرا تكتيكا كبيرا يثبت تفوق الطيران الاسرائيلي ، ويكون له تأثيره المعنوي على الطيران السوري والجماهير العربية ، من حيث التشكيك في قدرة التصدي العسكري العربي للقوة العسكرية الاسرائيلية المتطورة . والطائرة « ف - ١٥ » هي مقاتلة تفوق جوي ذات مقعد واحد ، وذات مهام متعددة في جميع الاحوال الجوية ، تشمل مهام

المطاردة والاعتراض والقتال الجوي المتلاحم والقصف التكتيكي . وقد حلق نموذجها الاول في ١٩٧٢/٧/٢٧ ، وبدأت تدخل الخدمة العملية في السلاح الجوي الاميركي في تشرين الثاني ( نوفمبر ) ١٩٧٤ . وقد حصلت اسرائيل منها حتى الان على ٢٥ طائرة ، منها طائرتين ذات مقعدين لاغراض التدريب ، بثمان اجمالي يشمل قطع الغيار والتدريب يبلغ ٦٠٠ مليون دولار . ومن المتوقع ان تحصل على ١٥ طائرة اخرى منها ، ضمن صفقة الطائرات الثلاثية الشهيرة التي شملت مصر

والسعودية ( الاولى ٥٠ طائرة « ف - ٥ » والثانية ٦٠ طائرة ف - ١٥ ) ، والتي ستحصل فيها اسرائيل على ٧٥ طائرة اخرى من طراز « ف - ١٦ » . ( راجع شهريات العدد ٧٧ من شؤون فلسطينية ) . وقد بدأ الطيران الاسرائيلي في تسلّم الدفعة الاولى من طائرات « ف - ١٥ » في اواخر العام ١٩٧٦ . ومن المنتظر ان يستكمل صفقة الـ ١٥ طائرة اخرى من الطراز نفسه في العام ١٩٨٢ .

وتبلغ قوة نفع كل من محركي الطائرة « ف - ١٥ » ١٠,٨٠٠ كلغ - ضغط مع الحارق الخلفي عند تشغيله ، ويبلغ وزنها العادي في مهمات المطاردة ( اي مع تسليمها بثماني صواريخ جو - جو وعدم حملها لخزانات وقود اضافي ) نحو ١٨,٨٢٥ كلغ ( وهي الحالة التي كانت عليها غالبا خلال المعركة الاخيرة نظرا لعدم حاجتها لزيادة مدى عملها المعتاد وهو ٤٥٠ كلم ) ، اي ان معدل قوة الدفع الى الوزن يبلغ ١,١٥ كلغ دفع الى كل كلغ وزن ، الامر الذي يوفر للطائرة قوة تسارع وقدرة اكبر على المناورة .

وهناك عوامل اخرى تساعدها على المناورة بصورة جيدة ، اذ يبلغ معدل التفافها الاقصى ١٢,٥ درجة في الثانية ، وشعاع التفافها الاقصى ٤٥٠ مترا ، وقدرة تحملها الجانبية ٩ اضعاف جانبية الارض . وتبلغ سرعتها القصوى على ارتفاع عال ٢٦٥٠ كلم/ساعة ، واقصى سرعة قتالية لها على ارتفاع عال ٢١٢٥ كلم/ساعة . وهي مسلحة بمدفع آلي عيار ٢٠ مم « سداسي القوهسات » له ٩٥٠ طلقة ، بالاضافة الى ٤ صواريخ جو - جو بعيدة المدى ( ٢٥ - ٣٠ كلم ) من طراز « سبارو » و٤ صواريخ قصيرة المدى ( ٥ - ٧ كلم ) من طراز « سوبر سايدوندر » . وذلك في حالات المطاردة والقتال الجوي ، اما في حالة القصف التكتيكي فيمكنها ان تحمل ما مجموعه ٥٤٥٤ كلغ من القنابل والصواريخ . ويختلف مداها القتالي وفقا لنوعية مهمتها وحجم حملتها من القنابل وخزانات الوقود الاضاسي . ولكن مداها النموذجي ( ١٨١٥ كلم + ٤ صواريخ + خزان وقود اضافي مع تطبيق عال - منخفض - عال ) يبلغ ١١٢٥ كلم . وهي مزودة بمعدات الكترونية متطورة وجهاز رادار بعيد المدى .

اما « الميغ - ٢١ م ف » ، فهي ايضا مقاتلة متعددة المهام ، ومزودة بمحرك واحد قوته ٦٦٠٠ كلغ ، ووزنها العادي ٨٢٠٠ كلغ ، ونسبة قوة الدفع

بين الطائرتين ، تتضح لنا ابعاد النتائج التكتيكية للمعركة الجوية ، التي عبرت في بعدها الاستراتيجي عن قرار سوري بالتصدي للعدوان الاسرائيلي المستمر على لبنان . وهو قرار متخذ ، بالنسبة لمناطق وسط وشمال لبنان على الاقل ، منذ ان بدأ التحليق السوري فوق المناطق المذكورة في ٢٥/٤/٧٩ ، حين حطقت ٢ طائرات من طراز « سوخوي - ١٧ » ، فوق « بيروت » واعقبها بعد ذلك في ايام مختلفة وبمكررة طائرات سورية اخرى من طراز « ميغ - ٢١ » و « ميغ - ٢٣ » ( راجع شهريرات العدد ٩١ من شؤون فلسطينية ) .

محمود عزمي

الى الوزن في حالة المطاردة ٠,٨٠ كلغ دفع لكل كلغ وزن . وتبلغ سرعتها القصوى على ارتفاع عال ٢٣٢٥ كلم/ساعة ، وسرعتها القتالية ١٧٠٠ كلم على ارتفاع عال . وهي مسلحة بمدفع آلي السبطانة من عيار ٢٣ مم ، بالاضافة الى صواريخ جو - جو قصيرة المدى . وهي ذات قدرات جيدة على المناورة ، ولكنها ليست على مستوى الـ « ف - ١٥ » ، الاحدث تقنيا ، في هذا المجال ، كما ان رادارها يبلغ مداه في التعقب والمطاردة نحو ٢٥ كلم فقط ، اي نحو نصف مدى رادار الـ « ف - ١٥ » في الحالة المماثلة ، وضمن منظور هذه المقارنة التقنية الموجزة

- (١) صحيفة النهار ، عدد ٧٩/٦/١٨ ، ص ١٢ .  
 (٢) صحيفة النهار العربي والدولي ، العدد ١١١ ، ٧٩/٦/١٨ ، ص ٩ .

صدر حديثا

شهادة الأطفال في زمن الحرب

( طبعة ثانية )

باللغتين العربية والانكليزية

إعداد : منى السعودي

يطلب من المكتبات ، ومن ص.ب ٥٢٧٧ - ١١٢ ، بيروت



# قضايا عرب

شهرية فكرية مفتوحة لمختلف الاتجاهات التقدمية

يكتب فيها أبرز الكتاب والمفكرين العرب من كافة اقطار  
الوطن العربي - تعالج اهم المشكلات والقضايا المعاصرة للامة  
العربية بروح الالتزام والبحث العلمي وفي مختلف المواضيع :  
السياسية ، الاقتصادية ، التاريخية ، الادبية ، الثقافية  
والفنية - ابواب شهرية ثابتة : عرض اهم الكتب - فن  
تشكيلي - سينما - وثائق - بليوغرافيا شهرية : القضايا العربية في  
الدوريات العربية .

رئيس التحرير : د . عبدالوهاب الكيالي

المراسلات : ماهر الكيالي - ص . ب . ٥٤٦٠  
بيروت/ لبنان العنوان البرقي : موكيالي - ت : ٣١٢١٥٦ .

